

ضِيَاءُ الدَّارِيِّ
فِي مَسَالِكِ
أَوَابِ الْجَنَّاتِ

تألِيفُ
الإِمامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمِ الْبَصْرِيِّ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ مُحَمَّدِ الْبَصْرِيِّ الْمَكِيِّ الشَّافِعِيِّ
خَانِطِ الْبَلَدِ الْجَانِيِّ وَرَمَضَانِيِّ الْمَرْسَيِّ الْمَقْبِيِّ
المرور بِمَكَّةِ الْمُكَرَّمَةِ سَنَةِ ١٤٤٨ هـ الْمُتَقَدِّمَ بِسَنَةِ ١١٢٤ م
رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ

تَحْمِيقُ وَدَلِيلُهُ
مُتَصَّلٌ مِنْ أَعْلَمِ
يَا شَرَافٌ
عَنْ ثُوْلِ الْمُنْتَظَرِ الْمُتَقَدِّمِ

الْمَحْلُدُ الْثَامِنُ

السنت النبوية

ג

ט

الجامعة للبحوث والدراسات

النور

ضيّق السارى
في مسالك
أوابي الحذاي
(٨)

جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولى - ١٤٣٢ م - ٢٠١١

ISBN: 978-9933-418-23-9



9789933418239



اللَّبُحُوتُ وَالدِّرَاسَاتِ

قطر - الدوحة

فناکس: ۰۰۹۷۴۴۴۴۱۸۷۰

Email: arraqeem@gmail.com

دار الكتب الالكترونية
الكربيانية - لبنان

لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠ / ١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

٣٢٠٤٦ - الرمز البريدي: ٤٣١٦ - حولي - برج السحاب - الصالحية - الكويت

هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)

www.daralnawader.com info@daralnawader.com

136112610198

السنة: ١٤٤٦-٢٠٢٣ | المدير العام | رئيس التحرير

تابع

أبواب صفة الصلاة

٩٦ - باب

القراءة في الظهر

(باب القراءة في الظهر)؛ أي: في صلاتها.

قال الكرماني: الظاهر أن المراد بها بيان قراءة غير الفاتحة.

وقال الحافظ: هذه الترجمة والتي بعدها يحتمل أن يكون المراد بهما إثبات القراءة فيهما، وأنها تكون سراً إشارةً إلى من خالف في ذلك كابن عباس، كما سيأتي في (باب الجهر بقراءة الصبح)، ويحتمل أن يراد بهما تقدير المقروء وتعيينه، والأول أظهر؛ لكونه لم يتعرض في البالين لإخراج شيء مما يتعلق بالاحتمال الثاني، انتهى.

وقد ورد في تقدير المقروء وتعيينه أحاديث مختلفة، يأتي بعضها، وقد استدل باختلافها على عدم مشروعية سورة معينة في صلاة معينة.

قال الحافظ: وهو واضح فيما اختلف، لا فيما لم يختلف ^{﴿المرئي﴾} انتهى.

﴿تزييل﴾، و﴿هل أنت﴾ [الإنسان: ١] في صبح الجمعة، انتهى.

٧٥٨ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعَمَانِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمْرَةَ قَالَ: قَالَ سَعْدٌ: كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْعَشِيِّ لَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أَرْكُدُ فِي الْأُولَئِينَ، وَأَحْذِفُ

فِي الْأَخْرَيْنِ، فَقَالَ عُمَرُ تَعَالَى عَنْهُ: ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ.

وبالسند قال :

(حدثنا أبو النعمان) محمد بن الفضل السدوسي (قال : حدثنا أبو عوانة) الوضاح اليشكري ، (عن عبد الملك بن عمير) الكوفي ، (عن جابر بن سمرة) ، قال : (قال سعد) ؛ أي : ابن أبي وقاص لعمر ابن الخطاب لما قال له : إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي : (كنت) ، وفي رواية : (قد كنت) (أصلني بهم صلاة رسول الله ﷺ صلاتي العَشِي) بفتح العين وتشديد الياء التحتية ، والمراد بهما : الظهر والعصر ، وفي رواية : (صلاتي العشاء) ، ولا دلالة فيها للترجمة .

(لآخرم) ؛ أي : لا أنقص (عنها) ؛ أي : عن صلاة النبي ﷺ .
(كنت أركد) ؛ أي : أطول القيام ، وفي رواية بإسقاط (كنت) (في الأولين ، وأحذف في الآخرين) ؛ أي : أقصر فيهما ، لا أنه يترك رأساً ، وأصل الحذف من الشيء : النقص منه ، وفي رواية : (وأخف) بدل (واحذف) ، وهو يقوى أن المراد بالترجمة غير الفاتحة ؛ إذ الحذف لا يُتصوّر فيها .

(فقال) ، وفي رواية : (قال) (عمر) تَعَالَى عَنْهُ : (ذاك) ، وفي رواية : (ذلك) (الظن بك) ، وهذا الحديث مذكور في بعض الأصول قبل (باب القراءة في الظهر) ، وساقط بالكلية في بعضها .

* * *

٧٥٩ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَىٰ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيْنِ مِنْ صَلَةِ الظُّهُرِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ، يُطَوِّلُ فِي الْأُولَى، وَيُقَصِّرُ فِي الثَّانِيَةِ، وَيُسْمِعُ الْآيَةَ أَحْيَانًا، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْعَصْرِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ، وَكَانَ يُطَوِّلُ فِي الْأُولَى، وَكَانَ يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى مِنْ صَلَةِ الصُّبْحِ، وَيُقَصِّرُ فِي الثَّانِيَةِ.

وبالسند قال :

(حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دُكين (قال: حدثنا شيبان) بن عبد الرحمن، (عن يحيى) هو ابن أبي كثیر، (عن عبد الله بن قتادة، عن أبيه) أبي قتادة الحارث بن ربيع رضي الله عنه، وفي رواية الجوزي التصريح بالإخبار ليحيى عن عبد الله، ولعبد الله عن أبيه، وكذا للنسائي بلفظ التحديد فيهما، فأُمن بذلك تدليسُ يحيى .

(قال) أبو قتادة: (كان النبي)، وفي رواية: (كان رسول الله ﷺ) (يقرأ في الركعتين الأولى) بتحتانيتين، تثنية (الأولى) بضم الهمزة، وأما ما شاع على الألسنة من (الأولة)، وتشتيتها بـ (الأولتين) فجائز من حيث اللغة، لكنه مرجوح عندهم، نبه عليه النووي وابن دقيق العيد .

(عن صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين)؛ أي: في كل ركعة سورة؛ (يطول في الأولى، ويقصر في الثانية)، ذكروا له حكمتين: أحدهما: إدراك المأمور فضيلة الجماعة في أول الصلاة.

والثانية: أن النشاط في الأولى أكثر.

ويشهد للأول ما وقع في بعض طرقه عند أبي داود وابن خزيمة في آخر الحديث: (فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى). وخالفوا في ذلك في قيام الليل، فقالوا: يبدأ بركعتين خفيفتين، ثم ليطول ما شاء؛ استدراجاً للنفس من الخفة إلى الثقل، ولهذا شُرِعت سنة متقدمة على الفريضة.

وقد استدل به على تطويل الأولى على الثانية، ويأتي الكلام عليه إن شاء الله في (باب: يطول في الأولى ويقصر في الثانية).

(ويسمع الآية أحياناً)، وفي الرواية الآتية: (ويسمعنا)، وللنمسائي من حديث البراء: كنا نصلِي خلف النبي ﷺ الظهر، فنسمع منه الآية من سورة لقمان والذاريات، ولا بن خريمة: بـ **﴿سَبِّحْ أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾** [الأعلى: ١]، و**﴿هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْفَدْشِيَّةَ﴾** [الغاشية: ١].

و(الأحيان) جمع: حين، وهو الوقت؛ قل أو كثـر.

وإسماعه ﷺ يحتمل أن يكون عن قصد تنبئـاً على أن الجهر لا يجب، أو لإعلامـهم بما يقرؤـه، ويحتمل أن يكون عن غير قصد، بل لسبق اللسان؛ لاستغراقـه في تدبر القرآن، قال ابن الملقن: وهذا أظـهر.

وتعقب بأن الإسماع يقتضـي القصد له.

وقال الحافظ: واستدل به على جوازـ الجهر في السـرية، وأنـه لا سجـودـ سهوـ علىـ منـ فعلـ ذلكـ، خـلافـاً لـمنـ قالـ ذلكـ منـ الحـنـفـيةـ

وغيرهم، سواء قلنا: كان يفعل ذلك عمداً لبيان الجواز، أو: لغير قصد للاستغراق في التدبر.

وفيه حجة على من زعم أن الإسرار شرط لصحة الصلاة السرية.

قال: قوله: (أحياناً) يدل على تكرر ذلك منه.

قال: وقال ابن دقيق العيد: فيه دليل على جواز الاكتفاء بظاهر الحال في الأخبار دون التوقف على اليقين؛ لأن الطريق إلى العلم بقراءة السورة في السرية لا يكون إلا بسماع كلها، وإنما يفيد يقين ذلك لو كان في الجهرية. قال: وكأنه مأخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قراءة باقيها، ويحتمل أن يكون الرسول ﷺ كان يخبرهم عقب الصلاة دائماً أو غالباً بقراءة السورتين، وهو بعيد جداً، انتهى.

(وكان يقرأ في) صلاة (العصر بفاتحة الكتاب وسورتين)؛ في كل ركعة سورة واحدة، (وكان يطول في الأولى، ويقصر في الثانية)، هاتان الجملتان ساقطتان من أصول صحيحة، والجملة الثانية ساقطة من «اليونينية».

(وكان يطول في الركعة الأولى من صلاة الصبح)؛ أي: يقرأ غير الفاتحة، (ويقصر في الثانية)، ويأتي هذا الحديث مكرراً في أبواب، ونتكلم على كلٍّ بما يليق بتلك الترجمة إن شاء الله تعالى.

* * *

٧٦٠ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا

الأعمشُ، حَدَّثَنِي عُمَارَةُ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: سَأَلْنَا خَبَابًا: أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظَّهَرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْنَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ؟ قَالَ: بِاضْطِرَابِ لِحِيَتِهِ.

وبالسند قال:

(حدثنا عمر بن حفص) بضم العين، وسقط لفظ: (ابن حفص)
من روایة.

(قال: حدثنا أبي) حفص بن غياث (قال: حدثنا الأعمش)
سلیمان ابن مهران (قال: حدثني عماره) هو ابن عمیر، (عن أبي
معمر) - بفتح الميمين - عبدالله بن سخیرة الأزدي (قال: سأله
خباباً) هو ابن الأرت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظَّهَرِ وَالْعَصْرِ؟
قال: نَعَمْ) كان يَقْرَأُ فِيهِمَا، (قلنا)، وفي روایة: (قلت): (بِأَيِّ
شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟) وسقط لفظ (ذلك) من روایة، (قال:
باضطراب لحيته) بكسر اللام، وفي روایة: (لحيته) بفتح اللام، ثانية:
لحي.

قال في «الفتح»: فيه الحكم بالدليل؛ لأنهم حكموا بذلك على
قراءته، لكن لابد من قرينة تعيين القراءة دون الذكر والدعاء مثلاً؛ لأن
اضطراب اللحية يحصل بكل منهما، وكأنهم نظروه بالصلوات
الجهرية؛ لأن ذلك الم محل منها هو محل القراءة لا الذكر والدعاء،
وإذا انضمَّ إلى ذلك قول أبي قتادة: (كان يسمعنا الآية أحياناً) قوي
الاستدلال، والله أعلم.

وأجاب بعضهم بأن احتمال الذكر يمكن، لكن جزم الصحابي
بالقراءة مقبول؛ لأنه أعرف بأحد المحتملين، فيقبل تفسيره.
وقد استدل به المصنف على مخالفته القراءة في الظهر والعصر،
وسيأتي، وتقدم استدلاله به على رفع بصر المأمور إلى الإمام في بابه.

* * *

القراءة في العصر

(باب القراءة في العصر)؛ أي : صلاتها .

٧٦١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفِيَّانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قُلْتُ لِخَبَابِ بْنِ الأَرَّتِ: أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهُرِ وَالعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قِرَاءَتَهُ؟ قَالَ: بِاضْطِرَابِ لِحِينِهِ.

وبالسند قال :

(حدثنا محمد بن يوسف)، لم يتبه في «الفتح» ولا في «المقدمة» على أنه الفريابي أو البيكيندي ، وجزم القسطلاني بأنه البيكيندي (قال: حدثنا سفيان^(١)) ، قال القسطلاني : ابن عيينة ، وقال في «الأطراف» : هو الشوري ، وهذا يقوى أن محمد بن يوسف هو الفريابي ؛ لكثره روایته عن الشوري .

(عن الأعمش ، عن عمارة ، عن أبي معمر) عبدالله بن سخيرة قال :

(١) في «و» و«ن»: «يوسف» ، والصواب المثبت .

(قلت)، وفي رواية: (قلنا) (الخباب بن الأرت) بفتح الراء وتشديد المثناة الفوقيـة: (أكـان النـبـي ﷺ يـقـرـأ فـي الـظـهـر وـالـعـصـر؟) قال: نـعـمـ، قـلـتـ) زـادـ فـي رـوـاـيـةـ: (قـالـ: قـلـتـ) : (بـأـيـ شـيـءـ كـتـمـ تـعـلـمـونـ) تـعـرـفـونـ (قـراءـتـهـ) عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ؟ (قـالـ: باـضـطـرـابـ لـحـيـتـهـ) الـكـرـيمـةـ.

* * *

٧٦٢ - حَدَّثَنَا الْمَكِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِنَ الظُّهُرِ وَالْعَصْرِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَسُورَةِ سُورَةِ، وَيُسَمِّعُنَا الآيَةَ أَحْيَانًا.

وبالسند قال:

(حدثنا المكي)، وفي رواية: (مكي) بدون أداة التعريف (ابن إبراهيم) الحنظلي البلاخي، (عن هشام) هو الدستوائي، (عن يحيى بن أبي كثير، عن عبدالله بن أبي قتادة، عن أبيه)؛ أي: قتادة رض (قال: كان النبي رض يقرأ في الركعتين) هي الأولين (من الظهر والعصر)؛ أي: من كل منهما (بفاتحة الكتاب وسورة سورة) عطف على سابقه، وكرر ليفيد التوزيع على الركعات؛ يعني: يقرأ في كل ركعة من ركعتيها سورة بعد الفاتحة، (ويسمعنا الآية أحياناً)، وقد تقدم الكلام على هذين الحديثين في الباب الذي قبله، وعلى ما يؤخذ من الترجمة تصريحاً أو إشارة.

* * *

٩٨ - بَابٌ

القراءة في المغرب

(باب القراءة في المغرب)؛ أي: صلاتها.

قال الحافظ: المراد تقديرها؛ لا إثباتها؛ لكونها جهرية، بخلاف ما تقدم في (باب القراءة في الظهر) من أن المراد: إثباتها، انتهى.

٧٦٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أُمَّ الْفَضْلِ سَمِعَتْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ: «وَالْمُرْسَلَتْ عَرْفَاتٍ»، فَقَالَتْ: يَا بُنْيَّ! وَاللَّهُ لَقَدْ ذَكَرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ، إِنَّهَا لِآخِرٍ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ.

وبالسند قال:

(حدثنا عبد الله بن يوسف) التّنسّي (قال: أخبرنا مالك)؛ أي: ابن أنس الإمام، (عن ابن شهاب) الزهري، (عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة)، وفي بعض الأصول زيادة: (ابن مسعود).
(عن ابن عباس) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أنه قال: إن أُمَّ الْفَضْل) هي والدة ابن

عباس، واسمها **لُبَابَة** - بضم اللام وتحقيق المودحة - بنت الحارث بن حَزَن، بفتح المهملة وسكون الراءِ بعدها نون، **الهَلَالِيَّة**، زوج العباس ابن عبد المطلب.

قال ابن عبد البر: يقال: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، لكن قال في «الفتح»: وال الصحيح أنها أخت عمر بن الخطاب زوج سعيد بن زيد، كما سيأتي في (المناقب) من حديثه: لقد رأيتني وعمرٌ موثقي وأخته على الإسلام، واسمها فاطمة، انتهى.

قال ابن عبد البر: وكان النبي ﷺ يزورها ويقيل عندها، وكانت من المنجبات، ولدت للعباس ستَّ رجال، لم تلد امرأة مثلهم، وهم: الفضل، وبه كانت تكنى، وعبد الله الفقيه البحري، وعبد الله، وقثم، ومعبد، وعبد الرحمن، وأم حبيبة سابعة.

قال: وأخوات أم الفضل لأبيها وأمها ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، ولُبَابَة الصغرى - أي: وهي أم خالد بن الوليد - وعصماء وعَزَّة وهزيلة، أخوات لأم وأب، وأخواتهن لأمهن: أسماء وسلمى وسلامة بنت عُميس الخثميّات، وأخوهن لأمهن: مَحْمَيَة بن جزء الزبيدي، فهن ست أخوات لأبٍ وأمٍ، وتشمل أخوات لأم، لأمهن كلّهن هند بنت عوف الكنانية، وقيل: الحميرية، قالوا: هي العجوز التي قيل فيها: أكرم الناس أصهاراً.

وعن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ قال: «الأخوات الأربع مؤمنات: ميمونة بنت الحارث، وأم الفضل، وسلمى، وأسماء».

وقال ابن حبان: ماتت قبل زوجها العباس في خلافة عثمان بن عفان رض.

روى لها الجماعة.

(سَمِعْتُهُ؟ أَيْ: سَمِعْتُ أُمَّ الْفَضْلَ ابْنَهَا ابْنَ عَبَّاسَ (وَهُوَ يَقْرَأُ، وَفِيهِ التَّفَاتٌ؛ لِأَنَّ السِّيَاقَ يَقتَضِي أَنْ يَقُولَ^(١): سَمِعْتُنِي وَأَنَا أَقْرَأُ (وَالْمُرْسَلَاتِ عَرَفَهُ) [المرسلات: ١] فَقَالَتْ: يَا بْنِي) بِضمِّ الْمُوْحَدَةِ مُصْغَرًا (الْقَدْ) - وَفِي رِوَايَةِ: (وَاللَّهِ لَقَدْ) - (ذَكَرْتُنِي بِقِرَاءَتِكَ)، قَالَ الْحَافِظُ: أَيْ: شَيْئًا نَسِيَّتُهُ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: (هَذِهِ السُّورَةُ) مَفْعُولًا لِقَوْلِهِ: (بِقِرَاءَتِكَ).

وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ: وَ(هَذِهِ السُّورَةُ) عَلَى مُخْتَارِ الْبَصَرِيِّينَ مُنْصُوبٌ بِ(قِرَاءَتِكَ)، وَعَلَى مُخْتَارِ الْكَوْفِيِّينَ بِقَوْلِهِ: (ذَكَرْتُنِي) بِالْتَّشْدِيدِ. فَجَعَلَهُ مِنْ بَابِ التَّنَازُعِ، قَالَ: وَفِي بَعْضِهَا: (بِقُرْآنِكَ) عَلَى وَزْنِ الْفُعْلَانِ.

(إِنَّهَا؟ أَيْ: هَذِهِ السُّورَةُ (لَا يَرِدُ مَا سَمِعْتُ) - وَفِي رِوَايَةِ: (مَا سَمِعْتُهُ) - (مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بَهَا الْمَغْرِبَ)، قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: وَ(يَقْرَأُ إِمَّا حَالٌ، أَيْ: مِنْ (رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))، إِمَّا اسْتِنَافٌ. وَعَلَى الْحَالِ يَحْتَمِلُ سَمَاعُهَا مِنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَعَلَى الْاسْتِنَافِ لَا يَحْتَمِلُ، انتهى.

وَزَادَ الْمُصْنَفُ فِي (الْوَفَاءِ): (ثُمَّ مَا صَلَى بَعْدَهَا حَتَّى قُبْضَهُ اللَّهُ تَعَالَى).

(١) «أَنْ يَقُولُ» لِيُسَمِّ فِي «وَ».

قال الحافظ : وقد تقدم في (باب إنما جعل الإمام ليؤتم به) من حديث عائشة أن الصلاة التي صلاتها النبي ﷺ بأصحابه في مرض موته كانت الظهر - أي : وقد قال الشافعي : إنه عليه الصلاة والسلام لم يصل بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرة واحدة - قال : وقد أشرنا إلى الجمع بينه وبين حديث أم الفضل هذا، بأن الصلاة التي حكتها عائشة كانت في المسجد، والتي حكتها أم الفضل كانت في بيته، كما رواه النسائي .

قال : لكن يعكر عليه ما رواه الترمذى من طريق آخر في حديث أم الفضل بلفظ : (خرج إلينا رسول الله ﷺ وهو عاصبٌ رأسه في مرضه فصلى المغرب) الحديث - أي : وفيه (ثم ما صلى لنا بعدها) - قال : ويمكن حمل قولها : (خرج إلينا)، أي : من مكانه الذي كان راقداً فيه إلى من في البيت فصلى بهم، فتلائم الروايات .

* * *

٧٦٤ - حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: مَا لَكَ تَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ بِطُولِ الطُّولَيْنِ؟

وبالسند قال :

(حدثنا)، وفي رواية : (حدثني) (أبو عاصم) هو النبيل، (عن ابن

جريح) عبد الملك بن عبد العزيز، (عن ابن أبي مليكة) هو عبدالله بن عبيدة الله بن مليكة، واسم أبي مليكة: زهير، وفي رواية عبد الرزاق عن ابن جريح عند أبي داود: (حدثني ابن أبي مليكة)، (عن عروة بن الزبير)، وفي رواية الإسماعيلي عن ابن جريح: (سمعت ابن أبي مليكة أخبرني عروة)، (عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت) الأنصاري النجاري رض: (ما لك تقرأ في المغرب بقصار؟)، كذا للأكثر بالتنوين، وهو عوضٌ عن المضاف إليه، زاد في رواية: (يعني المفصل).

قال الحافظ: وفي رواية الكُشْمِيْهْنِيْ: (بقصار المفصل)، قال: وكذا هو في جميع الروايات عند أبي داود والنسائي وغيرهما، لكن في رواية النسائي: (بقصار السور)، وعنه أيضاً من طريق أبي الأسود، عن عروة، عن زيد بن ثابت أنه قال لمروان: (أبا عبد الملك! أتقرا في المغرب بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾؟)، انتهى. وكان مروان حينئذ أميراً على المدينة من قبل معاوية.

(وقد سمعتُ النبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضم الناء، قاله الْكَرْمَانِيُّ، وكذا هو مضبوط بالقَلْمِ في أصول صحيحة، وضبطها في «اليونينية» بالضم والفتح، وصَحَّحَ على الفتحة، (يقرأ)، أي: في المغرب (بطُولِيَّ الطُّولِيَّنِ)؛ أي: بأطول السورتين الطويلتين، و(طولي) تأنيث أطول، و(الطويلين) بتحتانيتين تثنية الطولى، وهذه رواية الأكثر. ولكريمة: (بطول) بضم الطاء وسكون الواو، أي: بلا مكسورة. قال الحافظ:

ووجهه الكرماني بأنه أطلق المصدر وأراد الوصف، أي: كان يقرأ بمقدار طول الطوليين.

قال: وفيه نظر، لأنه يلزم منه أن يكون قرأ بقدر السورتين، وليس هو المراد كما سنوضحه، انتهى.

وفي كلام الكرماني شيء آخر لم يتبه عليه الحافظ، وهو أنه قال: (كان يقرأ بمقدار طول الطوليين اللذين هما البقرة والنساء والأعراف)، ونقله عنه القسطلاني وسكت عليه، فلعله: أو (الأعراف).

وحكى الخطابي أنه ضبطه عن بعضهم بكسر الطاء وفتح الواو. قال: وليس بشيء؛ لأن الطول: الحبل، ولا معنى له هنا، انتهى.

وعند الإسماعيلي: (بأطول الطوليين) بالذكر، ولم يقع تفسيرهما في رواية البخاري، ووقع في رواية أبي الأسود المذكور: (بأطول الطوليين **الْمَصَّ**)، وفي رواية أبي داود: (قال: قلت: وما طولى الطوليين؟ قال: الأعراف).

وبين النسائي في رواية له أن التفسير من قول عروة، ولفظه: (قال) أي: ابن أبي مليكة كما يبنته رواية الإسماعيلي: (قلت: يا أبا عبدالله) وهي كنية عروة.

زاد أبو داود: (قال)؛ يعني ابن جرير: (وسألت أنا ابن أبي مليكة)؛ أي: عن تفسير الطوليين (فقال لي من قبل نفسه: المائدة والأعراف).

وللجزي: (الأنعام والأعراف)، وللطبراني: (الأعراف ويونس)، فحصل الاتفاق على تفسير الطولى بالأعراف.

ولابن خزيمة: (سورة الأعراف في الركعتين جمِيعاً).

وقال ابن بطال: ي يريد أنه كان يقرأ فيها بأطول السورتين؛ يعني: (الأنعام) و(الأعراف)، ولو أراد (البقرة) لقال: بطولِ الْطُولِ، فدل ذلك على أنه أراد (الأعراف)، وهي أطول سور بعد (البقرة).

وتعقبه ابن المُنْيَرُ والكرْماني بأن (النساء) أطول منها.

قال الحافظ: وليس هذا التعقيب بمرضى؛ لأنَّه اعتبر عدد الآيات، وعددُ آيات (الأعراف) أكثر من عدد آيات (النساء) وغيرها من السبع بعد (البقرة)، والمتعقب اعتبر عدد الكلمات؛ لأنَّ كلمات النساء تزيد على كلمات الأعراف بمئتي كلمة.

وقال ابن المُنْيَرُ: تسمية (الأعراف) و(الأنعام) بالطولين إنما هو لعرف فيهما لا أنهما أطول من غيرهما، والله أعلم.

وقال أيضاً: وأحسن ما عندي في الجمع بين الآثار المختلفة في إطالة القراءة في (المغرب) وتخفيتها أنَّ تحمل الإطالة على الندرة على سبيل المشرعية، ويحمل التخفيض على العادة تنبيهاً على الأولى، ولذلك قال في الإطالة: (سمعته يقرأ)، وفي التخفيض: (كان يقرأ)، انتهى.

وتعقبه الحافظ فقال: وغفل عما في رواية البيهقي من طريق أبي عاصم شيخ البخاري، وفيه بلفظ: (لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ)، ومثله في رواية الإمام سعيد، انتهى.

قال : واستدل بهذين الحديدين على امتداد وقت المغرب ، وعلى استحباب القراءة فيها بغير قصار المفصل ، وسيأتي البحث في ذلك في الباب الذي بعده إن شاء الله تعالى .

* * *

الْجَهْرُ فِي الْمَغْرِبِ

(باب الجهر)؛ أي: حكم الجهر بالقراءة (في) صلاة (المغرب)، اعرض ابن المنير على هذه الترجمة والتي بعدها بأن الجهر فيما لا اختلاف فيه.

ورده الحافظ بأنه عجيب؛ لأن الكتاب موضوع لبيان الأحكام من حيث هي، وليس هو مقصوراً على الخلافيات، انتهى.

٧٦٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالْطُورِ.

وبالسند قال:

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) التّنّيسي (قال: أخبرنا مالك) الإمام، (عن ابن شهاب) الزهري، (عن محمد بن جبير بن مطعم) - بلفظ الفاعل من الإطعام - بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، القرشي، النوفلي، المدنى، كنيته أبو سعيد، وهو أخو نافع بن جبير ابن مطعم،تابعى جليل ثقة.

قال ابن إسحاق : وكان من أعلم قريش بأحاديثها ، وكان أبوه جبير من أنساب قريش لقريش ، بل للعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب عن أبي بكر الصديق .

وقال عبد الملك بن مروان لمحمد بن جبير : إني لأعرفك بالصدق . ولم يصح سماعه من عمر بن الخطاب ، فإن الدارقطني نص على أن حديثه عن عثمان مرسل .

وذكر غير واحد أنه مات في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقيل : في خلافة سليمان بن عبد الملك ، ونقل ابن سعد عن أبي مالك الحميري قال : رأيت نافع بن جبير يوم مات أخوه محمد بن جبير قد ألقى رداءه على ظهره وهو يمشي ، قال : فهذا يدل على أن محمداً لم يبق إلى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فإن أخاه نافعاً بقي بعده ولم يدركها ، والله أعلم . روى له الجماعة .

(عن أبيه) جبير بن مطعم رضي الله عنه (قال : سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قرأ) وفي رواية : (يقرأ) (في المغرب بالطور) ؛ أي : بسورة الطور ، والطور : هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، وهو بمدين ، والمراد أنه قرأ بها في الركعتين الأوليين منهما ؛ لأنهما اللتان يجهر فيها بالقراءة .

زاد المصنف في (الجهاد) : (وكان جاء في أسارى بدر) ؛ أي : في فدائهم ، كما في «ابن حبان» .
و زاد الإسماعيلي : (وهو يومئذ مشرك) .

وللمصنف في (المغازي) في آخره: (وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي).

وزاد الطبراني: (فأخذني من قراءته الكرب).

ولسعيد بن منصور: (فكأنما صدع قلبي حين سمعت القرآن).

واستدل به على صحة أداء ما تحمله الرواية في حال الكفر، ومثله الفسق إذا أداه في حال العدالة.

وفي الحديث دليل على جواز إطالة القراءة في المغرب، وفي الصحيحين أنه ﷺ قرأ في المغرب بالأعراف، وقد تقدم في الباب قبله إنكار زيد بن ثابت على مروان مواظبه في المغرب على قصار المفصل، وأنه سمع النبي ﷺ يقرأ فيها بطولى الطولين، أي: وهي (الأعراف) فرقها في الركعتين.

وفي «مسند ابن أبي عمر»: أنه ﷺ قرأ في المغرب بالدخان.

وفي «معجم الطبراني الكبير» بسنده صحيح عن أبي أيوب: أنه ﷺ كان يقرأ في المغرب بسورة (الأనفال).

وفيه أيضاً عن عبدالله بن الحارث بن عبد المطلب قال: آخر صلاة صلاتها رسول الله ﷺ المغرب، قرأ فيها في الركعة الأولى: «سَيِّئَ أَسْرَرِكَ الْأَعْلَى» وفي الثانية «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ».

وفيه أيضاً: أنه كان يقرأ فيها: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سِيرِ

.[محمد: 1]

وفي «الصحيحين» من حديث رافع بن خديج: كنا نصلّي مع النبي ﷺ، فینصرف أحدنا وإنه ليبصر موقع نبله. وهو يدل على تخفيف القراءة فيها.

وفي «ابن أبي شيبة» من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان يقرأ في المغرب بقصار المفصل.

وفي «النسائي» و«ابن خزيمة» وغيرهما من طريق سليمان [بن يسار، عن أبي هريرة قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من فلان]. قال سليمان: [١) كان يقرأ في الصبح بطول المفصل، وفي المغرب بقصار المفصل، وفي العشاء بأواسطه.

قال الحافظ: وهو الذي اعتمد بعض أصحابنا، قال: وهو يشعر بالمواظبة على ذلك.

قال: لكن في الاستدلال به نظر يأتي مثله في (باب جهر الإمام بالتأمين).

قال: ولم أر حديثاً مرفوعاً فيه التنصيص على القراءة فيها بشيء من قصار المفصل، إلا حديثاً في «ابن ماجه» عن ابن عمر نص فيه على (الكافرون) و(الإخلاص)، ومثله لابن حبان عن جابر بن سمرة، إلا أنه قيده بليلة الجمعة، ولفظه: قرأ فيها ليلة الجمعة بـ **﴿قُلْ يَتَآئِهَا الْكَافِرُونَ﴾** و**﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**.

(١) ما بين معکوفتين ليس في «و».

فأما حديث ابن عمر فظاهر إسناده الصحة، إلا أنه معلول، قال
الدارقطني: أخطأ بعض رواته فيه.

وأما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك،
والمحفوظ أنه قرأ بهما في الركعتين بعد المغرب.

قال: وطريق الجمع بين هذه الأحاديث أنه عليه السلام كان أحياناً يطيل القراءة في المغرب، إما لبيان الجواز، وإما لعلمه بعد المشقة على المأمورين، وليس في حديث جبير بن مطعم دليل على أن ذلك تكرر منه، وأما حديث زيد بن ثابت ففيه إشعار بذلك؛ لكونه أنكر على مروان المواظبة على قراءة قصار المفصل فيها، ولو كان مروان يعلم أن النبي عليه السلام واظب على ذلك لاحتج به على زيد، لكن لم يرد زيد منه - فيما يظهر - المواظبة على القراءة بالطور، وإنما أراد منه أن يتعاهد ذلك كما رأه من النبي عليه السلام.

وفي حديث أم الفضل إشعار بأنه عليه السلام كان يقرأ في الصحة بأطول من (المرسلات)؛ لكونه كان في حال شدة مرضه، وهو مظنة التخفيف، وهو يرد على أبي داود ادعى نسخ التطويل.

قال: وكان وجهه أنه لما رأى عروة راوي الحديث^(١) عمل بخلافه حمله على أنه اطلع على ناسخه، قال: ولا يخفى بعده هذا الحمل، وكيف يصح دعوى النسخ وأم الفضل تقول: إن آخر صلاة صلاتها بهم قرأ بالمرسلات.

(١) في (ن): «الخبر».

وقال ابن خزيمة في «صحيحه»: هذا من الاختلاف المباح، فجائز للمصلحي أن يقرأ في المغرب وفي الصلوات كلها بما أحب، إلا أنه إذا كان إماماً استحب له أن يخفف في القراءة.

قال الحافظ: وهذا أولى من قول القرطبي: ما ورد في «مسلم» وغيره من تطويل القراءة فيما استقر عليه التقصير أو عكسه فهو متrox. وادعى الطحاوي أنه لا دلالة في شيء من الأحاديث الثلاثة على تطويل القراءة، لاحتمال أن يكون المراد أنه قرأ بعض السورة.

وقال ابن الجوزي: الباء في قوله: (بالطور)، يحتمل أن تكون بمعنى (من) كقوله تعالى: ﴿عَيْنَا يَسْرُبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]؛ أي: منها.

وردَ بأنه جاء في روایات أخرى ما يدل على أنه قرأ (الطور) كلها، وفي حديث آخر أنه قرأ (الطور) في الركعة الأولى، و﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَفِرُونَ﴾ في الركعة الثانية. قاله القلقشني.

وقال الحافظ: ادعى الطحاوي أن الاحتمال المذكور يأتي في حديث زيد بن ثابت، وكذا أبداه الخطابي احتمالاً.

قال: وفيه نظر؛ لأنَّه لو كان قرأ شيئاً منها يكون قدْرَ سورة من قصار المفصل لَمَّا كان لِإنكار زيد معنى، وقد روى حديث زيد هشام ابن عروة، عن أبيه، عنه أنه قال لمروان: إنك تخفُّ القراءة في الركعتين من المغرب، فوالله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ فيها بسورة (الأعراف) في الركعتين جمِيعاً. أخرجه ابن خزيمة.

قال : قال الترمذى : ذكر عن مالك أنه كره أن يقرأ في المغرب بالسور الطوال نحو (والطور) (والمرسلات) ، واعتمد في ذلك على عمل أهل المدينة وغيرهم .

قال الشافعى : لا أكره ذلك بل أستحبه ، وكذا نقله البغوى في «شرح السنة» عن الشافعى ، والمعروف عند الشافعية أنه لا كراهة في ذلك ولا استحباب ، انتهى .

وقال القسطلاني : والمستحب القراءة في المغرب بقصار المفصل ، وهو مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ومالك وأحمد وإسحاق ، واستدل به الخطابي وغيره على امتداد وقت المغرب إلى غروب الشفق .

قال الحافظ : وفيه نظر ؛ لأن القائلين بعدم امتداد وقتها لم يحدُّوه بقراءةٍ معينة ، بل قالوا : لا يجوز تأخيرها عن أول غروب الشمس ، وله أن يمد القراءة فيها ولو غاب الشفق .

واستشكل المحب الطبرى إطلاق هذا - أي : جواز المد - ولو خرج الوقت ، وحمله الخطابي قبله على أنه يُوقع ركعة في أول الوقت ، ويمد الباقي ولو غاب الشفق .

قال الحافظ : ولا يخفى ما فيه ، لأن تعمُّد إخراج بعض الصلة عن الوقت ممنوع ، ولو أجزأْتْ فلا يحمل ما ثبت عن النبي ﷺ على ذلك ، انتهى .

هذا والمعتمد في المذهب أنه يجوز المد بقراءة وغيرها ولو لم يقع ركعة في الوقت - خلافاً للأسنوي وغيره - إذا شرع في غير الجمعة وقد بقي ما يسعها ، وإن كان خلافاً الأولى ، قالوا : لأنه استغرق الوقت

بالعبادة فلا نظر لإيقاع ركعة.

قال في «النهاية»: نعم يظهر أن إيقاع ركعة فيه شرط لتبسيطها مؤداة، وإن تكون قضاءً لا إثم فيه، انتهى.

وبهذا يجاب عن استشكال المحب الطبرى المذكور، وعن قول الحافظ: ولا يخفى ما فيه لأن تعمد إخراج الصلاة عن وقتها ممنوع ... إلخ.

واختلف في المراد بالمفصل مع الاتفاق على أن متهاه آخر القرآن: هل هو من أول (الصفات)، أو (الجائية)، أو (القتال)، أو (الفتح)، أو (الحجرات)، أو (ق)، أو (الصف)، أو (تبارك)، أو (سبح)، أو (الضحى)، إلى آخر القرآن؟ أقوال أكثرها مستغرب، واقتصر في «شرح المذهب» على أربعة من الأوائل سوى الأول والرابع، وحتى الأول والسابع والثامن ابن أبي الصيف اليماني، وحتى الرابع والثامن الذماري في «شرح التنبيه»، وحتى التاسع المرزوقي في «شرحه»، وحتى الخطابي والماوردي العاشر، والراجح (الحجرات)، ذكره النووي. ونقل المحب الطبرى قوله شاداً أن المفصل جميع القرآن.

وأما ما أخرجه الطحاوى من طريق زراره بن أوفى قال: أقرأني أبو موسى كتاب عمر إليه: أقرأ في المغرب آخر المفصل، وأآخر المفصل من **﴿لَمْ يَكُن﴾** إلى آخر القرآن. فليس تفسيراً للمفصل، بل لآخره، فدل على أن أوله قبل ذلك، قاله في «الفتح».

* * *

١٠٠ - بَابُ

الْجَهْرُ فِي الْعِشَاءِ

(باب الجهر)؛ أي: حكمه بالقراءة (في العشاء)؛ أي: صلاتها. قال الحافظ: قدم ترجمة الجهر على ترجمة^(١) القراءة فيها، عكس ما صنع في المغرب، ثم في الصبح، والذي في المغرب أولى، ولعله من النسخ، انتهى.

٧٦٦ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَكْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِيهِ هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: ﴿إِذَا أَلَّمَهُ أَنْشَقَتْ﴾، فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ، قَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِيهِ الْفَاسِمِ بْنِ الْمَنْزِلِ، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى الْقَاءَ.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو النعيمان) محمد بن الفضل، قال: (حدثنا معتمر عن أبيه) سليمان بن طرخان التيمي، (عن بكر) بسكون الكاف، هو ابن عبدالله المزنبي، (عن أبي رافع) هو نفيع الصائغ، (قال: صلبت مع

(١) «الجهير على ترجمة» ليس في «و».

أبي هريرة رضي الله عنه (العتمة) - أي: صلاة العشاء - (فقرأ)، أي: بعد (الفاتحة): (فِإِذَا أَلْتَمَهُ أَنْشَقَتْ) فسجد؛ أي: عند محل السجود منها، (فقلت له)؛ أي: في شأن السجدة، يعني سأله عن حُكمها، (قال: سجدة) - زاد غير أبي ذر: (بها) - (خلف أبي القاسم رضي الله عنه)؛ أي: في الصلاة. وبه يتم استدلال المصنف لهذه الترجمة والتي بعدها. **وَنُوَزِّعُ** في ذلك؛ لأن سجوده في السورة أعم من أن يكون داخل الصلاة أو خارجها، فلا ينبع الدليل.

وقال ابن المُنْيَر: لا حجة فيه على مالك حيث كره السجدة في الفريضة - يعني في المشهور عنه -، قال: لأنه ليس مرفوعاً.

قال الحافظ: وغفل عن رواية أبي الأشعث عن معتمر بهذا الإسناد بلفظ: (صليت خلف أبي القاسم فسجد بها) أخرجه ابن خزيمة. وللجُوزَقِي أيضاً بلفظ: (صليت مع أبي القاسم فسجد فيها). (فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه) كنایة عن الموت، وسيأتي الكلام على بقية فوائدہ في (أبواب سجود التلاوة) إن شاء الله تعالى.

* * *

٧٦٧ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي سَفَرٍ فَقَرَأَ فِي الْعِشَاءِ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ بِالْتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك الطيالسي، (قال: حدثنا شعبة) بن الحجاج، (عن عدي) هو ابن ثابت، كما هو منسوب كذلك في الرواية الآتية قريباً، (قال: سمعت البراء) هو ابن عازب رض (أن النبي صل كان في سفر) - زاد الإمام علي: (فصل ركعتين) - (قرأ في) صلاة (العشاء في إحدى الركعتين)، في رواية النسائي: (في الركعة الأولى)، (بالتين والزيتون)؛ أي: بسورة التين، وفي الرواية الآتية: («وَالثَّيْنِ») على الحكاية، وإنما قرأ في العشاء بقصار المفصل لكونه كان مسافراً، والسفر يطلب فيه التخفيف لأن مظنة المشقة، وحديث أبي هريرة قبله محمول على الحضر، فلذلك قرأ فيها بأوساط المفصل.

* * *

القراءة في العشاء بالسجدة

(باب القراءة في) صلاة (العشاء بالسجدة).

٧٦٨ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرْيَعٍ قَالَ: حَدَّثَنِي التَّيْمِيُّ، عَنْ بَكْرٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: ﴿إِذَا الْمَاءُ أَشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: سَجَدْتُ بِهَا خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا أَرَأَلُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى الْقَاءُ.

وبالسند قال:

(حدثنا مُسَدَّد)؛ أي: ابن مُسَرَّهَد، (قال: حدثنا يزيد بن زريع) بالتصغير، (قال: حَدَّثَنَا)، وفي رواية: (حدثني) (التيمي) هو سليمان ابن طرخان والد المعتمر، (عن بكر) - بسكون الكاف - بن عبد الله المزنبي، (عن أبي رافع) هو نفيع الصائغ السابق، (قال: صليت مع أبي هريرة العتمة)؛ أي: العشاء، (فقرأ فيها: ﴿إِذَا الْمَاءُ أَشَقَّتْ﴾) سجد، فقلت له: (ما هذه) السجدة؟ (قال: سجدت بها)؛ أي: السجدة، أو الباء للظرفية؛ أي: فيها، يعني السورة، وفي رواية: (فيها)،

(خلف أبي القاسم عليه السلام، فلا أزال أسجد بها) - وفي رواية : (فيها) -
(حتى ألقاه) ؛ أي : حتى أموت ، وتقدم ما فيه في الباب .

* * *

١٠٢ - باب

القراءة في العشاء

(باب القراءة في العشاء)؛ أي: صلاتها.

٧٦٩ - حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مَسْعُرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ، سَمِعَ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ: «وَالَّذِينَ وَالْزَّيْتُونَ» فِي الْعِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً.

وبالسند قال:

(حدثنا خلاد بن يحيى) بن صفوان السلمي، (قال: حدثنا مسمر) - بكسر الميم وسكون المهملة بعده - بن كدام، (قال: حدثنا عدي بن ثابت: سمع)، زاد في رواية: (أنه سمع) (البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: سمعت النبي صلى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ «وَالَّذِينَ وَالْزَّيْتُونَ» في العشاء، وفي رواية: (يقرأ بالتين والزيتون في العشاء) وفي أخرى: (يقرأ في العشاء «وَالَّذِينَ وَالْزَّيْتُونَ»)، (وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه، أو قراءة) شك من الراوي. و يأتي الكلام عليه في أواخر (كتاب التوحيد) إن شاء الله تعالى.

* * *

١٠٣ - بَابٌ

يُطَوَّلُ فِي الْأُولَئِينَ، وَيَحْذَفُ فِي الْأُخْرَيَينَ

(باب) بالتنوين: (يُطَوَّلُ) المصلي (في) الركعتين (الأولين) من الرباعية والثلاثية (ويُحذف) - بالحاء المهملة - (في) الركعتين (الآخرين) من الرباعية، والمراد بالحذف الاقتصر على (الفاتحة) كما مرّ.

٧٧٠ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عَوْنَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمْرَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِسَعْدٍ: لَقَدْ شَكَوْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَمْدُدُ فِي الْأُولَئِينَ، وَأَحْذِفُ فِي الْأُخْرَيَينَ، وَلَا أَلُو مَا افْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: صَدَقْتَ، ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ، أَوْ ظَنَّيْ بِكَ.

وبالسند قال:

(حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا شعبة) بن الحجاج، (عن أبي عون)، زاد في رواية: (محمد بن عبيد الله الثقفي)، وهو محمد بن عبيد الله - بالتصغير - بن سعيد الثقفي الكوفي الأعور، وثقة ابن معين وأبو زرعة والنسائي وغيرهم، وقال ابن شاهين: هو أوثق من عبد الملك بن عمير.

مات سنة ست عشرة ومئة، وقيل: في ولاية خالد بن عبد الله.
روى له البخاري هذا الحديث فقط، والجماعة سوى ابن
ماجه.

(قال: سمعت جابر بن سمرة رضي الله عنه (قال: قال عمر) بن الخطاب
(لسعد): أي: ابن أبي وقاص رضي الله عنه: (لقد) - وفي رواية: (قد) -
(شكوك): أي: أهل الكوفة، (في كل شيء حتى الصلاة)، قال في
«المصابيح»: بالجر، قال الزركشي: لأن (حتى) جارّة، قلت: الجارة
بمعنى (إلى)، وليست هنا كذلك، وإنما هي عاطفة، فالجر بالعطف،
انتهى.

ويدل لكون الجر بالعطف رواية الأصيلي: (حتى في الصلاة)
واقتصر العيني على الرفع وجعلها ابتدائية، قال: والخبر ممحوف،
والتقدير: حتى في الصلاة شكوك فيها.

(قال) سعد: (أما أنا فأمد في الأولين)؛ أي: أطّول القراءة فيهما،
(وأحذف في) الركعتين (الآخرين، ولا آلو) بمد الهمزة وضم اللام،
أي: لا أقصّر (ما)؛ أي: فيما (اقتديت به من صلاة رسول الله صلوات الله عليه وسلم). قال
عمر: صدقت، ذاك لظنّك. أو) قال: (ظني بك) شكّ الرواية.

وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى في: (باب وجوب
القراءة في الصلوات).

قال الحافظ: ووجهه هنا إما الإشارة إلى إحدى الروايتين في

قوله : (صلاتي العشاء أو العشي) وإما لإلحاقي العشاء بالظهر والعصر ؛
لكون كل منهن رباعية ، انتهى .

* * *

القراءة في الفجر

وقالت أم سلمة: قرأ النبي ﷺ بالطور.

(باب القراءة في) صلاة (الفجر)؛ أي: الصبح، (وقالت أم سلمة: قرأ النبي ﷺ بالطور) يأتي الكلام عليه في الباب الذي بعده، وأنه قرأ بها في الصبح.

٧٧١ - حَدَّثَنَا آدُمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارُ بْنُ سَلَامَةَ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ فَسَأَلَنَا عَنْ وَقْتِ الصلواتِ، فَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الظَّهَرَ حِينَ تَرْزُولُ الشَّمْسُ، وَالعَصْرَ وَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ، وَنَسِيَتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ، وَلَا يُبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَلَا يُحِبُّ النَّوْمَ قَبْلَهَا، وَلَا الْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَيُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَتَصَرَّفُ الرَّجُلُ فَيَعْرِفُ جَلِيسَهُ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا مَا يَبْيَنُ السَّتِّينَ إِلَى الْمِائَةِ.

وبالسند قال:

(حَدَّثَنَا آدُمُ) بن أبي إِيَّاسَ، (قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةَ) بن الْحَجَاجِ،

(قال : حدثنا سيار) - هو بفتح المهملة وتشديد التحتية - (بن سلامة)، زاد في رواية : (هو أبو المنهال)، (قال : دخلت أنا وأبي) سلامة (على أبي بربة) - بالموحدة المفتوحة وسكون الراء بعدها زاي - (الأسلمي) واسمه : نضلة بن عبيد، (فسألناه عن وقت الصلوات) بلفظ الجمع، وفي رواية : (الصلاوة) بلفظ الأفراد، والمراد : المكتوبات .

(فقال : كان النبي ﷺ يصلِّي الظهر حين تزول الشمس، و) يصلِّي (العصر، ويرجع الكل إلى أقصى)؛ أي : آخر (المدينة والشمس حية)؛ أي : باقٍ حُرثاً لم تتغير - قال أبو المنهال : (ونسيت ما قال في المغرب - ولا يالي) عليه الصلاة والسلام (بتأخير العشاء إلى ثلث الليل)، هذه الجملة معطوفة على قوله : (يصلِّي)، كقوله : (ولا يحب النوم قبلها ولا الحديث بعدها)؛ أي : العشاء، (ويصلِّي الصبح فينصرف) - وفي رواية : (وينصرف) - (الرجل فيعرف جليسه)؛ أي : مجالسه، (وكان يقرأ في الركعتين) اللتين هما الصبح (أو) في (إحداهما ما بين الستين إلى المئة)؛ أي : من الآيات .

قال الحافظ : وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في (المواقيت)، قوله : (وكان يقرأ) إلخ، هذه الزيادة تفرد بها شعبة عن أبي المنهال، والشك فيه منه .

قال : وتقدم عن رواية الطبراني تقديرها بالحقة ونحوها، فعلى تقدير أن يكون ذلك في كلا الركعتين هو منطبق على حديث ابن عباس في قراءته في صبح الجمعة : (تنزيل السجدة) و«هَلْ أَقَ» [الإنسان : ١]،

وعلى تقدير أن يكون في كل ركعة، فهو منطبق على حديث جابر بن سمرة في قراءته في الصبح بـ (ق)، أخرجه مسلم، وفي رواية له: بالصفات، وفي أخرى: عند الحاكم: بالواقعة، زاد القسطلاني: وللسراج بسند صحيح: (بأقصر سورتين في القرآن). قال: وهذا الاختلاف وغيره بحسب اختلاف الأحوال، انتهى.

وقال الحافظ: وكأن المصنف قصد بإيراده حديثي أم سلمة وأبي بحرة في هذا الباب بيان حالي السفر والحضر، ثم ثلث بحديث أبي هريرة الدال على عدم اشتراط قدر معين، انتهى.

* * *

٧٧٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: فِي كُلِّ صَلَاةٍ يُقْرَأُ، فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعَنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى عَنَّا أَخْفَيْنَا عَنْكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَرِدْ عَلَى أُمّ الْقُرْآنِ أَجْزَاءَنْ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ.

وبالسند قال:

(حدثنا مسدد)؛ أي: ابن مسرهد، (قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم) هو المعروف بابن علية، (قال: أخبرنا ابن جريج) عبد الملك، وقد تكلم يحيى بن معين في حديث ابن علية عن ابن جريج خاصة،

لكن تابعه عليه ستة عن ابن جريج، منهم من ذكر الكلام الأخير و منهم من لم يذكره، وتتابع ابن جريج ستة أيضاً عن عطاء، منهم من طوّله و منهم من اختصره، قاله في «الفتح»، وعيّن الستة الأولين والستة الآخرين بأسماهم، فراجعه.

(قال: أخبرني عطاء) هو ابن أبي رباح، (أنه سمع أبا هريرة رض) يقول: في كل صلاة يقرأ بضم أوله التحتاني مبنياً للمجهول، وفي رواية: (نقرأ) بالنون المفتوحة مبنياً للفاعل.

وقال الكرماني: وفي بعضها: (يقرأ) بلفظ المعروف، أي: يقرأ رسول الله صل، انتهى.

وقال الحافظ: كذا هو موقوف، وكذا هو عند من ذكرنا روايته، إلا حبيب بن الشهيد فرواه مرفوعاً بلفظ: (عن أبي هريرة أن رسول الله صل) قال: لا صلاة إلا بقراءة، فما أعلنَ لنا، الحديث، هكذا أورده مسلم من رواية أبيأسامة عنه، وقد أنكره الدارقطني على مسلم وقال: إن المحفوظ عن أبيأسامة وقفه، كما رواه أصحاب ابن جريج. وكذا رواه أحمد عن يحيىقطان وأبي عبيدة الحداد، كلامهما عن حبيب المذكور موقوفاً. وكذا أخرجه أبو عوانة من طريق يحيى بن أبيالحجاج عن ابن جريج كرواية الجماعة، لكن زاد في آخره: (وسمعته يقول: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب). وظاهر سياقه أن ضمير (سمعته) للنبي صل، فيكون مرفوعاً، بخلاف رواية الجماعة. نعم قوله: (ما أسمعنا) (وما أخفى عنا) يشعر بأن جميع ما يذكر متلقٍ عن النبي صل، فيكون للجميع حكم الرفع، انتهى.

(فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَسْمَعَنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى عَنَا) المراد: ما أَسْرَّ بِهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ (أَخْفَيْنَا عَنْكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَزِدْ) هُوَ بِلِفْظِ الْخُطَابِ، وَبِيَنْتَهِ رِوَايَةُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي خِيَشْمَةَ: (فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنْ لَمْ أَزِدْ عَلَى أُمِّ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: وَإِنْ لَمْ تَزِدْ) (عَلَى أُمِّ الْقُرْآنِ أَجْزَاتٌ) وَلِلْقَابِسِيِّ: (أَجْزَتُ)
بِغَيْرِ الْأَلْفِ، وَاسْتُشْكِلُ، لَكُنْ حَكِيٌّ عَنِ الْخُطَابِيِّ قَالَ: يَقُولُ: أَجْزَأُ
وَجَزَّاً، مِثْلُ: وَفَا وَأَوْفَى، فَلَا إِشْكَالٌ.

وَالْأَجْزَاءُ هُوَ الْأَدَاءُ الْكَافِيُّ لِسُقُوطِ التَّعْبُدِ، وَمَفْهُومُهُ أَنَّ مَنْ لَمْ
يَقْرَأْ (الْفَاتِحَةَ) لَا تَصْحُ صَلَاتُهُ، وَهُوَ شَاهِدٌ لِحَدِيثِ عِبَادَةِ الْمُتَقَدِّمِ.
(وَإِنْ زَدَتْ) عَلَيْهَا (فَهُوَ خَيْرٌ)، فِي رِوَايَةِ حَبِيبِ الْمَعْلُومِ: (فَهُوَ
أَفْضَلُ).

وَفِيهِ: اسْتِحْبَابُ السُّورَةِ أَوِ الْآيَاتِ مَعَ (الْفَاتِحَةِ)، وَهُوَ قَوْلُ
الْجَمَهُورِ فِي الصَّبْعِ وَالْجَمْعَةِ وَالْأُولَى لِيَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِمَا. وَصَحُّ إِيْجَابُ
ذَلِكَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بِهِ بَعْضُ الْحَنْفِيَّةِ وَابْنُ كَنَانَةِ
مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَحَكَاهُ الْفَرَّاءُ الْحَنْبَلِيُّ رِوَايَةُ أَحْمَدَ، وَقَيْلٌ: يَسْتَحْبِبُ
فِي جَمِيعِ الرَّكْعَاتِ. وَهُوَ ظَاهِرٌ حَدِيثُ أَبِي هَرِيرَةَ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ،
قَالَهُ فِي «الْفَتْحِ».

* * *

الْجَهْرُ بِقِرَاءَةِ صَلَاتِ الْفَجْرِ

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: طَفْتُ وَرَاءَ النَّاسِ وَالنَّبِيُّ يُصَلِّي وَيَقْرَأُ
بِالْطُّورِ.

(باب الجهر بقراءة صلاة الفجر)، ولأبي ذر: (صلاة الصبح)
موافقة للترجمة الماضية، وعلى الثانية فلعله أشار إلى أنها تسمى
بالأمررين، قاله في «الفتح».

(وقالت أم سلمة رضي الله عنها: (طفت)؛ أي: بالبيت (وراء
الناس والنبي يصلي ويقرأ بالطور)، وفي رواية: (يقرأ) بدون واو،
وقد وصل هذا التعليق المصنف في: (باب طواف النساء) من (كتاب
الحج) ولفظه: (قالت: شكوت إلى النبي أني أشتكي، فقال:
طوفي وراء الناس وأنت راكبة. قالت: فطفت حيثئذ والنبي يصلي)
ال الحديث. وليس فيه بيان أن الصلاة حيثئذ كانت الصبح، لكن تبيّنَ
ذلك من رواية أخرى أوردها بعدها بستة أبواب، ولفظه: (فقال: إذا
أقيمت الصلاة للصبح فطوفي).

وأما ما أخرجه ابن خزيمة في هذا الحديث عن مالك وابن لهيعة

جميعاً، عن أبي الأسود قال فيه: (قالت: وهو يقرأ في العشاء الآخرة)، فشاذ.

قال الحافظ: وأظنه سياق ابن لهيعة، فإن ابن وهب رواه في «الموطأ» عن مالك فلم يعین الصلاة، كما رواه أصحاب مالك كلهم في «الموطأ».

قال: وإذا تقرر ذلك فابن لهيعة لا يحتاج به إذا انفرد، فكيف إذا خالف؟ وعرف بهذا اندفاع قول من اعترض على المصنف بأنه ليس في الحديث بيان أنها الصبح، وقال: الأولى أن تتحمل على النافلة؛ لأن الطواف يمتنع إذا كان الإمام في صلاة الفريضة، انتهى.

قال: وهو رد للحديث الصحيح بغير حجة، بل يستفاد من هذا الحديث جواز ما منعه.

قال: بل يستفاد من الحديث التفصيل، فنقول: إن كان الطائف بحيث يمر بين يدي المصليين فيمتنع كما قال، وإنما فيجوز، وحال أم سلمة هو الثاني؛ لأنها طافت من وراء الصفوف.

قال: ويستنبط منه أن الجماعة في الفريضة ليست فرضاً على الأعيان، إلا أن يقال: كانت أم سلمة حيتئ شاكية فهي معدورة، أو الوجوب يختص بالرجال.

وقال ابن رشيد: ليس في حديث أم سلمة الجهر بالقراءة صريحاً، وإنما يؤخذ بالاستنباط؛ لأن سمعاها قراءته عليه الصلاة والسلام وهي وراء الصفوف يستلزم الجهرية بها.

قال : ويستفاد منه جواز إطلاق (قرأ) وإرادة : جهر ، انتهى .

ويأتي بقية مباحثه في (كتاب الحج) إن شاء الله تعالى .

* * *

٧٧٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بْشِرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَافِيْفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِيْنَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِيْنِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِيْنُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ؟ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تَهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِنَخْلَةٍ، عَامِدِيْنَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا: ﴿يَقُولُونَا﴾ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجِيْبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِمْ، وَلَنْ تُشْرِكُ بِرِبِّنَا الْحَدَّا﴾، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْحِنْ.

وبالسند قال :

(حدثنا مُسَدَّد) هو ابن مُسَرَّه ، (قال : حدثنا أبو عوانة) الواضح

اليشكري، (عن أبي بشر) بكسر المونحة وسكون المعجمة، زاد في رواية: (هو جعفر بن أبي وحشية)، وسبق أن اسم أبي وحشية إياس، (عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس) ﷺ، وفي رواية: (عن عبدالله ابن عباس) (قال: انطلق النبي ﷺ؛ أي: قبل الهجرة بثلاث سنين (في طائفه)؛ أي: جماعة (من أصحابه) حال كونهم (عامدين)؛ أي: قاصدين إلى سوق عكاظ) بضم المهملة وخففة الكاف.

قال الزركشي: يجوز تنوينه مع الجر وفتحه، ففي «المحكم» عن اللحياني: أهل الحجاز تصرفها وتميم لا تصرفها.

قال السفاقسي: هو من إضافة الشيء إلى نفسه، لأن عكاظ اسم سوق للعرب بناحية مكة.

قال في «المصابيح»: لعل العَلَم هو مجموع قولنا: سوق عكاظ، كما قالوا في شهر رمضان، وإن قالوا: عكاظ، فعلى الحذف، كقولهم: رمضان.

قال: وسيأتي تحقيقه في (الصيام) إن شاء الله تعالى.

(وقد حيل)؛ أي: حُجر (بين الشياطين وبين خبر السماوات، وأرسلت عليهم الشهب) بضمتين: جمع شهاب، وهو شعلة نار ساطعة كأنها كوكب ينقض، (فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا)، وفي رواية: (فقالوا): (حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا)؛ أي: الشياطين: (ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا)؛ أي: سيروا (مشارق الأرض ومغاربها)

منصوبان على الطرف؛ أي: فيها، (فانظروا)، وفي رواية: (وانظروا
ما هذا الذي) - وفي رواية بإسقاط لفظ: (هذا)، وفي نسخة: (ما حال)
بإسقاط (هذا) و(الذي) - (حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانصرف
أولئك)؛ أي: الشياطين (الذين توجهوا نحو هامة) بكسر التاء: مكة،
وكانوا من جن نصيبين، وذكر الحاكم في «المستدرك» أنهم كانوا
تسعة، (إلى النبي ﷺ وهو بنخلة) بفتح النون وسكون الخاء المعجمة،
غير منصرف للعلمية والتأنيث، موضع على ليلة من مكة، حال كونهم
(عامدين إلى سوق عكاظ، وهو) عليه الصلاة والسلام (بصلي بأصحابه
صلاة الفجر)؛ أي: الصبح، (فلما سمعوا القرآن استمعوا له)؛ أي:
سمعوا بقصد وإصغاء، ففيه تصرف بخلاف سمع، فإنه أعم، وهو
ظاهر في الجهر المترجم له، (فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين
خبر السماء).

(فهناك حين رجعوا إلى قومهم قالوا)، و(هناك) ظرف،
والعامل فيه (قالوا)، ورواية الأكثر: (فقالوا)، فالعامل (رجعوا) مقدر
يفسره المذكور، وكذا على رواية: (وقالوا) بالواو.

(يا قومنا: إننا سمعنا قرآنًا عجباً) بديعاً مبيناً لسائر الكلام من حسن
نظمه **﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾** يدعو إلى الصواب **﴿فَنَأَمَّا يَهْدِي﴾**؛ أي: القرآن
(﴿وَلَنْ شُرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾) فأنزل الله على نبيه: **﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾**، زاد في
رواية: («أَنَّهُ أَسْتَمَعُ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ»).

(ولأنما أُوحى إليه قول الجن) هذا من ابن عباس تعزيز لمذهبة

من أنه ما رأهم ولا قرأ عليهم، وإنما أوحى إليه بأنهم استمعوا، وسيأتي ما فيه في (التفسير)، ويأتي بسط الكلام على إرسال الشهب على الشياطين: هل كان قبل نبينا عليه الصلاة والسلام، أو حدث بعد نبوته؟ هناك إن شاء الله تعالى .

وهذا الحديث مرسلٌ صحابيٌّ؛ لأن ابن عباس لم يرفعه ولا أدرك القصة .

* * *

٧٧٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عَكْرِمَةَ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أُمِرَ، وَسَكَتَ فِيمَا أُمِرَ، **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيَّاً**، **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً** .

وبالسند قال :

(حدثنا مُسَدَّد)؛ أي : ابن مُسَرَّهَد، (قال : حدثنا إسماعيل) هو ابن إبراهيم المعروف بابن عُليَّة، (قال : حدثنا أَيُّوب) السَّخْتِيَّانِي، (عن عَكْرِمَةَ) مولى ابن عباس، (عن ابن عباس) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قال : قرأ) - أي : جهر، كما يأتي - (النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أمر وسكت)؛ أي : أسر (فيما أمر) بضم الهمزة فيهما، **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيَّاً** [مريم: ٦٤] و**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً** [الأحزاب: ٢١] بكسر الهمزة وبضمها؛ أي : قدوة («حسنة»).

قال الخطابي : مراده : لو شاء الله أن ينزل بيان أحوال الصلاة حتى

يكون قرآنًا يتلى لفعل، ولم يتركه عن نسيان، ولكنه وكل الأمر في ذلك إلى بيان نبيه ﷺ، ثم أمر بالاقداء والائتقاء بفعله. قال: ولا خلاف في وجوب أفعاله التي هي لبيان مجمل الكتاب.

قال الحافظ: ووجه مناسبة هذا ما تقدم من إطلاق (قرأ) على (جهر)، لكن يبقى خصوص تناول ذلك لصلاة الصبح - أي: المترجم للجهر بالقرآن فيها - فيستفاد ذلك من الحديث الذي قبله، فكأنه يقول: هذا الإجمال هنا مفسر باليان في الذي قبله، لأن المحدث بهما واحد، أشار إلى ذلك ابن رشيد.

قال: ويمكن أن يكون مراد البخاري بهذا ختم تراجم القراءة في الصلاة، إشارة منه إلى أن المعتمد في ذلك هو فعل النبي ﷺ، وأنه لا ينبغي لأحد أن يغيّر شيئاً مما صنعه.

وقال الإمام علي: إيراد حديث ابن عباس يغاير ما تقدم من إثبات القراءة في الصلوات؛ لأن مذهب ابن عباس كان ترك القراءة في السرية.

وأجيب بأن الحديث الذي أورده البخاري ليس فيه دلالة على الترك، وأما ابن عباس فكان يشك في ذلك تارة وينفي القراءة أخرى، وربما أثبتها، أما نفيه فرواه أبو داود وغيره من طريق عبدالله بن عبيد الله ابن عباس عن عمه: (أنهم دخلوا عليه فقالوا له: هل كان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: لا، قيل: لعله كان يقرأ في نفسه؟ قال: هذه شرٌّ من الأولى، كان عبداً مأموراً، بلغ ما أمر به).

وأما شُكُّه فرواه أبو داود أيضاً والطبرى من رواية حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: (ما أدرى أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر أم لا)، انتهى.

وقد أثبت قراءته فيهما خبَاب وأبو قتادة وغيرهما كما تقدم، فروايتهم مقدمة على مَن نفى، فضلاً على من شك.

ولعل البخاري أراد بإيراد هذا إقامة الحجة عليه؛ لأنَّه احتاج بقوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً» [الأحزاب: ٢١] فيقال له: ثبت أنه قرأ، فيلزمك أن تقرأ.

وقد جاء عن ابن عباس إثبات ذلك أيضاً، رواه أبُو يُوب عن أبِي العالية البراء قال: سأَلَتْ ابن عباس: أَفْرَأَيْتَ فِي الظهر والعصر؟ قال: هو أَمامَكَ أَفْرَأَيْتَ مَا قَلَّ أَوْ كَثَرَ؟ أَخْرَجَهُ ابنُ المُنْذَرِ وَالطَّحاوِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، انتهى.

* * *

الْجَمْعُ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ
فِي الرَّكْعَةِ وَالْقِرَاءَةِ بِالْحَوَاتِمِ،
وَسُورَةٍ قَبْلَ سُورَةٍ، وَيَأْوِلُ سُورَةٍ

وَيُذَكِّرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ : قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤْمِنُونَ فِي
الصُّبْحِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ ذِكْرُ مُوسَى وَهَارُونَ أَوْ ذِكْرُ عِيسَى ، أَخَذَتْهُ سَعْلَةٌ
فَرَكَعَ .

وَقَرَأَ أَعْمَرُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ آيَةً مِنَ الْبَقَرَةِ ، وَفِي
الثَّانِيَةِ بِسُورَةٍ مِنَ الْمَثَانِي .

وَقَرَأَ الْأَحْنَفُ بِالْكَهْفِ فِي الْأُولَى ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِيُوسُفَ أَوْ يُونُسَ ،
وَذَكَرَ : أَنَّهُ صَلَّى مَعَ عُمَرَ ﷺ الصُّبْحَ بِهِمَا .

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ بِأَرْبَعِينَ آيَةً مِنَ الْأَنْفَالِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِسُورَةٍ مِنَ
الْمُفَصَّلِ .

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي مَنْ يَقْرَأُ سُورَةً وَاحِدَةً فِي رُكْعَتَيْنِ أَوْ يُرَدِّدُ سُورَةً
وَاحِدَةً فِي رُكْعَتَيْنِ : كُلُّ كِتَابِ اللَّهِ .

م / ٧٧٤ - وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ ﷺ : كَانَ رَجُلٌ
مِنَ الْأَنْصَارِ يَؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدٍ قُبَاءَ ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا

لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا تَقْرَأُ بِهِ افْتَسَحَ بِـ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَسَحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحِبِّتُمْ أَنْ أُؤْمِكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤْمِنُهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَنَّهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ! مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟!»، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ».

(باب الجمع بين السورتين في ركعة) - وفي رواية: (في الركعة) -
 (والقراءة بالخواتيم)، وفي رواية: (بالخواتم)، (وبسورة)، وفي رواية: (وسورة) بدون الموحدة، (قبل سورة، وبأول سورة).

قال الحافظ: قد اشتملت هذه الترجمة على أربع مسائل:
 فأما الجمع بين سورتين ظاهر من حديث ابن مسعود الآتي،
 ومن حديث أنس أيضاً.

وأما القراءة بالخواتيم - والمراد بها أواخر السور - فيؤخذ بالإلحاق
 من القراءة بالأوائل، والجامع بينهما أن كلاًّ منهما بعض سورة.

قال: ويمكن أن يؤخذ من قوله: قرأ عمر بمئة وعشرين آية من
 (البقرة). ويتأيد بقول قتادة: كل كتاب الله.

وأما تقديم السورة على السورة على ما في ترتيب المصحف فمن حديث أنس أيضاً، ومن فعل عمر في رواية الأحنف عنه.

وأما القراءة بأول سورة فمن حديث عبدالله بن السائب، ومن حديث ابن مسعود أيضاً، انتهى.

(ويُذكر) بضم أوله مبنياً للمفعول (عن عبدالله بن السائب) أي: ابن أبي السائب^(١)، واسمه صيفي بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي، وكنيته أبو السائب، أو أبو عبد الرحمن المكي القاريء، له ولابيه صحبة، وكان أبوه شريك النبي ﷺ، وكان عبدالله قارئ أهل مكة، أخذ عنه أهل مكة القراءة، قرأ عليه مجاهد وغيره، وقرأ على أبي بن كعب.

قال الحافظ: وهو عبدالله بن السائب، قائد ابن عباس، لكن أفرده صاحب «الكمال» بالذكر، وهو هو.

وقال ابن جريج عن ابن أبي ملكية: رأيت ابن عباس لما فرغوا من دفن عبدالله بن السائب قام ابن عباس فوق قبره فدعا له وانصرف.

قال الحافظ: فعلى هذا يكون مات قبل ابن الزبير بمندة طويلة.

أي: فكيف يصح قول من قال: إنه مات قبل عبدالله بن الزبير ييسير؟ وذلك لأن ابن عباس مات قبل ابن الزبير بخمس سنين، والله أعلم.

(١) «أي ابن أبي السائب» ليس في «و».

علق عنه البخاري في «الجامع»، وروى له الباقيون.

(قرأ النبي ﷺ المؤمنون) بالواو على الحكاية، وفي رواية: (المؤمنين) وفي أخرى: (﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾) (في الصبح)؛ أي: صلاتها، (حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون) هو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥] (أو ذكر عيسى) هو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَبْنَاءَ مَرْيَمَ وَأَمْمَهُءَيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] قال الكرماني: ولفظ (ذكر) مرفوعاً ومنصوباً، وهو في «اليونينية» مرفوع فقط.

(أخذته) عليه الصلاة والسلام (سعلة) بفتح أوله ويجوز الضم، قاله الحافظ. وقال الكرماني: بضم السين وفتحها، انتهى. من السعال. ولابن ماجه: (شرقة) - يعني سعلة - بمعجمة وقاف. (فركع). وقد وصله مسلم، ولفظه: (عن عبدالله بن السائب قال: صلى لنا النبي ﷺ الصبح بمكة، فاستفتح سورة المؤمنين حتى جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى، شك محمد بن عباد - أي: أحد رواته - أخذت النبي ﷺ سعلة فركع)، وفي رواية: (فحذف فركع)، انتهى.

وقد اختلف في إسناد هذا الحديث على ابن جريج، فلهذا الاختلاف أتى البخاري بصيغة (ويذكر) مع أن إسناده مما تقوم به الحجة، قاله الحافظ.

وقوله في رواية مسلم: (فحذف)، أي: ترك القراءة، قال الحافظ: وفسره بعضهم برمي النخامة الناشئة عن السعلة، قال: والأول أظهر؛ لقوله: (فركع)، ولو كان أزال ما عاقه عن القراءة لتمادى فيها.

قال: واستدل به على أن السعال لا يبطل الصلاة، وهو واضح فيما إذا غلبه.

وفيه: جواز قطع القراءة. وجواز القراءة ببعض السورة، قيل: وهو يرد على مالك حيث كرهه.

وأجيب بأن الذي كرهه مالك هو أن يقتصر على بعض السورة مختاراً، والمستدل به هنا ظاهر في أنه كان للضرورة، فلا يرد عليه. وكذا يرد على من استدل به على أنه لا يكره قراءة بعض الآية أخذأً من قوله: (حتى جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى) لأن كلاً من الموصعين يقع في وسط آية.

وفيه: ما تقدم، نعم الكراهة لا ثبت إلا بدليل، وأدلة الجواز كثيرة، وتقديم حديث زيد بن ثابت المتقدم: أنه عليه السلامقرأ (الأعراف) في الركعتين، ولم يذكر ضرورة.

وفيه: القراءة بالأول وبالأخير، وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن أبي بكر الصديق أنه أم الصحابة عليه السلام في صلاة الصبح بسورة البقرةقرأها في الركعتين. وهذا إجماع منهم.

وروى محمد بن عبد السلام الخشنبي - بضم الخاء المعجمة، بعدها معجمة مفتوحة خفيفة ثم نون - من طريق الحسن البصري، قال: غزونا خراسان ومعنا ثلاثة من الصحابة، فكان الرجل منهم يصلينا فقرأ الآيات من السورة ثم يركع. أخرجه ابن حزم محتاجاً به.

وروى الدارقطني بإسناد قوي عن ابن عباس أنه قرأ (الفاتحة) وأيّة من (البقرة) في كل ركعة.

قال: وقال الرافعي في «شرح المسند»: قد يستدل به على أن (سورة المؤمنين) مكية، وهو قول الأكثر.

قال: ولمن خالف أن يقول: يحتمل أن يكون قوله: (بمكة)، أي: في الفتح، أو في حجة الوداع.

قلت: قد صرّح بقصة الاحتمال المذكور النسائي في روايته فقال: (في فتح مكة).

ويؤخذ منه أن قطع القراءة لعارض السعال ونحوه أولى من التمادي في القراءة مع السعال والتنفس، ولو استلزم تخفيف القراءة فيما استحب فيه تطويّلها، انتهى.

(وقرأ عمر)؛ أي: ابن الخطاب رضي الله عنه (في الركعة الأولى)؛ أي: من الصبح، (بمئة وعشرين آية من البقرة وفي) الركعة (الثانية بسورة من المثاني).

قال النّووي: قال العلماء: أول القرآن السبع الطوال، ثم ذات المئين، وهن السور التي فيها مئة آية ونحوها، ثم المثاني، ثم المفصل.

قال أهل اللغة: سميت مثاني لأنها ثنت المئين، أي: أنت بعدها. وقال الجوهري: ويسمى جميع القرآن مثاني أيضاً، لاقتران آية الرحمة بآية العذاب.

وقال التيمي : قيل : المثاني عشرون سورة ، والمئون إحدى عشرة سورة .

وقيل : المثاني ما عدا السبع الطوال إلى المفصل ، قيل : سمي المثاني لأنها ثنت السبع .

وأما قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ سَبْعَ آمِنَ الْمَثَانِي ﴾ [الحجر : ٨٧] فالمراد بها (سورة الفاتحة) ، سمي بذلك لأنها تثنى في كل صلاة .

وهذا التعليق وصله ابن أبي شيبة من طريق أبي رافع قال : (كان عمر يقرأ في الصبح بمئة من البقرة ، ويُتبعها بسورة من المثاني) .

(وقرأ الأحنف) ؛ أي : ابن قيس الكندي ، التابعي الجليل ، (بالكهف في الأولى) ؛ أي : في الركعة الأولى من صلاة الصبح (وفي الثانية بيوسف ، أو يونس) شك من الراوي (وذكر) ؛ أي : الأحنف (أنه صلى مع عمر) صل ؛ أي : خلفه (الصبح بهما) .

وهذا وصله جعفر الفريابي في «كتاب الصلاة» له ، من طريق عبدالله بن شقيق قال : (صلى بنا الأحنف بن قيس الغداة ، فقرأ في الركعة الأولى بالكهف ، وفي الثانية بيوسف ، وزعم أنه صلى خلف عمر بن الخطاب فقرأ بالأولى بالكهف وفي الثانية بيوسف) ولم يشك .

(وقرأ ابن مسعود) - عبدالله صل - في الركعة الأولى (بأربعين آية من الأنفال ، وفي الثانية بسورة من المفصل) .

وهذا وصله سعيد بن منصور من رواية عبد الرحمن بن يزيد قال : (أَمَّا عبدالله بن مسعود في صلاة العشاء الآخرة فافتتح الأنفال

فقرأ حتى بلغ **﴿نَعَمَ الْمَوْلَى وَنَعَمَ النَّصِيرُ﴾** [الأنفال: ٤٠]، ركع، ثم قام فقرأ في الركعة الثانية بسورة من المفصل) وهذا الموضع هو رأس أربعين آية.

قال في «الفتح»: وتبين بهذا أنه قرأ بأربعين من أولها، فاندفع الاستدلال به على قراءة خاتمة السورة، بخلاف الأثر عن عمر فإنه محتمل.

قال: قال ابن التين: إن لم تؤخذ القراءة بالخواتيم من أثر عمر أو ابن مسعود، وإلا فلم يأت البخاري بدليل على ذلك، انتهى.

قال: وفاته ما قدمناه من أنه مأخوذ بالإلحاق، مؤيد بقول قتادة الآتي، انتهى.

(وقال قتادة فيمن يقرأ سورة واحدة) - وفي رواية: (بسورة واحدة) - (في ركعتين) [وفي رواية: (في الركعتين)؛ أي: يفرقها فيهما (أو يردد سورة واحدة في الركعتين)]^(١)؛ أي: يقرأ في الثانية بغير التي قرأها في الأولى: (كل)؛ أي: كل ذلك (كتاب الله). ومراده: على أي وجه يقرأ لا كراهة فيه. وهذا وصله عبد الرزاق عن معمر عنه.

قال في «الفتح»: وقتادة تابعي صغير يستدل لقوله ولا يستدل به. قال: وإنما أراد البخاري منه قوله: (كل[ٌ] كتاب الله) فإنه يستنبط منه جواز جميع ما ذكر في الترجمة.

(١) ما بين معکوفتين ليس في «و».

قال : وأما قول قتادة في ترديد السورة فلم يذكره المصنف في الترجمة ، فقال ابن رشيد : لعله لا يقول به ، لما روي فيه من الكراهة من بعض العلماء .

وتعقبه فقال : وفيه نظر ، لأنه لا يراعي هذا القدر - أي : خلاف من خالف - إذا صح له دليل ، انتهى .

قال القسططلاني : ويفيد الصورة الأولى من قول قتادة قراءته عليه الصلاة والسلام في المغرب بآل عمران ، فرقها في الركعتين ، رواه النسائي .

والثانية حديث معاذ بن عبد الله الجهني : أن رجلاً من جهينة أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ في الصبح : ﴿إِذَا زُلَّت﴾ في الركعتين كلتيهما ، فلا أدرى : أنسى رسول الله ﷺ أم قرأ ذلك عمداً؟ وقد رواه أبو داود ، انتهى .

قال ابن المنيّ ما حاصله : وما استدل به البخاري لما في الترجمة لا يخالف ما قال مالك من أن قسم السورة في الركعتين ، والاقتصار على بعضها وترك الباقي ، والقراءة بسورة قبل سورة تخالف ترتيب المصحف ، وإن كان لا يفسد الصلاة ، هو خلاف الأولى ، لأنه محمول على بيان الجواز .

ثم قال ابن المنيّ : والذي يظهر أن تكرير السورة في ركعتين أحق من قسمها فيهما .

قال الحافظ : وسبب الكراهة فيما يظهر أن السورة مرتبطة بعضها

بعض ، فأي موضع قطع فيه لم يكن كانتهاه إلى آخر السورة ، فإنه إن قطع في وقف غير تام كانت الكراهة ظاهرة ، وإن كان في وقف تام فلا يخفى أنه خلاف الأولى .

وقد تقدم في (الطهارة) قصة الأنصاري الذي رماه العدو بسهم فلم يقطع صلاته ، وقال : كنت في سورة فكرهت أن أقطعها ، وأقره النبي ﷺ على ذلك ، انتهى .

وأقول : لينظر في قوله : فلا يخفى أنه خلاف الأولى ، وفي استشهاده بقصة الأنصاري ، مع ما تقدم من الأحاديث والآثار الدالة على فعل ذلك ، والله أعلم .

لكن نقله عن مذهب الشافعي ، وعبارته : وأما حديث ابن مسعود - أى : الآتي - ففيه إشعار بالموافقة على الجمع بين السورتين ، كما سيأتي في الكلام عليه ، وقد نقل البيهقي في «مناقب الشافعي» عنه أن ذلك مستحب ، وما عدا ذلك مما ذكر أنه خلاف الأولى هو مذهب الشافعي أيضاً . وعن أحمد والحنفية كراهة قراءة سورة قبل سورة تخالف ترتيب المصحف .

قال : وانختلف : هل رتبه الصحابة بتوقيف من النبي ﷺ ، أو باجتهاد منهم ؟

قال القاضي أبو بكر : الصحيح الثاني ، وأما ترتيب الآيات فتوقيفي بلا خلاف ، انتهى .

(وقال عبيدة الله) بالتصغير ، وهو ابن عمر بن حفص بن عاصم

العمري، (عن ثابت) هو البُناني، (عَنْ أنس)، زاد في رواية: (ابن مالك) رضي الله عنه (قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء)، قال في «المقدمة»: هو كلثوم بن الهدم؛ أي: بكسر الهاء وسكون الدال، وقيل: كرز بن زهدم، كذا رأيته بخط الرشيد العطار نقلًا عن «صفة التصوف» لابن طاهر، انتهى.

وقال في «الفتح» ما حاصله: إن تعين المبهم بكلثوم فيه نظر، لأن في حديث عائشة - أي: الذي عند المصنف في أوائل (كتاب التوحيد) - أنه كان أمير سرية، وكلثوم مات في أوائل ما قدم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه المدينة - كما ذكره أصحاب المغازي - قبل البعثة والسرايا.

قال: وعلى ما قاله ابن العطار فالذي كان يؤم في مسجد قباء غير أمير السرية، ويدل على تغايرهما أن في رواية الباب أنه كان يبدأ بـ **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»**، وأمير السرية كان يختتم بها. وذكر أموراً أخرى، ثم قال: والجمع بين هذا التغاير ممكناً لولا ما تقدم من كون كلثوم بن الهدم مات قبل البعثة والسرايا.

وأما من فسره بأنه قتادة بن النعمان فأبعد جداً، فإن قصة قتادة أنه كان يقرؤها في الليل يرددتها، وليس فيه أنه أم بها لا في سفر ولا في حضر، ولا أنه سُئل عن ذلك ولا بُشّر، كما سيأتي ذلك في (فضائل القرآن)، انتهى.

(فكان) بالفاء، وفي رواية: (وكان) (كلما افتح سورة)؛ أي: أراد الافتتاح بها، وفي رواية: (بسورة)، (يقرأ بها لهم في الصلاة

مما يقرأ) - بضم أوله مبنياً للمجهول - (به)؛ أي : من السور في الصلاة التي يجهر فيها بالقراءة، والظاهر أن قوله : (مما يقرأ به) صفة ثانية لـ (سورة)، قوله : (افتتح) جواب (كلما)، (بـ **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**) حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة)، وفي رواية : (بسورة) (آخرى معها)؛ أي : مع **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**.

وتمسك به من قال : لا يشترط قراءة (الفاتحة).

وأجيب بأن الراوي لم يذكرها اغتناءً بالعلم؛ لأنه لابد منها، فيكون معناه : افتتح بسورة بعد الفاتحة، أو أن ذلك كان ذلك قبل ورود الدليل الدال على اشتراط الفاتحة.

(وكان يصنع ذلك)؛ أي : الذي ذكر من الافتتاح بالإخلاص ثم بسورة معها في كل ركعة، (فكلمه أصحابه وقالوا)، وفي رواية : (فقالوا) : (إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى) - وأسقط في رواية لفظ (ثم) - (أنها تجزئك) بضم أوله مع الهمزة، من الإجزاء كما ضبطه في «اليونينية». قال الكرماني : (تجزيك) بفتح حرف المضارعة؛ أي : من جزى ثلاثة، وفي بعضها : بضمها، انتهى. أي : لا ترى أنها تكفيك حتى تقرأ بأخرى)، وفي رواية : (بالأخرى)، (إِنَّمَا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا)، وفي رواية بإسقاط لفظ (أن) ورفع الفعل، (إِنَّمَا أَنْ تَدْعُهَا) - أي : تتركها - (وتقرأ بأخرى) غير **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**.

قال الحافظ : ويفسر منه أن صنيعه ذلك خلاف ما ألفوه من

النبي ﷺ.

(قال) الرجل : (ما أنا بatarكها، إن أحببتكم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم ذلك تركتم، و كانوا يرون) بفتح أوله كما في «اليونانية»؛ أي : يعتقدون (أنه من أفضليهم)، وفي رواية : (يرونه من أفضليهم)، (وكرهوا أن يؤمنهم غيره) لكونه من أفضليهم، أو لكون النبي ﷺ هو الذي قرّرَه.

(فلمَا أتاهم النبي ﷺ أخبروه) هذا (الخبر) المذكور، (قال) عليه الصلاة والسلام له : (يا فلان! ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟)؛ أي : يقولونه لك - ولم يُرد الأمر ذا الصيغة المعروفة، لكنه لازم من التخيير الذي ذكروه، فكأنهم قالوا له : افعل كذا وكذا - (وما يحملك)؛ أي : وما الباعث لك (على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال : إني أحبها. فقال) عليه الصلاة والسلام : (حبك إياها أدخلك الجنة).

وسأله عن أمرين؛ وهما : المانع من الفعل ، والحاصل على المزوم. فأجاب بقوله : (إني أحبها)، وهو جواب عن الثاني مستلزم للأول بانضمام شيء آخر ، وهو إقامة السنة المعهودة في الصلاة، فالمانع مرَكَب من المحبة والأمر المعهود ، والحاصل على الفعل المحبة وحدها.

ودل تبشيره له بالجنة على الرضا بفعله ، وعبر بقوله : (أدخلك الجنة) بلفظ الماضي - وإن كان دخوله إياها مستقبلاً - تحقيقاً لوقوع ذلك ، قاله ابن المنيّر.

وفي دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه

والاستكثار منه، ولا يعد ذلك هجراناً لغيره.

وفيه ما يشعر بأن سورة الإخلاص مكية، انتهى.

* * *

٧٧٥ - حَدَّثَنَا آدُمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ الْلَّيْلَةَ فِي رُكْعَةٍ، فَقَالَ: هَذَا كَهْدَ الشَّعْرِ، لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرِنُ بَيْنَهُنَّ، فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ؛ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ.

وبالسند قال:

(حَدَّثَنَا آدُمُ) بن أبي إِيَّاسْ، (قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) بن الحجاج، قال: (حدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ مَرْةَ) بضم الميم وتشديد الراء، الكوفي الأعمى، وفي رواية: (عن عُمَرَ بْنَ مَرْةَ)، (قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلَ) شَفِيقَ بْنَ سَلَمَةَ، (قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ) هُوَ نَهِيْكَ - بفتح النون وكسر الهاء - ابْنَ سَنَانَ الْبَجَلِيَّ، بَيَّنَتْهُ رواية مُسْلِمُ الْأَتِيَّةِ، (إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَقَالَ) لَهُ: (قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ)؛ أَيْ: كُلَّهُ، وَتَقْدِمُ أَنَّهُ مِنْ (قَ) إِلَى آخر الْقُرْآنِ عَلَى الصَّحِّحِ، وَسَمِيَّ بِذَلِكَ لِكُثْرَةِ الْفَصْلِ بَيْنَ سُورَتَيْنِ بِالبِسْمِلَةِ عَلَى الصَّحِّحِ أَيْضًا، (اللَّيْلَةُ فِي رُكْعَةٍ) وَاحِدَةً.

ولقول هذا الرجل: (قرأت المفصل) سبب بَيَّنَتْهُ رواية مُسْلِمَ، ولفظها: (عن أَبِي وَائِلَ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ يَقُولُ لَهُ: نَهِيْكَ بْنَ سَنَانَ، إِلَى

عبدالله فقال : يا أبا عبد الرحمن ! كيف تقرأ هذا الحرف : ﴿مِنْ مَّا لَيْلَةَ عَيْرَكَاسِن﴾ [محمد: ١٥] أو : غير ياسِن ؟ فقال عبدالله : كلَّ القرآن أحصيَتْ غير هذا ؟ قال : إني لأقرأ المفصل في ركعة).

(قال) له ابن مسعود : (هذا كهذ الشعْر ؟) بفتح الهاء وتشديد الذال المعجمة ، أي : سرداً وإفراطاً في السرعة ، وهو منصوب على المصدر ، وهو استفهام إنكار بحذف أداة الاستفهام ، وهي ثابتة في رواية لمسلم . وقال ذلك لأن تلك الصفة كانت عادتهم في إنشاد الشعر . كذا قاله الحافظ .

وقال الكرماني : معناه أن الرجل لما أخبر بكثرة حفظه قال له ابن مسعود : تَهْذِه هذَا كهذ الشعْر ؟ أي : بحفظه وروايته لا في إنشاده وترنمه ، لأنه يرثّل في الإنشاد والترنم عادة ، انتهى .

وزاد مسلم : (لأن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم) .
وزاد أحمد : (ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع) ، وهو عند مسلم بدون (نفع) .

(لقد عرفت النظائر) ، قال الحافظ : أي : السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص ، لا المتماثلة في عدد الآي ؛ لما سيظهر عند تعينها .

قال المحب الطبرى : كنت أظن أن المراد أنها متساوية في العد ، حتى اعتبرتها فلم أجدها شيئاً متساوياً ، انتهى .

(التي كان النبي) ، وفي رواية : (رسول الله ﷺ) (يقرن) - بضم

الراء وكسرها مع فتح أوله - (بينهن). فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في كل ركعة) وسقط لفظ (كل) من رواية، و(سorتين) منصوب بـ (يقرأ) محنوف.

ووقع في (فضائل القرآن) من رواية واصل عن أبي وائل: (إني لأحفظ القراءة التي كان يقرأ بها النبي ﷺ: ثمانية عشرة سورة من المفصل وسorتين من آل حاميم) ويبيّن فيه من رواية أبي حمزة عن الأعمش أن قوله: (عشرين سورة) إنما سمعه أبو وائل من علقة بن عبد الله، ولفظه: (فقام عبد الله ودخل معه علقة، وخرج علقة فسألناه فقال: عشرون سورة من المفصل على تأليف ابن مسعود، آخرهن من الحواميم حم الدخان) و«عَمَّ يَسَاءَ لُونَ» [النبا: ١].

وقد سردها أبو داود في روايته متصلًا بالحديث بعد قوله: (كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة): «الرَّحْمَنُ» و«النَّجْمُ» في ركعة، و«أَقْرَبَتْ» و«الْحَافَةُ» في ركعة، «وَالذَّرِيدَتْ» «وَالظُّورِ» في ركعة، و«الْوَاقِعَةُ» و«رَتْ» في ركعة، و«سَأَلَ سَأِيلُ» «وَالنَّزَعَتْ» في ركعة، و«وَيْلٌ لِلْمُطْفَفِينَ» و«عَسَ» في ركعة، و(المدثر) و(المزمل) في ركعة، و«هَلْ أَقَ» و«لَا أَقِيمُ» في ركعة، و«عَمَّ يَسَاءَ لُونَ» و«وَالْمُرْسَلَتْ» في ركعة، و«إِذَا الشَّمْسُ كُوَرَتْ» و(الدخان) في ركعة. هذا لفظ أبي داود.

وقد أخرجه ابن خزيمة والطبراني من طرق أخرى، وفيه تقديم وتأخير في بعضها وحذف بعض.

قال الحافظ: وعرف بهذا أن قوله في رواية واصل المتقدمة:

(وسورتين من آل حاميم) مُشكِّلٌ؛ لأن الروايات لم تختلف أنه ليس في العشرين من الحواميم غير (الدخان)، فيحمل على التغليب، أو فيه حذف، كأنه قال: وسورتين إحداهما من (آل حاميم).

ويتبين بهذا أيضاً أن قوله في حديث الباب: (عشرين سورة من المفصل) فيه تجؤزٌ؛ لأن (الدخان) ليست منه، ولذلك فصلها من المفصل في روایة واصل. نعم، يصح ذلك على أحد الآراء في حد المفصل كما تقدم.

وفي الحديث من الفوائد: كراهيّة الإفراط في سرعة التلاوة؛ لأنّه ينافي المطلوب من التدبر والتفكير في معاني القرآن، ولا خلاف في جواز السرّد بدون تدبر، لكن التدبر أعظم أجرًا.

وفيه: جواز تطويل الركعة الأخيرة على ما قبلها، وهو أول حديث موصول أورده المصنف في هذا الباب، فلهذا صدر الترجمة بما دل عليه.

ويؤخذ منه الجمع بين ثلاثة سور فصاعداً لعدم الفرق، بل قد روى أبو داود وصححه ابن خزيمة من طريق عبدالله بن شقيق قال: سألت عائشة: أكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجمع بين سور؟ قالت: نعم من المفصل.

ولا يخالف هذا ما سيأتي في (التهجد) أنه جمع بين (البقرة) وغيرها من الطوال، لأنه يحمل على النادر.

قال: وقال عياض: في حديث ابن مسعود أنه يدل على أن هذا القدر كان يقرأ به غالباً، وأما تطويله فإنما كان في التدبر والترتيب، وما ورد عنه من قراءة (البقرة) وغيرها في ركعة فكان نادراً.

وتعقبه فقال: لكن ليس في حديث ابن مسعود ما يدل على المواظبة، بل فيه أنه كان يقرن بين هذه السور المعيّنات إذا قرأ من المفصل.

وفي الحديث أيضاً موافقة لقول عائشة وابن عباس: إن صلاته بالليل كانت عشر ركعات غير الوتر.

وفيه: ما يقوّي قول القاضي أبي بكر المتقدم: إن تأليف السور كان عن اجتهادٍ من الصحابة، لأن تأليف عبد الله المذكور مغاير لتأليف مصحف عثمان، قال: وسيأتي ذلك في باب مفرد في (فضائل القرآن) إن شاء الله تعالى، انتهى.

* * *

١٠٧ - بَابٌ

يَقْرَأُ فِي الْأَخْرَيْنِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ

(باب) بالتنوين: (يقرأ)؛ أي: المصلي (في الآخرين) تثنية الأخرى؛ أي: في الركعتين الآخرين من الرباعية، قال الكرماني: وفي بعضها: (في الآخرين) تثنية الآخرة، (بفاتحة الكتاب)؛ أي: من غير زيادة، وسكت عن ثلاثة المغرب - مع أن حكمها حكم الآخرين - رعاية للفظ الحديث، قاله الحافظ، قال: ويحتمل أن يكون لم يذكرها لما رواه مالك من طريق الصنابحي أنه سمع أبا بكر الصديق يقرأ فيها: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْجِعْ قُوَّيْنَا﴾ [آل عمران: ٨] الآية.

٧٧٦ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَنَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهُرِ فِي الْأُولَيْنِ بِأُمِّ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ، وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيْنِ بِأُمِّ الْكِتَابِ، وَيُسْمِعُنَا الْآيَةَ، وَيُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى مَا لَا يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وَهَكَذَا فِي الْعَصْرِ وَهَكَذَا فِي الصُّبْحِ.

وبالسند قال:

(حدثنا موسى بن إسماعيل) المِنْقَرِي التَّبَوَذَكِي، (قال: حدثنا

همام) هو ابن يحيى، (عن يحيى) هو ابن أبي كثیر، (عن عبدالله ابن أبي قتادة، عن أبيه) أبي قتادة: (أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الركعتين (الأوليين بأم الكتاب وسورتين)؛ أي: في كل ركعة منهما بسورة، (وفي الركعتين الآخريين بأم الكتاب) فيه ما ترجم له.

قال الحافظ: قال ابن خزيمة: قد كنت زماناً أحسب أن هذا اللفظ؛ أي: وهو قوله: (وفي الركعتين الآخريين بفاتحة الكتاب) لم يروه عن يحيى غير همام، وتابعه أبان، إلى أن رأيت الأوزاعي قد رواه أيضاً عن يحيى؛ يعني أن أصحاب يحيى غير من ذكر اقتصروا على قوله: (كان يقرأ في الأوليين بأم الكتاب وسورة) كما تقدم عنه من طرق، وأن هماماً هو الذي زاد هذه الزيادة، فكان يخشى شذوذها، إلى أن قويت عنده بمتابعة من ذكر، لكن أصحاب الأوزاعي لم يتفقوا على ذكرها، كما سيظهر ذلك بعد باب، انتهى.

(ويُسمّعنا) من الإسماع (الآية، ويطول في الركعة الأولى ما لا يطيل)، كذا للأكثر، ولكريمة: (ما لا يطول) (في الركعة الثانية)، قال الكرماني: و(ما) يحتمل أن تكون نكرة موصوفة؛ أي: تطويلاً لا يطيله في الثانية، وأن تكون مصدرية؛ أي: غير إطالته في الثانية، تكون هي مع ما في خبرها صفة لمصدر محذوف، انتهى.

وفي رواية: (مما لا يطيل).

(وهكذا في العصر، وهكذا في الصبح)، قال الكرماني: التشبيه في الصبح في تطويل الركعة الأولى فقط، بخلاف التشبيه في العصر فإنه أعم.

قال : وفيه حجة على من يقول : إن شاء قرأ في الآخرين الفاتحة
أو يترك ، والوجوب علم من (كان) المشعرة بالاستمرار مع قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :
«صلوا كما رأيتمني أصلبي» ، انتهى .

وسيأتي ذكر الخلاف في ذلك في (باب أمر النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الذي لا يتم
ركوعه بالإعادة) .

* * *

١٠٨ - باب

من خافت القراءة في الظهر والعصر

(باب من خافت)؛ أي: أسر القراءة، وفي رواية: (بالقراءة)، قاله الحافظ، وهو أوجه، (في الظهر والعصر)؛ أي: صلاتيهم.

٧٧٧ - حَدَّثَنَا قُتْيَيْهُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ: قُلْتُ لِخَبَابٍ: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظَّهَرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ؟ قَالَ: بِاضْطِرَابِ لِحْيَتِهِ.

وبالسند قال:

(حدثنا قتيبة بن سعيد)، وسقط (ابن سعيد) في رواية، (قال: حدثنا جرير) هو ابن عبد الحميد، (عن الأعمش) سليمان بن مهران، (عن عمارة بن عمير) بضم العين فيهما وتحقيق الميم الأولى، (عن أبي معمر) - بفتح الميمين - عبدالله بن سخبرة، (قال: قلنا) - وفي رواية: (قلت) - (الخطاب)؛ أي: ابن الأرت: (أكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الظهر والعصر؟)؛ أي: صلاتيهم، والمراد غير (الفاتحة) كما مرّ. (قال) خباب: (نعم) كان يقرأ فيهما. (قلنا) له: (من أين علمت)

ذلك؟ (قال: باضطراب لحيته)؛ أي: تحريركها، وتقدم الكلام على مباحثه في (باب القراءة في الظهر).

واستدل به البيهقي على أن الإسرار بالقراءة لابد فيه من إسماع المرء نفسه، وذلك لا يكون إلا بتحريك اللسان والشفتين، بخلاف ما لو أطبق شفتيه وحرك لسانه بالقراءة، فإنه لا يضطرب بذلك لحيته فلا يسمع نفسه، انتهى.

قال الحافظ: وفيه نظر لا يخفى.

* * *

إِذَا أَسْمَعَ الْإِمَامُ الْآيَةَ

(باب) بالتنوين : (إذا أسمع)، وفي رواية : (إذا سمع) بتشديد الميم (الإمام الآية) - أي : في السرية - لا يضره، وذلك خلافاً لمن قال : يسجد للسهو إذا كان ساهياً، وكذا لمن قال : يسجد مطلقاً.

والحديث الذي أورده المصنف واضح فيه، وتقديم الكلام عليه مبسوطاً في (باب القراءة في الظهر).

٧٧٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِأَمْ الْكِتَابِ وَسُورَةً مَعَهَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيْنِ مِنْ صَلَاةِ الظُّهُرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، وَيُسْمِعُنَا الْآيَةَ أَحْيَانًا، وَكَانَ يُطِيلُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى.

وبالسند قال :

(حدثنا محمد بن يوسف) هو الفريابي، قال : (حدثنا) - وفي رواية : (حدثني) - (الأوزاعي) الإمام الجليل عبد الرحمن بن عمرو، قال : (حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني عبدالله بن أبي قتادة)، وفي

رواية: (عن عبد الله بن أبي قتادة)، (عن أبيه) أبي قتادة: (أن النبي ﷺ
كان يقرأ بأم الكتاب وسورة معها في الركعتين الأوليين من صلاة
الظهر و) صلاة (العصر، ويسمعننا الآية أحياناً، وكان يطيل) - وفي
رواية: (يطول) - (في الركعة الأولى).

* * *

يُطُولُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى

(باب) بالتنوين: (يُطُولُ)، أي: المصلي (في الركعة الأولى) بالسورة في جميع الصلوات.

٧٧٩ - حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٌ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُطُولُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الظُّهُرِ، وَيَقْصُرُ فِي الثَّانِيَةِ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين، (حدثنا هشام)؛ أي: الدستوائي، (عن يحيى بن أبي كثیر، عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه) أبي قتادة رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ كان يطول في الركعة الأولى من صلاة الظهر ويقصّ) بالتشديد (في الثانية، ويفعل ذلك في صلاة الصبح) والحديث ظاهر فيما ترجم له.

قال الحافظ: واستدل به على استحباب تطويل الأولى على الثانية،

وجمع بينه وبين حديث سعد الماضي حيث قال: (أمدد في الأولين)
أن المراد تطويلها على الآخرين، لا التسوية بينهما في الطول.

وقال من استحب استواءهما: إنما طالت الأولى بداع الافتتاح
والتعوذ، وأما في القراءة فهما سواء، ويدل عليه حديث أبي سعيد عند
مسلم: (كان يقرأ في الظهر في الأولين في كل ركعة قدر ثلاثين آية)،
وفي رواية لابن ماجه: (أن الذين حزروا ذلك كانوا ثلاثين من
الصحابة).

وقال البيهقي في الجمع بين أحاديث المسألة: يطول في الأولى
إن كان يتضرر أحداً، وإلا فيسوئي بين الأولين.

وروى عبد الرزاق نحوه عن ابن جريج، عن عطاء قال: إنني
لأحب أن يطول الإمام الأولى من كل صلاة حتى يكثر الناس، فإذا
صليت لنفسي فإني أحرص على أن أجعل الأولين سواء.

وذهب بعض الأئمة إلى استحباب تطويل الأولى من الصبح
دائماً، وأما غيرها فإن كان يتواتي كثرة المأمومين ويبادر هو أول
الوقت فينضر، وإلا فلا.

وذكر في حكمة اختصاص الصبح بذلك أنها تكون عقب النوم
والراحة، وفي ذلك الوقت يواطئ السمعُ واللسانُ القلبَ، وفي المسألة
عندنا وجهان للأصحاب:

قال التّوسي في «شرح مسلم»: أشهرهما عندهم أنه لا يطول

القراءة في الأولى، والثاني يستحب التطويل قصداً، وهو الصحيح المختار، الموافق لظاهر السنة.

وقال في «شرح المذهب»: فيه وجهان؛ أصحهما عند المصنف والأكثرین: لا يطول، والثاني: يطول. وقال القاضي أبو الطیب: إنه الصحيح، وهو قول الماسرِجسي وعامة أصحابنا بخراسان، وبه قال الثوری ومحمد بن الحسن. وقال أبو حنیفة: يستحب ذلك في الصبح خاصة.

ثم قال النّووی: وال الصحيح استحباب تطويل الأولى.

وقال في «الروضۃ» - بعد أن ذكر كلام الرافعی: إنه لا يفضل الأولى على الثانية بزيادة القراءة على الأصح -: هذا الذي صححه هو الراوح عند جماهير الأصحاب، لكن الأصح التفضيل، فقد صح فيه الحديث؛ أي: حديث أبي قتادة المذكور. ثم نقل الاتفاق على استواء الثالثة والرابعة.

ونظر القلقشندی في قول النّووی: فقد صح فيه الحديث، بأنه صح أيضاً عنه ﷺ عند مسلم كما مرّ: كان يقرأ في الأولین من الظهر في كل ركعة قدر ثلثین آية.

قال: ولهذا جزم ابن حبان بأن الأولى إنما طالت على الثانية بزيادة الترتيل فيها مع استواء المقروء فيهما، قال: وهذا الخلاف فيما لم يرد فيه نص من الشارع، فإن ورد اتبع، كما في قراءة **«سبع»**

في الأولى من الجمعة، و﴿وَهَلْ أَتَنَكَ﴾ في الثانية.

قال^(١) : واستدل به بعض الشافعية على جواز تطويل الإمام في الركوع لأجل الداخل.

وتعقبه القرطبي بأنه لا حجة فيه، لأن الحكمة لا يعلل بها لخفايتها أو لعدم انضباطها، وبأنه لم يكن يدخل في الصلاة يريد تقصير تلك الركعة ثم يطيلها^(٢) لأجل الآتي، وإنما كان يدخل فيها ليأتي بالصلاحة على سنته من تطويل الأولى ، فافترق الأصل والفرع فامتنع الإلحاد، انتهى.

قال الحافظ : وقد ذكر البخاري في جزء القراءة كلاماً معناه أنه لم يرد عن أحد من السلف في انتظار الداخل في الركوع شيء.

واعلم أنه لم يقع في حديث أبي قتادة هنا ذكر القراءة في الآخرين ، فتمسك به بعض الحنفية على إسقاطها فيهما لكنه ثبت من حديثه من وجه آخر في (باب يقرأ في الآخرين بفاتحة الكتاب) ، والله سبحانه وتعالى أعلم^(*).

* * *

(١) يعني : ابن حجر في «الفتح» (٢٤٤ / ٢).

(٢) في «و» : «يطيل».

(*) جاء في نهاية الجزء الأول من النسخة الخطية لمكتبة ولي الدين ، والمرموز لها بـ «و» ما نصه : «نجز هذا الجزء الأول من «ضياء الساري في مسالك أبواب البخاري» للإمام المحقق عالم عصره ووحيد دهره =

= الشيخ عبدالله بن سالم البصري المكي الشافعي، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا وال المسلمين ببركاته وبركاتات علومه في الدنيا والآخرة آمين، بعد صلاة عصر يوم الجمعة المبارك، الخامس والعشرين من ربيع الثاني من شهور سنة ١١٤٧ سبع وأربعين ومئة وألف، بمكة المشرفة في الحرم الشريف. اللهم اغفر لكاتبه ومالكه ومن يقرأه آمين، وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

* وجاء في نهاية الجزء الأول من النسخة الخطية لمكتبة نور عثمانية، والمرموز لها بـ «ن» ما نصه: «نجز هذا الجزء الأول من «ضياء الساري في مسالك أبواب البخاري» للإمام المحقق عالم عصره ووحيد دهره الشيخ عبدالله بن سالم البصري المكي الشافعي متعد الله بحياته. وكان الفراغ بحمد الله الكريم الوهاب، يوم الأحد المبارك ثامن عشرين من شهر ربيع الآخر، على يد أقر عباد الله إلى الله محمد بن مصطفى أفندي الدبار بكري الوعاظ في الحرم الشريف، تغمده الله برحمته، ولجميع المسلمين والملائكة والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنك قريب مجتب الدعوات برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على النبي محمد وآلله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. حرر سنة ألف ومئة وثلاثة وثلاثين. يا كريم العفو جنبنا المعاصي».

١١١ - بَابٌ

جَهْرِ الْإِمَامِ بِالْتَّأْمِينِ

وَقَالَ عَطَاءُ: أَمِينَ دُعَاءُ، أَمِنَ ابْنُ الرَّزِّيْرِ وَمَنْ وَرَاءَهُ حَتَّىٰ إِنَّ
لِلْمَسْجِدِ لِلَّجَّةَ.

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُنَادِي الْإِمَامَ: لَا تُفْتَنِي بِأَمِينَ.
وَقَالَ نَافِعٌ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَدْعُهُ وَيَحْضُهُمْ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ فِي
ذَلِكَ خَيْرًا.

(باب جهر الإمام بالتأمين)؛ أي: بعد الفاتحة في الجهرية،
والتأمين مصدر أَمِنَ بالتشديد؛ أي: قال: أَمِنَ، وهي من أسماء
الأفعال، مثل: صَهِ لِلسُّكُوتِ، فحقها الوقف على النون بغير حركة،
وتفتح في الوصل.

وقال الجوهرى وابن الأثير: إنها اسم مبني على الفتح، مثل:
أَيْنَ وَكَيْفَ، لاجتماع الساكنين، وفيها لغات كثيرة أفصحها وأشهرها
بالمد وتحقيق الميم.

و معناها عند الجمهور: استجيب، وقيل معناها: لا تخيب، وقيل:
افعل، وقيل: ليكن كذلك، وقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، رواه

عبد الرزاق، عن أبي هريرة بسنٍ ضعيف، وأنكره جماعة، وقيل: غير ذلك.

وقال مَن مَدَ وشَدَّ: معناها: فاصلين إليك، ونقل عن جعفر الصادق.

وقال مَن قَصَرَ وشَدَّ: هي كلمة عبرانية أو سريانية.
وعند أبي داود من حديث أبي زُهير النَّمَيْرِيِّ الصحابي؛ أنَّ أمِينَ مثَلَ الطَّابَعَ عَلَى الصَّحِيفَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: «إِنْ خَتَمْتَ بِأَمِينٍ فَقَدْ أَوْجَبَ». .

(وقال عطاء) هو ابن أبي رباح: (أمِينٌ: دُعَاءٌ، أَمِينٌ ابنُ الزَّبِيرِ)
هو من تتمة كلام عطاء، كما يأتي، وابن الزبير هو عبد الله رضي الله عنه.
(وَمَنْ وَرَاهُ؛ أَيْ: مِنَ الْمُقْتَدِينَ بِصَلَاتِهِ، (حَتَّى إِنْ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ،
وَ(حَتَّى) حِرْفِ ابْتِدَاءٍ.

(لِلْمَسْجِدِ)؛ أَيْ: لِأَهْلِهِ، (لِلْجَهَةِ) الْلَّامُ لِلتَّأْكِيدِ، وَالْلَّجَةُ - بفتح
أَوْلَهُ - الصَّوْتُ الْمُرْتَفَعُ، وَالْتَّجَّهُ الْأَصْوَاتُ؛ أَيْ: اخْتَلَطَتْ.

قال الحافظ: وروي (لَلْجَةُ)؛ أَيْ: بِلَامِينَ مفتوحتين وفتح
الجيم، حكاه ابن التين، وهي الأصوات المختلطة.

وقال الْكَرْمَانِيُّ: وفي بعضها: (الْجَلَبَةُ)؛ أَيْ: بِتَقْدِيمِ الْجَيْمِ،
ورواه البيهقي (الرَّجَةُ)؛ براء بدل اللام، وهي في «اليونينية» مصححاً
عليها من غير رقم لأحد.

(وَكَانَ أَبُو هَرِيرَةَ) رضي الله عنه، هو من تتمة كلام عطاء أيضاً (ينادي

الإمام: لا تُفْتَنِي بِآمِينٍ) بضم الفاء وسكون المثناة من الفوائت؛ أي: لا تعجل بالقراءة فتفوتني فضل التأمين، ومراده أن يؤمِن مع الإمام داخل الصلاة.

قال الزركشي: وفي بعض النسخ بالفاء والشين المعجمة، قال: والمحفوظ (لا تسبقني) بسین مهمّلة ثم باء موحّدة ثم قاف؛ أي: وهي رواية ابن عساكر.

قال الحافظ: وقول عطاء وصله عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن عطاء قال: قلت: أكان ابن الزبير يُؤمِّن على إثر أُمِّ القرآن؟ قال: نعم، ويُؤمِّن مَنْ وراءه حتى إن للمسجد للجة، ثم قال: إنما آمين دعاء، قال: وكان أبو هريرة يدخل المسجد وقد قام الإمام فيناديه فيقول: لا تسبقني بآمِينٍ، قال: وقد تمسك به بعض المالكية في أن الإمام لا يؤمِن.

قال: ومعناه: لا تنازعني التأمين، الذي هو من وظيفة المأموم، قال: وهذا تأويل بعيد.

وقد جاء عن أبي هريرة وجه آخر أخرجه البيهقي، عن أبي رافع قال: كان أبو هريرة يؤذن لمروان، فاشترط أن لا يسبقه بـ (الضالين) حتى يعلم أنه دخل في الصف، وكأنه كان يستغل بالإقامة وتعديل الصنوف، وكان مروان يُبادر إلى الدخول في الصلاة قبل فراغ أبي هريرة، فكان أبو هريرة ينهاه عن ذلك.

وقد وقع له ذلك مع غير مروان، فروى سعيد بن منصور من

طريق محمد بن سيرين، أن أبا هريرة كان مؤذناً بالبحرين، وأنه اشترط على الإمام -أي: وكان العلاء بن الحضرمي، كما بيته عبد الرزاق- أن لا يسبقه بأمين.

وقد روي نحو قول أبي هريرة عن بلال، أخرجه أبو داود، من طريق أبي عثمان، عن بلال أنه قال: يا رسول الله! لا تستبني بأمين، ورجاله ثقات.

لكن قيل: إن أبا عثمان لم يلق بلالاً، وقد روي عنه بلفظ: إن بلالاً قال، وهو ظاهر الإرسال، ورجحه الدارقطني على الموصول، قال: وهذا الحديث يضعف التأويل السابق؛ لأن بلالاً لا يقع منه ما حمل هذا القائل كلام أبي هريرة عليه.

قال في «المصابيح»: قال ابن بطال: معنى قوله: (لا تستبني بأمين): لا تُحرِّم بالصلاحة حتى أفرغ من الإقامة، لثلا تستبني بقراءة الفاتحة، فيفوتني التأمين معك.

قال: هو حجة للحنفية في قولهم: إذا بلغ المؤذن في الإقامة: قد قامت الصلاة، وجب على الإمام الإحرام، والفقهاء على خلافهم، لا يرون الإحرام من الإمام إلا بعد الإقامة.

قلت: ليس ما ذكره من الحجة ظاهراً فتأمله، انتهى.

وكذلك نظر فيه الحافظ فقال: إنها واقعة عَيْن، وسببها محتمل، فلا يصح التمسك بها، انتهى.

والظاهر أن التمسك بحديث بلال لا بفعل مروان، والله أعلم.

ثم قال الحافظ: قال ابن المنيّر: مناسبة قول عطاء للترجمة بإنه حكم أن التأمين دعاء، فاقتضى ذلك أن يقوله الإمام؛ لأنه في مقام الداعي، بخلاف قول المانع: إنها جواب للدعاء فيختص بالمؤمن، وجوابه: أن التأمين قام مقام التلخيص بعد البسط، فالداعي فصل المقاصد بقوله: ﴿أَهِدِنَا الصِّرَاطَ الْسُّتْقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] إلخ، والمؤمن أتى بكلمة تشمل الجميع، فإن قالها الإمام فكأنه دعا مرتين مفصلاً ثم مجملأً، انتهى.

(وقال نافع) هو مولى ابن عمر رض: (كان ابن عمر لا يدعه)؛ أي: التأمين، (ويحضهم) - بحاء مهمّلة مضبومة وبالضاد المعجمة - أي: يحثّهم، قال نافع: (وسمعت منه)؛ أي: من ابن عمر (في ذلك)؛ أي: التأمين (خيراً) بسكون التحتانية؛ أي: فضلاً وثواباً، وهي رواية الأكثر، وفي رواية: (خبراً) بفتح المودحة؛ أي: حدّيثاً مرفوعاً، وقد وصله عبد الرزاق، عن ابن جريج: أخبرني نافع أن ابن عمر كان إذا ختم أُمّ القرآن قال: آمين، لا يدع أن يؤمّن إذا ختمها، ويحضهم على قولها، وسمعت منه في ذلك خيراً، انتهى.

قال الحافظ: ويدل لرواية (خبر) - بالموحدة - ما أخرجه البيهقي: كان ابن عمر إذا أُمّ الناس أُمّ معهم ويرى ذلك من السنة.

قال: ومناسبة أثر ابن عمر من جهة أنه كان يؤمّن إذا ختم الفاتحة، وذلك أعمّ من أن يكون إماماً أو مأموراً، انتهى.

* * *

٧٨٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ، وَأَبِي سَلْمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّهُمَا أَخْبَرَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِذَا أَمَنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «آمِنْ».

وبالسند قال:

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) التَّنِيَّسِيُّ، (قال: أَخْبَرَنَا) وفي رواية: (حدَثَنَا) (مالك) الْإِمَامُ الْأَصْبَحِيُّ (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) وفي رواية الترمذى من طريق أخرى: (أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ).

(عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما أخبراه) ظاهره أن لفظهما مُتَّحِد، لكن سبأته في رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة، مغایرة يسيرة للفظ الزهري، قاله الحافظ.

(عن أبي هريرة: أن رسول الله)، وفي رواية: (النبي) (ﷺ) قال: إذا أَمَنَ الْإِمَامُ، ووَقَعَ فِي بَعْضِ طرْقَهُ عِنْدَ أَحْمَدَ: (إِذَا أَمَنَ الْقَارِئُ) وهو ظاهر في أن الإمام يؤمن، واستدل به على مشروعية التأمين له، وبه قال جمهور العلماء، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعى والثورى واللبىث والأوزاعى والشافعى وأحمد وإسحاق، قيل: وفي الاستدلال به نظر، تكونها قضية شرطية.

وأجىب بأن التعبير بـ (إذا) يشعر بتحقيق الواقع، وخالف مالك

في إحدى الروايتين عنه فقال: لا يؤمّن الإمام في الجهرية، وفي رواية عنه: لا يؤمّن مطلقاً، وأجاب عن حديث ابن شهاب هذا بأنه لم يره في حديث غيره.

قال الحافظ: فإن ابن شهاب إمام لا يضره التفرد، على أنه يأتي قريباً أن ذلك جاء في حديث غيره.

قال: ومنهم - أي: المالكية - من أوّل قوله: (إذا أمن الإمام)، فقال: معناه دعا، قال: وتسمية الداعي مؤمّناً سائغة؛ لأن المؤمّن يُسمى داعياً، كما جاء في قوله تعالى: **﴿قَدْ أَبْيَتَ دَعْوَتَكُمَا﴾** [يونس: ٨٩] فقد روى ابن مردويه، من حديث أنس: أن موسى كان داعياً، وهارون كان مؤمّناً.

وتعقب بعدم الملازمة، فلا يلزم من تسمية المؤمّن داعياً عكسه، قاله ابن عبد البر، على أن الحديث لم يصح، ولو صح فإطلاق كون هارون داعياً إنما هو للتغليب.

وقال بعضهم: معنى قوله: (إذا أمن): بلغ موضع التأمين، وهو خاتمة الفاتحة، كأنجد إذا بلغ نجداً، وإن لم يدخلها.

قال ابن العربي: هذا بعيد لغة وشرعاً، ونظر فيه أيضاً غيره بأن (أمن) وزنه: فعل بالتشديد، وذلك وزنه: أفعل.

وقال ابن دقيق العيد أيضاً: وهذا مجاز، فإن وجد دليل يُرجحه عمل به، وإنما فالاصل عدمه.

قال الحافظ: استدلوا له برواية أبي صالح، عن أبي هريرة الآتية

بعد باب بلفظ : (إذا قال الإمام : ﴿عَنِ الْمَغْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصْنَالَيْنَ﴾ ، فقولوا : آمين) ، قالوا : فالجمع بين الروايتين يقتضي حمل قوله : (إذا أمن) على المجاز .

قال : وأجاب الجمهور على تسليم المجاز المذكور ، بأن المراد بقوله : (إذا أمن) ؛ أي : أراد التأمين ، ليتوافق تأمين الإمام والمأموم معاً ، ولا يلزم من ذلك أن لا يقولها الإمام ، وقد ورد التصريح بأن الإمام يقولها ، ويدل على خلاف تأویلهم ، رواية عمر عن ابن شهاب في هذا الحديث : (إذا قال الإمام : ﴿وَلَا أَصْنَالَيْنَ﴾ ، فقولوا : آمين ؛ فإن الملائكة تقول : آمين ، وإن الإمام يقول آمين) ، أخرجه أبو داود والنسائي ، وهو صريح في أن الإمام يؤمن .

وقيل : المراد بقوله : (إذا قال : ﴿وَلَا أَصْنَالَيْنَ﴾ ، فقولوا : آمين) ؛ أي : ولو لم يقل الإمام : آمين ، كما يأتي ، ثم ذكر أوجهها أخرى للجمع بين الحديدين .

ثم قال : وهذه الوجوه كلها محتملة ، وليست بدون الوجه الذي ذكروه ؛ أي : وهو أن معناه إذا بلغ موضع التأمين .

قال : وقد رده ابن شهاب بقوله : (وكان رسول الله ﷺ يقول : آمين) ، كأنه استشعر التأویل المذكور ، فيبين أن المراد بقوله : (إذا أمن) حقيقة التأمين ، وهو وإن كان مرسلاً ، فقد اعتمد بصنیع أبي هريرة راویه ، كما سیأتي بعد باب ، وإذا ترجح أن الإمام يؤمن فيجهز به في الجهرية ، كما ترجم به المصنف ، وهو قول الشافعی وأحمد وإسحاق ،

وَخَالِفُ الثُّوْرِيِّ وَالْكُوفِيُّونَ فَقَالُوا: يُسْرُّ بِهِ مُطْلَقاً، وَهُوَ رِوَايَةُ مَالِكٍ.
وَوَجْهُ الدِّلَالَةِ مِنَ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ التَّأْمِينُ مَسْمُواً لِلْمَأْمُومِ
لَمْ يَعْلَمْ بِهِ، وَقَدْ عَلِقَ تَأْمِينُهُ بِتَأْمِينِهِ، وَأَجَبُوا بِأَنَّ مَوْضِعَهُ مَعْلُومٌ، فَلَا
يَسْتَلِزِمُ الْجَهْرُ بِهِ.

قَالَ: وَفِيهِ نَظَرٌ، لَا حَتَّمَالَ أَنْ يَخْلُ بِهِ، فَلَا يَسْتَلِزِمُ عِلْمُ الْمَأْمُومِ
بِهِ، وَقَدْ رَوَى رُوحُ بْنِ عَبَادَةَ عَنْ مَالِكٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: (قَالَ ابْنُ
شَهَابٍ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: ﴿وَلَا أَضَالَّنَ﴾ جَهْرًا بِآمِينٍ)،
أَخْرَجَهُ السَّرَاجُ.

وَلَا بْنُ حَبَّانَ فِي رِوَايَةِ حَدِيثِ الْبَابِ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ: (كَانَ إِذَا
فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ أُمّ الْقُرْآنِ رَفَعَ صَوْتَهُ، وَقَالَ: آمِينٌ)، وَلَا بْنُ دَاؤِدَ مِنْ
طَرِيقٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ مُثْلِهِ، وَزَادَ: (حَتَّى يَسْمَعَ مِنْ يَلِيهِ مِنَ الْصَّفَّ
الْأَوَّلِ) وَلَهُ أَيْضًا، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَّانَ مِنْ حَدِيثِ وَائِلَّ بْنِ حَجْرٍ:
(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَرَا ﴿وَلَا أَضَالَّنَ﴾، قَالَ: آمِينٌ، وَرَفَعَ بِهَا
صَوْتَهُ). وَلَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِهِ: (أَنَّهُ صَلَّى خَلْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَهَرَ
بِآمِينٍ).

قَالَ الْحَافِظُ: وَفِيهِ ردٌّ عَلَى مَنْ أَوْمَأَ إِلَى النَّسْخِ فَقَالَ: إِنَّمَا
كَانَ ﷺ يَجْهَرُ بِالْتَّأْمِينِ فِي ابْتِدَاءِ الإِسْلَامِ لِيَعْلَمُهُمْ، فَإِنَّ وَائِلَّ بْنَ حَجْرٍ
إِنَّمَا أَسْلَمَ فِي أَوَاخِرِ الْأَمْرِ، اَنْتَهَى.
أَمَّا الْمُنْفَرِدُ فِي جَهَرِهِ عَنْ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، وَيُسْرُّ عَنْهُ
مَالِكَ وَأَبِي حَنِيفَةَ.

(فأمنوا) استدل به على تأخير تأمين المأمور عن تأمين الإمام، لأنه رتب عليه بالفاء، لكن تقدم في الجمع بين الروايتين: أن المراد المقارنة، وهو كقولهم: إذا رحل الأمير فارحلوا؛ أي: إذا تهيا للرحيل فتهيئوا ليكون رحيلكم معه، وبذلك قال الجمهور.

وقال الشيخ أبو محمد الجوني: لا تستحب مقارنة الإمام في شيء من الصلاة غيره.

وعلله ولده الإمام، بأن التأمين لقراءة الإمام، لا لتأمينه، فلذلك لا يتأخر عنه.

ثم إن هذا الأمر عند الجمهور للندب، وأوجبه الظاهرية على كل مُصلٌّ، وحكي عن بعض أهل العلم وجوبه على المأمور عملاً بظاهر الأمر.

وسن له التأمين ولو كان مشتغلاً بقراءة الفاتحة، ولا تنقطع به الموالة على الأصح؛ لأنه لمصلحة الصلاة، بخلاف الحمد للعاطس؛ فإنه لغير مصلحتها.

(فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة)، زاد يونس عن ابن شهاب عند مسلم قبل قوله: (فإنه من وافق): (فإن الملائكة تؤمنن فمن وافق...) إلخ، ومعناه: وافقهم في وقت التأمين، فأمنن مع تأمينهم. قال النّووي: هو الصواب، ويشهد له رواية أبي داود: (من وافق قول الملائكة في السماء).

وقيل: وافقهم في الصفة؛ كالخشوع والإخلاص، وقيل: في النية

والإخلاص، وقيل: في الاستجابة، كما يستجاب للملائكة، وقيل: في الدعاء لنفسه وللمؤمنين، كما تفعل الملائكة.

واختلف في هؤلاء الملائكة، فقيل: جميعهم، قال القلقشندى تبعاً للكرماني: هو الظاهر؛ إذ الجمع المحلى بالألف واللام، يفيد الاستغراق.

وقيل: الحفظة، وقيل: الذين يتعاقبون منهم، إذا قلنا: إنهم غير الحفظة.

قال الحافظ: والذي يظهر أن المراد بهم: من يشهد الصلاة من الملائكة ممن في الأرض أو في السماء.

قال: وسيأتي في حديث الأعرج بعد باب: (وقالت الملائكة في السماء).

وروى عبد الرزاق عن عكرمة: قال: [صفوف أهل الأرض على] صفوف أهل السماء، فإذا وافق أمين في الأرض أمين في السماء غفر للعبد)، انتهى.

قال: ومثله لا يقال بالرأي، فال المصير إليه أولى.

(غفر له ما تقدم من ذنبه) ظاهره غفران جميع الذنوب الماضية، وهو محمول عند العلماء على الصغار، وقد تقدم البحث في ذلك في الكلام على حديث عثمان رضي الله عنه فيمن توضأ كوضوئه عند الله.

وقيل: هو مخصوص بما عدا حقوق الأدميين، ووقع للغزالى في «وسطيه» و«وجيزه» زيادة: (وما تأخر).

قال الحافظ: إنها وقعت في «أمالی الجرجاني»، قال: وهي زيادة شاذة لم ترد في جميع الطرق عن أبي هريرة.

وذكر البرّماوي في «شرح العمدة»: أن المغفرة تحصل له وإن لم يسأل المغفرة؛ لأن الملائكة قد سألتها له، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَهُ عَمَّا يَرَوُنَ﴾ [الشورى: ٥]؛ أي: يسألون لهم المغفرة، انتهى.

وقال في «المصابيح»: قال القاضي تاج الدين السبكي في «الأشباه والنظائر»: هذا الحديث مما يدل على أن المفضول قد يكون له مزية ليست للفاضل، فإن هذا يشمل الصغار والكبار.

ثم قال: وهنا سؤال، وهو أنه قد ثبت أن: «الصلاحة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر»، فإذا كانت الفرائض لا تکفر الكبائر، فكيف تکفرها سُنة، وهي التأمين؟!

قال: وقد أخذ شخص مدةً بهول أمر هذا السؤال، ويقول: كبار الفرائض تصغر عن هذا التکفير، وكبار الجرائم تکفرها نافلة؟!

قال: والجواب أن المکفر ليس التأمين الذي هو فعل المؤمن، بل وفاق الملائكة، وليس ذلك إلى صنعه، بل فضل من الله، وعلامة على سعادة مَن وافق.

قلت: فأين المفضول الذي امتاز عن الفاضل؟ ليس هنا إلا الموافقة التي هي فضل من الله وعلامة على سعادة من وافق، وليس من صنع العبد وکسبه في هذا المحل، هذا عجيب!

قال : وفي كلام ابن المُئِّر ما يشير إلى أن المقتضى للمغفرة هو موافقة المأمور لوظيفة التأمين ، وإيقاعه في محله على ما ينبغي ، كما هو شأن الملائكة ، فذكر موافقتهم ؛ ليس لأنه سبب المغفرة بل للتنبيه على السبب ، وهو مماثلتهم في الإقبال والجِدُّ ، و فعل التأمين على أكمل وجه ، انتهى كلام «المصابيح» .

(قال) وفي رواية : (وقال) (ابن شهاب : وكان رسول الله ﷺ يقول أمين) قال الحافظ : هو متصل إليه برواية مالك عنه ، وأخطأ من زعم أنه معلم ، ثم هو من مراسيل ابن شهاب ، وقد قدمنا وجه اعتضاده ، وروي عنه موصولاً أخر جه الدارقطني في «الغرائب والعلل» .

قال : وفي الحديث حجة على الإمامية ، في قولهم : إن التأمين يبطل الصلاة ؛ لأنه لفظ ليس بقرآن ولا ذكر .

قال : ويمكن أن يكون مستندهم ما نقل عن جعفر الصادق ، أن معنى أمين ، أي : قاصدين إليك ، وبه تمسك من قال : إنه بالمد والتشديد ، وصرح المتولي من الشافعية بأن من قال هكذا بطلت صلاته ، انتهى .

أقول : والمذكور في كتب الفقه التفصيل ؛ وهو أنه إن أتى بها وأراد : قاصدين إليك وأنت أكرم من أن تُخِبِّطْ قاصداً ، لم تبطل صلاته ، أو مجرد قاصدين ، بطلت .

قال الشهاب ابن حجر في «التحفة» : وكذا إن لم يُرِد شيئاً ، كما هو ظاهر .

وفي الحديث: فضيلة الإمامة؛ لأن تأمين الإمام يوافق تأمين الملائكة، ولهذا شرعت للمأموم موافقته، وظاهر سياقه أن المأموم إنما يؤمّن إذا أمن الإمام لا إذا ترك، وقال به بعض الشافعية، ومقتضى^(١) إطلاق الرافعي الخلاف، لكن ادعى النّووي في «شرح المذهب» الاتفاق على خلافه.

ونص الشافعي عليه في «الأم» قال: ولو تركه الإمام عمداً أو سهواً.

واستدل به القرطبي على تعيين قراءة الفاتحة للإمام، وعلى أن المأموم ليس عليه أن يقرأ فيما جهر به إمامه.

قال الحافظ: أما الأول: فكأنه أخذه من أن التأمين يختص بالفاتحة، وظاهر السياق يقتضي أن قراءة الفاتحة كان أمراً معلوماً عندهم، وأما الثاني: فقد يدل على أن المأموم لا يقرأ الفاتحة حال قراءة الإمام، لا أنه لا يقرؤها أصلاً، انتهى.

* * *

(١) في «و» و«ن»: «وهو مقتضى».

١١٢ - باب

فضل التأمين

٧٨١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزَّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَإِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

وبالسند قال:

(حدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ التَّنِيُّسِيُّ، (قال: أَخْبَرَنَا مَالِكُ) الْإِمَامُ (عَنْ أَبِي الزَّنَادِ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ، (عَنِ الْأَعْرَجِ) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هُرْمُزَ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ، فَوَافَقَتْ أَحَدُهُمَا الْأُخْرَى؛ أَيْ: وَافَقَتْ كُلُّهُمَا تَأْمِينُ الْمَلَائِكَةِ.

قال الْكَرْمَانِيُّ: وَلَفْظُ (فِي السَّمَاءِ) مُشَعِّرٌ بِأَنَّهُ لَا تَخْتَصُ الْمَلَائِكَةَ بِالْحَفْظَةِ؛ أَيْ: كَمَا مَرَّ.

(غُفِرَ لَهُ): أَيْ: لِلْقَائِلِ مِنْكُمْ (مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)؛ أَيْ: ذَنْبُهُ الْمُتَقَدَّمُ كُلُّهُ، فَ(مِنْ) بِيَانِيَةٍ لَا تَبْعِيْضِيَّةٍ.

ويؤخذ من قوله : (إذا قال أحدكم) مشروعيه التأمين لكل من قرأ الفاتحة ، سواء كان داخل الصلاة وخارجها ، لكن في رواية مسلم من هذا الوجه : (إذا قال أحدكم في صلاته).

قال الحافظ : فيحمل المطلق على المقيد ، نعم عند أحمد في رواية همام عن أبي هريرة : (إذا أمن القارئ فأمنوا) فهذا يمكن حمله على الإطلاق ، فيستحب التأمين إذا أمن القارئ مطلقاً لكل من سمعه من مصلٍ وغيره .

قال : ويمكن أن يُقال : المراد بالقارئ الإمام إذا قرأ الفاتحة ، فإنَّ الحديث واحد اختلفت ألفاظه .

قال : واستدل به على بعض المعتزلة على أن الملائكة أفضل من الأدميين ؛ أي : لأن تأمينهم جعل سبباً لقبول تأميننا ، والشافع أفضل من المشفوع له ، وسيأتي البحث في ذلك في (باب الملائكة) من (بدىء الخلق) ، إن شاء الله تعالى ، انتهى .

* * *

جَهْرِ الْمَأْمُومِ بِالْتَّأْمِينِ

(باب جهر الإمام بالتأمين)، قال الحافظ: كذا للأكثر، وفي رواية الحموي والمستملي: (جهر الإمام بآمين)، والأول هو الصواب لئلا يتكرر، انتهى.

٧٨٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ سُمَيٍّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ 『غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ وَلَا الْفَسَالِنَ』 فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». تَابَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرُو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَنَعِيمُ الْمُجْمَرُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

وبالسند قال:

(حدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ) القَعْنَبِيُّ (عن مالك) الإمام (عن سُمَيٍّ) بالتصغير (مولى أبي بكر)؛ أي: ابن عبد الرحمن بن هشام، (عن أبي صالح)، زاد في رواية: (السمان)، واسمه ذُكْوان، (عن أبي هريرة ﷺ) أن رسول الله ﷺ قال: إذا قال الإمام: «غَيْرُ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا أَصْنَاعَهُمْ فقولوا: أَمِينٌ) وقد سبق قبل باب رَدَّ قولَ مَنْ استدلَّ به على أنَّ الْإِمَامَ لَا يُؤْمِنُ، وأنَّ المرادُ هنا: وأرادَ قولَ أَمِينٍ فقولُهَا موافقُينَ لَهُ، كما دلتُ عليهِ تلْكَ الرِّوَايَاتِ الْمُتَقْدِمَةِ.
(إِنَّمَا مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ)؛ أَيْ: بِالْتَّأْمِينِ، (غَفَرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

فَإِنْ قُلْتَ: الْحَدِيثُ لَا يَدْلِي عَلَى الْجَهْرِ، فَمَنْ أَينَ دَلَالَتِهِ عَلَى التَّرْجِمَةِ؟

أَجَابَ الرِّزِينُ بْنُ الْمُؤْيَرَ بِأَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْأَمْرَ بِقُولِ أَمِينٍ، وَالْقُولُ إِذَا وَقَعَ بِهِ الْخُطَابُ مُطْلَقاً حُمِلَ عَلَى الْجَهْرِ، وَمَتَى أُرِيدَ بِهِ الْإِسْرَارُ أَوْ حَدِيثُ النَّفْسِ قِيَدَ بِذَلِكَ.

وَابْنُ رَشِيدٍ بِأَنَّ الدَّلَالَةَ تَؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ: (إِذَا قَالَ الْإِمَامُ فَقُولُوا) فِقَابِلُ الْقُولِ بِالْقُولِ، وَالْإِمَامُ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ جَهْرًا، فَكَانَ الظَّاهِرُ الْإِتْفَاقُ فِي الصَّفَةِ، وَبِأَنَّهُ تَقْدَمَ أَنَّ الْمَأْمُونَ مَأْمُورٌ بِالْإِقْتَدَاءِ بِالْإِمَامِ، وَقَدْ تَقْرَرَ أَنَّ الْإِمَامَ يَجْهَرُ، فَلَزِمَ جَهْرَهُ بِجَهْرِهِ، اِنْتَهَى.

وَلَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْهَرَ الْمَأْمُونَ بِالْقِرَاءَةِ؛ لِكَوْنِ الْإِمَامِ جَهَرَ بِهَا، لِأَنَّ الْجَهْرَ بِهَا خَلْفَ الْإِمَامِ قَدْ نُهِيَّ عَنْهُ، فَبَقِيَ التَّأْمِينُ دَاخِلًا تَحْتَ عُمُومِ الْأَمْرِ بِالْإِتْبَاعِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا مَرَّ، عَنْ عَطَاءِ أَنَّ مَنْ خَلْفَ ابْنَ الْزَّبِيرِ كَانُوا يُؤْمِنُونَ جَهْرًا.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَطَاءِ أَيْضًا قَالَ: أَدْرَكْتُ مَتَّيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿وَلَا أَصْنَاعَهُمْ﴾، سَمِعْتُ لَهُمْ رَجَةً بِأَمِينٍ.

والجهر للمأمور ذهب إليه الشافعي في القديم وعليه الفتوى، قال الرافعي: وفي المسألة قولان؛ أصحهما أنه يجهر، وهو مذهب أحمد أيضاً، وقال مالك والковيون يُسرُّ بها.

(تابعه) أي: تابع سُمِّيَّاً (محمد بن عمرو)؛ أي: ابن علقمة الليثي، (عن أبي سلمة، عن أبي هريرة) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ومتابعته وصلها أحمد والدارمي عن يزيد بن هارون، وابن خزيمة من طريق إسماعيل بن جعفر، والبيهقي من طريق النضر بن شميل ثلاثة عن محمد بن عمرو نحو رواية سُمِّي عن أبي صالح، وقال في روايته: (فوافق ذلك قول أهل السماء) وتابع سُمِّيًّا أيضاً.

(نُعِيمُ الْمُجْمَرِ)، و(نَعِيمٌ) مصغر، و(الْمُجْمَرٌ) بلفظ اسم الفاعل، من الإجمار.

قال الْكَرْمَانِيُّ: والحاصل أن سُمِّيًّا وَمُحَمَّداً وَنُعِيمًا ثلاثة يروي عنهم مالك هذا الحديث، لكن الأولان روايا عن أبي هريرة بالواسطة، ونعيم روى عنه بدونها.

قال الحافظ: وأغرب في ذلك، قال: وقد ذكرنا من وصل طريق محمد.

قال: وأما طريق نُعِيمٍ، فرواه النسائي وابن خزيمة والسراج وابن حبان وغيرهم من طريق سعيد بن أبي هلال، عن نُعِيمِ الْمُجْمَرِ قال: صلية وراء أبي هريرة فقرأ: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**، ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ **﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** فقال: آمين، وقال الناس: آمين، ويقول

كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنين قال: الله أكبر، ويقول إذا سلم: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ، بوب عليه النسائي: (الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)، وهو أصح حديث ورد في ذلك.

قال: وقد تعقب استدلاله - أي: النسائي - باحتمال أن يكون أبو هريرة أراد بقوله: (أشبهكم)؛ أي: في معظم الصلاة لا في جميع أجزائها، وقد رواه جماعة غير نعيم عن أبي هريرة بدون ذكر البسمة، كما سيأتي قريباً.

قال: والجواب أن نعيمأ ثقة، فتقبل زيارته، والخبر ظاهر في جميع الأجزاء، فيحمل على عمومه حتى يثبت دليل يخصه.

قال: وقد عرف مما ذكرناه أن متابعة نعيم في أصل إثبات التأمين فقط، بخلاف متابعة محمد بن عمرو، والله أعلم، انتهى.

* * *

إِذَا رَكَعَ دُونَ الصَّفِّ

(بابُ بالتنوين : (إذا ركع)؛ أي : المصلي، (دون الصف).

قال الحافظ : كان اللائق إيراد هذه الترجمة في أبواب الإمامة، وتكلف العيني في رده.

ثم قال : ويمكن أن يقال : المناسبة بينه وبين الأبواب السابقة من حيث أن الركوع يكون بعد القراءة التي هي قراءة الفاتحة، إذ هي الأصل، المختوم بلفظ آمين، وليس بينها وبين الركوع شيء آخر، انتهى.

ثم قال الحافظ : وقد سبق هناك ترجمة : (المرأة وحدها تكون صفاً)، وذكرت هناك أن ابن بطال استدل بحديث أنس المذكور فيه، في صلاة أم سليم؛ لصحة صلاة المنفرد خلف الصف، إلحاقاً للرجل بالمرأة، وهو مسبوق في ذلك عن كبار من الأئمة.

قال : لكنه متعقب، ومن تعقبه ابن خزيمة فقال: لا يصح الاستدلال به؛ لأن صلاة الرجل خلف الصف وحده منهٌ عنها باتفاق من يقول تجزئه أو لا تجزئه، وصلاة المرأة وحدها إذا لم توجد امرأة غيرها مأمور بها باتفاق، فكيف يقاس منهٌ عنه على مأمور به؟.

والظاهر أن الذي استدل به نظر إلى مطلق الجواز حملًا للنهي على التنزية، وللأمر على الاستحباب.

قال في «المصابيح»: وقال ابن المنيّر: هذه الترجمة مما تورّع فيها البخاري تورّعاً لطيفاً دقيقاً، وذلك أنه أشكل عليه معنى: (زادك الله حرصاً، ولا تعد)، لأن أول الكلام يفهم تصويب الفعل، وآخره يفهم التخطئة، فترجم ترجمة مجملة، وكلّ الأمر فيها في معنى الحديث إلى اجتهاد الناظر.

والذي يظهر: أنه عليه الصلاة والسلام صوب من فعل أبي بكرة الجهة العامة، وهي الحرص على إدراك فضيلة الجماعة، فدعا له بالزيادة منه، وردد عليه الحرص الخاص حتى ركع منفرداً، فنهاه عنه، فينصرف حرصه بعد إجابة الدعوة فيه إلى المبادرة إلى المسجد أول الوقت، حيث يأمن الفوات، انتهى.

* * *

٧٨٣ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنِ الْأَعْلَمِ - وَهُوَ زِيَادٌ -، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَرَكِعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفَّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصاً وَلَا تَعُدْ».

وبالسند قال:

(حدثنا موسى بن إسماعيل) التبؤذكي (قال: حدثنا همام):

أي : ابن يحيى ، عن (الأعلم ، وهو زياد) ؛ أي : ابن حسان بن قُرَةَ الباهلي ، البصري ، نسيب عبدالله بن عون ، قال أحمد : ثقة ، وكذا وثقة الحفاظ ؛ كابن معين وأبي داود والنسائي ، وقال أبو حاتم : هو من قدماء أصحاب الحسن ، وقال الدارقطني : قليل الحديث .

وقيل له الأعلم ؛ لأنَّه كان مشقوق الشفة السفلَى ، لم يذكروا له وفاة .

وقال في «التقريب» : من الخامسة ، روى له البخاري وأبو داود والنسائي .

(عن الحسن) هو البصري ، (عن أبي بكرة) رضي الله عنه ، نُعْيَنُ بن الحارث ابن كلَّدة الثقفي ، وقد أعله بعضهم ؛ بأنَّ الحسن عنده .

وقيل : إنه لم يسمع من أبي بكرة ، وإنما يروي عن الأحنف عنه ، ورد هذا الإعلال برواية سعيد بن أبي عروبة عن الأعلم ، قال : حدثني الحسن ، أنَّ أباً بكرة حدثه ، أخرجه أبو داود والنسائي .

(أنَّه انتهى إلى النبي ﷺ) ، في رواية سعيد المذكورة : أنه دخل المسجد ، زاد الطبراني : (وقد أقيمت الصلاة ، فانطلق يسعي) ، وللطحاوي : (وقد حفظه النفس) ؛ أي : بالفاء والزاي .

(وهو) ؛ أي : النبي ﷺ (راكم ، فركع قبل أن يصل إلى الصف) ، وضرب الأصيلي في نسخته على لفظ (إلى) .

(فذكر) أبو بكرة (ذلك) ؛ أي : الذي فعله من رکوعه دون الصف ،

(للنبي ﷺ) وفي الطبراني : (فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَيُّكُمْ دَخَلَ الصَّفَ، وَهُوَ رَاكِعٌ) .

(فَقَالَ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا) ؛ أَيْ : عَلَى الْخَيْرِ ، (وَلَا تَعْدُ) ؛ أَيْ : إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنَ السعي الشَّدِيدِ ، ثُمَّ مِن الرُّكُوعِ دُونَ الصَّفَ ، ثُمَّ مِنَ الْمُشْيِ إِلَى الصَّفَ ، فَصُوَّبَ النَّبِيُّ ﷺ فِعْلَهُ مِنَ الْجَهَةِ الْعَامَةِ ، وَهِيَ الْحُرْصَ عَلَى إِدْرَاكِ فَضْلِيَّةِ الْجَمَاعَةِ ، وَخَطْأَهُ مِنَ الْجَهَةِ الْخَاصَّةِ ، كَمَا مَرَّ عَنْ أَبْنَى الْمُؤْنَىِّ .

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ قَالَ : (أَيُّكُمْ صَاحِبُ هَذَا النَّفْسِ ؟) قَالَ : خَشِيتُ أَنْ تَفُوتَنِي الرُّكُوعُ مَعَكُمْ ، وَعِنْدَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ : (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا أَدْرَكَتُ وَاقْضَى مَا سَبَقَكُمْ) . وَعِنْدَ أَبْيِ دَاؤِدَّ : (أَيُّكُمْ الرَاكِعُ دُونَ الصَّفَ) .

قَالَ الْحَافِظُ : وَتَمَسَّكَ الْمَهْلِبُ بِرَوَايَةِ (أَيُّكُمْ دَخَلَ الصَّفَ وَهُوَ رَاكِعٌ) ، بِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ لَهُ لَا تَعْدُ ، لِأَنَّهُ مُثَلٌ بِنَفْسِهِ فِي مُشْيِ رَاكِعًا ، لِأَنَّهَا كُمْشِيَّةُ الْبَهَائِمِ .

قَالَ الْحَافِظُ : وَلَمْ يَنْحُصُ النَّهْيُ فِي ذَلِكَ كَمَا حَرَرَتْهُ ؛ أَيْ : مِنْ أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ لِمَجْمُوعِ الْثَّلَاثَةِ الْأَمْوَارِ الْسَّابِقَةِ .

قَالَ : وَلَوْ كَانَ مَنْحُصُرًا ؟ لَا قَضَى ذَلِكَ عَدَمُ الْكُرَاهَةِ فِي إِحْرَامِ الْمُنْفَرِدِ خَلْفَ الصَّفَ ، وَقَدْ تَقْدَمَ فَعْلُ الْاِتْفَاقِ عَلَى كُرَاهِيَّتِهِ ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى تَحْرِيمِهِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَبَعْضُ مُحَدِّثِي الشَّافِعِيَّةِ ، كَابِنُ خَزِيمَةَ ، وَاسْتَدَلُوا بِحَدِيثِ وَابْصَةَ بْنِ مَعْبُدٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَصْلِي خَلْفَ الصَّفَ

وحده، فأمره أن يعيد الصلاة، أخرجه أصحاب السنن، وصححه أحمد وغيره.

وعند ابن خزيمة من حديث علي بن شيبان نحوه، وزاد: (لا صلاة لمنفرد خلف الصف)، لكن استدل الشافعي وغيره بحديث أبي بكرة على أن الأمر في حديث وابصة للاستحباب؛ لكون أبي بكرة أتى بجزء من الصلاة خلف الصف، ولم يؤمر بالإعادة، لكن نهي عن العود إلى ذلك، فكانه أرشد إلى ما هو الأفضل.

وعن إبراهيم النخعي: صلاته تامة، وليس له تضعيف.

وجرى البخاري في «جزء القراءة خلف الإمام» أخذًا من قوله: (لا تَعْدُ) على أن ذلك الفعل كان ثم نهي عنه، بقوله: (لا تَعْدُ)، قال: فلا يجوز العود إلى ما نهى عنه النبي ﷺ.

وأجاب بعضهم عن قول من قال: لِمَ لا دعا له بعدم العود إلى ذلك، كما دعا له بزيادة الحرص، بأنه جوز أن تأخيره كان^(١) في أمر أفضل من إدراك أول الصلاة.

قال الحافظ: وهو مبني على أن النهي إنما وقع عن التأخير، وليس كذلك؛ أي: بل كان عن مجموع الثلاثة كما مرّ.

قال: وضبطناه (ولا تَعْدُ) في جميع الروايات - بفتح أوله وضم العين - من العود، وحکى بعض شراح «المصابيح» أنه رُوي، بضم

(١) في «و» و«ن»: «ولما كان» بدل «كان».

أوله وكسر العين، من الإعادة.

قال: ويرجح الرواية المشهورة ما تقدم من الزيادة في آخره عند الطبراني: (صلٌّ ما أدركت واقضٌ ما سبقك)، وروى الطحاوي بإسنادٍ حسن عن أبي هريرة مرفوعاً: «إذا أتى أحدكم الصلاة فلا يركع دون الصف حتى يأخذ مكانه من الصف».

قال: واستدل بهذا الحديث على استحباب موافقة الداخل للإمام على أي حالٍ عليها، وقد ورد الأمر بذلك صريحاً في سنن سعيد بن منصور، عن أنسٍ من أهل المدينة أن النبي ﷺ قال: «من وجدني قائماً أو راكعاً أو ساجداً فليكن معي على الحال التي أنا عليها»، وفي الترمذى نحوه، عن عليٍّ ومعاذ بن جبل مرفوعاً، وفي إسناده ضعف، لكنه ينجرى بطريق سعيد بن منصور المذكورة، انتهى.

* * *

١١٥ - بَابٌ

إِتْمَامِ التَّكْبِيرِ فِي الرُّكُوعِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيهِ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثُ.

(باب إتمام التكبير في الركوع) قال الحافظ: أي: يمده بحيث ينتهي بتمامه، زاد الكرماني: أو المراد إتمام الصلاة بالتكبير في الركوع، أو إتمام عدد تكبيرات الصلاة بالتكبير في الركوع، انتهى.

قال الحافظ: قلت: ولعله أراد بلفظ الإتمام الإشارة إلى تضييف ما رواه أبو داود من حديث عبد الرحمن بن أبي زيد قال: صليت خلف النبي ﷺ فلم يتم التكبير.

وقد نقل البخاري في «التاريخ» عن أبي داود الطيالسي أنه قال: هذا عندنا باطل.

وقال البزار: تفرد به الحسن بن عمران، وهو مجهول.
وأجيب - على تقدير صحته -: بأنه فعل ذلك لبيان الجواز،
والمراد لم يتم الجهر به أولم يمده، انتهى.

(قاله) - أي: الإتمام - (ابن عباس، عن النبي ﷺ)، وفي رواية:
(قال ابن عباس) بدون ضمير، وفي أخرى: (وقال)، ومراده أنه قال

ذلك بالمعنى؛ لأنَّه أشار بذلك إلى حديثه الموصول الآتي في الباب الذي بعده، فإنَّ قوله فيه لعكرمة: (تلك صلاة النبي ﷺ) مستلزم لكونه نقل عن النبي ﷺ إتمام التكبير؛ لأنَّ الرباعية لا يقع فيها لذاتها أكثر من ثنتين وعشرين تكبيرة، ومن لازم ذلك التكبير في الركوع، قاله الحافظ.

وهذا يُبعد الاحتمال الأول؛ أي: من كون المراد بإتمامه مَدِّه إلى انتهاء الركوع.

(فيه مالك بن الحويرث)، أي: يدخل في هذا الباب حديثه، وقد أورده المؤلف في (باب المكث بين السجدين)، وفيه: (فقام ثم ركع فكبَر).

* * *

٧٨٤ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: صَلَّى مَعَ عَلَيِّ ظَهِيرَةَ بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ: ذَكَرْنَا هَذَا الرَّجُلُ صَلَاةً كُنَّا نُصَلِّيهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ: أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَفَعَ وَكُلَّمَا وَضَعَ.

وبالسند قال:

(حدثنا إسحاق) بن شاهين الواسطي، (قال: أخبرنا)، وفي رواية: (حدثنا) (خالد) هو ابن عبد الله الطحان، (عن الجريري) بجيم مصغراً، ابن إياس، (عن أبي العلاء) هو يزيد بن عبد الله بن الشّخير،

العامري، البصري، أخو مطرف الراوي هو عنه، وأخو هاني، تابعي ثقة، قال في «التقريب»: وهم من زعم أن له رؤية.

وعنه أنه قال: أنا أكبر من الحسن بعشر سنين، ومطرف أكبر مني بعشر سنين.

وعن ثابت البُناني: جاء أبو العلاء إلى الحسن فقال له رجل: تكلم يا أبي العلاء! فقال: لا لست هناك، قال ثابت: فأعجبني ازدراوه نفسه.

وكان يقرأ في المصحف حتى يغشى عليه، وكان يصفر لحيته، وكان من كبار العلماء بالبصرة، مات سنة إحدى عشرة ومئة، وقيل: سنة ثمان ومئة.

وروى له الجماعة.

(عن مُطَرَّف)، بضم أوله وفتح المهملة وكسر الراء المشدة، هو ابن عبدالله بن الشّحْير - بكسر الشين المعجمة وتشديد الخاء المعجمة المكسورة بعدها تحتانية ساكنة ثم راء - العامري، الحرّاشي - بمهملتين مفتوحتين ثم معجمة - أبو عبدالله البصري، أخو أبي العلاء الذي روى عنه، التابعي الجليل، كان من عباد أهل البصرة وزهادهم، وكان له فضل وورع وعقل وأدب، وأجمعوا على توثيقه.

وقال أبو التّيّاح: كان مطرف يبدو، فإذا كان ليلة الجمعة أدلج على فرسه، فربما نور له سوطه، فأدلج ليلة حتى إذا كان عند القبور هؤم - أي: هزَ رأسه من النعاس على فرسه -، قال: فرأيت أهل القبور صاحب كل قبر جالس على قبره، فلما رأوني قالوا: هذا مطرف يأتي

الجمعة، قلت: أتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، نعلم ما يقول الطير فيه: سلامٌ سلامٌ من يوم صالح.

وعن قتادة قال: كان مطرف وصاحب له سريراً في ليلة مظلمة، فإذا طرف سوطه أحدهما عنده ضوء، فقال صاحبه: أما إنا لو حدثنا الناس بها لكذبوا، قال مطرف: المكذب أكذب.

وعن ثابت البُنَانِي وآخر، أنهما دخلا على مطرف، وهو مغمى عليه، فسطعت منه ثلاثة أنوار، نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه، فهالنا ذلك، فأفاق، فقلنا له: كيف أنت قال: صالح، فذكرنا له ما رأينا، فقال: ورأيتم ذلك؟ قلنا: نعم، قال: تلك تنزيل السجدة سطع أولها من رأسه، ووسطها من وسطي، وآخرها من قدمي، وقد صعدت^(١) تشفع لي.

وعن غيلان: أن مطراً كان يلبس المطارف والبرانس، ويركب الخيل، ويغشى السلطان، ولكنه إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قرة عين، وحدثت امرأته أنه تزوجها على ثلاثين ألفاً، وبغلة وقطيفة ومامشطة. وعن غيلان: أنه تزوج امرأة على عشرين ألفاً.

ولم ينجُ بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلا رجلان؛ مطرف وابن سيرين، كما أنه لم ينجُ بالكوفة منها إلا رجلان؛ خيثمة بن عبد الرحمن وابن النَّخْعَي.

(١) في «و» و«ن»: «صورت».

وكان بينه وبين رجل كلام، فكذب عليه، فقال مطرف : اللهم إن كان كاذباً فأمته، فخر مكانه، فرفع ذلك إلى زياد فقال له : قتلت الرجل ، قال : لا ، ولكنها دعوة صادفت أجلاً.

وكان يقول : عقول الناس على قدر زمانهم .

وعن قتادة أنه قال : فضل العلم أحب إلى من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع .

ومن محاسن كلامه : لأن أبیت نائماً فأصبح نادماً، أحب إلى من أبیت قائماً وأصبح معجباً .

ومحاسنه ومناقشاته كثيرة ، ذكر ابن سعد منها في «الطبقات» جملة ، وكذا أبو نعيم في «الحلية» .

مات في آخر ولاية الحجاج سنة خمس وتسعين ، وقيل : في أول ولاية الحجاج ، وقيل : مات بعد طاعون الجارف سنة سبع وثمانين ، والله أعلم .

قال ابن حبان : ولد في حياة رسول الله ﷺ .

روى له الجماعة .

(عن عمران بن حصين) ﷺ ، أنه (قال : صلى) - أي : عمران - (مع علي) ﷺ بالبصرة ، يعني : بعد وقعة الجمل ، (فقال) - أي : عمران - : (ذكرنا) ، بتشديد الكاف وفتح الراء ، (هذا الرجل) ؛ أي : علي ، (صلاة كنا نصليها مع رسول الله) ، وفي رواية : (النبي ﷺ) ، فيه إشارة إلى أن التكبير الذي ذكره كان قد ترك .

وروى أحمد بإسناد صحيح، عن أبي موسى الأشعري مثل حديث عمران، وزاد فيه: (إما نسيناها، وإما تركناها عمدًا).

وأختلف في أول من ترك التكبير، فقيل: عثمان بن عفان، رواه أحمد من وجه آخر عن مطرف، قال: (سألنا عمران، فقال: عثمان حين كبر، وضعف صوته)، وقيل: معاوية، رواه الطبرى، عن أبي هريرة، وقيل: زياد، ولا ينافي الذي قبله لأن زيادًا تركه بترك معاوية، ومعاوية تركه بترك عثمان، وحمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء.

وحكى الطحاوى: أن قوماً كانوا يتذمرون التكبير في الخفاض دون الرفع، قال: وكذلك كانت تفعل بنو أمية.

ورواه ابن المنذر عن ابن عمر، وعن بعض السلف (أنه كان لا يكبر سوى تكبيرة الإحرام).

وفرق بعضهم بين المنفرد وغيره، ووجهه بأن التكبير شرع للإذن بحركة الإمام، فلا يحتاج إليه المنفرد، لكن استقرارَ الأمر على مشروعية التكبير في الخفاض والرفع لكل مُصل، والجمهور على ندبه ما عدا تكبيرة الإحرام.

وعن أحمد وبعض أهل الظاهر: يجب كله.

(فذكر)؛ أي: عمران (أنه)؛ أي: النبي ﷺ (كان يكبر كلما رفع، وكلما وضع) وهذا عام في جميع الانتقالات في الصلاة، لكن خُصَّ منه الرفع من الركوع بالإجماع، فإنه شرع فيه التحميد.

قال ابن المُنِير : الحكمة في مشروعية التكبير في الخفض والرفع أن المكلف أُمِرَ بالنية أول الصلاة مقرونة بالتكبير ، وكان من حقه أن يستصحبها إلى آخر الصلاة ، فأمر أن يجدد العهد في أثنائها بالتكبير ، الذي هو شعار النية .

واعلم أنه قد جاء بهذا اللفظ العام أيضاً ، أي : بلفظ (كان يكبير كلما رفع وكلما وضع) ، عن جمع من الصحابة في «الصحيحين» وغيرهما ، وسيأتي مفسراً من حديث أبي هريرة الآتي قريباً في (باب التكبير إذا قام من السجود) .

* * *

٧٨٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي بِهِمْ، فَيَكْبِرُ كُلَّمَا خَفَضَ وَرَفَعَ، فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ: إِنِّي لِأَشْبَهُكُمْ صَلَةً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وبالسند قال :

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) التَّشِيِّي، (قال: أخبرنا مالك) الإمام ، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) محمد بن مسلم الزهري ، (عن أبي سلمة) ابن عبد الرحمن ، (عن أبي هريرة) رضي الله عنه .

(أنه كان يصلي بهم) ، وفي رواية: (لهم) باللام بدل الموحدة ،

(فيكبر كلما خفض و) كلما (رفع فإذا انصرف)؛ أي: سَلَمَ من الصلاة، (قال: إني لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ)؛ لكونه كان يكبر للانتقالات.

* * *

١١٦ - بَاب

إِتْمَامِ التَّكْبِيرِ فِي السُّجُودِ

(باب إتمام التكبير في السجود).

فيه ما تقدم في الباب الذي قبله من الاحتمالات السابقة.

٧٨٦ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادٌ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ طَهِّيْه أَنَا وَعَمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، فَكَانَ إِذَا سَجَدَ كَبَرَ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ كَبَرَ، وَإِذَا نَهَضَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ كَبَرَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَخَذَ يَدِي عَمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتِي هَذَا صَلَاةً مُحَمَّدٌ بِهِ اللَّهُ، أَوْ قَالَ: لَقَدْ صَلَّى بِنَا صَلَاةً مُحَمَّدٌ بِهِ اللَّهُ.

وبالسند قال :

(حدثنا أبو النعيمان) محمد بن الفضل، (قال: حدثنا حماد)، هو ابن زيد، (عن غيلان بن جرير) بفتح الغين المعجمة والجيم، (عن مطرف بن عبدالله) بن الشّحّير، المار في السند أول الباب السابق.

(قال: صلّيت خلف علي بن أبي طالب، أنا وعمران بن

حسين)، تقدم أن ذلك كان بالبصرة، وكذا رواه سعيد بن منصور من طريق حميد بن هلال عن عمران، ووقع لأحمد من طريق أخرى عن غilan أن ذلك كان بالكوفة، وكذا لعبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة وغير واحد عن مطرف.

قال الحافظ: فيحتمل أنه وقع ذلك منه بالبلدين، واستدل به على أن موقف الاثنين يكون خلف الإمام، خلافاً لمن قال: يجعل أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله.

ونظر فيه الحافظ بأنه ليس فيه: أنه لم يكن معهما غيرهما. (فكان)؛ أي: علي (إذا سجد كبر وإذا رفع رأسه)؛ أي: من السجود كبر.

(وإذا نهض من الركعتين كبر) خصّ هنا هذه الموضع الثلاثة بالتكبير فيها وعَمَّ في رواية أبي العلاء السابقة؛ للإشعار بأن هذه الموضعين هي التي كان ترك التكبير فيها.

حتى تذكرها عمران بصلوة علي، قاله الحافظ.

(فلما قضى)؛ أي: علي (الصلوة)؛ أي: أداهما، (أخذ بيدي عمران بن حسين، فقال: قد)، وفي رواية: (لقد) (ذكري هذا)؛ أي: علي (صلوة محمد ﷺ)، وأورده في «المصابيح» بقوله: (صلوة)، ثم قال: ويروى: (صلوة) بالنصب.

(أو قال: لقد صلّى بنا صلوة محمد ﷺ) قال الحافظ: هو شك من أحد رواته، ويحتمل أن يكون من حماد، لكون سعيد بن أبي عروبة رواه بلفظ: (صلى بنا هذا مثل صلوة رسول الله ﷺ)، أخرجه أحمد ولم يشك، وفي رواية قتادة، عن مطرف، قال عمران:

(ما صلิต منذ حين، أو منذ كذا وكذا أشبه بصلوة رسول الله ﷺ من هذه الصلاة).

قال ابن بطال : ترك النكير على من ترك التكبير يدل على أن السلف لم يتلقوه على أنه ركن من الصلاة .

وأشار الطحاوي إلى أن الإجماع استقرَ على أن من تركه فصلاته تامة .

ونظر فيه الحافظ بما تقدم عن أحمد من وجوبه كله، قال: والخلاف في بطلان الصلاة بتركه ثابت في مذهب مالك، إلا أن يريد إجماعاً سابقاً، انتهى .

* * *

٧٨٧ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمَقَامِ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ، وَإِذَا قَامَ، وَإِذَا وَضَعَ، فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ـ قَالَ: أَوَلَيْسَ تِلْكَ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ لَا أَمَّ لَكَ.

وبالسند قال :

(حدثنا عمرو بن عون) بفتح العين فيهما، وآخر الثاني نون، (قال : حدثنا هشيم) بالتصغير؛ أي : ابن بشير - بالتكبير - (عن أبي بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة، جعفر بن أبي وخشية، وصرح

سعيد بن منصور، عن هشيم، بأن أبا بشر حدثه .
(عن عكرمة)، مولى ابن عباس، (قال: رأيت رجلاً عند المقام)؛
أي: مقام إبراهيم، والرجل أبو هريرة كما يأتي، وللإسماعيلي: (صلิต
خلف شيخ بالأبطن).

قال الحافظ: والأولى أصح، إلا أن يكون المراد به البطحاء التي
تُفرش في المسجد، وستأتي قريباً رواية: (صليت خلف شيخ بمكة)،
ووُقُوع للسراج من طريق أخرى عن عكرمة: (رأيت رجلاً يصلِّي في
مسجد النبي ﷺ).

قال: فإن لم يحمل على التَّجُوز وإلا فهُي شاذة، انتهى .
(يَكْبُرُّ) بلفظ المضارع، وفي رواية: (فَكَبَرَ) بالفاء، وبالماضي
(في كل خفضٍ ورفع)، وذلك في صلاة الظهر، كما يأتي .
(وإذا قام وإذا وضع، فأخبرت ابن عباس) ﷺ (قال) وفي
رواية: (فقال): (أوليس تلك صلاة النبي ﷺ!) هو استفهام إنكار،
لإنكار المذكور، ومعناه تلك صلاة رسول الله ﷺ، لأن نفي النفي
إثبات، (لا أَمَّ لِكَ) هي كلمة تقال عند الزجر، ذَمَّةٌ حيث جهل هذه
السُّنْنَة .

* * *

الْتَّكْبِيرِ إِذَا قَامَ مِنَ السُّجُودِ

(باب التكبير)؛ أي: مشروعته، (إذا قام من السجود).

٧٨٨ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ شَيْخٍ بِمَكَّةَ فَكَبَرَ ثُنْتَيْنِ وَعَشْرِينَ تَكْبِيرَةً، فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ أَحْمَقُ، فَقَالَ: ثَكِلْتَكَ أُمْكَ، سُنَّةُ أَبِي الْفَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ مُوسَى: حَدَّثَنَا أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ.

وبالسند قال:

(حدثنا موسى بن إسماعيل) التَّبُوذَكِي (قال: حدثنا)، وفي رواية: (أَخْبَرَنَا) (هَمَّام) هو ابن يحيى، (عن قتادة، عن عكرمة قال: صليت خلف شيخ بمكة) زاد الإمامي: (الظهر)، وبذلك يصح عدد التكبير الذي ذكره.

(فَكَبَرَ) فيها (ثنتين)، وفي رواية: (اثنتين) (وعشرين تكبيرة) لأن في كل ركعة خمس تكبيرات، فيقع في الرباعية عشرون تكبيرة مع

تكبيرة الافتتاح، وتكبيرة القيام من التشهد الأول، ولأحمد من طريق أخرى عن عكرمة قال: (صلى بنا أبو هريرة قال: عكرمة) (فقلت لابن عباس أنه)؛ أي: الشيخ (أحمق)؛ أي: قليل العقل، (فقال: ثُكِلْتُك)، بالمثلثة المفتوحة والكاف المكسورة، (أملك)، دعا عليه في الحديث الأول أن يفقد أمّه، وفي هذا أن تفقده أمّه، والعرب تطلق مثل ذلك ولا يريدون حقيقته، واستحق عكرمة ذلك عند ابن عباس؛ لكونه نسب ذلك الرجل الجليل إلى الحمق، الذي هو غاية الجهل، وهو بريء من ذلك.

(سُنَّةُ أَبِي القَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ بالرفع خبر مبتدأ ممحذف، تقديره: تلك سُنَّةً، وقد ثبت ذلك في روايةٍ عند الإسماعيلي.

قال القسْطَلَانِيُّ: ويجوز نصيحته بتقدير فعل، وجعله الدَّمَامِيُّ
رواية.

(وقال)، وفي رواية: (قال) (موسى) هو ابن إسماعيل، راوي الحديث أولاً عن همام، (حدثنا أباؤن) هو ابن يزيد العطار، قال: (حدثنا قتادة) قال: (حدثنا عكرمة) قال في «الفتح»: وهو متصل عنده عن همام وأباؤن كلامهما عن قتادة، وإنما أفرد هماماً لكونه على شرطه في الأصول، بخلاف أباؤن فإنه على شرطه في المتابعات، وأفادت رواية أباؤن تصريح قتادة بالتحديث عن عكرمة، انتهى.

* * *

٧٨٩ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْلَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمِنْ حَمْدَهُ حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَلَكَ الْحَمْدُ - ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ كُلَّهَا حَتَّى يَقْضِيهَا، وَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الشَّتَّىْنِ بَعْدَ الْجُلوْسِ.

وبالسند قال:

(حدثنا يحيى بن بُكَيْر) هو يحيى بن عبد الله بن بكيه، نسب إلى جده. (قال: حد ثنا الْلَّيْث) هو ابن سَعْدِ الإمام، (عن عُقَيْل) بالتصغير، ابن خَالِدِ الأَيْلِيِّ، (عَنْ ابْنِ شِهَابٍ) الزهري، قال: (أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ) بن هشام المخزومي، أحد الفقهاء السبعة، كذا قاله عقيل، وتابعه ابن جريج، عن شهاب، عند مسلم، ورواه مالك، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، كما تقدم قبل بباب، مختصراً، وتابعه يونس عند مسلم والنسائي مطولاً، وكذا معمر عند السراج.

قال الحافظ: وليس هذا الاختلاف قادحاً، بل الحديث عند ابن

شهاب عنهم معاً، كما سيأتي في (باب يهوي بالتكبير) من رواية شعيب عنه عنهم جميعاً، عن أبي هريرة، وستأتي ترجمة أبي بكر هناك.

(أنه سمع أبا هريرة) رضي الله عنه (يقول: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إذا قام إلى الصلاة يكبر)؛ أي: تكبيرة الإحرام، (حين يقوم ثم يكبر حين يركع)، قال النّووي : فيه دليل على مقارنة التكبير للحركة، وبسطه عليها، فيبدأ بالتكبير حين يشرع في الانتقال إلى الركوع ونحوه - أي: من السجود والقيام - حتى يصل إلى حد الراكعين، انتهى.

قال الحافظ: دلالة هذا اللفظ على البسط الذي ذكره غير ظاهرة.

(ثم يقول: سمع الله لمن حمده، حين يرفع صلبه من الركعة) وفي رواية: (من الركوع).

(ثم يقول وهو قائم: ربنا ولك الحمد)، فيه أن التسميع ذكر النهوض، والتحميد ذكر الاعتدال.

وفي: دليل على أن الإمام يجمع بينهما خلافاً لمالك؛ لأن صلاته صلوات الله عليه وآله وسلامه الموصوفة محمولة على حال الإمامة، لكون ذلك هو الأكثر الأغلب من أحواله، وسيأتي البحث فيه بعد خمسة أبواب، قاله الحافظ.

(قال عبدالله بن صالح، عن الليث: ولك الحمد) وفي رواية: (قال عبدالله: ولك الحمد)، وفي أخرى: (قال عبدالله بن صالح:

ولك الحمد؛ يعني: ابن صالح)، زاد في روايته عن الليث: الواو في قوله: (ولك الحمد)، وأما باقي الحديث فاتفاق فيه هو ويحيى بن بكيـر.

قال الحافظ: وإنما لم يسقه عنهما معاً، وهما شيخاه؛ لأن يحيى من شرطه في الأصول، وابن صالح إنما يورده في المتابعات، ورواـه جماعة في «الصحيـحـين» وغيرـهما عن ابن شهـاب، بإثباتـ الواـو.

قالـ العـلـمـاءـ: رـواـيـةـ ثـبـوتـ الواـوـ أـرـجـحـ، وـهـيـ زـائـدـةـ، وـقـيـلـ: عـاطـفـةـ عـلـىـ مـحـذـوفـ، وـقـيـلـ: هـيـ وـاـوـ الـحـالـ، قـالـهـ اـبـنـ الـأـثـيـرـ وـضـعـفـ مـاـ عـدـاهـ، اـنـتـهـىـ.

وعـبـدـالـلـهـ بـنـ صـالـحـ هـذـاـ، هـوـ الـجـهـنـيـ، أـبـوـ صـالـحـ، كـاتـبـ الـلـيـثـ، تـقـدـمـ ذـكـرـهـ فـيـ آـخـرـ حـدـيـثـ عـائـشـةـ فـيـ شـأـنـ بـدـءـ الـوـحـيـ، أـوـلـ «الـصـحـيـحـ».

قـالـ فـيـ «الـمـقـدـمـةـ»: لـقـيـهـ الـبـخـارـيـ وـأـكـثـرـ عـنـهـ، وـلـيـسـ هـوـ مـنـ شـرـطـهـ فـيـ الصـحـيـحـ، وـإـنـ كـانـ حـدـيـثـهـ عـنـهـ صـالـحـاـ، فـإـنـهـ لـمـ يـوـرـدـ لـهـ فـيـ كـتـابـهـ إـلـاـ حـدـيـثـاـ وـاحـدـاـ، وـعـلـقـ عـنـهـ غـيـرـ ذـلـكـ، عـلـىـ مـاـ ذـكـرـ الـحـافـظـ الـمـزـيـ وـغـيـرـهـ، وـكـلـامـهـمـ فـيـ ذـلـكـ مـتـعـقـبـ بـمـاـ سـيـأـتـيـ.

وـعـلـقـ عـنـ الـلـيـثـ بـنـ سـعـدـ شـيـئـاـ كـثـيرـاـ، ثـمـ ذـكـرـ اـخـتـلـافـ النـاسـ فـيـ تـوـثـيقـهـ وـتـضـعـيفـهـ، ثـمـ قـالـ: وـظـاهـرـ كـلـامـ هـؤـلـاءـ الـأـئـمـةـ أـنـ حـدـيـثـهـ فـيـ الـأـوـلـ كـانـ مـسـتـقـيـمـاـ ثـمـ طـرـأـ عـلـيـهـ تـخـلـيـطـ، فـمـقـتـضـىـ ذـلـكـ أـنـ مـاـ يـجـيـءـ مـنـ رـواـيـةـهـ عـنـ أـهـلـ الـحـدـقـ كـيـحـيـيـ بـنـ مـعـيـنـ وـالـبـخـارـيـ وـأـبـيـ زـرـعـةـ، فـهـوـ مـنـ

صحيح حديثه، وما يجيء من رواية الشيوخ عنه، فيتوقف فيه.

قال: والأحاديث التي رواها البخاري عنه في «الصحيح» بصيغة: (حدثنا)، أو (قال لي)، أو (قال) المجردة قليلة، أحدها... ثم أوردها، وهي نحو عشرة مواضع.

ثم قال: وأما التعليق عن الليث من رواية عبدالله بن صالح عنه فكثير جداً، وقد عاب ذلك الإسماعيلي على البخاري وتعجب منه، كيف يحتج بأحاديثه حيث يعلقها، فقال: هذا عجيب يحتج به إذا كان منقطعاً ولا يحتج به إذا كان متصلة!

قال: وجواب ذلك أن البخاري إنما صنع ذلك لما قررناه أن الذي يورده من أحاديثه صحيح عنده، قد انتقام من حديثه، لكنه ليس على شرطه، الذي هو أعلى شروط الصحة، فلهذا لا يسوقه مساق أصل الكتاب، وهذا اصطلاح له قد عرف بالاستقراء من صنيعه، فلا مشاحة فيه، انتهى.

ولد سنة سبع وثلاثين ومئة، ومات سنة اثنتين وعشرين ومئتين، وقيل: سنة ثلث وعشرين، في المحرم.

قال الحافظ: استشهد به البخاري في «الصحيح»، وقيل: إنه روى عنه فيه، وروى له أبو داود والترمذى وابن ماجه بواسطة الحسن ابن علي الخلآل.

(ثم يكبّر حين يهوي) بفتح أوله وكسر ثالثه؛ أي: يسقط ساجداً،

(ثم يكبر حين يرفع رأسه) من السجدة، (ثم يكبر حين يسجد) السجدة الثانية، (ثم يكبر حين يرفع رأسه) منها، (ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضي، ويكبر حين يقوم من الشتتين)؛ أي : الركعتين الأوليين .

(بعد الجلوس)؛ أي : للتشهد الأول، وتقديم أن هذا الحديث مفسّر للأحاديث التي فيها : (كان يُكبر في كل خفضٍ ورفعٍ)، ويأتي بقية كلام عليه من طريق آخر في (باب ما يقول الإمام ومن خلفه) .

* * *

وضع الأَكْفَّ عَلَى الرُّكَبِ فِي الرُّكُوعِ

وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ فِي أَصْحَابِهِ: أَمْكَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتِهِ.

(باب وضع الأَكْفَ عَلَى الرُّكَبِ)؛ أي: وضع كُلَّ كَفٍّ عَلَى رُكْبَةِ.

(في الرُّكُوعِ، وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ) - بضم المهملة - عبد الرحمن الساعدي الأنصاري.

(في أَصْحَابِهِ)؛ أي: في حضورهم: (أَمْكَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتِهِ)؛ أي: في الرُّكُوعِ، وَسِيَّاتِي قَرِيباً مَوْصُولاً في (باب سُنَّةِ الْجَلْوَسِ فِي التَّشْهِدِ)، وَالغَرْضُ مِنْهُ هُنَّا: بِيَانِ الصَّفَةِ الْمُذَكُورَةِ فِي الرُّكُوعِ، وَتَقْوِيَةِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ سَعْدٌ فِي حَدِيثِهِ مِنْ نَسْخِ التَّطْبِيقِ.

٧٩٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُضْعَبَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ أَبِي فَطَبَّقْتُ بَيْنَ كَفَّيَ ثُمَّ وَضَعْتُهُمَا بَيْنَ فَخِذَيَ، فَنَهَانِي أَبِي وَقَالَ: كُنَّا نَفْعَلُهُ فَنَهَيْنَا عَنْهُ، وَأُمِرْنَا أَنْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَى الرُّكَبِ.

وَبِالسِّنْدِ قَالَ:

(حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك الطيالسي، (قال: حدثنا شعبة بن الحجاج، (عن أبي يعفور) بفتح التحتانية وبالفاء وأخره راء، وهو الأكبر، كما جزم به المزّي وأبو علي الججائي وغيرهما، وهو الصواب، فقد صرخ الدارمي في روايته بأنه العَبْدِي، والعَبْدِي هو الأكبر، وجزم النووي في «شرح مسلم» بأنه الأصغر عبد الرحمن بن عبيد بن نسطاس، والأول اسمه واقد بالقاف، وقيل: وقدان بواو مفتوحة فقاف ساكنة فدال مهملة، قال في «التهذيب»: هو الأشهر، وقيل: اسمه واقد، ولقبه وقدان، العَبْدِي، الكوفي، أدرك المغيرة بن شعبة، وروى عن عبدالله ابن أبي أوفى، ثقة، يقال: مات سنة عشرين ومئة أو بعدها.

قال الحافظ: بعدها بستين، كان ابن عيينة سمع منه، وكان ابتداء طلبه بعد العشرين.
روى له الجماعة.

(قال سمعت مصعب بن سعد) بضم الميم وسكون الصاد وفتح العين المهملتين، وهو ابن سعد بن أبي وقاص القرشي، الزهري، أبو زرارة المدني، والد زرارة بن مصعب التابعي الجليل، الثقة بالاتفاق، كان كثير الحديث، وقال البخاري في «الصغير»: لم يسمع من عكرمة ابن أبي جهل، وقال البيهقي في «المدخل»: حدثه عن عثمان منقطع، قال الحافظ: ووقفت في كتاب «المصاحف» لابن أبي داود ما يدل على صحة سماعه منه.

مات سنة ثلاثة و مئة ، روى له الجماعة .

(يقول : صليت إلى جنب أبي سعد) أحد العشرة المبشرة عليه السلام ،
(فطبّقت بين كَفَيْ) ؛ أي : أَلْزَقَتَ بَيْنَ بَاطِنَ كَفَيْ فِي حَالِ الرُّكُوعِ ، (ثُمَّ
وَضَعَتْهَا بَيْنَ فَخْذَيْ) ، فَنَهَانِي أَبِي سعد) عن ذلك (وَقَالَ : كَنَا نَفْعَلُهُ) ؛
أَيْ : التَّطْبِيقُ ، (فَنَهَيْنَا عَنْهُ وَأَمْرَنَا) - بِلِفْظِ الْمَجْهُولِ - (أَنْ نَضْعَ أَيْدِيْنَا) ؛
أَيْ : أَكْفَنَا ، مِنْ إِطْلَاقِ الْكُلِّ وَإِرَادَةِ الْجُزْءِ .

(على الركب) شبه القابض عليهما من تفريق أصابعهما المقبلة ،
ولمسلم من طريق أخرى : وأمرنا أن نضرب بالأكف على الرُّكُوب ،
وهو مناسب للفظ الترجمة ؛ أي : من حيث لفظ (الأكف) بدل
(الأيدي) ، والأول مناسب من حيث التعبير بالوضع .

واستدلّ به على نسخ التطبيق المذكور بناءً على أن المراد بالأمر
والناهي في ذلك هو النبي عليه السلام ، وهذه الصيغة مختلف فيها ، والراجح
أن حكمها الرفع ، وهو مقتضى تصرف البخاري ، وكذا مسلم ؛ إذ
أخرجه في «صحيحه» ، وعند الدارمي : كان بنو عبد الله بن مسعود إذا
ركعوا جعلوا أيديهم بين أخذاهم ، فصليت إلى جنب أبي فضرب
يدي ، الحديث ، فأفادت هذه الزيادة مستند مصعب في فعل ذلك ،
وأولاد ابن مسعود أخذوا عن أبيهم .

قال الترمذى : التطبيق منسوخ عند أهل العلم ، لا اختلاف بين
العلماء في ذلك ، إلا ما رُوى عن ابن مسعود وبعض أصحابه أنهم
كانوا يطبقون ، انتهى .

وقد ورد ذلك عن ابن مسعود متصلًا عند مسلم وغيره من طريق إبراهيم، عن علقة والأسود: أنهما دخلا على عبد الله، فذكر الحديث، قال: فوضعنَا أَيْدِينَا عَلَى رَكْبَنَا، فَصَرَبَ أَيْدِينَا، ثُمَّ طَبَقَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جعلهما بين فخذيه، فلما صلى قال: هكذا فعل رسول الله ﷺ.

وتحمل هذا على أن ابن مسعود لم يبلغه النسخ، وروى ابن خزيمة من وجه آخر عن علقة، عن عبد الله قال: علمنَا رَسُولُ الله ﷺ، فلما أراد أن يركع طبق يديه بين ركبتيه فركع، فبلغ ذلك سعدًا، فقال: صدق أخي، كنا نفعل هذا، ثم أمرنا بهذا؛ يعني: الإمساك بالركب، فهذا شاهد قوي لطريق مصعب بن سعد، وروى عبد الرزاق عن معمر ما يوافق قول سعد، أخرجه من وجه آخر عن علقة والأسود قالا: صلينا مع عبد الله، فطبق، ثم لقينا عمر، فصلينا معه فطبقنا، فلما انصرف قال: ذلك شيء كنا نفعله ثم ترك.

وفي «الترمذى» من طريق أبي عبد الرحمن السُّلَمِي قال: قال لنا عمر بن الخطاب: إن الرُّكْبَ سُنَّتْ لَكُمْ فخذلوا بالرُّكْبَ، وفي رواية البهقى عن عمر أيضًا: إن من السُّنَّةِ الْأَخْذَ بِالرُّكْبَ، وهذا حكمه الرفع؛ لأن الصحابي إذا قال: (السُّنَّةِ كذا) أو (سُنَّ كذا) كان الظاهر انصراف ذلك إلى سُنَّةِ النَّبِي ﷺ، ولا سيما إذا قاله مثل عمر، قاله الحافظ.

وقال القسْطَلَانِي: واستبعد عدم بلوغ النسخ لابن مسعود؛ فإنه كثير الملازمة له ﷺ، لأنه كان صاحب نعله، يلبسه إياها إذا قام وإذا

جلس أدخلها في ذراعه، فكيف يخفى عليه أمر وضع يديه على ركبتيه
أولم يبلغه النسخ؟! انتهى.

استدل ابن خزيمة بقوله: (فنهينا عنه) على أن التطبيق غير جائز،
قال الحافظ: وفيه نظر؛ لاحتمال حمل النهي على الكراهة، فقد روى
ابن أبي شيبة من طريق عاصم بن ضمرة، عن علي قال: إذا ركعت فإن
شئت قلت هكذا - يعني وضعت يديك على ركبتيك - وإن شئت
طبقت، وإسناده حسن، وهو ظاهر في أنه كان يرى التخيير، فاما أنه
لم يبلغه النهي وإنما حمله على كراهة التنزيه، قال: ويدل على أنه ليس
ب Haram كون عمر وغيره ممن أنكره لم يأمر من فعله بالإعادة.

ثم قال: وقد وردت الحكمة في إثبات التفريح على التطبيق عن
عائشة رضي الله عنها، أورده سيف في «الفتوح» من رواية مسروق: أنه
سألها عن ذلك، فأجابت بما محصله: أن التطبيق من صنيع اليهود،
وأن النبي ﷺ نهى عنه لذلك، وكان النبي ﷺ يعجبه موافقة أهل
الكتاب فيما لم ينزل عليه، ثم أمر في آخر الأمر بمخالفتهم، والله
أعلم، انتهى.

* * *

إِذَا لَمْ يَتِمَ الرُّكُوعُ

(باب) بالتنوين : (إذا لم يتم) **المُصلّي** (الركوع) بفتح ميم (يتيم) مع التشديد، واقتصر على الركوع مع أن السجود مثله؛ لأنه أفرده بترجمة كما يأتي، وغرضه سياق صفة الصلاة على ترتيب أركانها، واكتفى عن جواب (إذا) بما ترجم به بعد من أمر النبي ﷺ الذي لم يتم رکوعه بالإعادة.

٧٩١ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ
قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ قَالَ: رَأَى حُذَيْفَةَ رَجُلًا لَا يَتِمُ الرُّكُوعَ
وَالسُّجُودَ قَالَ: مَا صَلَّيْتَ، وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي
فَطَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

وبالسند قال :

(حدثنا حفص بن عمر): هو الحوضي (قال: حدثنا شعبة) بن الحجاج، (عن سليمان): هو الأعمش (قال: سمعت زيد بن وهب) الجعفري (قال: رأى حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه (رجل) قال الحافظ: لم أقف على اسمه، لكن عند ابن خزيمة وابن حبان من طريق الثوري، عن الأعمش: أنه كان عند أبواب كندة.

(لا يتم الركوع والسجود)، في رواية عبد الرزاق: فجعل ينقر ولا يتم ركوعه، وزاد أحمد: (فقال: فمنذ كم صليت؟ فقال: منذ أربعين سنة)، وكذا للنسائي.

قال الحافظ: وفي حمله على ظاهره نظر، وأظن ذلك هو السبب في كون البخاري لم يذكر ذلك؛ وذلك لأن حذيفة مات سنة ست وثلاثين، فعليه يكون ابتداء صلاة المذكور قبل الهجرة بأربع سنين أو أكثر، ولعل الصلاة لم تكن فُرضت بعد؛ أي: فتكون هذه الزيادة شاذة أو وهمًا، كما قاله السيوطي.

ثم قال الحافظ: فلعله أطلق وأراد المبالغة، أو لعله ممن كان يصلّي قبل إسلامه، ثم أسلم فحصلت المدة المذكورة من الأمرين، انتهى.

(قال): أي: حذيفة للرجل: (ما صلّيت): هو كقوله عليه السلام لمسيء صلاته: (فإنك لم تصل).

(ولو مت): أي: على هذه الحالة (مت على غير الفطرة التي فطر الله محمداً عليه السلام)، زاد في رواية: (عليها)، وميم (مُت) مضمة، ويجوز فيها الكسر على لغة من يقول: (مات يَمَات) كـ (خاف يَخَاف).

واستُدلّ به على جواز الطمأنينة في الركوع والسجود، وعلى أن الإخلال بها مُبطل للصلوة، بناءً على أن (ما صلّيت) نفي للحقيقة، وهو مذهب مالك والشافعى وأبى يوسف وأحمد، وذهب أبو حنيفة

ومحمد إلى أنها ليست فرضاً بل واجبة، وعلى تكفير تارك الصلاة؛ لأن ظاهره أن حذيفة نفى الإسلام عنمن أخلَّ ببعض أركانها، فيكون نفيه عنمن أخلَّ بها كلها أولى.

قال الحافظ: وهذا بناءً على أن المراد بـ(الفطرة) الدين، وقد أطلق الكفر على من لم يصل، رواه مسلم، وهو إما على حقيقته عند قوم، وإما على المبالغة في الزجر عند آخرين، انتهى.

وقال الخطابي ما حاصله: الفطرة المِلَّة أو الدين، وأراد حذيفة توبيقه على سوء فعله ليتردع، ك الحديث: «من ترك الصلاة فقد كفر»؛ أي: يؤديه التهاون بها إلى جحدها فيكفر، لا أن المراد تركها يُخرج من الدين، قال: وقد تكون الفطرة بمعنى السنة، كما في الحديث: «خمس من الفطرة»، قال: وترك إتمام الركوع وأفعال الصلاة على وجهين: أحدهما: إيجازها وقصير مدة اللبس فيها.

وثانيهما: الإخلال بأصولها حتى لا تقع أشكالها على الصورة الشرعية، وهذا هو الذي أراده حذيفة رضي الله عنه، انتهى.

وقد جاء في (باب إذا لم يتم السجود) بلفظ: (سُنة محمد)، قال الحافظ: وهو مصير من البخاري إلى أن الصحابي إذا قال: (سُنة محمد) أو (فطرته) كان حديثاً مرفوعاً؛ أي: كما مرّ قريباً، وقد خالف فيه قوم؛ والراجح الأول.

* * *

١٢٠ - بَابٌ

اسْتِوَاءُ الظَّهْرِ فِي الرُّكُوعِ

وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ فِي أَصْحَابِهِ: رَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ.
(باب استواء الظهر في الركوع)؛ أي: من غير ميله في الرأس
عن البدن ولا عكسه.

(وقال أبو حميد): هو الساعدي الصحابي.

(في أصحابه)؛ أي: حضورهم ﷺ: (ركع النبي ﷺ ثم هصر ظهره) بفتح الهاء والصاد المهملة؛ أي: أماله، وفي رواية: (حتى) بالمهملة والنون الخفيفة، وهو بمعناه، وقال الزركشي: هصر ظهره؛ أي: ثناء إلى الأرض وعطفه للركوع.

قال صاحب «المطالع»: وقال صاحب «الأفعال»: هصر الشيء هصراً: أخذه بأعلاه، يميله إلى نفسه، فمن زعم أنه بمعنى (بسط) مغتراً بتبويب البخاري (باب استواء الظهر) فقد غلط، وقد ذكرنا أن الناس قد فسروا الهصر هنا بغير التسوية، قال: ونظيرها ما وقع للبخاري في الحِلَابِ في (الغسل)، انتهى.

ولعل البخاري أشار بالترجمة بذلك إلى ما وقع في آخره عند أبي داود، ولفظه: أمكن كفّيه من ركبتيه وفرّج بين أصابعه، ثم هصر ظهره

غير مقنع رأسه ولا صافح نجده؛ ففيه إشارة إلى استواء الظهر، والله أعلم.

وحدث أبى حميد هذا يأتى موصولاً مطولاً في (باب سنة الجلوس في التشهد).

* * *

(باب حد إتمام الرکوع والاعتدال فيه)؛ أي: الرکوع (والاطمأنينة) قال الحافظ: كذا للأكثر بكسر الهمزة، ويجوز الضم وسكون الطاء، وللکشْمِيني: (والطمأنينة) بضم الطاء، وهي الأکثر في الاستعمال، والمراد بها السکون، وحدُها ذهاب الحركة التي قبلها، كما سيأتي مفسراً في حديث أبى حميد، انتهى.

ومقتضى قوله: (وحدُها...) إلخ أن يكون قوله: وإلا (والاطمأنينة) معطوفاً على (إتمام) لا على (حد).

واعلم أن لفظة نسخة الحافظ هكذا: (باب استواء الظهر في الرکوع)، وقال أبو حميد في أصحابه: رکع النبي ﷺ ثم هصر ظهره، وحد إتمام الرکوع والاعتدال فيه والاطمأنينة، وجعلها كذلك لجميع الرواية، وجعل الفصل بـ (باب) الذي صدرنا به من رواية الكشْمِيني فقط، مع أنه هو الذي في غالب الأصول الصحیحة القديمة.

ثم قال: وبهذا يجاب عن اعتراض ابن المُنْيَر حيث قال: حديث البراء لا يطابق الترجمة؛ لأن الترجمة في استواء الظهر في الرکوع

السالم من الزيادة في حنو الرأس دون بقية البدن أو عكسه، والحديث في تساوي الركوع مع السجود وغيره في الإطالة والتحفيف، انتهى.

وحاصل الجواب: أن حديث أبي حميد دليل استواء الظهر في الركوع، وحديث البراء دليل باقي الترجمة، من جهة أنه دال على تسوية الركوع والسجود والاعتدال والجلوس بين السجدين، وقد ثبت في بعض طرقه عند مسلم تطويل الاعتدال، فيؤخذ منه إطالة الجميع.

* * *

٧٩٢ - حَدَّثَنَا بَدْلُ بْنُ الْمُحَبَّرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْحَكَمُ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ رُكُوعُ النَّبِيِّ ﷺ وَسُجُودُهُ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ مِنَ الرُّكُوعِ، مَا خَلَا الْقِيَامَ وَالْقُعودَ، قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ.

وبالسند قال:

(حدثنا بدل بن المحبّر) بمودحة فدال مهملة مفتوحين، وأبوه بحاء مهملة ثم موحدة بوزن (محمد)، التميي ثم الريوعي، أبو المنير بوزن (مطیع)، البصري، واسطی الأصل.

قال في «المقدمة»: وثقة أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما؛ أي: بل قال ابن عبد البر: هو عندهم ثقة حافظ، وضعفه الدارقطني في روایته عن زائدة، قاله الحاكم، وذلك بسبب حديث واحد خالف فيه حسين ابن علي الجعفي صاحب زائدة في مسند ابن عمر من «مسند البزار»؟

أي : والحديث مذكور في «التهذيب» .

قلت : وهو تُعْنَتْ ، ولم يخرج عنه البخاري سوى موضعين عن شعبة ، أحدهما في الصلاة ؛ أي : وهو هذا والآخر في (الفتن) ، انتهى .
مات في حدود سنة خمس عشرة ومئتين ، روى له الجماعة ما عدا مسلماً .

(قال : حدثنا شعبة) بن الحجاج (قال : أخبرني) ، وفي رواية : (أَخْبَرَنَا) ، وفي رواية : (حدثنا) (الحكم) بفتح المهملة والكاف ، هو ابن عتبة ، تصغير عتبة الباب .

(عن ابن أبي ليلى) ، وقد وقع التصريح بتحديثه للحكم عند مسلم ، وهو عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسمه يسار ، وقيل : بلال ، ويقال : داود بن بلال بن مليل الأنباري الأوسي ، أبو عيسى الكوفي ، والد محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وجد عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأجمعوا على جلالته وتوثيقه ، ولد لست بقين من خلافة عمر بن الخطاب ، وروى عن جمع من الصحابة ، روى عنه عطاء بن السائب .

قال : أدركت عشرين ومئة من أصحاب النبي ﷺ كلهم من الأنصار ، إذا سئل أحدهم عن شيء أحب أن يكتفيه صاحبه .

وقال عبد الملك بن عمير : لقد رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى في حلقة فيها نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ يستمعون لحديثه وينصتون له ، فيهم البراء بن عازب .

قالوا: ولا يصح سماعه من عمر ولا من معاذ بن جبل، ولم يدرك بلال.

وقال عبدالله بن الحارث بن نوفل: ما ظنت أن النساء ولدن مثل عبد الرحمن بن أبي ليلى، وقال ابن سيرين: جلست إلى أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأصحابه يعظمونه كأنه أمير.

وقال ثابت البُناني: كنا إذا قعدنا إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لرجلٍ: أقرأ القرآن؛ فإنه يدْلُنِي على ما تريدون، نزلت هذه الآية في كذا وهذه في كذا.

وعنه أنه قال: صحبت علياً في الحضر والسفر، وأكثر ما يحدثون عنه باطل.

وقال الأعمش: رأيت ابن أبي ليلى، وقد ضربه الحجاج، وكان ظهره مسْحُ، وهو متكيء على ابنه وهم يقولون له: العن الكذابين.

وقال حفص بن غياث عن الأعمش: سمعت عبد الرحمن يقول: أقامني الحجاج، فقال: العن الكذابين، فقلت: لعن الله الكذابين علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن الزبير والمحتار بن أبي عبيد، قال حفص: وأهل الشام حمير يظنون أنه يوقعها عليهم، وقد أخرجهم منها ورفعهم. وكان قد استعمله الحجاج على القضاء ثم عزله، ثم ضُرب ليبَّ علياً، وكان قد شهد معه قتال العَرُورية.

وعن سفيان: أن عبدالله بن شداد وابن أبي ليلى فُقدا بالجماجم،

وكانت وقعتها سنة ثلاثة وثمانين، فالقول بأنهما أصيبا سنة إحدى وسبعين وفُمُّ.

قيل: إنه غرق بـجَيل مع محمد بن الأشعث وعبد الله بن شداد، وقال شعبة: اقتحم عبد الله بن الشداد وابن أبي ليلى فرسهما الفرات، فذهبا.

روى له الجماعة.

(عن البراء بن عازب)، سقط (ابن عازب) من رواية، (قال: كان ركوع النبي ﷺ وسجوده وبين السجدين) قال الكرماني: هو معطوف على اسم (كان) على تقدير المضاف؛ أي: كان زمان ركوعه وسجوده وبين السجدين؛ أي: الجلوس بينهما، وكذا قوله: (وإذا رفع رأسه من الركوع)؛ أي: وقت رفع رأسه من الركوع، والمراد به الاعتدال، قال: و(إذا) للظرف المجرور منسلاً عنه معنى الاستقبال، وسقط من رواية لفظ (رأسه).

(ما خلا القيام والقعود) بالنصب فيهما (قريباً من السواء) بفتح السين والمد؛ أي: المساواة، والاستثناء من المعنى؛ فإن مفهومه كانت أفعال صلاتهما كلها - ماخلاهما - قريبة من السواء.

قيل: المراد بالقيام: الاعتدال، وبالقعود: الجلوس بين السجدين، وجزم به بعضهم، وتمسّك به في أن الاعتدال والجلوس بين السجدين لا يطوان، ورده ابن القيم في حاشيته على «الستن» فقال: هذا سوء فهم من قائله؛ لأنّه قد ذكرهما بعينهما، فكيف يستثنىهما، إذ هو تناقض؟! انتهى.

وتعقب بأن المراد بذكر الأربع: إدخالها في الطمأنينة، وياستثناء بعضها: إخراج المستثنى من المساواة، قال: وقال بعض شيوخ شيوخنا: معنى قوله: (قريباً من السواء) أن كل ركن قريب من مثله، فالقيام الأول قريب من الثاني، والركوع في الأولى قريب من الثانية، والمراد بالقيام والقعود اللذين استثنينا الاعتدال والجلوس بين السجدين، قال: ولا يخفى تكلفه.

وقيل: المراد بالقيام والقعود: القيام للقراءة والجلوس للتشهد؛ لأن القيام للقراءة أطول من جميع الأركان في الغالب، انتهى.

وهذ الذي جزم به الحافظ في (باب الطمأنينة حين يرفع رأسه من الركوع)، وجرى عليه الكرماني هنا وقال ما حاصله: قوله: (قريباً) فيه إشعار بأن فيها تفاوتاً، وبعضها كان أطول من بعض، وزيادة على أصل حقيقة هذه الأربع، وهذه الزيادة لابد أن تكون على القدر الذي لابد منه، وهو الطمأنينة الذي ترجم لها، وسيأتي في هذا الحديث قريباً في (باب الطمأنينة حين يرفع رأسه من الركوع) بغير استثناء، ويأتي الكلام على حكم تطويل الاعتدال هناك إن شاء الله تعالى.

* * *

(باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم رکوعه بالإعادة)؛ أي: للصلوة.
قال ابن المنيّر: هذه من التراجم الخفية، وذلك أن الخبر لم يقع فيه بيان ما نقصه المصلّي المذكور، لكنه ﷺ لما قال له: (ثم اركع

حتى تطمئن راكعاً) . . . إلى آخر ما ذكر له من الأركان؛ اقتضى ذلك تساويها في الحكم لتناول الأمر كلَّ فردٍ منها، فكل من لم يتم رکوعه أو سجوده أو غير ذلك مما ذكر مأمورٌ بالإعادة، انتهى.

وقال الحافظ: وقع في حديث رفاعة بن رافع عند ابن أبي شيبة في هذه القصة: دخل رجلٌ فصلٍ صلاة خفيفة لم يتم رکوعها ولا سجودها؛ فالظاهر أن المصنف أشار بالترجمة إلى ذلك، انتهى.

وعليه فيكون حكم الترجمة منصوصاً عليه، وعلى الأول هو بالاستنباط، والله أعلم.

* * *

٧٩٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَالَ: «اْرْجِعْ فَصَلَّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «اْرْجِعْ فَصَلَّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، ثَلَاثَةً، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ فَمَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِمْنِي، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرُأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَ رَاكِعاً، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِماً، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَ سَاجِداً، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَ جَالِساً، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَ سَاجِداً، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلُّهَا».

وبالسند قال :

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) : هو ابن مُسْرَهَد (قال : حَدَّثَنَا)، وفي رواية : (أَخْبَرَنِي) (يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ) : هو القطان، (عَنْ عَبِيدِ اللَّهِ) بالتصغير : هو ابن عمر العمري قال : (حَدَّثَنِي) بالإفراد، وفي رواية : (حَدَّثَنَا) (سَعِيدُ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ) كِيسَانٌ، وَاسْتَدْرَكَهُ الدَّارَقُطْنَيُّ فَقَالَ : خَالِفٌ يَحْيَى الْقَطَانُ أَصْحَابُ عَبِيدِ اللَّهِ كُلُّهُمْ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا : (عَنْ أَبِيهِ)، قَالَ : وَيَحْيَى حَافِظٌ، فَيُشَبَّهُ أَنَّ يَكُونَ عَبِيدِ اللَّهِ حَدِثٌ بِهِ عَلَى الْوَجْهِيْنِ .

وقال البزار : لم يُتابع يحيى عليه، ورجح الترمذى رواية يحيى .
قال الحافظ : ولكل مُرْجُحٍ، أما رواية يحيى فللزيادة من الحافظ ،
وأما الأخرى فللكلثرة . قال : وسعيد لم يوصف بالتدليس ، وقد ثبت
سماعه من أبي هريرة ، وقد أخرج الشیخان الطریقین ، فأخرج البخاری
طريق يحيى هنا وفي (باب وجوب القراءة) ، وأخرج في «الاستذان»
طريق عبیدالله بن النمير ، وفي (الأیمان والنذور) طريق أبي أسماء ،
كلاهما عن عبیدالله ، ليس فيه : (عَنْ أَبِيهِ)، وأخرجه مسلم من رواية
الثلاثة .

(عَنْ أَبِيهِ هَرِيْرَةَ)، وفي رواية : (أَنَّ أَبَا هَرِيْرَةَ) : (أَنَّ النَّبِيَّ)، وفي
رواية : (عَنِ النَّبِيِّ) (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ) قال : وللحادیث طریق
أُخْرَى مِنْ غَيْرِ رواية أَبِيهِ هَرِيْرَةَ، أَخْرَجَهَا أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ رواية
إِسْحَاقَ بْنَ أَبِيهِ طَلْحَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ وَمُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ وَمُحَمَّدَ بْنَ

عجلان وداد بن قيس، كلهم عن علي بن يحيى بن خلاد بن رافع الزُّرقي، عن أبيه، عن عمّ له بدرىٰ، ومنهم من لم يقل: (عن أبيه).

ورواه النسائي والترمذى من طريق يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن جده، عن رفاعة؛ لكن لم يقل الترمذى: (عن أبيه).

(دخل)، وفي رواية: (دخل) (رجل)، وقع في بعض طرقه في «الصحيحين»: رسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، وللنمسائي من رواية إسحاق بن أبي طلحة: (بينما رسول الله ﷺ جالس ونحن حوله)، وهذا الرجل هو خلاد بن رافع، جد علي بن يحيى المذكور أولاً، بيته ابن أبي شيبة حيث قال: (عن رفاعة: أن خلاداً دخل المسجد)، وأما ما رواه أبو موسى في «الذيل»، فجعل الحديث من رواية خلاد فهو وَهْمٌ، والمحفوظ أنه من حديث رفاعة، وأما ما وقع عند الترمذى: (إذ جاء رجل كالبدوى، فصلى فأخذ صلاته) فهذا لا يمنع تفسيره بخلاد؛ لأن رفاعة شبهه بالبدوى لكونه أوجز في الصلاة من غير طمأنينة أو لغير ذلك، قاله في «الفتح».

(صلى)، وقع في بعض طرقه عند النسائي من حديث رفاعة: (صلى ركعتين).

قال الحافظ: وفيه إشعار بأنه صلى، قال: والأقرب أنها تحية المسجد، قال القلقشندى: وهو مجرد احتمال، وفي رواية النسائي المذكورة: (وقد كان النبي ﷺ يرمى في صلاته)، زاد في رواية إسحاق:

(ولا ندري ما يعيب منها)، وعند ابن أبي شيبة: (يرممه منها)، وهذا محمول على حالهم في المرة الأولى، انتهى.

(ثم جاء) وقع في بعض طرقه في «الصحيحين»: (فجاء)، قال الحافظ: وهي أولى؛ لأنه لم يكن بين صلاته ومجيئه تراخٍ.

(وسلم على النبي ﷺ فرد النبي ﷺ عليه السلام)، وسقط في رواية (عليه السلام)، وفي (الاستذان)، وكذا عند مسلم: (فقال: وعليك السلام).

قال الحافظ: وفي هذا تعقب على ابن المنيّر، حيث قال فيه: إن الموعظة في وقت الحاجة أهم من رد السلام، ولعله لم يردد عليه تأدیباً على جهله، فيؤخذ منه التأديب بالهجر وترك السلام، انتهى.

قال: والذي وقفنا عليه من نسخ «الصحيحين» ثبوت الرد في هذا الموضع وغيره إلا الذي في (الأيمان والنذور)، وقد ساق الحديث صاحب «العمدة» بلفظ الباب، إلا أنه حذف منه: (فرد النبي ﷺ)، فلعل ابن المنيّر اعتمد على النسخة التي اعتمد عليها صاحب «العمدة»، انتهى.

(فقال: ارجع فصل)، في رواية ابن عجلان: (فقال: أعد صلاتك). (فإنك لم تصل)، قال القاضي عياض: فيه: أن أفعال العاجل في العبادة على غير علم لا تُجزئ، قال الحافظ: وهو مبنيٌ على أن المراد بالنفي نفي الإجزاء، وهو الظاهر، قال: ومن حمله على نفي الكمال - كالمهلب من المالكية - تمسك بأنه ﷺ لم يأمره بعد التعليم بالإعادة،

فدل على إجزائها، وإنما لزم تأثير البيان، وقال: وفيه نظر؛ لأنَّه يَعْلَمُهُ اللَّهُ أَعْلَمُ أمره في المرة الأخيرة بالإعادة، فسألَهُ التَّعْلِيمَ فعَلَّمَهُ، فكأنَّه قال له: أعدْ صلاتك على هذه الكيفية، أشار إلى ذلك ابن المنيَّر، انتهى.

أي: ومن ثم استدل به بعضهم على وجوب الإعادة على من أخلَّ بشيءٍ من واجبات الصلاة.

(فصلي): أي: الصلاة المعهودة، (ثم جاء فسلم على النبي يَعْلَمُهُ اللَّهُ أَعْلَمُ)، فقال له بعد رد السلام عليه: (ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاثة): تنازعه قوله: (فصلي) وقوله: (جاء) وقوله: (وسلم)، أو أنه منصوب بفعل محذوف؛ أي: وقع هذا الأمر وقوعاً ثلاثة، فحُذف المصدر وأُنيب عنه عدده، ووقع عند مسلم التصريح بالمحذوف فقال: (فعل ذلك ثلاثة مرات).

(قال)، زاد في (الاستئذان): في (الثالثة أو في التي بعدها)، وفي رواية (الأيمان والنذور): (قال في الثانية أو الثالثة)، قال الحافظ: وتترجح الأولى لعدم وقوع الشك فيها، ولكونه يَعْلَمُهُ اللَّهُ أَعْلَمُ كان من عادته استعمال الثلاث في تعليمه غالباً.

(والذي بعثك بالحق! ما)، وفي رواية: (فما) (أحسن غيره، فعلماني)، وفي رواية رفاعة: (قال الرجل: فأرني وعلمني؛ فأنا بشرٌ أُصِيبُ وأخطئُ، فقال: أجل).

(قال)، وفي رواية: (قال): (إذا قمت إلى الصلاة فكبر)، في رواية (الاستئذان): (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغِ الوضوء ثم استقبلِ

القبلة فكير)، وفي رواية رفاعة عند أبي داود والنسائي: (فتوضاً كما أمرك الله، ثم تشهد وأقيم)، وفي روايته أيضاً عند النسائي: (إنها لم تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله ويمجده)، وعند أبي داود: (ويثنى عليه) بدل (ويمجده).

(ثم أقرأ ما تيسر معك من القرآن) لم تختلف الروايات في هذا عن أبي هريرة.

وأما حديث رفاعة ففي بعض طرقه: (ويقرأ ما تيسر من القرآن مما علمه الله)، وفي بعضها: (إإن كان معك قرآن فاقرأ، وإنما فاحمد الله وكيره وحليه)، وفي بعضها: (ثم أقرأ بأم القرآن أو بما شاء الله).

وعند أحمد وابن حبان: (ثم أقرأ بأم القرآن، ثم أقرأ بما شئت)، ترجم له ابن حبان: (البيان بأن فرض المصلحي قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة).

(ثم اركع حتى تطمئن راكعاً)، وعند أحمد في رواية رفاعة: (إإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك، وامدد ظهرك وامكن لركوعك)، وفي بعض طرقه: (ثم يكبر فيركع حتى تطمئن مفاصله ويسترخي).

(حتى تعتدل قائماً)، في رواية ابن ماجه: (حتى تطمئن قائماً)، وسنه في «مسلم»، لكن لم يُسق لفظه، قال الحافظ: فثبت ذكر الطمأنينة في الاعتدال على شرط الشيخين، قال: ومثله في حديث رفاعة

عند أحمد وابن حبان، وفي لفظ لأحمد: (فأقم صلبك حتى ترجع العظام إلى مفاصيلها)، قال: وعُرف بهذا أن قولَ إمام الحرمين: في القلب من إيجاب الطمأنينة في الرفع من الركوع شيء؛ لأنها لم تذكر في حديث المسيء صلاته = دالٌ على أنه لم يقف على هذه الطرق الصحيحة، انتهى.

(ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً)، في حديث رفاعة: (ثم يكبر فيسجد حتى يمكن وجهه أو جبهته حتى تطمئن مفاصيله وتسترخي).

(ثم ارفع حتى تطمئن جالساً)، في حديث رفاعة: (ثم يكبر فيركع حتى يستوي قاعداً على مقعده ويفقim صلبه)، وفي بعض طرقه: (إذا رفعت رأسك فاجلس على فخذك اليسرى).

(ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً)، زاد في حديث رفاعة: (إذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن جالساً، ثم افترش فخذك اليسرى، ثم تشهد).

(ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)، في بعض طرق حديث رفاعة: (ثم اصنع ذلك في كل ركعة وسجدة)، قال الحافظ: وقع في رواية ابن نمير في (الاستئذان) بعد ذكر السجود الثاني: (ثم ارفع حتى تطمئن جالساً)، وقد قال بعضهم: هذا يدل على إيجاب جلسة الاستراحة؛ ولم يقل به أحد، وأشار البخاري إلى أن هذا اللفظ وهم، فإنه عقبه بأن قال: (قال أبوأسامة في الأخير: حتى تستوي قائمًا)، قال: ويمكن أن يُحمل إن كان محفوظاً على الجلوس للتشهد، ويقويه رواية إسحاق المذكورة

قريباً؛ أي: وهو قوله: (إِذَا جَلَسْتَ فِي وَسْطِ الصَّلَاةِ . . . إِلَخْ)، وكلام البخاري ظاهر في أن أبيأسامة خالف ابن نمير، ثم نقل عن البيهقي: أن الصحيح من رواية أبيأسامة بلفظ: (ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِي قَائِمًا).

قال: واستدل بالحديث على وجوب الطمأنينة في أركان الصلاة، وبه قال الجمهور.

واشتهر عن الحنفية أنها سُنّة، وصرح بذلك كثير من مصنفיהם، لكن كلام الطحاوي كالصريح في الوجوب عندهم، ثم نقل كلامه، ثم قال عن الطحاوي: وهذا قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد.

قال القلقشندى: وأما ما تكلم فيه من أن الغاية تدخل في المُغَيَّا أم لا؟ أو ما قيل: إن كانت من جنس المُغَيَّا فتدخل، وإلا فلا يأتي هنا لأن الغاية هنا - وهي الطمأنينة - وصف لركوع مثلاً لتقييده بالحال، وهو قوله: (رَاكِعاً)، فالغاية داخلة قطعاً بصرىح التقييد بالحال، بل لولم يقييد بالحال كانت داخلة باللازم؛ لأنه أمر مُغَيَّا بفعل آخر، فلا بد من وجوده لتحقق الغاية.

قال: وقد أغرب بعضهم فجعله دالاً على عدم وجوب الطمأنينة من حيث إن الأعرابي صلى ثلاث مرات غير مطمئن، فلو كانت واجبة لفسدت صلاة الأعرابي، ولم يقره النبي ﷺ عليها، وقد تقدم في الوجه الذي قبله الجواب عنه، انتهى.

وقال الحافظ: واعتذر بعض من لم يقل بوجوبها بأنها زيادة على النص؛ لأن المأمور به في القرآن مطلق الركوع والسجود، فيصدق بغير

طمأنينة، فالطمأنينة زيادة، والزيادة على المتواتر بالأحاد لا تعتبر.
وُعُرِضَ بأنها ليست زيادة، وإنما هي لبيان المراد بالسجود،
وأنه مخالف للسجود اللغوي الذي هو مجرد وضع الجبهة، فيبين
السُّنَّة أن السجود الشرعي ما كان بطمأنينة، ولم يكن النبي ﷺ يصلِّي
بغير طمأنينة.

واستُدلَّ به على تعين لفظ التكبير، خلافاً لمن قال: يُجزئ بكل
لفظ يدل على التعظيم، تقدَّمت المسألة أول (أبواب صفة الصلاة).
واستُدلَّ به أيضاً على أن قراءة الفاتحة لا تعين، وتقدم الكلام
على ذلك والجواب عنه في (باب وجوب القراءة على الإمام)
مستوفِّ.

زاد الحافظ هنا في الجواب عنه، فقال: وقيل: هو محمول على أنه
عرف من حال الرجل أنه لا يحفظ الفاتحة، ومن كان كذلك فالواجب عليه
قراءة ما تيسر، وقيل: هو محمول على أنه منسوخ بالدليل على تعين
الفاتحة، قال: ولا يحسن في ضعفها، لكنه محتمل، ومع الاحتمال
لا يُترك الصريح، وهو قول: (لا تُجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة
الكتاب)، انتهى.

واستُدلَّ به أيضاً على وجوب القراءة في الركعات كلها، وقال به
جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي وأحمد وداود، وحُكِي عن
الأوزاعي، وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أنه لا تجب القراءة في
الركعتين الأخيرتين، بل هو بال الخيار؛ إن شاء قرأ وإن شاء سَبَحَ، وعن

مالك ثلاث روايات: تجب في كل ركعة، تجب في الأكثـر، تجب في ركعة واحدة.

وحكى القاضي عياض عن علي بن أبي طالب، وربيعة ومحمد ابن أبي صفرة من أصحاب مالك: أنه لا تجب قراءة أصلاً، وتقدم بقية الكلام في المسألة في (باب وجوب القراءة على الإمام).

وقال ابن دقيق العيد: تكرر من الفقهاء الاستدلال بهذا الحديث على وجوب ما ذُكر فيه، وعلى عدم وجوب ما لم يُذكر، أما الوجوب فلتعلق الأمر به، وأما عدمه فليس لمجرد كون الأصل عدمه، بل لكون الموضع موضع تعليم وبيان للجاهل، وذلك يقتضي انحصار الواجبات فيما ذكر، ويتحقق ذلك بكونه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ذكر ما تعلقت به الإساءة من هذا المُصلّى وما لم تتعلق به، فدل على أنه لم يقصر المقصود على ما وقعت به الإساءة، قال: وكل موضع اختلف الفقهاء في وجوبه - وكان مذكوراً في هذا الحديث - فلنا أن نتمسّك به من وجوهه، وبالعكس، لكن يحتاج أولاً إلى جمع طرق هذا الحديث وإحصاء الأمور المذكورة فيه والأخذ بالزائد، ثم إذا عارض الوجوب أو عدمه دليل أقوى منه عمل به، وإن جاءت صيغة الأمر في حديث آخر بشيء لم يُذكر في هذا الحديث قدّمت.

قال الحافظ: وقد امثلت ما أشار إليه وجمعت طرقه القوية من رواية أبي هريرة ورفاعة، فمما لم يُذكر فيه صريحاً من الواجبات المتفق عليها: النية والقعود الأخير، ومن المُختلف فيه: التشهد

الأخير، والصلاحة على النبي ﷺ فيه، والسلام في آخر الصلاة؛ قال النّووي: هذه محمولة على أنها كانت معلومة عند السائل فلم يحتج إليها، انتهى.

قال الحافظ: وهذا يحتاج إلى تكملة، وهو ثبوت الدليل على إيجابها.

قال: وفيه بعد ذلك نظر.

قال - أي: النّووي -: وفيه دليل على أن الإقامة والقعود ودعاء الاستفتاح ورفع اليدين في الإحرام وغيره ووضع اليمني على اليسرى وتكبيرات الانتقال وتسبيحات الركوع والسجود وهبات الجلوس ووضع اليد على الفخذ، ونحو ذلك مما لم يذكر في الحديث ليس بواجبٍ، انتهى.

قال: وهو في معرض المنع لثبوت بعض ما ذكر في بعض الطرق كما تقدم بيانه، فيحتاج من لم يقل بوجوبه إلى دليل على عدم وجوبه، كما تقدم تقريره، انتهى.

وفي الحديث: تأخير البيان في المجلس للمصلحة، وقد استشكل تقرير النبي ﷺ له على صلاته وهي فاسدة، على القول بأنه أخلَّ ببعض الواجبات.

وأجاب المازري بأنه أراد استدراجه بفعل ما جعله مرات؛ لاحتمال أن يكون فعله ناسياً أو غافلاً، فيذكره فيفعله من غير تعليم، وليس ذلك من باب التقرير على الخطأ ولا الإذن في صلاة فاسدة، بل

من باب تحقق الخطأ .

وأجاب النّووي بنحوه، وزاد: وإنما لم يعلمه أولاً ليكون أبلغ في تعريفه وتعريفه غيره بصفة الصلاة المجزئة .

وقال ابن الجوزي : يحتمل أن يكون تردیده لتفخيم الأمر وتعظيمه عليه، ورأى أن الوقت لم يفته ، فرأى إيقاظه ليذكر المتروك .

وقال ابن دقيق العيد : ليس التقرير بدليل على الجواز مطلقاً، بل لابد من انتفاء الموانع ، ولا شك أنه بعد تكرار فعله واستجمام نفسه يزيد في قبوله لما يُلقي إليه ، وذلك مصلحة مانعة من وجوب المبادرة إلى التعليم ، سيما مع عدم خوف الفوات .

وقال الثوربشتى : إنما سكت عن تعليمه زجراً له وتأديباً وإرشاداً إلى استكشاف ما استبهم عليه ، فلما طلب كشف الحال من مورده أرشد إليه ، انتهى .

قال الحافظ : لكن فيه مناقشة؛ لأنه إن تم له في الصلاة الثانية والثالثة لم يتم له في الأولى ، فإنه يُكثّف بدأه في المرة الأولى بقوله : (ارجع فصل فإنك لم تصل) ، فالسؤال وارد على تقريره له على الصلاة الأولى : كيف لم ينكر عليه في أثنائها؟ قال : لكن الجواب يصلح بياناً للحكمة في تأخير البيان بعد ذلك ، انتهى .

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم :

أن الشروع في النافلة يلزم ، لكن يحتمل أن تكون تلك الصلاة

كانت فريضة، فيقف الاستدلال.

وفيه: حسن التعليم بغير تعنيف، وإيضاح المسألة، وتخليص المقاصد، وطلب المتعلم من العالم أن يعلمه.

وفيه: تكرار السلام ورده، وإن لم يخرج من الموضوع، إذا وقعت صورة انفصال.

وأن القيام في الصلاة ليس لذاته، وإنما يقصد للقراءة فيه.

وفيه: جلوس الإمام في المسجد وجلوس أصحابه معه.

وفيه: التسليم للعالم والانقياد له، والاعتراف بالتقدير، والتصريح بحكم البشرية في جواز الخطأ.

وفيه: أن فرائض الوضوء مقصورة على ما ورد به القرآن، لا ما زادته السنة فيئد بـ.

وفيه: حسن خلقه عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَمَعَاشِرَهُ.

وفيه: حجة على من أجاز القراءة بالفارسية، لكون ما ليس بلسان العرب لا يسمى قرآنًا، قاله عياض، قال القلشندى: وفيه نظر.

وقال النّووي: فيه: أن المفتى إذا سئل عن شيء - وكان هناك شيء آخر يحتاج إليه السائل - يُستحب له أن يذكره له، وإن لم يسأله عنه، ويكون من باب النصيحة لا من الكلام فيما لا يعني، وموضع الدلالة منه كونه قال: (علمني)؛ أي: الصلاة، فعلمه الصلاة ومقدماتها، قاله في «الفتح».

* * *

١٢٣ - باب

الدُّعَاءُ فِي الرُّكُوعِ

(باب الدعاء في الركوع)

٧٩٤ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي الصُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي».

وبالسند قال:

(حدثنا حفص بن عمر) - بضم العين - الحوضي قال: (حدثنا شعبة) بن الحجاج، (عن منصور): هو ابن المعتمر، (عن أبي الصحي) مسلم بن صبيح - بالتصغير - التابعي، (عن مسروق)؛ أي: ابن الأجدع، (عن عائشة) رضي الله عنها (قالت: كان النبي)، وفي رواية: (رسول الله) ﷺ يقول: في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي) يمثّل ما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]، وفيه ما ترجم له.

قال الحافظ: ترجم بعد هذا بـ (باب التسبيح والدعاة في السجود)،

وساق فيه حديث الباب، فقيل: الحكمة في تخصيص الركوع بالدعاء دون التسبيح، مع أن الحديث واحد: أنه قصد الإشارة إلى الرد على من كره الدعاء في الركوع كمالك، وأما التسبيح فلا خلاف فيه، فاهم هنا بذكر الدعاء لذلك، قال: وحجة المخالف حديث مسلم من حديث ابن عباس مرفوعاً، وفيه: «فأما الركوع فعظموا فيه الربّ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء؛ فقِمْنَ أَن يُسْتَجَابَ لَكُمْ»، لكنه لا مفهوم له؛ فلا يمتنع الدعاء في الركوع كما لا يمتنع التعظيم في السجود، وظاهر حديث عائشة أنه كان يقول هذا الذكر كله في الركوع وكذا السجود، وسيأتي بقية الكلام عليه مع التعرض لاعراب (سبحانك) وإعراب (ويحمدك) في الباب المذكور إن شاء الله تعالى.

* * *

مَا يَقُولُ الْإِمَامُ وَمَنْ خَلْفُهُ
إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ؟

(باب ما يقول الإمام ومن خلفه)؛ أي: من المقتدين (إذا رفع رأسه من الركوع) قال الحافظ: وقع في «شرح ابن بطال» هكذا: (باب القراءة في الركوع والسجود وما يقول الإمام ومن خلفه ... إلخ).

وتعقبه بأن قال: لم يدخل فيه حديثاً لجواز القراءة، ولا منعها وقال ابن رشيد: هذه الزيادة لم تقع فيما رويناه من نسخ البخاري، قال الحافظ: وكذلك أقول، قال: وقد تبع ابن المنيّر ابن بطال، ثم اعتذر عن البخاري بأنه يحتمل أنه وضع الترجمة للأمررين، ثم عرض مانع لأحدهما.

وقال ابن رشيد: يحتمل أن يكون ترجم بالحديث؛ أي: بمعناه مشيراً إليه، وقد أخرجه مسلم من حديث ابن عباس في أثناء الحديث، وفي آخره: (ألا إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً)، ولم يخرجه المصنف لأنه ليس على شرطه؛ لأن في إسناده اضطراباً، ثم تعقبه على نفسه بأن ظاهر الترجمة جواز القراءة فيهما وظاهر الحديث، قال: فيحتمل أن يكون معنى الترجمة: باب حكم القراءة، وهو أعم من الجواز أو المنع، وقد اختلف السلف في ذلك جوازاً

ومنعاً، فلعله كان يرى الجواز؛ لأن حديث النهي لم يصح عنده، انتهى ملخصاً.

قال: ومال ابن المُئِّر إلى هذا الأخير، لكنه حمله على وجه أخص منه، فقال: لعله أراد أن الحمد في الصلاة لا حجر فيه، وإذا ثبت أنه من مطالبها ظهر توسيع ذلك في الركوع وغيره بأي لفظ كان، فيدخل في ذلك آيات الحمد كمفتوح الأنعام وغيرها، انتهى.

أقول: وهذا الحمل فيه من التكليف ما لا يخفى، والله أعلم.

* * *

٧٩٥ - حَدَّثَنَا آدُمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ»، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبِّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَكَعَ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ يُكَبِّرُ، وَإِذَا قَامَ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ».

وبالسند قال:

(حدَّثَنَا آدُمُ) بن أبي إِيَّاس (قال: حدثنا ابن أبي ذئب) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، (عن سعيد المقبري عن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال: كان النبي ﷺ إذا قال: سمع الله لمن حمده) حين ينتقل من الركوع إلى الاعتدال (قال: اللهم ربنا ولك الحمد) قال الحافظ: وعند أبي داود الطيالسي، عن ابن أبي ذئب: (كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: اللهم ربنا ولك الحمد)، ولا منافاة بينهما؛ لأن أحدهما

ذكر ما لم يذكره الآخر، وثبت لفظ (اللهم) في أكثر الطرق، وفي بعضها بحذفها؛ وثبوتها أرجح، وكلاهما جائز، وفي ثبوتها تكرير النداء، كأنه قال : يا الله يا ربنا .

وثبتت الواو في (ولك الحمد) في طرق كثيرة، وفي بعضها - كما في الباب الذي يليه - بحذفها، قال **النّووي** : المختار لا ترجيح لأحدهما على الآخر لثبوتهما .

وقال ابن دقيق العيد : كأن إثبات الواو دال على معنى زائد، لأنه يكون التقدير مثلاً : ربنا استجب ولك الحمد، فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر، انتهى .

قال : وهذا بناء منه على أن الواو عاطفة، وقد تقدم في (باب التكبير إذا قام من السجود) قولُ من جعلها حالية؛ أي : وهو ابن الأثير، وأن الأكثر رجحوا ثبوتها .

وقال الأثرم : سمعت أحمد يثبت الواو في : (ربنا ولك الحمد) ويقول : ثبت فيه عدة أحاديث، انتهى .

قال **القلقشندى** بعد أن نقل ما تقدم : ورجم قوم حذفها؛ لأن الأصل عدم التقدير، فتصير عاطفة على كلام غيرِ تام .

ونقل عياض عن مالك وغيره اختلافات في الأرجح منهم، قال : وجزم بعضهم بأن الواو زائدة لا عاطفة، ونقله الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، وجعل ابن الأثير الواو للحال وضعف ما عده، انتهى .

(وكان النبي ﷺ إذا ركع وإذا رفع رأسه؛ أي: من السجود لا من الركوع (يكبر وإذا قام من السجدين) قال الحافظ: ساقه البخاري مختصرًا، ورواه أبو يعلى؛ أي: مطولاً، وأوله عنده عن أبي هريرة: (وقال: أنا أشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ، كان يكبر إذا ركع، وإذا قال: سمع الله لمن حمده قال: اللهم ربنا لك الحمد، وكان يكبر إذا سجد وإذا رفع رأسه وإذا قام من السجدين).

قال: ورواه - أي: حديث الباب - الإسماعيلي بلفظ: (إذا قام من السجود كبر)، قال: والظاهر أن المراد بالشتين الركعتان، والمعنى: أنه كان يكبر إذا قام إلى الثالثة، ويفيده الرواية الماضية في (باب التكبير إذا قام من السجود) بلفظ: (ويكبر حين يقوم من الشتين بعد الجلوس)، ومعنى رواية الطيالسي (وكان يكبر حين السجدين)؛ أي: للسجدة الثانية.

(قال: الله أكبر)، قال الكرماني: فإن قلت: لم قال أولاً: (يكبر) بلفظ المضارع، وثانياً بلفظ (قال)؟

قلت: المضارع يفيد الاستمرار؛ أي: يستمر تكبيره ممدوداً من أول الركوع والرفع إلى آخرهما، بخلاف التكبير للقيام، فإنه لا يستمر، ولهذا قال مالك: لا يكبر للقيام من الركعتين حتى يستوي قائماً، قال: وأما تعبيه أولاً بـ (يكبر)، وثانياً بـ (قال: الله أكبر) فهو إما تفند في الكلام، وإما لإرادة التعميم في قوله: (يكبر) ليتناول (الله أكبر) بالتعريف ونحوه، انتهى.

وقال الحافظ : والذى يظهر أنه من تصرف الرواة ؛ فإن الروايات التي أشرنا إليها جاءت كلها على أسلوب واحد ، قال : ويحتمل أن يكون المراد به تعين هذا اللفظ دون غيره من ألفاظ التعظيم .

وتعقبه العيني فقال : ما قاله الْكَرْمَانِي أَوْلَى من نسبة الرواية إلى التصرف في الألفاظ التي نُقلَت عن الصحابة ، وهم أهل البلاغة ، قال : قوله : ويحتمل ... إلخ ، لا دليل عليه ، فلا عبرة به ، انتهى .

فإن قيل : ليس في حديث الباب ذكر ما يقول المأمور ؟

أجاب ابن رشيد بأنه أشار إلى التذكير بالمقدمات ، لتكون الأحاديث عند الاستنباط نصب عين المستنبط ، فقد تقدم حديث «إنما جُعل الإمام ليؤتم به» ، وحديث «صلوا كما رأيتوني أصلى» ، قال : ويمكن أن يكون - أي : المصنف - قاس المأمور على الإمام ، لكن فيه ضعف .

قال العيني : وكل هذا مساعدة للبخاري بضروب من التوجيهات ، وهذا يحصل فيه الإيقاع .

قال الحافظ : قلت : وقد ورد في ذلك حديث عن أبي هريرة أيضاً بلفظ : (كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ) فقال : سمع الله لمن حمده ، قال من وراءه : سمع الله لمن حمده ، أخرجه الدارقطني ، لكن قال : المحفوظ في هذا : (فليقل من وراءه : ربنا ولد الحمد) .

قال : وسنذكر الخلاف في هذه المسألة في الباب الذي يليه إن

شاء الله تعالى ، وقد تقدم الكلام على بقية فوائد حديث الباب في (باب التكبير إذا قام من السجود) ، ويأتي الكلام على محل التكبير عند القيام من التشهد الأول بعد نحو عشرين باباً.

* * *

فَضْلٌ «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»

(باب فضل اللهم ربنا لك الحمد)

قال الحافظ: ثبت لفظ (باب) عند مَنْ عَدَا أَبَا ذَرَ وَالْأَصِيلِي؛
وَالرَّاجِحُ حَذْفُهِ، كَمَا سِيَّأْتِي.

قال: وَبَثَتَتِ الْوَاوُ فِي: (وَلَكَ الْحَمْدُ) فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيْهِنِيِّ، وَفِيهِ
رَدُّ عَلَى ابْنِ الْقَيْمِ؛ حِيثُ جَزَمَ بِأَنَّهُ لَمْ يَرِدِ الْجَمْعُ بَيْنَ (اللَّهُمَّ) وَالْوَاوِ فِي
ذَلِكَ، اَنْتَهِي.

٧٩٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ، عَنْ سُمَيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ قَالَ: إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

وَبِالسَّنْدِ قَالَ:

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ، عَنْ سُمَيِّ)
- بِالْتَّصْغِيرِ -، مَوْلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، (عَنْ أَبِي صَالِحٍ) السَّمَانِ:

ذكوان، (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا لك الحمد)، وفي رواية: (ولك الحمد) بإثبات الواو، واستدل به على أن الإمام لا يقول: (ربنا لك الحمد)، وعلى أن المأمور لا يقول: (سمع الله لمن حمده)؛ لكون ذلك لم يذكر في هذه الرواية، وهو قول مالك وأبي حنيفة، وقال به ابن المنذر من أصحابنا، قال الحافظ: وفيه نظر؛ لأنَّه ليس فيه ما يدل على النفي، بل فيه أن قول المأمور: (ربنا لك الحمد) يكون عقب قول الإمام: (سمع الله لمن حمده)، هكذا الواقع أنه يقول عقب قول الإمام.

قال: وهذا يقرب من مسألة التأمين كما تقدم، من أنه لا يلزم من قوله: (إذا قال: ﴿وَلَا أَضَالَّنَ﴾ فقولوا أمين) أنَّ الإمام لا يؤمِّن بعد قوله ﴿وَلَا أَضَالَّنَ﴾، وليس فيه أن الإمام يؤمِّن، كما أنه ليس في هذا هنا أنه يقول: (ربنا لك الحمد)، لكنهما مستفادان من أدلة أخرى صحيحةٍ صريحةٍ، كما تقدم في (باب التأمين)، وكحديث ابن عمر السابق في (باب رفع اليدين في التكبير الأولى) الصريح في أنه جمع بين التسميع والتحميد، وكحديث الدارقطني في الباب الذي قبله.

وأمَّا ما احتجوا به من حيث المعنى، وهو أن معنى (سمع الله لمن حمده): طلب التحميد، فيناسب حال الإمام، وأما المأمور فتناسبه الإجابة بقوله: (ربنا لك الحمد)، ويقويه حديث أبي موسى الأشعري عند مسلم وغيره، ففيه: (إذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد؛ يسمع الله لكم).

فجوابه: أن يقال: لا يدل ما ذكرتم على أن الإمام لا يقول: (ربنا ولك الحمد); إذ لا يمتنع أن يكون طالباً ومجيباً، نظير ما تقدم في (التأمين)، من أنه لا يلزم من كون الإمام داعياً والمأمور مؤمناً أن لا يكون الإمام مؤمناً، قال: ويقرب منه ما تقدم البحث فيه في الجمع بين الحجولة والحوقلة لسامع المؤذن، قضية ذلك أن الإمام يجمعهما، وهو قول الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد والجمهور، والأحاديث الصحيحة تشهد له، وزاد الشافعي: أن المأمور يجمع بينهما أيضاً، وهو قول جماعة من العلماء منهم عطاء وابن سيرين، لكن لم يصح في ذلك شيء، وليس في الحديث ما ينافي؛ لأن السكوت عن الشيء لا يقتضي ترك فعله، بل فيه أن إتيانه بالتحميد يكون عقب إتيان الإمام بالتسبيح كما مر، وأما المنفرد فيجمع بينهما بالإجماع، كما حكاه الطحاوي وابن عبد البر، وجعله الطحاوي حجة لكون الإمام يجمع بينهما لاتفاق على اتحاد حكم الإمام والمنفرد، لكن أشار صاحب «الهداية» إلى خلاف عندهم في المنفرد، انتهى.

(فإنه من وافق قوله قول الملائكة); أي: من وافق حمد حمد الملائكة (غفر له ما تقدم من ذنبه) فيه إشعار بأن الملائكة تقول ما يقول المأمور، وقد تقدم البحث فيه في (باب التأمين).

* * *

١٢٦ - باب

(باب) بالتنوين . قال الحافظ : كذا للجميع من غير ترجمة ، إلا للأصيلي فحذفه ، ثم قال : والراجح إثباته ، كما أن الراجح حذف (باب) من الذي قبله ، وذلك أن الأحاديث المذكورة فيه - أي : في هذا الباب المحنوف الترجمة - لا دلالة فيها على فضل (اللهم ربنا لك الحمد) إلا بتتكلف ، فالأولى أن يكون - أي : هذا الباب - بمنزلة الفصل من الباب الذي قبله ، وذلك أنه لَمَّا قال أولاً : (باب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع) ، وذكر فيه قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : «اللهم ربنا ولك الحمد» = استطرد إلى ذكر فضل هذا القول بخصوصه ، ثم فصل بلفظ (باب) لتمكيل الترجمة الأولى ، فأورد بقية ما ثبت على شرطه مما يقال في الاعتدال ، كالقنوت وغيره ، ثم ذكر عن ابن المُنَيَّر توجيهها متكلفًا في دخول الأحاديث الثلاثة تحت ترجمة (فضل اللهم ربنا لك الحمد) ، قال : وقد ترجم لهذا الباب بعضهم : (باب القنوت) ، ولم أره في شيء من روایتنا ، انتهى .

أقول : هو في أصول كثيرة صحيحة ، وشرح عليه الكَرْمَانِي والبِرْمَاوِي ثم قالا : وفي بعضها : (ليس للباب ترجمة) ، فيكتفي فيه

بيان فضل الحمد لمناسبة هذا المقام، انتهى.

وَيُرِدُ عَلَيْهِمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَدِيثِي أَبِي هَرِيرَةَ وَأَنْسَ مَا يَدْلِلُ عَلَى ذِكْرِ
(رِبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ)؛ فَالْأَوَّلُ فِي تَوْجِيهِهِ مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *

٧٩٧ - حَدَّثَنَا مُعاذُ بْنُ فَضَالَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَىٰ،
عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَا قَرِبَنَّ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ
أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ يَقْنُتُ فِي رُكْعَةِ الْأُخْرَى مِنْ صَلَاةِ الظَّهِيرَةِ وَصَلَاةِ
الْعِشَاءِ، وَصَلَاةِ الصُّبْحِ، بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَيَدْعُ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَلْعَنُ الْكُفَّارَ.

وبالسند قال:

(حدثنا معاذ بن فضالة): هو الدستوائي، (عن يحيى): هو ابن أبي كثير، (عن أبي سلمة)، في «مسلم» من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه، قال يحيى: (حدثني أبو سلمة)، (عن أبي هريرة) رض (قال: لأقربين) من: التقريب، مع نون التوكيد الثقيلة.

(صلوة النبي ﷺ) قال الكرماني: أي: والله لأقربنكم إلى صلاة النبي ﷺ، أو لأقربن صلاته إليكم، انتهى.

وعند مسلم: (لأقربن لكم)، وللطحاوي: (لأربنكم).

(فكان) بالفاء التفسيرية، وفي رواية: (وكان) (أبو هريرة) رض (يقتن في الركعة الأخرى)، وفي رواية الكشميهيني: (الآخرة).

(من صلاة الظهر وصلاة العشاء وصلاة الصبح بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، فيدعوا للمؤمنين ويلعن الكفار). قال الحافظ: وقد اختصر سياق الحديث يحيى هنا، وطَوْلَهُ الزُّهْرِيُّ، كما سيأتي بعد باب، وكذا ساقه يحيى في (الدعوات) أتم مما ساقه هنا.

قال الحافظ: قيل: المرفوع من هذا الحديث وجود القنوت لا وقوعه في الصلوات المذكورة؛ فإنه موقوف على أبي هريرة، ويوضّحه ما سيأتي في (تفسير النساء) من رواية شيبان عن يحيى من تخصيص المرفوع بصلوة العشاء، ولأبي داود من رواية الأوزاعي، عن يحيى: (فَنَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةِ الْعَنَمَةِ شَهْرًا)، ونحوه لمسلم، لكن لا ينفي هذا كونه ﷺ فَنَّتْ في غير العشاء؛ فإنّ ظاهر سياق حديث الباب أنّ جميعه مرفوع؛ أي: لقوله: (لأقربن لكم صلاة النبي ﷺ)، ثم فسره بقوله: (فكان أبو هريرة... إلخ).

قال: ولعل هذا هو السر في تعقيب المصنف له بحديث أنس؛ إشارة إلى أن القنوت في النازلة لا يختص بصلوة معينة، ثم قال: وسيأتي في (تفسير آل عمران) بيان الاختلاف في مدة الدعاء لهم، والتتبّع على أحوال من سُمِّي منهم.

* * *

٧٩٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الأَسْوَدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: كَانَ الْقُنُوتُ فِي الْمَغْرِبِ وَالْفَجْرِ.

وبالسند قال :

(حدثنا عبد الله بن أبي الأسود) : هو عبدالله بن محمد بن أبي الأسود، واسمه حميد، نُسب إلى جده، البصري، أبو بكر، الحافظ، ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي، قاضي همدان.

وقال الخطيب : سكن بغداد وحَدَثَ بها و كان حافظاً ، وقال ابن معين : سمع من أبي عوانة وهو صغير يطلب الحديث ، وقال ابن المديني : مات أبو عوانة وأنا في الكتاب ، وبيني وبين أبي الأسود ستة أشهر ، انتهى .

مات سنة ثلاثة وعشرين ومئتين في جمادى الآخرة ، وهو ابن ستين سنة ، قال الجوهرى : ببغداد ، روى عنه البخارى وأبو داود ، وروى له الترمذى .

(قال : حدثنا إسماعيل) : هو المعروف بابن عُليَّة ، (عن خالد الحَدَّاء ، عن أبي قلابة) عبدالله بن زيد الجرمي ، [عن] (ابن أنس) ، زاد في راوية : (ابن مالك) (قال : كان القنوت) ؛ أي : في أول الأمر ، فله حكم الرفع وإن لم يقيده بالزمن النبوي ، كما هو الصحيح .

(في المغرب والفجر) ، وسيأتي اختلاف النقل عن أنس في القنوت في محله من (الصلاحة) ، وفي أي الصلاة يُشرع ، وهل استمر مطلقاً أو مدة معينة ، أو في حالة دون حالة ؟ حيث أورد المصنف بعض ذلك في (باب القنوت قبل الركوع وبعده) من (كتاب الوتر) إن شاء الله تعالى .

* * *

٧٩٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ نُعْيْمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْمُجْمِرِ، عَنْ عَلَيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَلَادٍ الزُّرْقَيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رِفَاعَةَ
ابنِ رَافِعٍ الزُّرْقَيِّ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ
مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ». قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ
الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنْ
الْمُتَكَلِّمُ؟»، قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثَيْنَ مَلَكًا يَتَدَرُّونَهَا،
أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ». أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ.

وبالسند قال :

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ) القَعْنَبِيُّ، (عن مالك) إمام دار الهجرة،
(عن نعيم بن عبد الله المُجْمِرِ، بلفظ اسم الفاعل من الإجمار، وهو
صفة لنعيم ولأبيه، كما مرّ في ترجمته في (باب فضل الوضوء)).

(عن علي بن يحيى بن خلاد الزُّرْقَيِّ) - بضم الزاي وفتح الراء
وبالقاف - الأنباري، المدنبي، وجده خلاد بن رافع صحابي، وهو
المسيء صلاته .

ووثق علياً ابن معين والنسائي والدارقطني وغيرهم .

مات سنة تسعة وعشرين ومئة . روى له الجماعة ما عدا مسلماً
والترمذى .

(عن أبيه) هو يحيى بن خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان
الأنباري، الزُّرْقَيِّ، المدنبي، قيل: إنه ولد على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحنكه،

وقال عليه الصلاة والسلام: «لأنه اسمه لم يسم به أحد بعد يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام»، فسماه يحيى.

وقد وهم من أرخ وفاته؛ أي: وهو أبو بكر بن أبي عاصم في سنة ثمان وعشرين، أو التي بعدها، فإنه انتقل نظره إلى وفاة حفيده يحيى بن علي بن يحيى، كما قاله الحافظ، أو إلى وفاة ابنه علي كما مرّ في ترجمته.

وأما صاحب الترجمة، فقال الذهبي: إنه قديم الموت، لعله مات قبل سهل بن سعد، وقال في «التفريغ»: مات في حدود التسعين، وكذا قال في «تهذيبه»، وإنني لأتعجب لمثل هذا الحافظ - أي: وهو أبو عاصم - كيف يتخيل جواز كون شخص يولد في عهد النبي ﷺ ويقى إلى بعد سنة مئة وعشرين مع النص الصريح الصحيح الثابت في «الصحيحين» الدال على عدم جواز وقوع ذلك؛ إذ خبر الصادق عن الأمور الآتية لا شك فيه، ولا يختلف، والله أعلم، انتهى. روى له الجماعة سوى مسلم.

أنه (قال: كنا يوماً نصلّي)، وفي رواية: (كنا نصلّي يوماً) (وراء النبي)، وفي رواية: (رسول الله) ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة، قال: سمع الله لمن حمده) ظاهره أن قول التسميع وقع بعد رفع الرأس من الركوع، فيكون من أذكار الاعتدال، وقد مرّ في حديث أبي هريرة وغيره ما يدل على أنه ذكر الانتقال.

قال الحافظ: ويمكن الجمع بينهما بأن المعنى: فلما شرع في

رفع رأسه، ابتدأ القول المذكور وأتمه بعد أن اعتدل.

(قال رُجُل) زاد في رواية: (ورآه)، وفي رواية: (فقال رجل)
قال في «المصابيح»: هل هو راوي الحديث أو غيره؟ يحتاج إلى
تحرير.

وقال في «المقدمة»: في «الترمذى»: إن القائل رفاعة، وجعله
ابن منه غير راوي الحديث، ووهم الحاكم فجعله معاذ بن رفاعة،
انتهى.

ونقل في «الفتح» عن ابن بشكوال أنه رفاعة راوي الحديث،
واستدل على ذلك بما رواه النسائي من طريق معاذ بن رفاعة، عن أبيه
قال: صليت خلف النبي ﷺ فعطلت فقلت: الحمد لله... الحديث،
قال: وننزع في تفسيره به، لاختلاف سياق القصة والسبب.

والجواب أنه لا تعارض بينهما، بل يحمل على أن عطاسه وقع
عند رفع رأس النبي ﷺ، ولا مانع أن يكنى عن نفسه؛ لقصد إخفاء
عمله، أو كُني عنده؛ لنسيان بعض الرواية لاسمها.

قال: وأما ما عدا ذلك من الاختلاف في الألفاظ فلا يتضمن إلا
زيادة، لعلَّ الراوي اختصرها كما سنبينه، وأفاد بشر بن عمر الزَّهراني
في روايته عن رفاعة بن يحيى أن تلك الصلاة كانت المغرب، انتهى.

(ربنا ولَكَ الحمد حمداً)، منصوب بفعل مضمر دل عليه: (لك
الحمد)، (كثيراً)، بالمثلثة، (طبياً) خالصاً من الرياء والسمعة،
(مباركاً)؛ أي: كثير الخير، (فيه)، زاد رفاعة بن يحيى: (مباركاً عليه،

كما يحب ربنا ويرضى)، فيحتمل أن يكون تأكيداً. قال الحافظ: وهو الظاهر.

وقيل: الأول بمعنى الزيادة، والثاني: بمعنى البقاء، وفي قوله: (كما يحب ربنا ويرضى) من حسن التفويض إلى الله ما هو الغاية في القصد.

(فلما انصرف) عليه الصلاة والسلام، أي: من الصلاة، (قال: من المتكلّم)، زاد رفاعة بن يحيى في (الصلاه): (فلم يتكلّم أحد، ثم قالها الثانية، فلم يتكلّم أحد، ثم قالها الثالثة، فقال رفاعة بن رافع: أنا، قال: كيف قلت فذكره، فقال: والذي نفسي بيده) ... الحديث. (قال): أي: الرجل، (أنا)، أي: المتكلّم بذلك، (قال: رأيت بضعة وثلاثين ملّكاً)، وفي رواية: (بضعاً) وهو بكسر الباء فيهما. وفيه: رد على من زعم كالجوهري، أن البعض يختص بما دون العشرين.

(يُتذرونها)؛ أي: يسارعون إلى تلك الكلمات (أيهم يكتبها)، قال في «المصابيح»: (أي) استفهامية و(هم) مبتدأ و(يكتبها) خبره. فإن قلت: بماذا تتعلق هذه الجملة الاستفهامية؟ قلت: بمحذوف دل عليه (يُتذرونها)، كأنه قيل: يُتذرونها ليعلموا أيهم يكتبها، أو ينظرون أيهم يكتبها، ولا يصح أن يكون متعلقاً بـيُتذرون، لأنه ليس من الأفعال التي تعلق الاستفهام ولا مما يحکم به.

فإن قلت: والنظر أيضاً ليس من الأفعال القلبية، وهي من خواصها،
فكيف ساغ لك تقديره؟

قلت: في كلام ابن الحاجب وغيره من المحققين ما يقتضي أن التعليق لا يخص أفعال القلوب المتعددة إلى اثنين، بل يخص كل قلبي، وإن تعدد إلى واحد كعرف، والنظر هاهنا يحمل على نظر البصيرة فيصح تعليقه، واقتصر الزركشي حيث جعلها استفهامية، وعلى أن المعلق هو يبتدرؤن، انتهى.

وقال الحافظ: وأما (أيهم)، فرويناه بالرفع، وهو مبتدأ وخبره (يكتبها)، قاله الطيني وغيره تبعاً لأبي البقاء في إعراب قوله تعالى: **﴿يُلْقِيُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ﴾** [آل عمران: ٤٤]، قال: وهو في موضع نصب، والعامل فيه ما دل عليه **﴿يُلْقِيُونَ﴾**، وأي استفهامية، والتقدير: مقول فيهم: أيهم يكتبها، ويجوز في **﴿أَيُّهُمْ﴾** النصب بأن يقدر المذوق: ينظرون أيهم، وعند سيبويه: (أي) موصولة، والتقدير: يبتدرؤن الذي هو يكتبها أول، وأنكر ذلك جماعة من البصريين، انتهى.

وقوله: بأن يقدر المذوق: ينظرون أيهم، فيه مخالفة لكلام «المصابيح»، فإنه جعل (ينظرون) معلقة، وأيهم مرفوعاً على أنه مبتدأ، وكلامه هو الذي جاء به القرآن، قال تعالى: **﴿لَنَعْلَمَ أَئِي لَّهُ زَبِيلٌ أَحْصَنَ﴾** [الكهف: ١٢]، والله أعلم.

(أول)، قال في «المصابيح»: إما مبني على الضم؛ لأنه ظرف قطع عن الإضافة، كـ (قبل) و(بعد)؛ أي: يكتبها أول أوقات كتابتها،

وإما معرب بالنصب على الحال، وهو غير منصرف؛ أي: أسبق من غيره، انتهى.

وفي رواية: (أولاً) بالنصب منصرفًا، وفي رواية رفاعة بن يحيى: (أيهم يصعد بها أول).

قال الحافظ: ولا تعارض بينها وبين (يكتبها)؛ لأنَّه يحمل على أنهم يكتبونها، ثم يصعدون بها.

قال: والظاهر أنَّ هؤلاء الملائكة غير الحفظة، ويؤيده ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً يَطْوِفُونَ فِي الْطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ» الحديث، واستدل به على أن بعض الطاعات قد يكتبها غير الحفظة.

قيل: والحكمة في اختصاص هذا العدد من الملائكة بهذا الذكر أن عدد حروفه مطابق للعدد المذكور، فإنَّ البعض من الثلاث إلى التسع، وعدد الذِّكْر المذكور ثلاثة وثلاثون حرفاً، لكن يعُگُر على هذا الزيادة المتقدمة وهي قوله: (مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى) بناءً على أنَّ القصة واحدة.

قال: ويمكن أن يقال: المبادر إليه هو الثناء الزائد على المعتاد، وهو من قوله: (حَمْدًا كثِيرًا... إلخ)، دون تلك الزيادة، فإنها كما تقدم للتأكيد، وعدد ذلك سبعة وثلاثون حرفاً، وأما ما وقع عند مسلم من حديث أنس: (لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرؤنها). وفي حديث

أبي أيوب عند الطبراني : (ثلاثة عشر)، فهو مطابق لعدد الكلمات المذكورة في سياق رفاعة بن يحيى، ولعددتها أيضاً في سياق حديث الباب، لكن على اصطلاح النحاة، والله أعلم، انتهى.

واستدل به: على جواز إحداث ذِكْرٍ في الصلاة غير مأثور، إذا كان غير مخالف للمأثور، وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش على من سمعه، وعلى أن العاطس في الصلاة يحمد الله بغير كراهة، وأن المتلبس بالصلاحة لا يتعين عليه تشميم العاطس، وعلى تطويل الاعتدال بالذكر، كما سيأتي البحث فيه في الباب الذي بعده.

واستتبط منه: جواز رفع الصوت بالتبليغ خلف الإمام، وتقدم الكلام عليه في (باب من أسمع الناس تكبير الإمام).

قال الحافظ: وقد استشكل تأخير رفاعة إجابة النبي ﷺ حتى كرر سؤاله ثلاثة، مع أن إجابته واجبة، بل وعلى من سمع رفاعة، فإنه لم يسأل المتكلم وحده بل عَمَّ حيَثْ قال: من المتكلم؟.

وأجيب بأنه لما لم يعين واحداً بعينه لم تتعين المبادرة بالجواب من المتكلم، ولا من واحد بعينه، فكأنهم انتظروا بعضهم ليجيب، وحملهم على ذلك خشية أن ييدو في حقه شيء ظناً منهم أنه أخطأ فيما فعل، ورجوا أن يقع العفو عنه.

وكانه ﷺ لما رأى سكوتهم فهم ذلك، فعرّفهم أنه لم يقل بأساً، ويدل له ما في بعض طرقه عند ابن قانع: (قال رفاعة: فوددت أني

خرجت من مالي، وأني لم أشهد مع رسول الله ﷺ تلك الصلاة)،
ولأبي داود من حديث عامر بن ربيعة قال: (من القائل الكلمة، فإنه لم
يقل بأساً، فقال: أنا قلتها، لم أرد بها إلا خيراً).

قال الحافظ: ويحتمل أيضاً أن يكون المصلون لم يعرفوه بعينه؛
إما لإنقاذهما على صلاتهم، وإما لكونه في آخر الصفوف، فلا يرد
السؤال في حقهم، والعذر عنه - هو - ما قدمناه.

قال: والحكمة في سؤاله ﷺ عما يقال: أن يتعلم السامعون
كلامه فيقولوا مثله، انتهى.

قال البرهاني تبعاً للكرامي: ووجه مطابقة الحديث للترجمة
- أي: بناءً على أنها (باب القنوت)، وليس في الحديث ذكر له - أن
القنوت في الأصل الطاعة، ثم سمي به القيام في الصلاة، ثم صار
اسماً للدعاء المشهور، فلعل البخاري أراد بالقنوت؛ - أي: المترجم
به - تطويل القيام في الاعتدال بذكر الأدعية فيه، سواء كان دعاء قنوت
أو غيره، فالأعلى أنه ليس في بعض النسخ للباب ترجمة، فيكفي فيه
بيان فضل الحمد، انتهى.

* * *

الاطمأنينة حين يرفع رأسه من الركوع

وقال أبو حميد: رفع النبي ﷺ واستوى جالساً حتى يعود كل فقار مكانه.

(باب الاطمأنينة)، كذا للأكثر، وفي رواية: (الاطمأنينة) (حين يرفع رأسه من الركوع)، وتقدم الكلام عليها وعلى ضبطها في (باب استواء الظهر).

(وقال أبو حميد) الساعدي: (رفع النبي ﷺ) رأسه؛ أي: من الركوع، (واستوى)، وفي رواية: (فاستوى)؛ أي: قائماً، وهو دليل ما ترجم له.

قال الحافظ: وقع في رواية كريمة: (فاستوى جالساً)، فإن كان محفوظاً، حمل على أنه عَبَرَ عن السكون بالجلوس، وفيه بُعْدٌ، أو لعل المصنف أراد إلحااق الاعتدال بالجلوس بين السجدين بجامع كون كل منهما غير مقصود لذاته، فيطابق الترجمة، انتهى.

(حتى يعود كل فقار مكانه) بفتح الفاء والقاف الخفيفة، هي

خرزات الصُّلْب، وهي من^(١) مفاصله، الواحدة: فَقارَةٌ.
وقول أبي حميد يأتي مطولاً في (باب سنة الجلوس في التشهد).

* * *

٨٠٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ ثَابِتٍ قَالَ:
كَانَ أَنْسُّ يَنْعَتُ لَنَا صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ يُصَلِّي وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ
الرُّكُوعِ قَامَ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ نَسِيَ.

وبالسند قال :

(حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك الطيالسي، (قال: حدثنا شُعْبَةُ بن الحجاج، (عن ثابت) هو البُناني، (قال: كان أنس)، زاد في رواية: (ابن مالك)، (ينعَت) بفتح المهملة؛ أي: يصف لنا (صلوة النبي ﷺ وسلم فكان)؛ أي: أنس، (يصلِّي وإذا)، وفي رواية: (إذا) رفع رأسه من الركوع قام حتى نقول بالنصب؛ أي: نحن، (قد نسي) قال الكرماني: أي: نسي أنس وجوب الهوي إلى السجود.

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون المراد أنه نسي أنه في صلاة، أو ظن أنه وقت القنوت حيث كان معتدلاً، أو وقت التشهد حيث كان جالساً، وعند الإماماعيلي: (قلنا: قد نسي لأجل طول القيام).

قال الحافظ: وهذا الحديث رواه حماد بن زيد عن ثابت مطولاً،

(١) «من» ليست في (و).

كما سيأتي في (باب المكث بين السجدين)، وفيه التصريح بوصف أنس لصلة النبي ﷺ بالفعل.

قال: وفيه - أي: وفي حديث أنس الآتي - إشعار بأنهم كانوا يخلون بتطويل الاعتدال.

* * *

٨٠١ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رُكُوعُ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَسُجُودُهُ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو الوليد) الطيالسي، قال: (حدثنا شعبة) بن الحجاج، (عن الحكم) بفتحتين (عن ابن أبي ليلى) هو عبد الرحمن، (عن البراء): أي: ابن عازب رضي الله عنهما، (قال: كان ركوع النبي ﷺ وسجوده وإذا رفع)، أي: وكان رفعه إذا رفع؛ أي: (رأسه) كما زاده في رواية، (من الركوع وبين السجدين)؛ أي: وكان جلوسه بين السجدين، (قريباً من السواء) والمراد أن زمان ركوعه وسجوده واعتداله وجلوسه متقارب.

وفي رواية لمسلم: (فوجدت قيامه فركعه فاعتداله...) الحديث، وفيه إشعار بأن فيها تفاوتاً لكنه لم يعينه، وهو دال على الطمانينة في الاعتدال وبين السجدين، لما علم من عادته من تطويل الركوع والسجود.

وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في (باب حد إتمام الركوع والاعتدال فيه والطمأنينة)، وفيه استثناء القيام والقعود بلفظ: (ما خلا القيام والقعود).

وجزم الحافظ هنا: بأن المراد بالقيام المستثنى: القيام للقراءة، وبالقعود: القعود للتشهد.

قال ابن دقيق العيد: هذا الحديث يدل على أن الاعتدال ركن طويل، وحديث أنس - أي: الذي قبله - أصرح في الدلالة على ذلك، بل هُوَ نص فيه، فلا ينبغي العدول عنه للدليل ضعيف، وهو قولهم: لأنَّه لَم يَسْنَ فِيهِ تَكْرِيرُ التَّسْبِيحَاتِ كَالرَّكْوَعِ وَالسُّجُودِ.

ووجه ضعفه أنه قياس في مقابلة النص فهو فاسد، وأيضاً فالذكر المشروع في الاعتدال أطول من الذكر المشروع في الركوع، فقوله في الاعتدال: (اللَّهُمَّ رَبُّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيْبًا مَبَارِكًا فِيهِ)، قريب من (سبحان ربِّي العظيم) ثلاثة، وقد شرع فيه ذكر أطول كما في مسلم بعد قوله: (حَمْدًا كَثِيرًا طَيْبًا مَلِءَ السَّمَاوَاتِ، وَمَلِءَ الْأَرْضَ، وَمَلِءَ مَا شَئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ)، زاد في رواية: (اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلَجِ... إِلَخِ)، وفي أخرى: (أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ)؛ أي: وتقديم في حديث رفاعة ترك إنكار النبي ﷺ على ما زاده من غير المأثور.

قال القلقشنسندي: ولهذا اختار النووي من حيث الدليل جواز تطويل الاعتدال بالذكر، وكذلك الجلوس بين السجدين، وتبعه السبكي وغيره، ومنهم الحافظ.

وكلام الشافعي في «الأم» يدل عدم البطلان بتطويل الاعتدال ولفظه: ولو أطالت القيام بذكر الله أو يدعوا أو ساهياً وهو لا ينوي القنوت كرهت له ذلك ولا إعادة، انتهى.

قال الحافظ: والعجب مع هذا ممن يقول: الأصح بطلانها بتطويل الاعتدال^(١).

وتعقب القلقشندى الاستدلال بكلام الشافعى المذكور فقال: قد يقال: كلامه إنما هو في الاعتدال المشروع فيه القنوت، وهو يقتضى التطويل، قال: وقال الإمام: ظاهر المذهب بطلان الصلاة بتطويل الركن القصير، وصححه الرافعى والنوى في «المنهج» وغيره، ووجهوه بأن الإطالة تنفي الموالاة.

وتعقبه الأستنوى بأن معنى الموالاة أن لا يتخلل فصل طويل بين الأركان بما ليس منها، وما ورد به الشرع لا يصح نفي كونه منها.

قال الحافظ: وأجاب بعضهم عن حديث البراء أن المراد بقوله: (فريباً من السواء) ليس أنه كان يركع بقدر قيامه، وكذا السجود والاعتدال، بل المراد أن صلاته كانت معتدلة، فكان إذا أطالت القراءة أطالت بقية الأركان، وإذا أخفتها أخف بقية الأركان، فقد ثبت أنه قرأ في الصبح بالصافات، وثبت في «السنن» عن أنس أنهم حزروا في الصبح قدر عشر تسبيحات، فيحمل على أنه إذا قرأ بدون الصافات اقتصر على

(١) في «و» و«ن»: «العادة» والمثبت من «فتح الباري» (٢/٢٨٩).

دون العشر، وأقله كما ورد في «السنن» أيضاً ثلاث تسييحات، انتهى.

* * *

٨٠٢ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ،
عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: كَانَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثُ يُرِينَا كَيْفَ
كَانَ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَاكَ فِي غَيْرِ وَقْتٍ صَلَاةٌ، فَقَامَ فَأَمْكَنَ الْقِيَامَ،
ثُمَّ رَكَعَ فَأَمْكَنَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَنْصَتَ هُنْيَةً، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا
صَلَاةً شَيْخِنَا هَذَا أَبِي بُرَيْدٍ، وَكَانَ أَبُو بُرَيْدٍ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ
الآخِرَةِ اسْتَوَى قَاعِدًا ثُمَّ نَهَضَ.

وبالسند قال:

(حدثنا سليمان بن حرب) الواشِحِيُّ، (قال: حدثنا حماد بن زيد)، أي: ابن درهم، (عن أيوب) السُّخْتَيَانِيُّ، (عن أبي قِلَابَةَ) عبد الله بن زيد الجَرَمِيُّ، (قال: كان) وفي رواية: (قام) بدل (كان)، (مالك بن الحويرث) والأولى تشعر بتكرير ذلك منه، (يُرِينَا) بضم أوله من الإراءة، (كيف كان صلاة النبي ﷺ وذاك) وفي رواية: (وذلك)، باللام، (في غير وقت صلاة)؛ أي: لأجل التعليم، وفي رواية: (الصلاحة)، (فقام فامكن القيام) أي: مَكَّنَ، يقال: مَكَّنَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْءِ - بالتشديد - وأمكنته.

(ثم ركع فامكن الركوع ثم رفع رأسه فانصب) بهمزة وصل

وتشديد الموحدة من الصب، هذه هي الرواية المشهورة، كأنه كنى عن رجوع أعضائه عن الانحناء إلى القيام بالانصباب، وفي رواية: (فأنصت) بهمزة مقطوعة وأخره مثناة خفيفة.

قال بعضهم - أي: وهو الكرماني -: و معناه: سكت فلم يكبر للهوي في الحال.

ونظر فيه الحافظ ثم قال: والأوجه أنه كناية عن سكون أعضائه، عبر عن عدم حركتها بالانصات، وذلك دال على الطمأنينة.

قال: وحکى ابن التين أن بعضهم ضبطه بالمثناة المشددة بدل الموحدة، ووجهه بأن أصله: انصوت فأبدل من الواو تاءً ثم أدغمت إحدى التاءين في الأخرى، وقياسه: إنصات، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً.

قال: ومعنى انصات: استوت قامته بعد الانحناء، قال: ومن نقل عن ابن التين أنه ضبطه بتشديد الموحدة فقد صحف.

قال: ووقع عند الإسماعيلي: «فانتصب قائماً»، وهي أوضح من الجميع، انتهى.

(هنية): أي: شيئاً قليلاً، وهي بضم الهاء وفتح النون وتشديد التحتية، (قال): أي: أبو قلابة: (فصل بنا) مالك (صلاة شيخنا هذا) أي: كصلاته (أبي يزيد) اختلف في ضبطه، فعند الأكثرون أنه بالتحتانية والزاي من الزيادة، وعند غيرهم بالموحدة والراء مصغراً، وكذا ضبطه مسلم في «الكُنْيَةِ».

وقال عبد الغني بن سعيد: لم أسمعه إلا بالزاي، لكن مسلم
أعلم، والله أعلم.

واسمه: عمرو بن سلِّمة بكسر اللام الجرمي، واقتصر على
تسميته بذلك في «باب المكث بين السجدين»، وتأتي ترجمته وبقية
الكلام عليه هناك، ويأتي حديث البراء هناك أيضاً، وتقدم أيضاً بعض
الكلام على حديث مالك في (باب من صلى بالناس وهو لا يريد إلا أن
يعلمهم).

(وكان أبو يزيد) فيه الروايتان السابقتان (إذا رفع رأسه من
السجدة الأخيرة استوى) حال كونه: (قاعداً)، أي: للاستراحة، (ثم
نهض) أي: قام.

* * *

١٢٨ - باب

يَهُوِي بِالْتَّكْبِيرِ حِينَ يَسْجُدُ

وَقَالَ نَافِعٌ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَضْعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ .

(باب) بالتنوين : (يهوي) ضبطه بعضهم بضم التحتية وفتحها، قال الحافظ : والفتح أرجح، وقع في روايتنا بالوجهين، انتهى؛ أي : يهبط أو ينحط، (بالتكبير حين يسجد، وقال نافع) هو مولى ابن عمر، (كان ابن عمر) بن الخطاب رض، إذا سجد (يضع يديه)؛ أي : كفيه، (قبل) أن يضع (ركبتيه) وصله ابن خزيمة والطحاوي وغيرهما من طريق الدراردي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع بهذا، وزاد في آخره ويقول : (كان النبي ﷺ يفعل ذلك).

قال البيهقي : لا أراه إلا وهما؛ يعني رفعه، قال : والمحفوظ وقفه على ابن عمر، ولفظه : قال - أي : ابن عمر - : (إذا سجد أحدهم فليضع يديه، وإذا رفع فليرفعهما)، انتهى .

قال الحافظ : ولقلائل أن يقول : هذا الموقوف غير المرفوع، فإن الأول في تقديم وضع اليدين على الركبتين، والثاني في إثبات وضع اليدين في الجملة، قال : واستشكل إيراد هذا الأثر في هذه الترجمة .

وأجاب الزين بن المُيَّرَ بما حاصله : أنه لما ذكر صفة الهوي إلى

السجود القولية أردها بصفتها الفعلية.

وقال أخوه: أراد بالترجمة وصف حال الهوي من أفعال ومقال،
انتهى.

قال: والذي يظهر أن أثر ابن عمر من جملة الترجمة، فهو مترجّم به، لا مترجّم له، والترجمة قد تكون مفسرة لمجمل الحديث، وهذا منها، انتهى.

وهذه الصفة هي الأفضل عند مالك، قال: لأنها أحسن في خشوع الصلاة، وبه قال الأوزاعي، واستدل له بحديث أبي هريرة المروي في «السنن» بلفظ: «إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير، ولipضع يديه قبل ركبتيه»، وعرض بحديث عنه أخرجه الطحاوي، ولكن إسناده ضعيف.

وعند الحنفية والشافعية: الأفضل أن يضع ركبتيه ثم يديه، وهو مذهب الجمهور، قالوا: لأن الركبتين أقرب إلى الأرض، واستدل له بحديث وائل بن حجر المروي في «السنن» أيضاً، وحسنه الترمذى، ولفظه: قال: رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه، وقال النووي: لا يظهر ترجيح أحد المذهبين على الآخر من حيث السنة، انتهى.

وعن مالك وأحمد رواية بالتخيير، وادعى ابن خزيمة أن حديث أبي هريرة منسوخ بحديث سعيد - أي: المروزي - في «صحيحه» قال: كنا نضع اليدين قبل الركبتين، فأمرنا بالركبتين قبل اليدين.

قال الحافظ: وهذا لو صح لكان قاطعاً للنزع، لكنه من أفراد إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، وهما ضعيفان.

وقال الحافظ في «بلغ المرام من أحاديث الأحكام»: حديث أبي هريرة - أي: المار - أقوى من حديث وائل، قال: لأن لحديث أبي هريرة شاهداً من حديث ابن عمر، صحيحه ابن خزيمة، وذكره البخاري معلقاً وموقوفاً، انتهى.

ومراده بذلك قوله هنا: «وقال نافع...» إلخ.

* * *

٨٠٣ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ وَغَيْرِهَا فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ، فَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبَّا وَلَكَ الْحَمْدُ، قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، حِينَ يَهْوِي سَاجِداً، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الْإِثْتَيْنِ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَنْصَرِفُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَا قَرِئْتُكُمْ شَبَهًا بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنْ كَانَتْ هَذِهِ

لَصَلَاتَهُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا .

٨٠٤ - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ يَقُولُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ رَبِّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ، يَدْعُو لِرِجَالٍ فِي سَمَاءِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَيَقُولُ : «اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَالْمُسْتَضْعَفَيْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأْنَكَ عَلَى مُضَرَّ ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِينَ كَسِينِيْ يُوسُفَ» ، وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ مِنْ مُضَرَّ مُخَالِفُونَ لَهُ .

وَبِالسِنْدِ قَالَ :

(حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا) وفي رواية: (حدثنا) (شعب)؛ أي: ابن أبي حمزة، (عن) ابن شهاب (الزهري قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام)؛ أي: ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم القرشي المخزومي، أحد الفقهاء السبعة.

قيل: اسمه محمد، وقيل: اسمه أبو بكر، وكنيته أبو عبد الرحمن، وال الصحيح أن اسمه وكنيته واحد، وهو والد عبد الملك وإخوته، كان ثقة، فقيهاً، عالماً، شيخاً، كثير الحديث، وكان قد ذهب بصره، واستصغر يوم الجمل فرداً هو وعروة بن الزبير.

ولد في خلافة عمر بن الخطاب وكان يقال له: راهب قريش؛ لكثره صلاته، وكان إذا سجد يضع يده في طست ماء من علة كان يجدها.

وعن بعض العلماء أنه قال : ثلاثة أبيات من قريش توالٰت خمسةٌ خمسةٌ بالشرف ، كل رجل منهم من أشرف أهل زمانه ، فمن الثلاثة الأبيات ؛ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقال أخوه عمر : إن أخاه أبا بكر كان يصوم ولا يفطر .

مات سنة أربع وتسعين بالمدينة ، وكان يقال لهذه السنة : سنة الفقهاء لكترة من مات منهم فيها ، وفيها مات علي بن الحسين ، وسعيد ابن المسيب ، وكان قد صلى العصر ودخل مغسله فسقط ، فجعل يقول : والله ما أحدثت في صدر نهاري هذا شيئاً ، فما غربت الشمس حتى مات ، وقيل : مات سنة ثلاثة ، وقيل : خمس وتسعين .
روى له الجماعة .

(وأبو سلمة ابن عبد الرحمن أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ زاد النسائي : (حين استخلفه مروان على المدينة) ، (كان يكبير في كل صلاةٍ من المكتوبة وغيرها ، في رمضان وغيره ، فيكبير حين يقوم) ؛ أي : للإحرام ، (ثم يكبر حين يركع ثم يقول : سمع الله لمن حمده ثم يقول : ربنا ولك الحمد) باللواو .

(قبل أن يسجد ثم يقول : الله أكبر حين يهوي) بفتح أوله ، وفي رواية : بضميه ، (ساجداً) فيه : أن التكبير ذكر الهوي ، فيبتدئ به من حين يشرع في الهوي بعد الاعتدال إلى حين يتمكن ساجداً .

(ثم يكبير حين يرفع رأسه من السجود) حتى يجلس ، (ثم يكبير حين يسجد) ؛ أي : الثانية ، (ثم يكبير حين يرفع رأسه من السجود ، ثم

يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الْجَلْوَسِ فِي الْاثْتَيْنِ)؛ أَيْ : الرُّكُعَتِيْنِ الْاثْتَيْنِ .
وَفِيهِ : أَنَّهُ يُشَرِّعُ فِي التَّكْبِيرِ مِنْ حِينِ ابْتِدَاءِ الْقِيَامِ إِلَى الْثَالِثَةِ بَعْدِ
الْتَّشْهِدِ ، خَلَافًا لِمَنْ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَكْبُرُ حَتَّى يَسْتَوِيْ قَائِمًا ، وَسِيَّأَتِيُّ فِي
بَابِ مُفْرَدٍ بَعْدِ بَضْعَةِ عَشَرَ بَابًا .

(وَيَفْعُلُ ذَلِكَ)؛ أَيْ : التَّكْبِيرُ وَغَيْرُهُ (فِي كُلِّ رُكُوعٍ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ
الصَّلَاةِ ، ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَنْصُرِفُ) - أَيْ : مِنَ الصَّلَاةِ - : (وَالَّذِي نَفْسِي
بِيْدِهِ إِنِّي لِأَقْرِبُكُمْ شَبَهًا بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ) بِكَسْرِ هَمْزَةِ (إِنْ)
وَهِيَ الْمُخْفَفَةُ مِنَ الْثَقِيلَةِ ، وَاسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ ، (هَذِهِ)؛ أَيْ : الصَّلَاةُ
الَّتِي صَلَيْتُهَا (الصَّلَاتَهُ) بِالنَّصْبِ خَبْرُ كَانَ ، وَاللَّامُ لِلتَّأْكِيدِ ، وَجَمْلَةُ
قَوْلِهِ : (كَانَتْ) مَعَ اسْمَهَا وَخَبْرِهَا مُفْسِرَةُ ضَمِيرِ الشَّأْنِ ، (حَتَّى فَارَقَ
الْدُّنْيَا ، قَالَا)؛ أَيْ : أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَأَبُو سَلْمَةَ الْمَذْكُورَانِ ،
وَهُوَ مَوْصُولٌ بِالْإِسْنَادِ الْمَذْكُورِ إِلَيْهِمَا .

(وَقَالَ أَبُو هَرِيرَةَ) صَاحِبُ الْمُؤْمِنَاتِ : (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ؛
أَيْ : مِنَ الرُّكُوعِ ، (يَقُولُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ) ، وَيَقُولُ فِي
الْاعْتِدَالِ : (رَبِّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ) ، بِالْوَوْا وَفِي جَمْعِ بَيْنِهِمَا .

(يَدْعُو) قَالَ الْبِرْمَاوِيُّ تَبَعًا لِلْكَرْمَانِيُّ : خَبْرُ لَـ (كَانَ) بَعْدَ خَبْرِهِ ،
أَوْ عَطْفٌ بَدْوَنِ عَاطِفٍ ، كَمَا قَالَ النَّوْوَيُّ فِي (الْتَّحِيَاتِ الْمَبَارَكَاتِ) أَنَّ
تَقْدِيرَهُ : وَالْمَبَارَكَاتِ ، حَذَفَتْ مِنْهُ الْوَوْا اخْتِصارًا ، قَالَ : وَفِي بَعْضِهَا :
(ثُمَّ يَدْعُو) ، وَقَالَ الْعَيْنِيُّ : وَالْأُوْجَهُ أَنَّ يَكُونَ حَالًا مِنْ ضَمِيرِ (يَقُولُ) .

(لِرَجَالِ)؛ أَيْ : مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، (فَيُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَيَقُولُ)

عليه الصلاة والسلام: (اللهم أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ) هو أخو خالد بن الوليد بن المغيرة، وهمزة (أَنْجِ) مقطوعة، (وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامَ) وهو أخو أبي جهل بن هشام بن المغيرة، (وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ) هو أخو أبي جهل لأمه، وهؤلاء الثلاثة أسباط المغيرة، وكلهم نجوا من الأسر ببركة دعائِهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، (وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) عامًّا بعد خاصٍ.

ثم يقول عليه الصلاة والسلام: (اللهم اشْدُدْ)، بهمزة وصل وضم الدال الأولى، (وَطَأْتَكَ)، بفتح الواو وسكون الطاء وفتح الهمزة، من الْوَطْئِ، وهو شدة الاعتماد على الرجل، والمراد: بأسك وعقوبتك (على مُضَرِّ)؛ المراد بهم كفار قريش، (وَاجْعَلْهَا) قال الزَّرْكَشِي: الضمير للوَطْأَةِ، أو للأيامِ، وإن لم يسبق لها ذكر، لما دل عليه المفعول الثاني الذي هو (سنين).

وقال الدَّمَامِيُّ: ولا مانع من أن يجعل عائداً إلى (السنين)، لا إلى الأيام التي دلت عليها (السنين)، قال: وقد نصوا على جواز عود الضمير إلى المتأخر لفظاً ورتبة إذا كان مخبراً عنه بخبر يفسره، مثل: «إِنَّهِ إِلَّا حَيَاتُنَا الَّذِيَّ» [الأنعام: ٢٩]؛ أي: فإن ضمير (هي) عائد على (حياتنا)، وما نحن فيه من هذا القبيل، انتهى.

(عليهم سنين) جمع سنة، والمراد بها هنا زمان القحط، وسقط لفظ (سنين) من رواية، (كَسِنِي يوسف)، بإسقاط النون للإضافة؛ جرياً على اللغة الغالبة فيه، وهي إجراؤه مجرى المذكر السالم، والتشبيه بها في اشتداد زمان المحنـة والبلاء، وبلغ غاية الجهد والضراء.

(وأهل المشرق يومئذ من مصر مخالفون له) عليه الصلاة والسلام، ويأتي الكلام على قوله: (وكان رسول الله ﷺ حين يرفع رأسه...) إلخ، في (تفسير سورة آل عمران) إن شاء الله تعالى، وإنما ذكره البخاري هنا استطراداً، وقد أورده مختصراً في (باب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع)، ويأتي أيضاً في أول (الاستسقاء).

* * *

٨٠٥ - حَدَّثَنَا عَلَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ غَيْرَ مَرَّةٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَّسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: سَقَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ فَرَسٍ - وَرَبِّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ فَرَسٍ - فَجُحِشَ شِقْهُ الْأَيْمَنُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نُعُودُهُ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِنَا قَاعِدًا وَقَعَدْنَا - وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: صَلَّيْنَا قُعُودًا - فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمِّ بِهِ، فَإِذَا كَبَرَ فَكَبَرُوا وَإِذَا رَكِعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا».

قَالَ سُفْيَانُ: كَذَا جَاءَ بِهِ مَعْمَرٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: لَقَدْ حَفِظَ، كَذَا قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَلَكَ الْحَمْدُ، حَفِظْتُ مِنْ شِقْهِ الْأَيْمَنِ، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ الزُّهْرِيِّ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ - وَأَنَا عِنْدُهُ -: فَجُحِشَ سَاقُهُ الْأَيْمَنُ.

وبالسند قال :

(حدثنا علي بن عبدالله) هو ابن المديني، (قال: حدثنا سفيان) هو ابن عبيدة، (غير مرة) هو تأكيد لروايته، (عن الزهرى قال: سمعت أنس بن مالك) الأنصارى رضي الله عنه (يقول: سقط رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عن فرس، وربما قال سفيان: من فرسٍ) فيه إشعار بتثبت علي بن عبدالله، ومحافظته على الإitan بالفاظ الحديث، (فجحش) بضم الجيم وكسر الحاء المهملة وآخره شين معجمة؛ أي: خدش، ووقع في رواية أبي نعيم في قصة الصلاة بلفظ: (فجحش أو خدش) على الشك.

(شقة الأيمن، فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا حال كونه، (قاعداً وقعدنا)، وفي رواية: (فقعدنا)، بالفاء.

(وقال سفيان مرتاً: صلينا قعوداً؛ أي: بدل قوله: (وقدعدنا)، (فلما قضى الصلاة)؛ أي: فرغ منها قال عليه الصلاة والسلام: (إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبّروا، وإذا رفع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولد الحمد) - باللواو - (وإذا سجد فاسجدوا، كذا جاء به معمراً) بفتح الميمين، وهو ابن راشد، وزاد في رواية: (قال سفيان: كذا جاء به معمراً؟) أي: قال سفيان مستفهماً من ابن المديني: أرواه معمراً مثل ما رویتُ لك؟ فهمزة الاستفهام مقدرة قبل (كذا)، (قلت: نعم) جاء به معمراً كذلك.

قال الحافظ: كأنَّ مستندَ عليٍّ في ذلك رواية عبد الرزاق عن

مَعْمَرٌ، فَإِنَّهُ - أَيْ : عبد الرزاق - مِنْ مَشَايِخِهِ؛ أَيْ : مَشَايِخُ عَلِيٍّ بِخَلَافَةِ مَعْمَرٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْرِكْهُ، وَإِنَّمَا يَرْوِي عَنْهُ بِوَاسْطَةِ، وَكَلَامِ الْكَرْمَانِيِّ يَوْهَمُ خَلَافَ ذَلِكَ، اَنْتَهَى .

أَيْ : يَوْهَمُ أَنَّ عَلِيًّا يَرْوِيَ عَنْ مَعْمَرٍ، كَمَا يَرْوِيَ عَنْ سَفِيَّانَ عَنِ الْزَّهْرِيِّ، وَقَلْدَهُ فِي ذَلِكَ الْبِرْمَاوِيِّ قَالَ : أَوْ أَرَادَ سَفِيَّانَ بِهَذَا الْاسْتِفَهَامَ تَقْرِيرَ رَوَايَتِهِ بِمَوْافِقَةِ مَعْمَرٍ لَهُ .

(قال) سَفِيَّانَ : (وَاللَّهُ لَقَدْ حَفَظَ)؛ أَيْ : مَعْمَرٌ عَنِ الْزَّهْرِيِّ حَفْظًا جَيْدًا، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِقُوَّةِ حَفْظِ سَفِيَّانَ بِحِيثِ يَسْتَجِيدُ حَفْظُ مَعْمَرٍ إِذَا وَافَقَهُ، (كَذَا قَالَ الْزَّهْرِيُّ : وَلَكَ الْحَمْدُ) وَهَذَا تَفْسِيرٌ وَبِيَانٌ لِقُولِهِ : (كَذَا قَالَ)؛ أَيْ : حَفْظُ مَعْمَرٍ كَمَا قَالَهُ الْزَّهْرِيُّ بِالْوَوْاَوْ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ الْزَّهْرِيِّ لَمْ يَذْكُرِ الْوَوْاَوْ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي رَوَايَةِ الْلَّيْثِ وَغَيْرِهِ عَنِ الْزَّهْرِيِّ، كَمَا تَقْدِمُ فِي (بَابِ إِيْجَابِ التَّكْبِيرِ). قَالَ سَفِيَّانَ : (حَفْظَتْ) وَفِيهِ رَوَايَةٌ : (وَحَفَظَتْ) بِزِيَادَةِ وَوْاَوْ، وَهِيَ أَوْضَعُ . (مِنْ شَقَّةِ الْأَيْمَنِ)؛ أَيْ : حَفْظَتْ هَذَا الْفَظْ .

(فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عَنْدِ الْزَّهْرِيِّ، قَالَ ابْنُ جَرِيْحَ - وَأَنَا عَنْهُ - : فَجُبِحِشَ سَاقُهُ الْأَيْمَنِ) قَالَ الْحَافِظُ : فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ جُودَةِ ضَبْطِ سَفِيَّانَ؛ لَأَنَّ ابْنَ جَرِيْحَ سَمِعَهُ مَعْهُمْ مِنْ الْزَّهْرِيِّ بِلِفْظِ : (سَاقُهُ)، وَهِيَ أَخْصُ مِنْ : (شَقَّةِ) .

قَالَ : لَكِنَّ هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ ابْنَ جَرِيْحَ عَرَفَ مِنْ الْزَّهْرِيِّ فِي وَقْتٍ آخَرَ أَنَّ الَّذِي خُدْشَ هُوَ سَاقُهُ؛ لَبَعْدَ أَنْ يَكُونَ نَسِيَّ هَذِهِ الْكَلْمَةِ

في هذه المدة اليسيرة، وقد قدمنا الدلالة على ذلك في (باب إنما جعل الإمام ليؤتم به)، انتهى.

قال الكرماني: فإن قلت: (وأنا عنده) علام عطف.

قلت: على مقدر، وهو جملة حالية من فاعل (قال) مقدراً؛ إذ تقديره: قال الزهري: وأنا عنده، ويحتمل أن يكون هو مقول سفيان لا ابن جريج، والضمير - أي: في هذا - راجع إلى ابن جريج لا إلى الزهري.

قال الحافظ: وهذا أقرب إلى الصواب، ومقول ابن جريج هو: (فجحش).

* * *

فَضْلِ السُّجُودِ

٨٠٦ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شَعِيبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيَّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ الْلَّيْثِيُّ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُخْسِرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَبْيَغْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَبَعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَبَعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَبَعُ الطَّوَاغِيْتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرْفَنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرِبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِيَّ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجْوِزُ مِنَ الرَّسُولِ بِأَمْتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرَّسُولُ، وَكَلَامُ الرَّسُولِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلَّمْ سَلَّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ:

«فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطُفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوَبِّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِدُ لِتَمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمْرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرُفُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ السُّجُودِ، وَحَرَمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثْرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثْرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَسُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَبْتُوُنَ كَمَا تَبَتَّ الْحِجَةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَرْغُفُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قَبْلَ النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبَّ! اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَأُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بَهْجَتَهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُنَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبَّ! قَدْمِنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيَاثِقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبَّ! لَا أَكُونُ أَشْقَى حَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيْتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالشُّرُورِ،

فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبَّ! أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيَحْكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرْكَ! أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيَاتَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبَّ! لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ كَلَّكَ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَسْمَنَ حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْبِيْسُهُ، قَالَ اللَّهُ كَلَّكَ مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَوْلَهُ: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ».

(حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع قال: (أخبرنا شُعيب)؛ أي: ابن أبي حمزة، (عن) ابن شهاب (الزهري) قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة رض (أخبرهما أن الناس قالوا: يا رسول الله! هل نرى)؛ أي: نبصر (ربنا يوم القيمة؟ قال) عليه الصلاة والسلام: (هل تُمارُون) بضم التاء والراء، من المماراة، وهي المجادلة، وفي رواية بفتحهما من التفاعل، حذفت إحدى التائين؛ أي: هل تشكون في القمر؛ أي: في رؤيته.

(ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله! قال:

فهل تمارون) فيه الضبطان السابقان (في الشمس) وفي رواية: (في رؤية^(١) الشمس) (ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا) زاد في رواية: (يأرسول الله)، (قال: فإنكم ترونـه كذلك)؛ أي: بلا مِرية، ظاهراً جلياً، ولا يلزم منه المشابهة في الجهة والمقابلة وخروج الشعاع؛ لأنـها أمور لازمة للرؤـية عادة لا عقلاً، والعـقل يجوز ذلك بدونـها.

(يـحـسـرـ النـاسـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـيـقـوـلـ) الله تعالى ، أو القائل: (من كان يعبد شيئاً فـلـيـتـبـعـهـ) بـتـشـدـيـدـ الـمـشـنـاةـ الـفـوـقـيـةـ وـكـسـرـ الـمـوـحـدـةـ ، وـفـيـ رـوـاـيـةـ: (فـلـيـتـبـعـ) بـدـوـنـ ضـمـيرـ ، وـقـالـ الـدـمـامـيـ: روـيـ بـالـتـشـدـيـدـ وـبـالـتـخـفـيـفـ وـفـتـحـ الـمـوـحـدـةـ .

(فـمـنـهـمـ مـنـ يـتـبـعـ الشـمـسـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ يـتـبـعـ الـقـمـرـ) ، وـمـنـهـمـ مـنـ يـتـبـعـ الطـوـاغـيـتـ) جـمـعـ طـاغـوتـ وـهـوـ الشـيـطـانـ ، وـقـيـلـ: غـيرـ ذـلـكـ مـاـ سـيـأـتـيـ فـيـ الـبـابـ الـذـيـ سـنـشـيـرـ إـلـيـهـ .

(وـتـبـقـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ) الـمـحـمـدـيـةـ ، (فـيـهـاـ مـنـافـقـوـهـاـ) يـسـتـرـوـنـ بـهـمـ كـمـاـ استـرـوـنـ بـهـمـ فـيـ الدـنـيـاـ؛ رـجـاءـ أـنـ يـتـفـعـوـاـ بـذـلـكـ حـتـىـ ﴿فَضَرِبَ بَيْنَهُمْ سُورٌ لَهُمْ بَابٌ﴾ [الـحـدـيـدـ: ١٣ـ] الـآـيـةـ .

(فـيـأـتـيـهـمـ اللـهـ)؛ أي: يـظـهـرـ لـهـمـ فـيـ غـيرـ صـورـتـهـ - أي: صـفـتـهـ - الـتـيـ تـبـعـهـمـ بـهـاـ فـيـ الدـنـيـاـ اـمـتـحـانـاـ مـنـهـ؛ لـيـقـعـ التـمـيـزـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ غـيرـهـمـ مـنـ يـعـبـدـ غـيرـهـ تـعـالـىـ .

(١) «في رؤية» ليست في «و».

(فيقول: أنا ربكم)؛ فيستعيذون منه، كما جاء التصريح به في غير هذا الموضع؛ لأنهم لم يظهر لهم بالصفات التي يعرفونها، لأن معهم منافقين لا يستحقون الرؤية وهم محجوبون.

(فيقولون: هذا مكاننا) بالرفع؛ لأنه خبر المبتدأ، (حتى يأتينا)؛ أي: يظهر لنا ربنا، (إذا جاء)؛ أي: ظهر (ربنا عرفناه فيأتיהם الله)؛ أي: يظهر متجلياً بصفاته المعروفة عندهم، وقد تميز المؤمن من المنافق، (فيقول: أنا ربكم) فإذا رأوا ذلك عرفوه به، (فيقولون أنت ربنا)، وقيل في تفسيره غير ذلك، مما يأتي في الباب المذكور.

(فيدعوهم) ربهم، (ويضرب) بالبناء للمفعول، وفي رواية: (فيضرب) بالفاء، (الصراط بين ظهراني جهنم)؛ أي: بين ظهريهما، زيدت الألف والنون للمبالغة، وقيل غير ذلك، والمراد أنه يُمَدُّ عليها. (فأكون أول من يجُوز)؛ أي: على الصراط، وفي بعضها: (يجيز) من أجاز، وهي لغة في جاز، يقال: جاز وأجاز إذا قطع المسافة، (من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ)؛ أي: حين الإجازة، (أحد)؛ لشدة الهول، (إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ^(١): اللهم سلم سلم) مكرراً؛ شفقة منهم على الخلق.

(وفي جهنم كَلَالِيب) جمع كَلَّوب - بفتح الكاف وضم اللام المشددة - حديدة معكوفة الرأس يعلق عليها اللحم، ويقال لها:

(١) «يومئذ» ليست في «و».

كُلَّاب، (مثل شوك السَّعْدان) بفتح أوله وسكون العين المهملة وبإهمال الدال، نبت له شوك من جيد مراعي الإبل، (هلرأيتم شوك السَّعْدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السَّعْدان غير أنه لا يعلم قدرَ عظمتها إلا الله تخطف) وفي رواية: (فتخطف) بفتح الطاء في الأفصح، ويجوز كسرها (الناس) بسرعة (بأعمالهم)؛ أي: بسبب أعمالهم السيئة، أو على حسب أعمالهم وبقدرها.

(فمنهم من يُوبِق) بالبناء للمجهول، من وُبِقَ ببنائه كذلك؛ أي: هلك، أي: يهلك (بعمله) وقال الطبرى: (يُوثق) بالمثلثة، بدل الموحدة، من الوثاق.

(ومنهم من يُخْرِدُل) ببنائه كذلك، وبالدال المهملة، وعن أبي عبيد: بالمعجمة؛ أي: يقطع، يقال: خرَدلت اللحم إذا قطعه قطعاً صغاراً، والمعنى: أن الكلاليب تقطعه كذلك، حتى يهوي إلى النار. وقال القسْطَلَانِي: وللأَصْبَلِي بالجيم، بمعنى الإشراف على الهاك، انتهى.

(ثُمَّ ينجو حتى إذا أراد الله) ~~تَعَذَّلَ~~ (رحمَةً من أراد من أهل النار) من المؤمنين المخلصين، (أمر الله الملائكة أن يُخْرِجُوا) منها (من كان يعبد الله) وحده (فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرَمَ الله على النار أن تأكل أثر السجود)، قيل: هي الأعضاء السبعة التي ذكرها في حديث ابن عباس قريراً، قال الحافظ: وهذا هو الظاهر. وقيل: الجبهة خاصة، وأُيدَّ بما في «مسلم» من وجه آخر: «أن

قوماً يخرجون من النار يحرقون فيها إلا دارات وجوههم»، فإن ظاهرها يُخصُّ العموم التي في الأولى، وهذا هو موضع الترجمة.

(فَيَخْرُجُونَ) بفتح أوله مبنياً للفاعل، كالذى بعده، كما في «اليونينية»، [من النار فكل ابن آدم] تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا)، بالمنة الفوقة والحاء المهملة والشين المعجمة، وضبطه القاضي عياض عن المتقنيين بالبناء للفاعل؛ أي: وهو الذي في «اليونينية» هنا، وروي بالبناء للمفعول؛ أي: احترقوا، وقيل: اسودوا.

(فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ) بالبناء للمفعول، (ماء الحياة) الذي من شرب منه، أو صبَّ عليه منه لم يمت أبداً، (فَيَنْبَتُونَ كَمَا تَنْبَتُ الْجِبَةُ)، بكسر المهملة وبالموحدة، وهي بزور الصحراء مما ليس بقوت، (في حَمِيلِ السَّيْلِ) بفتح الحاء المهملة، ما يحمله السيل من طين ونحوه، والمراد التشبيه في سرعة النبات.

(ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ) إسناد الفراغ إلى الله مجاز عن إتمام الحكم بين العباد بالثواب والعقاب، إذ الفراغ حقيقة: الخلاص عن المهام، والله تعالى لا يشغله شيء عن شيء.

(وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دَخْولًا)، تمييز أو حال؛ بمعنى داخل، (الْجَنَّةُ، مُقْبَلٌ) بالرفع خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو مقبل، وفي رواية: (مُقْبَلًا) بالنصب على الحال. (بِوْجَهِهِ قَبْلُ النَّارِ) بكسر القاف؛ أي: جهتها، (فَيَقُولُ: يَارَبِّ!

اصرف وجهي عن النار)، وفي رواية: (من النار)، (قد قشَّبَني) بالقاف والمعجمة والمودحة المفتوحات؛ أي: سَمَّني وأهلكني، (ريحها) وكل مسموم قشيب؛ أي: صار ريحها كالسم في أني، (وأحرقني ذَكَاؤُها) بفتح الذال المعجمة والمد، وهو الذي في «اليونينية»، وفي هامشها لأبي ذر: (ذَكَاهَا) بالقصر.

قال التَّوْوي: وهو الأشهر في اللغة، وقال جماعة: المد والقصر لغتان.

(فيقول) الله عَلَّكَ: (هل عَسَيْتَ) بفتح السين وكسرها، (إِنْ فُعِلَّ) بالبناء للمفعول، و(إِنْ) حرف شرط، (ذَلِكَ)؛ أي: الصرْفُ الدَّالُّ عليه أحرف: (بَكَ) (أَنْ تَسْأَلَ) بفتح همزة (أَنْ) الخفيفة، وتاليها نصب بها.

(غير ذلك، فيقول الرجل: لا، وعَزْتَكَ) قسم؛ أي: لا أسأل غيره، (فيعطِي الله)؛ أي: الرجل، (ما شاء) وفي رواية: (يشاء) بلفظ المضارع، (من عَهْدِي) يمين (وميثاق، فيصرفُ اللهُ وجْهَهُ عن النار، فإذا أَقْبَلَ)؛ أي: الرجل، (بَهُ؛ أي: بوجهه، (على الجنة رأى بهجتها)؛ أي: حسنها ونضارتها، قال الْكَرْمَانِي: وهذه الجملة بدل من جملة (أَقْبَلَ بَهُ عَلَى الجنة)، انتهى.

أقول: أو معطوفة عليها بحذف حرف العطف.

(سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب! قَدْمَنِي عند باب الجنة، فيقول الله: أليس قد أعطيت العهود والميثاق) اسم (ليس)

ضمير الشأن، وفي رواية: (المواثيق).

(أن لا تسأل غير الذي كنت سألت، فيقول: يا رب! لا أكون)، وفي رواية: (لا أكون) (أشقى خلقك)؛ أي: كافراً، وهذا يتضمن الجواب، فكأنه قال: بل أعطيتها، ولكن كرمك يطمعني، فلا أكون . . . إلخ.

(فيقول الله عَزَّلَهُ: فما عسيت إن أعطيت ذلك)؛ أي: التقديم إلى باب الجنة، (أن تسأل غيره) وفي رواية: (أن لا تسأل) بزيادة (لا)، (فيقول الرجل: لا وعزتك، لا أسألك) وفي رواية: (لا أسأل) بدون ضمير الخطاب، (غير ذلك، فَيُعْطِي) الرجل (ربه ما شاء من عهْدٍ وميثاقٍ، فيقدمه) الله تعالى، (إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها) عطف على (بلغ)، ورأى (ما فيها من النمرة)؛ أي: البهجة (والسرور، فيسكت) وجواب (إذا) محدوف؛ أي: تحرير فيسكت، (ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب! أدخلني الجنة، فيقول) الله: (ويحك يا ابن آدم! ما أغدرك!) فعل تعجب، والغدر ترك الوفاء.

(أليس قد أعطيت العهد والميثاق) وفي رواية: (العهود والمواثيق) (أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟) بالبناء للمفعول (فيقول: يا رب! لا تجعلني أشقي خلقك، فيضحك الله عَزَّلَهُ منه) وسقط لفظ (منه) في رواية، والمراد لازم الضحك، وهو الرضى وإرادة الخير به، إذ حقيقته مستحيلة على الله سبحانه.

(ثم يأذن) الله (له في دخول الجنة، فيقول له تمنَّ فيتمنى حتى إذا انقطع) وفي رواية: (انقطعت)، (أُمنيَّهُ، قال الله ﷺ: زد من كذا وكذا)؛ أي: من جنس أمانيك التي كانت لك قبل أن أذكري بها، وفي رواية: (تمن) بدل (زد).

(أَقْبَلَ) من الإقبال، (يذكّره ربُّه) في «شرح الكَرْمَانِي» بدل (أَقْبَلَ يذكُّرُه)؛ (قبل أن يذكريه)، على أن (قبل) ظرف، وزيادة (أن)، قال: ومعناه: زِدْ من جنس أمانيك التي كانت لك قبل أن أذكري بها.

ثم قال: وفي بعضها: (أَقْبَلَ) بلفظ الماضي، وبدون (أن) في (أن يذكريه)؛ أي: قال له: زد من أمنية الجنس الفلامي وأمثالها، وأقبل الله يذكري الأماني، وهو بدل من جملة (قال الله)، و(ربه) تنازع فيه العاملان، انتهى.

(حتى إذا انتهت به الأُمَانِيُّ) بتشديد الياء، جمع أمنية، (قال الله تعالى: لك ذلك) الذي سأله من الأماني (ومثله معه، قال) وفي رواية: (وقال) (أبو سعيد الخدري لأبي هريرة ﷺ: إن رسول الله ﷺ قال: قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله)؛ أي: أمثال ما سألت.

(قال أبو هريرة: لم أحفظ) وفي رواية: (لم أحفظه) بضمير المفعول، (من رسول الله ﷺ إلا قوله: لك ذلك ومثله معه، قال أبو سعيد: إني سمعته يقول ذلك لك) وفي رواية: (لك ذلك) (وعشرة أمثاله): ولا تعارض بين الروايتين؛ لاحتمال أنَّ هذا كان أولاً، ثم تكرَّم الله فزاد، فأخبر به ﷺ، ولم يسمعه أبو هريرة.

وقد أورد المصنف هذا الحديث بكماله أيضاً في (أبواب صفة الجنة والنار) من (كتاب الرقاق)، ويأتي الكلام عليه هناك مستوفى إن شاء الله تعالى.

* * *

يُبَدِّي ضَبْعِيهِ وَيُجَافِي فِي السُّجُودِ

(باب) بالتنوين: (يُبَدِّي)، أي: يظهر الرجل المصلي، (ضَبْعِيهِ) بمعجمة مفتوحة وموحدة ساكنة، ثنائية ضبع، وهو وسط العضد من داخل، وقيل: هو لحمه تحت الإبط، (وَيُجَافِي فِي السُّجُودِ)، أي: يباعد عضديه ويرفعهما عن جنبيه فيه، وخرج بالرجل: المرأة والختى، فلا يجافيان بل يضممان بعضهما إلى بعض، لأنه أحوط لهما وأستر.

٨٠٧ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ مُضَرَّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ ابْنِ هُرْمَزَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ابْنِ بُحَيْنَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى فَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبُدُّو بِيَاضٍ إِنْطِيَهُ.
وَقَالَ الْلَّيْثُ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ، نَحْوَهُ.

وبالسند قال:

(حدثنا يحيى بن بکير) وفي رواية: (يحيى بن عبد الله بن بکير)، (قال: حدثني بکر بن مُضَرَّ، عن جَعْفَرٍ) هو ابن ربيعة، (عن ابن هرمز) عبد الرحمن بن الأعرج، (عن عبد الله بن مالك ابن بُحَيْنَةَ)،

بتنوين (مالك)؛ لأن (بحينة) اسم أمه، فينون (مالك) ويكتب: (ابن بحينة) بالألف، كما تقدم الكلام عليه في الباب الآتي ذكره.

(أن النبي ﷺ كان إذا صلى)؛ أي: سجد من إطلاق الكل وإرادة الجزء (فِرْج) قال السفاقسي: رويناه بالتشديد، والمعروف في اللغة: التخفيف، (بَيْنَ يَدِيهِ)؛ أي: نَحْنُ كل يد عن الجنب الذي يليها (حتى يبدو)؛ أي: يظهر (يَاضِ إِبْطِيهِ).

قال القرطبي: الحكمة في استحباب هذه الهيئة في السجود أنه يخفُّ لها اعتماده عن جبهته، ولا يتأثر أنفه ولا جبهته، ولا يتأذى بمقابلة الأرض.

وقال غيره: هو أشبه بالتواضع، وأبلغ في تمكين الجبهة والأنف من الأرض، مع مغايرته لهيئة الكسلان.

وقيل: الحكمة فيه أن ينفرد كل عضو بنفسه، ويتميز حتى يكون الإنسان الواحد في سجوده كأنه عدد، ولا يعتمد بعض الأعضاء على بعض، وهذا ضد ما ورد في الصفوف من التصاق بعضهم ببعض؛ لأن المقصود هناك إظهار الاتحاد بين المصليين حتى كأنهم جسد واحد.

وروى الطبراني وغيره من حديث ابن عمر - بإسناد صحيح - أنه قال: لا تفترش افتراش السَّبَعَ، وادَّعِمْ على رَاحَتِيكَ، وَأَبْنِ ضَبْعِيكَ، فإذا فعلت ذلك سَجَدَ كل عضُوٍّ منكَ، ووردت أحاديث كثيرة صحيحة في هذه الهيئة، وفي بعضها الأمر بذلك.

قال الحافظ: وظاهرها وجوب التفريج المذكور، لكن أخرج أبو داود ما يدل على أنه للاستحباب، وهو حديث أبي هريرة: شكر أصحاب النبي ﷺ له مشقة السجود عليهم إذا انفروا، فقال: «استعينوا بالرُّكْبِ».

وترجم له: (الرخصة في ذلك)؛ أي: في ترك التفريج، وفسّره راويه بأن يضع مرافقه على ركبتيه إذا طال السجود وأعيا.

وقد أخرجه الترمذى بدون قوله: (إذا انفروا) فترجم له بقوله: (ما جاء في الاعتماد إذا قام من السجود) فجعل محل الاستعانة بالرُّكْبِ لمن أراد القيام من السجود.

قال: واللفظ يحتمل ما قال، لكن الزيادة التي أخرجها أبو داود تُعِينُ المراد، انتهى.

ونظر القسطلاني في قول الحافظ: أن حديث أبي داود يدل على استحباب تلك الهيئة بأنه إنما يدل على الرخصة لوجود العذر، وهو المشقة عليهم، ثم أورد آثاراً تدل على استحبابها.

ثم قال الحافظ: وقال ابن التين: فيه دليل على أنه لم يكن عليه قميص لانكشاف إبطيه.

وتعقب باحتمال أن يكون القميص واسع الأكمام، وقد روى الترمذى في «الشمائل» عن أم سلمة قالت: كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ القميص.

قال: أو أراد الرواية أن موضع بياضهما لولم يكن عليه ثوب لرؤي، قاله القرطبي.

واستدل به أيضاً على أن إبطيه لم يكن عليهما شعر.

قال: وفيه نظر، فقد حكى المحب الطبرى في «الاستسقاء من الأحكام» له: أن من خصائصه عَزَلَهُ اللَّهُ أن الإبط من جميع الناس متغير اللون، غيره.

واستدل بإطلاقه على استحباب التفريج في الركوع أيضاً.

قال: وفيه نظر أيضاً؛ لأن في رواية قتيبة عن بكر بن مضر: التقيد بالسجود، أخرجه المصنف في (المناقب)، والمطلق إذا استعمل في صورة اكتفي بها، انتهى.

(وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة نحوه)، وصله مسلم من طريقه بلفظ: (كان إذا سجد فرج يديه عن إبطيه حتى إني لأرى بياض إبطيه).

قال الحافظ: وتقديم قبيل (أبواب استقبال القبلة) أنه وقع في كثير من النسخ وقوع هذه الترجمة والتي بعدها هناك، وأنهما أعيدا هنا، وأن الصواب إثباتهما هنا، وذكرنا توجيه ذلك بما يعني عن إعادته، انتهى.

وذكر هناك أن ذكرهما هنا وهناك من تصرف النُّسَاخَ، بدليل رواية المستملي، وهو أحفظهم؛ أي: حيث أسقطهما هناك وأثبتما هنا، وكلام البرمawi تبعاً للكرماني يقتضي أن هذين البابين ساقطان هنا في بعض النسخ.

قالا: وقد سبق الكلام عليهم متناً وإسناداً قبيل (باب فضل استقبال القبلة) فلا نكرره.

وأقول: البابان المتكرران قبيل (أبواب استقبال القبلة) اللذان تكلم عليهما الحافظ هناك هما: (باب إذا لم يتم السجود) و(باب يبني ضبعيه ويجافي في السجود) وأمّا (باب يستقبل بأطراف رجليه القبلة)، فلم يذكره ترجمة هناك، ولا أتى به قبيل (أبواب استقبال القبلة)، وإنما ذكره في أول (أبواب استقبال القبلة)، فقال: (باب استقبال القبلة، يستقبل بأطراف رجليه القبلة . . .) إلخ نعم، هو ساقط أيضاً هناك، والله أعلم.

* * *

يَسْتَقْبِلُ بِأَطْرَافِ رِجْلِيهِ الْقِبْلَةَ

قَالَهُ أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(باب) بالتنوين : (يستقبل)؛ أي : المصلي ، (بأطراف رجليه القبلة) وفي رواية تقديم لفظ : (القبلة) على قوله : (بأطراف رجليه). (قاله) ، أي : الاستقبال المذكور (أبو حميد) زاد في رواية : (الساعدي) (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) يأتي موصولاً في (باب سنة الجلوس في التشهد) قريباً، وأنه ورد في صفة السجود.

قال ابن المنيّر : المراد أن يجعل قدميه قائمتين على بطون أصابعهما ، وعقباه مرتفعتان ، فيستقبل بظهور قدميه القبلة.

قال أخوه : ومن ثم ندب ضم الأصابع في السجود؛ لأنها لو تفرجت انحرفت رؤوس بعضها عن القبلة.

* * *

إِذَا لَمْ يَتَمَ السُّجُودُ

(باب) بالتنوين: (إذا لم يتم)؛ أي: المصلي (السجود) وفي رواية: (سجوده)؛ أي: فصلاته باطلة أو نحوه.

٨٠٨ - حَدَّثَنَا الصَّلَتُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ: رَأَى رَجُلًا لَا يُتَمِّمُ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لَهُ حُذَيْفَةَ: مَا صَلَيْتَ - قَالَ: وَأَحْسِبْهُ قَالَ - وَلَوْ مُتَ مُتَّ عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ بِاللَّهِ.

وبالسند قال:

(حدثنا مهدي)^(١) زاد في رواية: (ابن ميمون)، (عن واصل) هو الأحدب، (عن أبي وائل) شقيق بن سلمة، (عن حذيفة) بن اليمان بِاللَّهِ: (رأى)، وفي رواية: (أنه رأى) (رجلًا لا يتم رکوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته)؛ أي: أداها، (قال له حذيفة: ما صليت)، نفي عنه صلاته؛ لأن الكل ينتفي بانتفاء الجزء.

(١) كذا في «و» و«ن»، وقد أسقط من السند (الصلت بن محمد).

(قال) أَيْ : أَبُو وَائِلْ : (وَأَحْسَبَهُ) ، أَيْ : حَذِيفَةُ ، وَفِي رِوَايَةِ :
(فَأَحْسَبَهُ) بِالْفَاءِ (قَالَ) أَيْ : لِلرَّجُلِ : (لَوْ) وَفِي رِوَايَةِ : (وَلَوْ) بِزَيْدَةِ وَاوِ
(مِتْ مِتْ) وَفِي رِوَايَةِ : (لَمْ) بِزَيْدَةِ لَامِ (عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

وَقَدْ تَقْدَمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ مَسْتَوْفَى فِي (بَابِ إِذَا لَمْ يَتَمِ الرُّكُوعُ) ،
وَأَخْرَجَهُ الْمُصْنِفُ كَمَا هُنَا إِسْنَادًا وَمَتَنًا ، وَتَرْجِمَةُ قَبِيلٍ (أَبُوابُ اسْتِقْبَالِ
الْقَبْلَةِ) كَمَا قَرَرْنَاهُ آنَفًا .

* * *

السُّجُودُ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمِ

(باب السجود على سبعة أعظم) عبر بأعظم إشارة إلى أنه ورد كذلك في الحديث الثاني، وحديث الباب الذي يليه، وإن عبر في الحديث الأول بـ: (سبعة أعضاء) على أنه في رواية الأصيلي بلفظ: (أعظم).

٨٠٩ - حَدَّثَنَا قَبِيْصَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفِيَّاْنُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ طَاؤُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءِ، وَلَا يَكُفَّ شَعْرًا، وَلَا ثُوْبًا، الْجَبَهَةُ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ.

وبالسند قال:

(حدثنا قبيصة) بفتح القاف مكبراً، ابن عقبة - بالقاف - الكوفي، (قال: حدثنا سفيان) هو الثوري، (عن عمرو بن دينار عن طاوس) هو ابن كيسان، (عن ابن عباس) ﷺ: (أمر) زاد في رواية: (أنه قال: أمر) (النبي ﷺ) قال الحافظ: هو بضم الهمزة في جميع الروايات على البناء لما لم يسم فاعله، انتهى؛ أي: أمرني الله تعالى؛ لأن ذلك من المعلوم، وعرف ذلك ابن عباس إما سمعاً من النبي ﷺ وإما بلاغاً

عنه، ونظر في قول البيضاوي: عُرف ذلك بالعُرف، وذلك يقتضي الوجوب؛ بأنه ليس فيه صيغة (أ فعل)، قال الحافظ: ولما كان هذا السياق يحتمل الخصوصية عقبه المصنف بلفظ آخر دال على أنه لعموم الأمة، وذلك قوله عن النبي ﷺ في الحديث الآتي: (أمرنا)، وهو يدل أيضاً على أن الحديث متصل.

(أن يسجد على سبعة أعضاء)، وفي رواية: (أعظم)، قال ابن دقيق العيد: سُمي كل واحد عظماً باعتبار الجملة، وإن اشتمل كل عضوٍ منها على عظام، ويجوز أن يكون من باب تسمية الجملة باسم بعضها، انتهى.

وقد أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب: (إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب) الحديث، وهو يرجح أن النون في (أمرنا) نون الجمع، والأراب بالمد جمع: إِرْب بكسر أوله وإسكان ثانية، وهو العضو.

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون ابن عباس تلقاء عن أبيه عليه السلام.
(ولا يكُفَّ شرعاً ولا ثواباً) هو بضم الكاف؛ أي: لا يضم عن الواقع في الأرض.

قال البرماري تبعاً للكرماني: وأكثر الروايات على نصبه؛ أي: وهو الذي في «اليونينية» عطفاً على المأمور به، وقال الدماميني: والرفع على أن الجملة مستأنفة كالجملة الأولى، وقال الحافظ: والمراد أنه لا يجمع ثيابه ولا شعره، وظاهره يقتضي أن النهي عنه في

حال الصلاة، وإليه جنح الداودي^(١)، وترجم المصنف بعد قليل: (باب لا يكفي ثوبه في الصلاة)، وهو يؤيد ذلك، ورده عياض بأنه خلاف ما عليه الجمهور؛ فإنهم كرهوا ذلك للمصلحي ولو قبل أن يدخل فيها، قال: واتفقوا على أنه لا يفسد الصلاة، لكن حكى ابن المنذر عن الحسن وجوب الإعادة.

قيل: والحكمة في ذلك أنه إذا رفع ثوبه وشعره عن مباشرة الأرض أشبه المتكبر، انتهى.

(الجبهة) بالجر بدل تفصيل من قوله: (أعضاء)، وكذا ما بعدها المعطوف عليها، والجبهة معروفة.

(واليدين) المراد بهما: الكفان، كما وقع في بعض طرقه عند مسلم بلفظ: (والكفين)، وإلا لدخل تحت المنهي عنه من افتراش السبع والكلب.

قال ابن دقيق العيد: وهو الراحة وبطون الأصابع، ولا يشترط وضع الجميع عندنا.

(والرجلين) يئن المراد بهما فيما يأتي قريباً في (باب السجود على الأنف)، فقال: (وأطراف القدمين)، والمعتبر فيهما بطون الأصابع كما قاله النّووي في «التحقيق»، وتقدمت كيفية السجود عليهما قبل بباب، واستدل به على وجوب السجود على اليدين والركبتين وأطراف القدمين، وهو أحد قولي الشافعي وصححه النّووي، ومقابله صححه الرافعي،

(١) في «و» و«ن»: «الداري»، والتصويب من «الفتح» (٢/٢٩٦).

فقال : الواجب الجبهة دون غيرها ، واحتجوا بحديث المسمى صلاتة ، حيث قال فيه : (ويمكن جبهته) ، ورد بأنه مفهوم لقب ، والمنطق مقدم عليه ، وليس هو من باب تخصيص العموم ، واستدل له أيضاً بأدلة أخرى كلها ضعيفة ذكرها الحافظ في «الفتح» ، ولا يجب استيعابها كالجبهة ، ولا كشف شيء مما عدا الجبهة ؛ لأن مسمى السجود يحصل بوضعها دون كشفها ، لكن يُستحب كشف اليدين والقدمين ، ويُكره كشف الركبتين ، ولم يختلف في أن كشفهما غير واجب لما يحذر فيه من كشف العورة .

وأما عدم وجوب كشف القدمين فله دليل لطيف ، وهو أن الشارع وقت المسح على الخف بمدة ربما تقع الصلاة فيها بالخف ، فلو وجب كشف القدمين لوجب نزع الخفين ، فتنتقض الطهارة به وتبطل الصلاة ، انتهى .

ونظر فيه الحافظ بأن للمخالف أن يقول : يختص لابس الخف لأجل الرخصة .

وأما كشف اليدين فتقدم البحث فيه في (باب السجود على الثوب في شدة الحر) ، وفيه أثر الحسن ؟ أي : البصري في نقله عن الصحابة ترك الكشف .

وأما الجبهة فيجب كشف ما يقع عليه الاسم منها عندنا ، خلافاً لأبي حنيفة .

* * *

٨١٠ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ طَاؤِسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُمِرْنَا أَنْ نَسْجُدْ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمِ، وَلَا نَكُفَّ ثُوِيًّا وَلَا شَعِرَأً».

وبالسند قال:

(حدثنا مسلم بن إبراهيم) الفراهيدى (قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) بن الحجاج، (عن عمرو): هو ابن دينار، (عن طاوس): هو ابن كيسان، (عن ابن عباس) ﷺ، (عن النبي ﷺ) قال: أُمِرْنَا بضم الهمزة؛ أي: أنا وأمتى، وتقىد أنه عُلم بهذا الطريق أن الذي قبله متصل.

(أن نسجد على سبعة أعظم) المراد بها: الأعضاء، كما في الذي قبله، (ولا نكف ثويأً ولا شعراً) بنصب (نكس) ورفعه، كما مرّ.

* * *

٨١١ - حَدَّثَنَا آدُمُ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ، حَدَّثَنَا الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ - وَهُوَ غَيْرُ كَذُوبٍ - قَالَ: كُنَّا نُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، لَمْ يَخْنُ أَحَدٌ مِنَّا ظَهَرَهُ حَتَّى يَضْعَفَ النَّبِيُّ ﷺ جَهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ.

وبالسند قال:

(حدَّثَنَا آدُمُ) بن أبي إِيَّاس قال: (حدَّثَنَا)، وفي رواية: (حدثني) (إِسْرَائِيل) بن يُونس بن أَبِي إِسْحَاق، (عن) جَدِه (أَبِي إِسْحَاق) عَمْرُو

ابن عبد الله السَّيِّعِي، (عن عبد الله بن يزيد) - من: الزيادة - (الخطمي)
بفتح الخاء المعجمة وسكون المهملة، وسقط (الخطمي) من رواية.
قال: (حدثنا البراء بن عازب) رض، (وهو غير كذوب)، قال: كنا
نصلِّي خلف النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، فإذا قال: سمع الله لمن حمده لم يحن) أي:
لم يَثْنِ (أحد منا)، وفي رواية: (أحدنا) (ظهره حتى يضع النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه
جبهة) الشريفة (على الأرض)، وتقديم الكلام على الحديث مع فائدة
قوله: (وهو غير كذوب) في (باب متى يسجد من خلف الإمام).

وموضع الترجمة منه قوله: (حتى يضع جبهته على الأرض).

وقال الْكَرْمَانِي: ودلالته عليها من حيث إن العادة أن وضع
الجبهة إنما هو باستعانة الأعظم الستة غالباً، انتهى.

وقال الحافظ: والذي يظهر في مراده أن الأحاديث الواردة
بالاقتصار على الجبهة، كهذا الحديث، لا تعارض الحديث المنصوص
فيه على الأعضاء السبعة، بل الاقتصار على ذكر الجبهة إما لكونها أشرف
الأعضاء المذكورة أو أشهرها في تحصيل هذا الركن، وليس فيه ما ينفي
الزيادة التي في غيره.

وقيل: أراد - أي: المصنف - أن يبين أن الأمر بالجبهة للوجوب
وغيرها للنَّدْب، ولهذا اقتصر على ذكرها في كثير من الأحاديث،
قال: والأول أليق بتصرفه.

* * *

١٣٤ - بَابٌ

السُّجُودُ عَلَى الْأَنفِ

(باب السجود على الأنف)

٨١٢ - حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاؤُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمِ؛ عَلَى الْجَبَهَةِ - وَأَشَارَ يَدِهِ عَلَى أَنفِهِ - وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا نَكْحَفْتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ». وَبِالسِّنْدِ قَالَ:

(حدثنا معلى بن أسد) العمّي بالمهملة وباء النسبة، وفي رواية: (المعلى) بزيادة (أل).

(قال: حدثنا وُهَيْبٌ) بالتصغير: هو ابن خالد الباهلي، (عن عبد الله بن طاوس عن أبيه) طاوس بن كيسان اليماني، (عن ابن عباس) ﷺ (قال: قال النبي ﷺ: أُمِرْتُ) - بالبناء للمفعول - (أن أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمِ الْجَبَهَةِ).

قال الْكَرْمَانِيُّ ما حاصله: تقرر عند النحاة أنه لا يجوز جعل حرف الجر الواحد بمعنى واحد صلةً لفعل واحد مكرراً وهنَا (على)

جاءت مكررة، قال: فتكون الثانية إما بدلًا عن الأولى التي في حكم الطرح، أو الأولى متعلقة بنحو (حاصلًا)؛ أي: أسجد على الجبهة حال كون السجود على سبعة أعضاء، انتهى.

وعبارة البرماوي (على الجبهة) بدل من (على سبعة)، أو حال متعلقة بمحذوف؛ أي: حاصلًا، والأولى متعلقة بـ(أمرت)، انتهى.

وأقول: في كلّ منهما نظرٌ كما لا يخفى، بل الثاني بدل من (سبعة أعظم) بدل تقسيم وتفصيل بإعادة حرف الجر، فيكون زائداً، أوله نظائر كثيرة في كلامهم، والله أعلم.

(وأشار بيده على أنفه) قال الحافظ: كأنه ضمن (أشار) معنى (أمر) بتشديد الراء، فلذلك عدّاه بـ(على) دون (إلى)، ووقع في العمدة بلفظ (إلى)، وهي في بعض النسخ من رواية كريمة، وفي رواية النسائي من طريق أخرى عن ابن طاوس، فذكر هذا الحديث، وقال في آخره: (قال ابن طاوس: ووضع يده على جبهته وأمرّها على أنفه، وقال: هذا واحد)، فهذه رواية مفسرة.

قال القرطبي: هذا يدل على أن الجبهة الأصل في السجود والأنف تَبعُ.

وقال ابن دقيق العيد: قيل: معناه أنهما جعلا كعضو واحد، وإن كانت الأعضاء ثمانية.

قال: وفيه نظر؛ لأنّه يلزم منه أن يُكتفى بالسجود على الأنف كما يُكتفى بالسجود على بعض الجبهة، وقد احتاج بهذا لأبي حنيفة في

الاكتفاء بالسجود على الأنف، ثم قال: والحق أن مثل هذا لا يعارض التصریح بذكر الجبهة، وإن أمكن أن يُعتقد أنهما كعضو واحد، فذاك في التسمية والعبارة، لا في الحكم الذي دل عليه الأمر، انتهى.

قال الحافظ: وما ذكره من جواز الاقتصر على بعض الجبهة قال به كثير من الشافعية، وكأنه أخذه من قول الشافعی في «الأم»: إن الاقتصر على بعض الجبهة يُكره، وقد ألزمهم بعض الحنفیة بما تقدم، ونقل ابن المنذر إجماع الصحابة على أنه لا يجزئ السجود على الأنف وحده، وذهب الجمهور إلى أنه يجزئ على الجبهة وحدها، وعن الأوزاعی وأحمد وإسحاق وابن حیب من المالکیة وغيرهم: يجب أن يجمعهما، وهو قول الشافعی أيضاً، انتهى.

ومال النّووي في «شرح المهدب» إلى وجوب وضعهما معاً، قال: لقيام الدليل عليه من غير معارض له، قال: والاقتصر في بعض الأحادیث على الجبهة لا ينافيء؛ لأنّه زيادة ثقة.

وقال الکَرْماني: وجملة قوله: (وأشار...) إلخ معتبرة بين المعطوف عليه، وهو الجبهة، والمعطوف وهو قوله: (واللّذین...) إلخ. قال: والغرض أنهما عضو واحد؛ إذ الجبهة هي العظم التي منها عظم الأنف متشعباً منه، أو بيان أن الأنف من توابع الجبهة وتمتمتها عند إرادة كمال السجود، انتهى.

(واللّذین)؛ أي: باطن الكفين (والركبتین وأطراف القدمین

ولا نكفت الثياب والشعر) بفتح النون وكسر الفاء آخره مثناة فوقية، وينصبه عطفاً على سابقه، والكفت: الضم، وهو بمعنى (الكاف) في الرواية السابقة، قال تعالى : ﴿أَلَّا تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاناً﴾ [المرسلات: ٢٥] ؛ أي : كافته .

* * *

السُّجُودُ عَلَى الْأَنفِ وَالسُّجُودُ عَلَى الطِّينِ

(باب السجود على الأنف والسجود على الطين)

وفي رواية: (باب السجود على الأنف في الطين)، قال الحافظ: وهذه للأكثر، وعزا الأولى للمستملي وقال: رواية الأكثر أنساب؛ لثلا يلزم التكرار.

٨١٣ - حَدَّثَنَا مُوسَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ يَحْيَىٰ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: انْطَلَقْتُ إِلَى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، فَقُلْتُ: أَلَا تَخْرُجُ بِنَا إِلَى النَّخْلِ نَتَحَدَّثُ؟ فَخَرَجَ، فَقَالَ: قُلْتُ: حَدَّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ، وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، قَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيئًا صَبِيحةً عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي نُسِيَّتُهَا، وَإِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ خِرْفَرِيٍّ وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءً»، وَكَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ،

وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزْعَةٌ فَأُمْطِرْنَا، فَصَلَّى بِنًا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطَّيْنِ وَالْمَاءِ عَلَى جَبَهَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرْبَتِهِ تَصْدِيقَ
رُؤْيَاهُ.

وبالسند قال :

(حدثنا موسى) هو ابن إسماعيل التبؤذكي (قال: حدثنا همام):
هو ابن يحيى، (عن يحيى): هو ابن أبي كثير، (عن أبي سلمة) بن
عبد الرحمن (قال: انطلقت إلى أبي سعيد الخدري) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (فقلت:
ألا تخرج بنا إلى النخل)، وسقط لفظ (بنا) من رواية.

(نتحدث) بالجزم في «اليونينية»، وعزا رواية الرفع لأبي ذر.
(فخرج، قال: قلت)، وفي رواية: (فقال: قلت)؛ أي: قال أبو
سلمة: قلت لأبي سعيد.

(حدثني ما سمعت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وفي رواية: (ما سمعت
النبي) بحذف (من).

(في ليلة القدر، قال: اعتكف رسول الله)، وفي رواية:
(النبي) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشر الأول) بضم الهمزة وتحقيق الواو، وهو نعت
للعشر، وفي رواية: (عشر الأول) بإضافة (عشر) إلى تاليه، وقال في
«المصابيح»: قوله (اعتكف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأول)، كذا في بعض
النسخ بدون موصوف، والهمزة مفتوحة أو مضمومة؛ أي: (العشر
الأول)، انتهى.

وقال الزركشي : قوله : (عشر الأول) ، كذا ثبت ، ومنهم من ضمَ
الهمزة ، وفي رواية : (العشر الأولى) ؛ وهو الوجه ، انتهى .

(من رمضان ، واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال :
إن الذي تطلب أمامك) نصب على الظرف أي : قدَّامك .

(فاعتكف العشر الأوسط) قال في «المصابيح» : هكذا أكثر
الروايات ، ووجه بأنه جاء على لفظ العشر لأنَّه مذكور ، انتهى .
وتأتي رواية أخرى إن شاء الله تعالى في (كتاب الصيام) .

(فاعتكفنا) ، وفي رواية : (فاعتكفنا) (معه ، فأتاه جبريل) عليه
السلام ، (فقال : إن الذي تطلب أمامك ، فقام) ، وفي رواية : (ثم قام)
(النبي ﷺ) حالَ كونه (خطيباً صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : من
كان اعتكف مع النبي ﷺ) ؛ أي : معي ، فهو التفات على الأصح ؛ لأنَّ
المقام مقام تكلُّم .

(فليرجع) ؛ أي : إلى الاعتكاف ؛ (إِنِّي أُرِيتُ) بضم الهمزة مبنياً
للمفعول ، إما من : الرؤيا ، وأما من : الرؤية ، بمعنى العلم ، وفي
رواية : (رأيت) ؛ أي : أبصرت (ليلة القدر) ؛ أي : علامتها .

(إِنِّي نُسْتُهَا) قال في «المصابيح» : رُوي بفتح النون وكسر السين
المخففة ، ورُوي بضم النون وتشديد السين ، انتهى . وفي نسخة :
(أُنْسِيَتُها) بهمزة مضمومة ، وفي هاتين الروايتين أنه نسيها بواسطة ،
والمراد أنه نسي علمَ عينها .

(وانها في العشر الأواخر) جمع : آخرة ، وهذا جاري على القياس .

قال ابن الحاجب: ولا يقال هنا: (الأخر) جمع (الأخرى) لعدم دلالتها على التأخير الوجودي، وهو مراد، قال في «المصابيح»: وفيه بحث، وقال الطيبي: وصف العشر الأول والأوسط بالمفرد والأخير بالجمع؛ لأن كل ليلة من الأخير يتصور أنها ليلة القدر، فجمع، بخلاف اللذين قبله، انتهى.

وسيأتي في (كتاب الصيام) تنظير القلقشندى فيه.
(في وتر) بفتح الواو وكسرها؛ أي: من الليالي، (ولاني رأيت) هو من: الرؤيا فقط.

(كأني أسجد في طين وماء، وكان سقف المسجد جريد النخل،
وما نرى في السماء شيئاً)؛ أي: من السحاب، (فجاءت قزعة) بقاف
وزاي وعين مهملة مفتوحات، وقد تُسكن الزاي؛ أي: قطعة غيم.
(فأمطنا) بالبناء للمفعول.

(فصلى بنا النبي ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء)، وفي رواية:
(أثر الماء والطين) (على جبهة رسول الله)، وفي رواية: (النبي) (ﷺ)
وأربنته بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح النون والمودحة: طرف أنفه.
قال القسطلاني: وحمله الجمهور على الأثر الخفيف؛ أي:
الذي لا يمنع مباشرة الجبهة للأرض، لكن يُعكر عليه قوله في بعض
طرقه: (ووجهه ممتلىء طيناً وماءً).

وأجاب النّووي بأن الامتلاء المذكور لا يستلزم ستر جميع الجبهة.

وقولُ الخطابي : فيه دلالة على وجوب السجود على الجبهة والأنف ، ولو لا ذلك لصانها عن لثق الطين ؛ تعقبه ابن المُنيرُ بأن الفعل لا يدل على الوجوب ، فلعله أخذ بالأكميل ، وأخذه من قوله : «صلوا كما رأيتُموني أصلِي» معارض بأن المندوب في أفعال الصلاة أكثر من الواجب ، فعارض الغالب ذلك الأصل ، انتهى .

قال في «المصابيح» : وفيه نظر ، وقال الحافظ : وهذه الترجمة أخص من التي قبلها ، وكأنه يشير إلى تأكيد أمر السجود على الأنف ؛ فإنه لم يُترك مع وجود عذر الطين الذي أثر فيه ، قال : ولا حجة فيه لمن يستدل به على جواز الاكتفاء بالأنف ؛ لأن في سياقه (أنه سجد على جبهته وأربنته) ، فوضَّح أنه إنما قصد بالترجمة ما قدمناه ، انتهى .

(تصديق رؤيَاه) ضبطه البرْماوي والعَيْني تبعاً للكِرْماني بالرفع ، قالوا : أي : أثر الطين والماء على جبهته هو تصدِيق رؤيَاه وتأوِيله ، وضبطه في «اليونينية» بالنصب ؛ أي : وهو الذي في أصول صحيحة ، وجعله القَسْطَلاني خبر (كان) محدوفة هي واسمها ، فقال : وكان ما ذكر من الماء والطين تصدِيقَ رؤيَاه .

وأقول : ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر ، وزاد في رواية : (قال أبو عبد الله : كان الحميدي يحتج بهذا الحديث يقول : لا يمسح الساجد - أي : جبهته - من أثر الأرض) ، وأبو عبد الله هو المصنف ، والحميدي شيخه .

وفي الحديث: استحباب ترك الإسراع إلى إزالة ما يصيب جبهة الساجد من غبار الأرض، وتأنيس الطالب للشيخ في طلب الاختلاء به ليتمكن مما يريد من مسألته.

وستأتي بقية مباحثه في (باب التماس ليلة القدر) من (كتاب الصيام) إن شاء الله تعالى.

* * *

١٣٦ - باب

عقد الثياب وشدّها،

وَمَنْ ضَمَ إِلَيْهِ ثُوبَهُ إِذَا خَافَ أَنْ تُنْكَشِّفَ عَوْرَتَهُ

(باب عقد الثياب وشدّها)؛ أي : في الصلاة.

(ومن ضم إليه ثوبه) من المصليين (إذا خاف)، وفي رواية :
(مخافة) (أن تُنكَشِّف عورته)؛ أي : من المصليين.

قال الحافظ : كأنه يشير إلى أن المنهي عنه من كف الثياب في
الصلاحة محمول على غير حالة الاضطرار.

٨١٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ عَاقِدُو أُرْدِهِمْ مِنَ الصَّغِرِ عَلَى رِقَابِهِمْ، فَقِيلَ لِلنَّسَاءِ: لَا تَرْفَعْنَ رُؤُسَكُنَّ حَتَّى يَسْتَوِي الرِّجَالُ جُلُوسًا.

وبالسنن قال :

(حدثنا محمد بن كثير) - ضد القليل - (قال : أخبرنا سفيان) : هو الثوري، (عن أبي حازم) : هو سلمة بن دينار، (عن سهل بن سعد) الساعدي الأنصاري (قال : كان الناس يصلون مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم عاقدو

أَزْرَهُمْ) بضم الهمزة والزاي، وقد تُسْكِن، جمع: إِزَار، و(عَاقِدُو) بالرفع
خبر المبتدأ، وسقطت منه النون للإضافة، وفي رواية: (عَاقِدِي) بنصبه
على الحال؛ أي: وهم مُؤْتَرُون عَاقِدِي أَزْرَهُمْ، قَالَهُ ابْنُ مَالِكَ.

وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ: هُوَ خَبَرُ (كَانَ) مَحْذُوفًا؛ أي: وَهُمْ كَانُوا عَاقِدِي
أَزْرَهُمْ.

(مِنَ الصَّفَرِ)؛ أي: مِنْ صَغْرِ أَزْرَهُمْ، (عَلَى رَقَابِهِمْ) مُتَعَلِّقٌ
بِ(عَاقِدِو).

(فَقِيلَ لِلنِّسَاءِ: لَا تَرْفَعْنَ رُؤُوسَكُنْ حَتَّى يَسْتَوِيَ الرَّجُالُ جَلْوَسًا)؛
أَيْ: جَالِسِينَ؛ لَأَنَّ صَفَّهُنَّ كَانَ مَتأخِّرًا، فَنُهُوا عَنْ رَفْعِ رُؤُوسِهِنَّ قَبْلَ
الرَّجُالِ مَخَافَةً أَنْ يَقْعُدْ بَصَرُهُنَّ عَلَى عُورَاتِهِمْ لِضيقِ الشَّيَابِ.

وَقَدْ تَقْدَمَتْ مِبَاحِثُ الْحَدِيثِ فِي (بَابِ إِذَا كَانَ الثَّوْبُ ضِيقًا)
أَوَّلَيْ (الصَّلَاةِ) مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ سَفِيَانَ، وَفِيهِ: قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو
حَازِمٍ.

* * *

لَا يَكُفُّ شَعْرًا

(باب) بالتنوين: (لَا يَكُفُّ شَعْرًا) قال في «المصابيح»: بفتح الفاء عند المحدثين وضمها عند المحققين من النّحاة، وكذا (باب لا يكُف ثوبه)؛ أي: في الترجمة بعدها، انتهى. وضمها هو الذي في «اليونينية» في الموضعين. وقال الحافظ: وهو الذي ضبطناه في روايتنا، وهو الراجع.

قال والمراد بالشّعر شَعْر الرَّأْسِ، و المناسبة هذه الترجمة لأحكام السجود من جهة أن الشّعر يسجد مع الرأس إذا لم يكُف أو يلف، وجاء في حكمة النهي عن ذلك أن غرزة الشّعر يقعد فيها الشيطان حالة الصلاة، ففي «سنن أبي داود» بإسناد جيد: أن أبا رافع رأى الحسن بن علي يصلّي قد غرز ضفيرته في قفاه، فحلّها وقال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ذلك مقعد الشيطان».

٨١٥ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادٌ - وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ -، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ طَاؤُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، وَلَا يَكُفَّ ثُوبَهُ وَلَا شَعْرَهُ.

وبالسند قال :

(حدثنا أبو النعمان) محمد بن الفضل (قال: حدثنا حماد وهو ابن زيد)، وفي رواية بإسقاط الواو من (وهو)، وفي أخرى: (حماد ابن زيد)، (عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس) ﷺ (قال: أمر النبي ﷺ) - ببناء أمر للمفعول - (أن يسجد على سبعة أعظم ولا يكف ثوبه ولا شعره) بنصب (يكف)، وتقدم الكلام على بقية الحديث مستوفى قبل ثلاثة أبواب .

وقال ابن بطال: وفي الحديث دليل على أنه لا يجوز أن يصلي عاقصاً شعره أو كافاً ثوبه برفع أسافله من الأرض، أو يشمر أكمامه، فإن فعل ذلك فقد أساء، ولا إعادة عليه .

قال ابن عمر لرجل رأه يسجد معقوصاً شعره: (أرسله يسجد معك)، نقله عنه الكَرْمَانِي وَأَفْرَهُ، وكأنه أراد بقوله: لا يجوز جوازاً مستوى الطرفين، والله أعلم .

* * *

لَا يَكُفُّ ثُوَبَةُ فِي الصَّلَاةِ

(باب) بالتنوين: (لا يكف) - بالضبطين السابقين في الباب قبله - (ثوبه في الصلاة).

٨١٦ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَمِّرُو، عَنْ طَاؤُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ، لَا أَكُفُّ شَعْرًا وَلَا ثُوَبَا».

وبالسند قال:

(حدثنا موسى بن إسماعيل) التبؤذكي (قال: حدثنا أبو عوانة) الوضاح اليشكري، (عن عمرو): هو ابن دينار، (عن طاوس، عن ابن عباس) ﷺ، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أُمِرْتَ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمَ)، وفي رواية بإسقاط لفظ (أَعْظَمْ). (لا أَكُفُّ) - بالرفع كما في «اليونينية» - (شَعْرًا) من رأسي، (وَلَا ثُوَبَا)، وتقديم ما فيه.

* * *

الْتَّسْبِيحُ وَالدُّعَاءُ فِي السُّجُودِ

(باب التسبيح والدعاء في السجود)

تقديم الكلام على حكمة هذه الترجمة في (باب الدعاء في الركوع)؛ أي: حيث اقتصر هناك على الدعاء فيه، وقرن معه التسبيح هنا.

٨١٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفِّيَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

وبالسند قال:

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ)؛ أي: ابن مسْرُهَد (قال: حدثنا يحيى) هو القطان، (عن سفيان): هو الشوري (قال: حدثني منصور)، زاد في روایة: (ابن المعتمر)، (عن مسلم)، زاد في روایة: (هو ابن صُبَيْح أبي الضحى)؛ أي: بالتصغير، (عن مسروق، عن عائشة) رضي الله عنها (قالت: كان النبي ﷺ)، وفي روایة: بإسقاط (قالت).

(يكثُر أن يقول في رکوعه وسجوده: سبحانك) هو منصوب بفعل مُحذوف لزوماً، أي: أُسبح أو سبَّحتك، وهو عَلَم على التسبيح؛ أي: التنزية عن النقائض، وإنما أُضيَف - والعلم لا يُضاف - بتقدير تنكيره حين الإضافة.

(اللهم ربنا وبحمدك) الباء متعلقة بمحذوف؛ أي: وسبَّحتك بحمدك؛ أي: بتوفيقك وهدايتك لا بحولي وقوتي، ففيه: شكر الله على هذه النعمة والاعتراف بها، والتقويض إلى الله.

وقيل: معناه أقول: وبحمدك، فكأنه قال: والحمد لله، وقال الكَرْماني: والواو في (وبحمدك) إما لحال، وإما لعطف الجملة على الجملة، سواء قلنا لإضافة الحمد إلى الفاعل، والمراد من الحمد لازمه مجازاً، وهو ما يوجب الحمد من التوفيق والهداية، وقال القَلْقشَنْدِي: ويكون هذا من باب التعبير بالسبب، وهو الحمد عن السبب، وهو التوفيق والهداية والإعانة؛ أو إلى المفعول، ويكون معناه: وسبَّحت متلبساً بحمدي لك، انتهى.

وقيل: الواو زائدة والباء متعلقة بـ (سبحانك)، فتكون جملة واحدة.

وقيل المراد: سبح بلفظ حمد ربك؛ لأن الحمد يتضمن التنزية، قال الإمام فخر الدين: التحميد أكمل من التسبيح؛ لأن فيه معنى التسبيح وزيادة.

(اللهم اغفر لي يتاؤل القرآن)؛ أي: يفعل ما أمر به فيه.

وقد بيَّن الأعمش في روايته عن أبي الضحى، كما سيأتي في (التفسير) ابتداء هذا الفعل، وأنه واطَّبَ عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولفظه: (ما صلَى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن نزلت عليه إِذَا جَاءَ نَصْرًا اللَّهَ وَالْفَتْحُ» [النصر: ١] إلا يقول فيها) الحديث، وتبيَّن من هذه الرواية أن المراد بالقرآن بعضه، وهو السورة المذكورة، ومن رواية منصور بيان المحل الذي كان يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه من الصلاة، وهو الركوع والسجود.

قال بعضهم: إنما اختار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة لهذا القول؛ لأن حالها أفضَّل من غيرها.

وتعقبه الحافظ بأنه ليس في الحديث أنه لم يكن يقول ذلك [خارج الصلاة، بل في بعض طرقه عند مسلم ما يشعر بمواظبه عَلَيْهِ السَّلَامُ على ذلك]^(١) داخل الصلاة وخارجها.

قال القلقشندي: ولعله يشير إلى الطريق التي فيها؛ أي: عن عائشة: أراك تكثر من قول سبحان الله ويرحمه، أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: (خبرني ربي أن سأرَى علامَةً في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من ذلك فقد رأيتها): إِذَا جَاءَ نَصْرًا اللَّهَ وَالْفَتْحُ» [النصر: ١] فتح مكة)، قال: لكن وقع عنده أيضاً: (ما رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ نزل عليه إِذَا جَاءَ نَصْرًا اللَّهَ وَالْفَتْحُ» [النصر: ١] يصلِّي صلاة إلا دعا فيها، أو قال فيها: سبحانك الله ربِّي ويحمدك الله أَغْفِر لِي)، انتهى.

(١) ما بين مفعوقتين ليس في «و».

قال في «الفتح»: ووقع في رواية ابن السَّكَنَ عن الفِرَبِرِي : (قال أبو عبد الله: يعني قوله تعالى: ﴿فَسَيِّعَ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ٣] الآية)، قال: وفي هذا تعين أحد الاحتمالين في قوله تعالى: ﴿فَسَيِّعَ بِحَمْدِ﴾ [النصر: ٣]؛ لأنَّه يحتمل أن يكون المراد أن يسبح بنفس الحمد، لما تضمنه الحمد من معنى التسبيح الذي هو التنزية، لاقتضاء الحمد نسبة الأفعال المحمود عليها إلى الله تعالى، فعلى هذا يكفي في امثال الأمر الاقتصر على الحمد، ويحتمل أن يكون المراد: فسبح متلبساً بالحمد، فلا يمثُّل حتى يجمعهما، وهو الظاهر.

قال: وقال ابن دقيق العيد: يُؤخذ من هذا الحديث إباحة الدعاء في الركوع وإباحة التسبيح في السجود، ولا يعارضه قوله ﴿أَمَا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَا السَّجْدَةُ فَاجْتَهَدُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ﴾، قال: ويمكن أن يُحمل حديث الباب على الجواز، وذلك على الأولوية، ويحتمل أن يكون أمر في السجود بتكثير الدعاء لإشارة قوله: (فاجتهدوا)، والذي وقع في الركوع من قوله: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) ليس كثيراً، فلا يعارض ما أمر به في السجود، انتهى.

واعتراضه الفاكهاني بأن قول عائشة: (كان يكثر أن يقول) صريح في كون ذلك وقع منه كثيراً، هكذا نقله عنه شيخنا ابن المُلْقَنَ في «شرح العمدة» وقال: فليتأمل، وهو عجيب؛ فإن ابن دقيق العيد أراد بنفي الكثرة عدم الزيادة على قوله: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) في الركوع الواحد، فهو قليل بالنسبة إلى السجود المأمور فيه بالاجتهاد في الدعاء

المشعر بتكثير الدعاء، ولم يرد أنه كان يقول ذلك في بعض الصلوات دون بعض، حتى يُعرض عليه بقول عائشة: (كان يكثر).

قال: والحديث الذي ذكره ابن دقيق العيد أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي، وفيه بعد قوله: «فاجتهدوا فيه من الدعاء فقمن أن يستجاب لكم» و«قمن» بفتح القاف والميم وقد تكسر، معناه: حقيق. قال: وجاء الأمر بالإكثار من الدعاء في السجود، وهو أيضاً عند هؤلاء الثلاثة من حديث أبي هريرة بلفظ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا فيه من الدعاء».

والأمر بالإكثار من الدعاء في السجود يشمل البحث على تكثير الطلب لكل حاجة، كما جاء في حديث أنس: «ليسأل أحدكم ربَّه حاجته كلَّها، حتى شِسْعَ نعله»، أخرجه الترمذى، والمراد التكرار للسؤال الواحد، والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤاله، واستجابة المُشْتَنِي بتعظيم ثوابه.

قال: وسيأتي الكلام على تفسير سورة النصر، وتعيين الوقت الذي نزلت فيه، والبحث في السؤال الذي أورده ابن دقيق العيد على ظاهر الشرط في قوله: «إِذَا جَاءَهُ»، وعلى قول عائشة: (ما صلَّى صلاة بعد أن نزلت إلا قال...) إلخ، والتوفيق بين ما ظاهره التعارض من ذلك في (كتاب التفسير) إن شاء الله تعالى، انتهى.

* * *

الْمُكْثِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ

(باب المُكث) - بضم الميم - (بين السجدين)، وفي رواية: (بين السجود).

٨١٨ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ: أَنَّ مَالِكَ بْنَ الْحُوَيْرِثَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا أُبَيْكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: وَذَاكَ فِي غَيْرِ حِينٍ صَلَاةٌ، فَقَامَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَبَرَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَامَ هُنْيَةً، ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ هُنْيَةً، فَصَلَّى صَلَاةَ عَمْرِي وَبْنِ سَلِيمَةَ شَيْخِنَا هَذَا، قَالَ أَيُّوبُ: كَانَ يَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ أَرَهُمْ يَفْعَلُونَهُ، كَانَ يَقْعُدُ فِي الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ.

٨١٩ - قَالَ: فَاتَّيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَقْمَنَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «لَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى أَهْلِكُمْ صَلَوَاتُكُمْ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، صَلَوَاتُكُمْ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرْتُ الصَّلَاةَ فَلَيُؤْذِنْ أَحَدُكُمْ، وَلَيُؤْمَكْمُ أَكْبَرُكُمْ».

وبالسند قال:

(حدثنا أبو النعман) محمد بن الفضل السدوسي (قال: حدثنا حماد)، زاد في رواية: (ابن زيد)، (عن أبى يوب) السختياني، (عن أبي

قلابة) عبد الله بن زيد الجرمي : (أن مالك بن الحويرث) - بالتصغير -
 (قال لأصحابه : ألا أبئكم صلاة رسول الله) ، وفي رواية :
 (النبي ﷺ ، وأبئكم) مشدد في «اليونينية» ، وقال الحافظ : (الإنباء)
 يُعَدَّ بنفسه وبالباء ، قال الله تعالى : ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ [التحريم : ٣]
 وقال : ﴿قُلْ أَوْلَئِكُمْ يَعْبُرُونَ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ [آل عمران : ١٥].
 (قال) ؛ أي : أبو قلابة : (وذاك) ؛ أي : قوله لأصحابه : ألا أبئكم
 بخير .

(في غير حين صلاة) ؛ أي : من الصلوات المفروضة ، قال
 الحافظ : ويتquin حمله على ذلك حتى لا يدخل فيه أوقات المنع من
 النافلة ، لتنزيه الصحابي عن التنفل حيثئذ ، قال : وليس في اليوم والليلة
 وقت أجمع على أنه غير وقت لصلاة من الخمس إلا من طلوع الشمس
 إلى زوالها ، انتهى .

(فقام) ؛ أي : مالك ، (فأحرم للصلاة ثم ركع فكبر ثم رفع
 رأسه) من الركوع ، (فقام هنية) [بتشديد التحتية مصغراً] ، أي : قليلاً .
 (ثم سجد ثم رفع رأسه هنية) ^(١) ، وهذا موضع الترجمة ؛ فإنه
 يقتضي أنه جلس بين السجدين قدر الاعتدال ، قال أبو قلابة : فصلى ؛
 أي : مالك (صلاة عمرو بن سلامة) - بكسر اللام - (شيخنا هذا) بجر
 (شيخنا) بدل أو عطف بيان لـ (عمرو) ؛ أي : كصلاته ، وهو عمرو بن

(١) ما بين معكوفتين ليس في «و» .

سَلِمَةُ بْنُ قَيْسِ الْجَرْمِيُّ، أَبُو يَزِيدَ - مِنْ: الْزِيَادَةِ -، وَأَبُو بُرِيدِ بْنِ الْمُوْهَدَةِ ثُمَّ رَأَيْ مُصْغَرَ، لَمْ يُبْتَلِ لَهُ سَمْاعٌ وَلَا رَؤْيَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَفَدَ أَبُوهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رُوِيَّ مِنْ وَجْهِ غَرِيبٍ أَنَّ عُمَراً أَيْضًا لَهُ وَفَادَةٌ؛ وَلَيْسَ بِثَابِتٍ، لَكِنَّ قَالَ الْحَافِظُ: رَوَى ابْنُ مَنْدَهُ فِي كِتَابِ «الصَّحَابَةِ» حَدِيثَهُ مِنْ طَرِيقِ صَحِيحَةِ قَالَ - أَيْ: عُمَرُ -: كُنْتُ فِي الْوَفَدِ الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا تَصْرِيفٌ بِوَفَادَتِهِ، وَقَدْ رَوَى أَبُو نَعِيمَ فِي «الصَّحَابَةِ» أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ مَا يَقْتَضِي ذَلِكَ، وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ: لَهُ صَحْبَةٌ، اَنْتَهِيَ.

وَقَالَ فِي «الْتَّقْرِيبِ»: صَاحِبِي صَغِيرٌ نَزَلَ الْبَصْرَةَ، وَلَمْ يَذْكُرُوا لَهُ وَفَاءً.

رَوَى لَهُ الْبَخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدُ وَالنَّسَائِيُّ.

(قَالَ أَيُّوبُ): أَيْ: بِالسِّنْدِ الْمَذْكُورِ إِلَيْهِ: (كَانَ) الشِّيْخُ الْمَذْكُورُ (يَفْعُلُ شَيْئًا لَمْ أَرْهَمْ يَفْعُلُونَهُ؛ كَانَ يَقْعُدُ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الْرَّابِعَةِ) قَالَ الْحَافِظُ: هُوَ شَكٌّ مِنْ الرَّاوِيِّ، وَالْمَرادُ مِنْهُ بَيْانُ جَلْسَةِ الْإِسْتِرَاحَةِ، وَهِيَ تَقْعُدُ بَيْنَ الثَّالِثَةِ وَالْرَّابِعَةِ، كَمَا تَقْعُدُ بَيْنَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: كَانَ يَقْعُدُ فِي آخِرِ الثَّالِثَةِ أَوِ أَوَّلِ الْرَّابِعَةِ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، فَشَكَ الرَّاوِي أَيْمَنًا.

وَسِيَّاْتِي الْحَدِيثُ بَعْدَ بَابِ بَلْفُوزٍ: (فَإِذَا كَانَ فِي وَتَرٍ مِنْ صَلَاتِهِ لَمْ يَنْهَضْ حَتَّى يَسْتَوِيْ قَاعِدًا).

(قَالَ): أَيْ: مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرَةَ: (فَأَتَيْنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْفَاءُ عَاطِفَةً

على شيء محذوف، تقديره: أسلمنا فأتينا ونحوه.
(فأقمنا عنده)، زاد في رواية: (شهرًا).

(فقال: لو)؛ أي: (إذا) أو (إن) (رجعتم إلى أهاليكم)، وفي
رواية: (إلى أهاليكم).

(صلوا): جواب (إذا) أو (إن) (صلاة كذا في حين كذا،
صلوا)، وفي رواية: (وصلوا) بزيادة واو العطف، (صلاة كذا في
حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ول يؤذن لكم أكبركم).

وفي الحديث: استحباب جلسة الاستراحة، ويأتي الكلام عليها
في الباب الآتي بعد باب، وقد تقدم هذا الحديث في (باب الطمأنينة
حين يرفع رأسه من الركوع)، وفي (باب من صلى بالناس وهو لا يريد
إلا أن يعلمهم)، وفي (الأذان).

* * *

٨٢٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزَّيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ سُجُودُ النَّبِيِّ ﷺ
وَرُكُوعُهُ، وَقُوْدُهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ.

وبالسند قال:

(حدَّثَنَا) محمد بن عبد الرحيم (الملقب بصاعقة) (قال: حدثنا أبو

أحمد محمد بن عبد الله الزبيري) هو محمد بن عبد الله بن الزبيري بن عمر بن درهم الأسي، أبو أحمد الزبيري، الكوفي، مولى بنى أسد، وليس من ولد الزبيري بن العوام ولا مولى لهم، أحد الثقات المشهورين، ومن شيوخ أحمد بن حنبل.

وَتَقَهُ ابْنُ نَمِيرٍ وَابْنُ مَعْنَى وَالْعِجْلَى، وَزَادَ: كَانَ يَتَشَيَّعُ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بِأَسْ، وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ وَغَيْرُهُ: صَدُوقٌ، وَقَالَ أَبُو حَاتَمَ: كَانَ حَافِظًا عَابِدًا مَجْتَهِدًا لَهُ أَوْهَامٌ، وَقَالَ بُنْدَارٌ: مَا رَأَيْتَ أَحْفَظَ مِنْهُ، وَقَالَ نَصْرُ بْنُ عَلَىٰ: سَمِعْتُ أَبَا أَحْمَدَ يَقُولُ: لَا أَبَالِي أَنْ يَسْرُقَ مِنِي كِتَابًا شَقِيقًا؛ إِنِّي أَحْفَظُهُ كُلَّهُ.

وَقَالَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: كَانَ أَبُو أَحْمَدَ كَثِيرُ الْخَطَا فِي حَدِيثِ الشُّورِيِّ، قَالَ الْحَافِظُ: وَمَا أَظَنَ الْبَخَارِيَّ أَخْرَجَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَفْرَادِهِ عَنْ سَفِيَّانَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، اِنْتَهَىٰ.

وَكَانَ صَدِيقُ أَبِي نَعِيمٍ وَسَمَاعُهُمَا قَرِيبٌ، لَكِنْ أَبُو نَعِيمٍ أَسْنُّ مِنْهُ وَأَقْدَمُ سَمَاعًا.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَكَانَ حَبَّالًا يَبْيَعُ الْحِبَالَ، وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ، فَكَانَ إِذَا تَسْحَرَ بِرَغِيفٍ لَمْ يَصُدِّعْ، فَإِذَا تَسْحَرَ بِنَصْفِ رَغِيفٍ صَدَعَ مِنْ نَصْفِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ، فَإِنَّ لَمْ يَتَسْحَرْ صَدَعَ يَوْمَهُ أَجْمَعٌ.

مَاتَ بِالْأَهْوَازِ فِي جَمَادِيِّ الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثَ وَمَئِتَيْنِ، رُوِيَ لَهُ الْجَمَاعَةُ.

(قال: حدثنا مسمر) - بـكسر الميم وـسكون المهملة - ابن كدام،

(عن الحَكَم) - بفتحتين - ابن عتية، (عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن البراء) بن عازب (قال: كان سجود النبي ﷺ وركوعه وقوعه بين السجدين)؛ أي: كان زمْنُ هذه الثلاثة (قريباً من السواء) بالمد؛ أي: المساواة.

وتقديم الكلام على فوائد هذا الحديث في (باب حدٌ إتمام الرکوع).

* * *

٨٢١ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنِّي لَا أَلُو أَنْ أُصَلِّي بِكُمْ كَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ رضي الله عنه يُصَلِّي بِنَا قَالَ ثَابِتٌ: كَانَ أَنَسٌ يَصْنَعُ شَيْئاً لَمْ أَرَكُمْ تَصْنَعُونَهُ، كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَامَ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: قَدْ نَسِيَ، وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: قَدْ نَسِيَ.

وبالسند قال:

(حدثنا سليمان بن حرب) الواشحي (قال: حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت) البُناني، (عن أنس)، زاد في رواية: (ابن مالك) رضي الله عنه (قال: إني لا ألو) بهمزة ممدودة بعد حرف النفي ولا مضمومة بعدها واو خفيفة؛ أي: لا أقصّر (أن أصلّي كما رأيت النبي ﷺ يصلي بنا، قال ثابت: كان أنس)، زاد في رواية: (ابن مالك) (يصنع شيئاً)؛ أي: في صلاته (لم أركم تصنعونه)؛ أي: في صلاتكم؛ (كان إذا رفع

رأسه من الركوع قام معتدلاً، حتى يقول القائل: قد نسي)، أي: وجوب الهوي للسجود وأنه في الصلاة، كما تقدم تقريره.

(وبين السجدين)؛ أي: ويمكث بينهما جالساً (حتى يقول القائل: قد نسي) أي: الهوي للسجدة الثانية، ونون (نسي) فيهما مفتوحة مع خفة السين المكسورة، ومضمومة مع شدتها.

وفي الحديث إشعار بأن من خاطبهم ثابت كانوا لا يطيلون الجلوس بين السجدين، ولكن السنة إذا ثبتت لا يبالي من تمسك بها مخالفة من خالفها، وبالله المستعان، قاله في «الفتح».

وتقدم الكلام على بقية فوائد الحديث في (باب الطمأنينة حين يرفع رأسه من الركوع) وساقه هناك مختصراً.

* * *

لَا يَفْتَرِشُ ذِرَاعِيهِ فِي السُّجُودِ

وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ يَدَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرِشٍ وَلَا قَابِضٍ لِهِمَا.

(باب) بالتنوين: (لا يفترش) قال الحافظ: يجوز فيه الجزم على النهي والرفع على النفي، وهو بمعنى النهي، انتهى، والرفع هو الذي في «اليونينية».

(ذراعيه)؛ أي: ساعدية على الأرض (في السجود) قال ابن المنيّر: أخذ لفظ الترجمة من حديث أبي حميد، والمعنى من حديث أنس، وأراد بذلك أن الافتراض المذكور في حديث أبي حميد بمعنى الانبساط في حديث أنس، انتهى.

قال الحافظ: والذي يظهر لي أنه أشار إلى رواية أبي داود، فإنه أخرج حديث الباب عن مسلم بن إبراهيم، عن شعبة بلفظ: (ولا يفترش) بدل (ينبسط)، وروى أحمد والترمذى وابن خزيمة من حديث جابر بلفظ: (إذا سجد أحدكم فليعتدل ولا يفترش ذراعيه) الحديث، ولمسلم عن عائشة نحوه.

(وقال أبو حميد)؛ أي: الساعدي في حديثه الآتي مطولاً بعد

ثلاثة أبواب: (سجد النبي ﷺ ووضع يديه)؛ أي: على الأرض حال كونه (غير مفترش)؛ أي: ذراعيه، بأن وضع كفيه على الأرض وأقل ساعديه، غير واضحهما على الأرض (ولا قابضهما) بأن يضمهما إليه، ولا يجافيهما عن جنبيه.

* * *

٨٢٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ
قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلَا يَسْطِعُ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ ابْسَاطَ الْكَلْبِ».

وبالسند قال:

(حدثنا محمد بن بشار) الملقب ببندار (قال: حدثنا محمد بن جعفر) الملقب بعندار (قال: حدثنا)، وفي رواية: (أخبرنا) (شعب) ابن الحجاج (قال: سمعت قتادة) بن دعامة، (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه في رواية أبي داود الطيالسي عند الترمذى: عن شعبة؛ التصریح بسماع قتادة له من أنس.

(عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) قال: اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ؛ أي: كونوا متوسطين بين الافتراض والقبض، يدل عليه حديث أبي حميد السابق. وقال القلقشندى: والمراد وضع الكفين على الأرض ورفع المِرْفَقَيْنِ عنها وعن جنبيه رفعاً بليغاً، بحيث يظهر باطن إبطيه عند الكشف، والحكمة في هذا أنه يصيّر اعتماده على يديه دون وجهه،

بخلاف حالة الانبساط الآتية؛ فإن اعتماده يكون على وجده فيتأنى، ولا يُنْدُو وضوح إبطيه المشروع فعله، وأيضاً فالاعتدال المذكور أشبه بالتواضع، وأبعد من هيئة الكسالى، وأبلغ في تمكين الجبهة والألف من الأرض، بخلاف الانبساط؛ فإن هيئته مشعرة بالتهاون وقلة الاعتناء بالصلة.

وقال ابن دقيق العيد: لعل المراد بالاعتدال هنا وضع هيئة السجود على وفق الأمر الشرعي؛ لأن الاعتدال الحسي المطلوب في الركوع لا يتأتى هنا، فإنه هناك استواء الظهر والعنق، والمطلوب هنا ارتفاع الأسفل على الأعلى حتى لو تساويا، ففي بطalan الصلاة وجهان لأصحاب الشافعى، قال القلقشندى: والصحيح منهما البطلان، ويؤيده ما أخرجه أبو داود والنسائى عن البراء بن عازب: أنه وضع يديه واعتمد على ركبتيه ورفع عجيزته، وقال: هكذا كان رسول الله ﷺ يفعل، وإطلاق العجيزه على الرجل مجاز، ثم قال ابن دقيق العيد: وقد ذكر الحكم هنا مقوزاً بعلته؛ فإن التشبيه بالأشياء الخسيسة مما يناسب تركه في الصلاة، انتهى.

(ولا ينبع) قال الحافظ: كذا للأكثر بنون ساكنة قبل الموحدة، وللحموي: (ولا ينبع) بمثنى بعد موحدة؛ أي: من الافتعال، وفي رواية ابن عساكر: بموحدة ساكنة فقط؛ أي: من البسط الثالثي، قال: وعليها اقتصر صاحب «العمدة».

(أحدكم ذراعيه انبساط الكلب) بالنون على الرواية الأولى

والثالثة؛ أي: بالتقدير الآتي فيها، وبالمنها على الثانية، وهي ظاهرة، والثالثة تقديرها: ولا يبسط ذراعيه فينبسط انبساط الكلب، قاله في «الفتح».

قيل: والحكمة في ذكر الكلب مع مشاركة غيره له في الانبساط المذكور: التغافل من هذه الفعلة، كقوله عليه الصلاة والسلام: «العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه».

* * *

١٤٢ - باب

مَنِ اسْتَوَى قَاعِدًا فِي وِتْرٍ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ نَهَضَ

(باب من استوى قاعداً في وتر من صلاته)؛ أي: في الركعة الأولى والثالثة، لا الثانية والرابعة؛ لأنهما يستعقبان الجلوس للتشهد.

(ثم نهض)، ولفظ الباب في «اليونينية»: منون وغير منون.

٨٢٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا خَالِدُ الْحَدَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثُ الْلَّيْثِيُّ: أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي، فَإِذَا كَانَ فِي وِتْرٍ مِنْ صَلَاتِهِ لَمْ يَنْهَضْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدًا.

وبالسند قال:

(حدثنا محمد بن الصباح) - بالتشديد - الدُّلَابِيُّ، أبو جعفر البغدادي، البزار، مولى مُزينة، صاحب كتاب «السير»، ثقة حافظ، مأمون، سَيِّدُ الصالحين.

قال أبو حاتم: حدث عنه أحمد بن حنبل ويعيني بن معين، وكان أحمد يُعظمه، وكان عالماً بحديث هشيم.

وُلد بالري بقرية يقال: لها دولاب، ونُسب إليها، وكان ينزل باب الْكَرْخ.

قال ابنه أحمد بن محمد بن الصبّاح: مات أبي وهو ابن سبع وسبعين سنة غير شهر أو شهرين، انتهى. ومات في آخر المحرم، وقال أبو حاتم: مات يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع وعشرين ومئتين، وقد جاز السبعين.

روى عنه البخاري الثاني عشر حديثاً، ومسلم خمسة وعشرين.

(قال: أَخْبَرْنَا هُشَيْمٌ) بالتصغير، (قال: أَخْبَرْنَا خَالِدَ الْحَدَّاءَ، عن أَبِي قَلَبَةِ) عبد الله بن زيد الجرمي (قال: أَخْبَرَنَا)، وفي رواية: (أَخْبَرْنِي مَالِكٌ) (ابن الْحُوَيْرَثُ الْلَّيْثِيُّ: أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْلِيُّ، فَإِذَا كَانَ فِي وَتَرٍ) - بفتح الواو وكسرها - (مِنْ صَلَاتِهِ) في الأولى أو الثالثة (لَمْ يَنْهَضْ); أي: إلى القيام (حتى يَسْتَوِيْ قَاعِدًا)، ومطابقته للترجمة واضحة.

وفيه: مشروعية جلسة الاستراحة، وأخذ بها الشافعي وطائفة من أهل الحديث، وعن أحمد رواياته، ذكر الخلال أنَّ أَحْمَدَ رَجَعَ إِلَى القول بها، وهو مذهب داود، ولم يستحبها الجمهور.

واحتاج الطحاوي بخلو حديث أبي حميد عنها؛ فإنه ساقه بلفظ: (فَقَامَ وَلَمْ يَتُورَّكَ)، فلما تَخَالَفَا احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مَا فَعَلَهُ فِي حَدِيثِ مَالِكٍ ابن الْحُوَيْرَثُ لَعْلَةً كَانَتْ بِهِ فَقَعَدَ مِنْ أَجْلِهَا، لَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ سُنْنَةِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ قَوَّى ذَلِكَ بِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَقْصُودَةً لِشُرُعِ لَهَا ذِكْرٌ مُخْصُوصٌ.

وتعقب بأن الأصل عدم العلة، وبأن مالك بن الحُويرث هو راوي حديث: «صلوا كما رأيتمني أصلي»، فحكاياته لصفات صلاة رسول الله ﷺ داخلة تحت هذا الأمر، وعدم ذكرها في حديث أبي حميد دليل لعدم وجوبها، فكانه تركها لبيان الجواز، على أنها مذكورة في حديث أبي حميد عند أبي داود والترمذى وغيرهما بلفظ: (ثم هو ساجداً، ثم ثنى رجله وقعد حتى رجع كل عضو في موضعه، ثم نهض)، وكونها لا ذكر لها مخصوص لأنها جلسة خفيفة جداً، استغنى فيها بالتكبير المشروع للقيام، فإنها من جملة النهوض للقيام.

وأما قول بعضهم: لو كانت سُنة لذكرها كل من وصف صلاته عليه الصلاة والسلام، فيقول: إنها فعلها للحاجة، ففيه نظر؛ فإن السُّنن المتفق عليها لم يستوعبها كل واحد من وصفه، وإنما أخذ مجموعها من مجموعهم، قاله في «الفتح».

وقال القلقشندى: وحمل هذا الحديث على الضعيف بعيد، وقول من قال: إن مالك بن الحُويرث رجل من أهل البدية أقام عند النبي ﷺ عشرين ليلة، ولعله رأه جلس في صلاة واحدة لعذر، فظن أنها من سُنن الصلاة أبعد وأبعد؛ فإنها مذكورة في حديث المسمى صلاته عند البخاري في (كتاب الاستئذان)، ولفظه: (ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً)، قال: والعجب أن النّووي في

«شرح المهدب» أنكر أن تكون جلسة الاستراحة مذكورة في حديث المسيء صلاته.

قال: واختلف أصحابنا فيها: هل هي من الركعة الثانية أم هي جلوس مستقل فاصل بين الركعتين وليس من واحدة منهم؟ وال الصحيح الثاني، انتهى.

* * *

كيف يعتمد على الأرض إذا قام من الركعة

(باب) بالتنوين: (كيف يعتمد)؛ أي: المصلي (على الأرض إذا قام من الركعة)؛ أي: ركعة كانت، وفي رواية: (من الركعتين)؛ أي: الأولى والثالثة.

٨٢٤ - حَدَّثَنَا مُعْلَى بْنُ أَسَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَّابَةَ قَالَ: جَاءَنَا مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثَ فَصَلَّى بِنَا فِي مَسْجِدِنَا هَذَا فَقَالَ: إِنِّي لِأَصَلِّي بِكُمْ، وَمَا أُرِيدُ الصَّلَاةَ، وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أُرِيْكُمْ كَيْفَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي، قَالَ أَيُّوبُ: فَقُلْتُ لِأَبِي قِلَّابَةَ: وَكَيْفَ كَانَتْ صَلَاتُهُ؟ قَالَ: مِثْلَ صَلَاةِ شَيْخِنَا هَذَا - يَعْنِي عَمْرَو بْنَ سَلَمَةَ - قَالَ أَيُّوبُ: وَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْخُ يَتِيمُ التَّكْبِيرَ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ عَنِ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ جَلَسَ وَاعْتَمَدَ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ قَامَ.

وبالسند قال:

(حدثنا معلى بن أسد) العمي، (قال: حدثنا)، وفي رواية: (أخبرنا) (وُهَيْب) - تصغير وهب - بن خالد، (عن أىوب) السختياني، (عن أبي قِلَّابَةَ) عبدالله بن زيد (قال: جاءنا مالك بن الحويرث) ظاهره،

(فصلٍ بنا في مسجدنا هذا، فقال: إني لأصلِّي بكم وما أريد الصلاة؛ لكنني)، وفي رواية: (لكن) مخففة، وفي أخرى: (ولكن) (أريد أن أريكم كيف رأيت رسول الله)، وفي رواية: (النبي) (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يصلي، قال أَيُّوب: فقلت لأبي قلابة: وكيف كانت صلاته؟) أي: صلاة مالك.

(قال: كانت مثل صلاة شيخنا هذا؛ يعني: عمرو بن سَلِمة) بكسر اللام.

(قال أَيُّوب: وكان ذلك الشيخ يتم التكبير)؛ أي: كان يكبر عند كل انتقال غير الاعتدال، لا ينقص من تكبيرات الانتقال شيئاً، أو كان يمده من أول الانتقالات إلى آخره.

(وإذا رفع رأسه عن السجدة)، وفي رواية: (في السجدة)، وفي أخرى: (من السجدة).

(الثانية جلس واعتمد على الأرض ثم قام)، وتقديم الكلام على هذا الحديث، والغرض منه هنا: ذكر الاعتماد على الأرض عند القيام من السجود أو الجلوس، والإشارة إلى رد ما رُوي بخلاف ذلك، فعند سعيد بن منصور بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة: (أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان ينهض على صدور قدميه)، وعن ابن مسعود مثله بإسنادٍ صحيحٍ، وعن إبراهيم: أنه كره أن يعتمد على يديه إذا نهض، قاله في «الفتح». وقال في «المجموع»: والخبر الصحيح: كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه، وفي رواية: نهض على ركبتيه واعتمد على فخذيه؛

محله إذا لم يأتِ المُصلِّي بِسُنْنَة الاعتماد السابق، فَحِينَئِذِ الْسُّنْنَة لَه تقدیم رفع اليدين والاعتماد بهما على الفخذين لیستعين على النهوض، انتهى.

وكيفية الاعتماد أن يجعل بطن راحتيه وبطون أصابعه على الأرض، وسواء فيه القوي والضعف.

وأما الحديثُ الذي في «الوسِيط» عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا قام من الصلاة وضع يده بالأرض كما يصنع العاجن؛ أي: بالنون = فليس ب صحيح.

وقال في «المجموع»: هو ضعيف أو باطل، ولو صَحَّ كان المراد به التشبيه به في شدة الاعتماد عند وضع يديه، لا في كيفية ضم أصابعهما.

قال في «الفتح»: فإن قيل: ترجم على كيفية الاعتماد، والذي في الحديث إثبات الاعتماد فقط؟

أجاب الْكَرْمَانِيَّ بِأَنَّ بِيَانَ الْكِيفِيَّةِ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ: جُلُسْ وَاعْتَمَدْ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ قَامَ، فَكَانَهُ أَرَادَ بِالْكِيفِيَّةِ أَنْ يَقُومَ مُعْتَمِدًا عَنْ جُلُوسِ لَا عَنْ سُجُودِ.

قال: وقال ابن رشيد: أفاد في الترجمة التي قبل هذه إثبات الجلوس في الأولى والثالثة، وفي هذه أن ذلك الجلوس جلوس اعتماد على الأرض يتمكن، بدليل الإثبات بحرف (ثُمَّ) الدالة على المهلة، وأنه ليس جلوس استيفاذ، فأفاد في الأولى مشروعية الحكم،

وفي الثانية صفتة، انتهى.

ونظر فيه الحافظ بأنه لو كان المراد ذلك لقال: كيف يجلس
مثلاً؛ أي: لا كيف يعتمد.

قال: وقيل: يستفاد من الاعتماد أنه يكون باليد؛ لأنه افتعال من
العماد، والمراد به الاتكاء وهو باليد، انتهى.

* * *

يُكَبِّرُ وَهُوَ يَنْهَضُ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ

وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُكَبِّرُ فِي نَهْضَتِهِ.

(باب) بالتنوين: (يُكَبِّرُ)، المصلي، (وهو ينهض من السجدين); أي: الركعتين الأولتين؛ لأن السجدة تطلق على الركعة من باب إطلاق الجزء على الكل، والمراد أنه يُكَبِّرُ حين يشرع في القيام من التشهد الأول، كما سيأتي.

(وكان ابن الزبير)، هو عبد الله (يُكَبِّرُ في نهضته)، أي: في أولها من السجدين، وصله ابن أبي شيبة بِإسنادِ صحيح إلى عمرو بن دينار أن ابن الزبير كان يُكَبِّرُ لنهضته.

٨٢٥ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: صَلَّى لَنَا أَبُو سَعِيدٍ فَجَهَرَ بِالْتَّكْبِيرِ حِينَ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَجِينَ سَجَدَ وَجِينَ رَفَعَ، وَجِينَ قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ، وَقَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبالسند قال:

(حدثنا يحيى بن صالح) أبو زكريا، الْوَحَاطِي، الحمصي،
(قال: حدثنا فُلَيْحَ بْنُ سَلِيمَانَ) ويقال: إن اسمه عبد الملك، وفليح
لقبه، (عن سعيد بن الحارث) بن المعلى الأنصاري، (قال: صلَّى
لَنَا)؛ أي: لأجلنا، (أبو سعيد)؛ أي: الخدرى، أي: بالمدينة.

(فجهر) أبو سعيد (بالتكبير حين رفع رأسه من السجدة، وحين
سجد الثانية، وحين رفع) زاد في رواية: (رأسه)، أي: من الثانية
(وحين قام من الركعتين) وهذا موضع الترجمة.

(وقال: هكذا رأيت النبي ﷺ؛ أي: يصلي، وقد يبن
الإسماعيلي في روايته له سبب ذلك، ولفظه: (اشتكى أبو هريرة، أو
غاب فصلَّى أبو سعيد، فجهر بالتَّكبير حين افتتح وحين ركع...)
ال الحديث، وزاد في آخره: (فلما انصرف قيل له: قد اختلف الناس
على صلاتك، فقام عند المنبر، فقال: إني والله ما أبالى اختلفت
صلاتكم أم لم تختلف، إني رأيت رسول الله ﷺ هكذا يصلي).

قال الحافظ: والذي يظهر أن الاختلاف بينهم كان في الجهر
بالتَّكبير والإسرار به، وكان مروان وغيره من بنى أمية يُسْرُونَه، كما
تقدَّم في (باب إتمام التَّكبير في الركوع) وكان أبو هريرة يصلي بالناس
في إمارة مروان على المدينة، والمشهور عن أبي هريرة أنه كان يكثُر
حين يقوم ولا يؤخر حتى يستوي قائماً، كما يأتي عن «الموطأ».

وأما ما تقدَّم في (باب ما يقول الإمام ومن خلفه) من حديثه؛

أي : المرفوع ، بلفظ : (إِذَا قَامَ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ) ، فِي حِمْلِ
عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى إِذَا شَرَعَ فِي الْقِيَامِ ، اَنْتَهَى .

* * *

٨٢٦ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا غَيْلَانُ بْنُ جَرِيرٍ ، عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ : صَلَّيْتُ أَنَا وَعِمْرَانُ
صَلَاةً خَلْفَ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ إِذَا سَجَدَ كَبَرَ ، وَإِذَا رَفَعَ
كَبَرَ ، وَإِذَا نَهَضَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ كَبَرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخَذَ عِمْرَانُ بِيَدِي فَقَالَ :
لَقَدْ صَلَّى بِنَا هَذَا صَلَاةً مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ قَالَ : لَقَدْ ذَكَرَنِي هَذَا صَلَاةً
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَبِالسَّنْدِ قَالَ :

(حدثنا سليمان بن حرب) الواشحى ، (قال : حدثنا حماد بن زيد ،
قال : حدثنا غيلان بن جرير) بفتح الغين المعجمة ، و(جرير) بفتح
الجيم ، (عن مطرف) هو ابن عبدالله بن الشحير ، (قال : صليت أنا
وعمران) بن الحصين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صلوة خلف علي بن أبي طالب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان إذا
سجد كبار وإذا رفع) ؛ أي : رأسه من السجود ، (كبار ، وإذا نهض من
الركعتين) الأولين بعد التشهد (كبار) ، وهذا موضع الترجمة أيضاً .

(فلما سلم) ، أي : علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أخذ عمران) بن الحصين (بيدي)
بلفظ الإفراد ، (فقال : لقد صلّى بنا هذا) ؛ يعني : علي بن أبي طالب .
(صلوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؛ أي : مثل صلاته ، (أو قال : لقد ذكرني) بتشديد

الكاف (هذا صلاة محمد ﷺ) وتقدم الكلام على حديث عمران بن الحصين في (باب إتمام التكبير في الركوع).

قال ابن المُنَيَّر: أجرى البخاري الترجمة وأثر ابن الزبير مجرى التَّبَيِّن لحديثي الباب؛ لأنهما ليسا صريحين في أن ابتداء التكبير يكون مع أول النهوض.

واستشكل ابن رشيد هذه الترجمة بأنها مكررة مع قوله فيما مضى: (باب التكبير إذا قام من السجود) بما لا يلقي مقصود البخاري، وأجاب عنه في «فتح الباري» فراجعه.

واعلم أنه ذهب أكثر العلماء إلى أن المصلحي يشرع في التكبير أو غيره عند ابتداء الخفض أو الرفع، إلا أنه اختلف عن مالك في القيام إلى الثالثة من التشهد الأول، فروى في «الموطأ» عن أبي هريرة وابن عمر وغيرهما أنهم كانوا يكبّرون في حال قيامهم، وروى ابن وهب عنه أن التكبير بعد الاستواء أولى.

وفي «المدونة»: لا يكبّر حتى يستوي قائماً، وَوَجَّهَهُ بعض أتباعه بأن تكبيرة الافتتاح تقع بعد القيام، فينبغي أن يكون هذا نظيره من حيث أن الصلاة فرضت أولاً ركعتين ثم زيدت الرباعية، فيكون افتتاح المزيد كافتتاح المزيد عليه، وكان ينبغي لصاحب هذا الكلام أن يستحب رفع اليدين حيئاً لتكميل المناسبة، ولا قائل منهم به، قاله في «الفتح».

* * *

سُنَّةِ الْجُلوسِ فِي التَّشَهِيدِ

وَكَانَتْ أُمُّ الدَّرَدَاءِ تَجْلِسُ فِي صَلَاتِهَا جِلْسَةَ الرَّجُلِ، وَكَانَتْ فَقِيهَةً.

(باب سُنَّةِ الْجُلوسِ فِي التَّشَهِيدِ) قال الْكَرْمَانِي: يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادُ أَنَّ السُّنَّةَ فِي الْجُلوسِ الْهَيَّةُ الْفَلَانِيَّةُ، كَالْافْتَرَاشِ مَثَلًاً، فَالإِضَافَةُ بِمَعْنَى فِي، وَأَنْ يَرَادُ أَنْ نَفْسَ الْجُلوسِ سُنَّةً، فَالإِضَافَةُ بِبَيَانِهِ، نَحْوُ شَجَرِ الْأَرَاكِ.

قَالَ: وَالْحَدِيثُ الَّذِي فِي الْبَابِ يَصْلُحُ لِلْأَمْرَيْنِ.

قَلْتُ^(١): الْمَرَادُ بِالسُّنَّةِ: الْطَّرِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، وَهِيَ أَعْمَّ مِنَ الْمَنْدُوبِ، اَنْتَهَى.

(وَكَانَتْ أُمُّ الدَّرَدَاءِ تَجْلِسُ فِي صَلَاتِهَا جِلْسَةَ الرَّجُلِ) بِكَسْرِ الْجَيْمِ؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ الْهَيَّةَ؛ أَيِّ: كَجُلوسِ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ، بَأْنَ يَنْصُبُ الرَّجُلُ الْيَمْنِيُّ وَيَفْرُشُ الْيَسْرِيَّ.

(وَكَانَتْ) أُمُّ الدَّرَدَاءِ (فَقِيهَةً)، وَهَذَا الأَثْرُ وَصْلَهُ الْبَعْلَارِيُّ فِي

(١) فِي «وَ» وَ«نَ»: «فَإِنْ قَلْتَ»، وَالْمُبَثَّتُ مِنْ «الْكَوَاكِبُ الدَّرَارِيِّ» (٥/١٧٧).

«التاريخ الصغير» من طريق مكحول باللفظ المذكور، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة، بدون قوله: (وكانت فقيهة)، فجزم مُعْلِطٌ بـأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الْبَخَارِيِّ، لَا مِنْ قَوْلِ مَكْحُولٍ، وَتَبَعَهُ ابْنُ الْمَلْقَنَ فَقَالَ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ قَوْلُ الْبَخَارِيِّ.

وَتَعْقِبُهُمَا الْحَافِظُ بِأَنَّهُ رَوَاهُ تَامًا فِي «مَسْنَدِ الْفَرِيَابِيِّ» أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى مَكْحُولٍ.

قَالَ: وَمِنْ طَرِيقَةِ الْبَخَارِيِّ أَنَّ الدَّلِيلَ إِذَا كَانَ عَامًا، وَعَمِلَ بِعُمُومِهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، رَجَّحَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَحْتَجْ بِهِ بِمُجْرِدِهِ.

قَالَ: وَعُرِفَ مِنْ رِوَايَةِ مَكْحُولٍ أَنَّ الْمَرَادَ أَمَّا الْدَرِدَاءُ الصَّغَرِيُّ التَّابِعِيَّةُ؛ أَيْ: وَاسْمُهَا هُجَيْمَةُ، كَمَا مَرَّ، لَا الْكَبْرِيُّ الصَّحَابِيَّةُ - أَيْ وَاسْمُهَا خَيْرَةُ - لِأَنَّهُ أَدْرَكَ الصَّغَرِيَّ، وَلَمْ يَدْرِكِ الْكَبْرِيَّ، اِنْتَهِيَ.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: إِنَّهَا الْكَبْرِيُّ، وَاسْتَدَلَ بِقَوْلِهِ: (وَكَانَتْ فَقِيهَةَ)، وَلَا يَخْفِي مَا فِيهِ.

ثُمَّ قَالَ الْحَافِظُ: وَعَمِلَ التَّابِعِيُّ بِمُفْرِدِهِ، وَلَوْلَمْ يَخْالِفْ، لَا يَحْتَجْ بِهِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْاِخْتِلَافُ فِي الْعَمَلِ بِقَوْلِ الصَّحَابِيِّ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَوْرِدْ الْبَخَارِيُّ أَثْرًا أَمَّا الْدَرِدَاءُ لِيَحْتَجْ بِهِ بِلِلْتَّقْوِيَّةِ.

* * *

٨٢٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ يَرَى عَبْدَ اللَّهِ

ابنَ عُمَرَ رضي الله عنه يَتَرَبَّعُ فِي الصَّلَاةِ إِذَا جَلَسَ، فَفَعَلْتُهُ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ حَدِيثُ السَّنَنِ، فَنَهَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَقَالَ: إِنَّمَا سُنَّةُ الصَّلَاةِ أَنْ تَنْصِبَ رِجْلَكَ الْيُمْنَى وَتَثْنِي الْيُسْرَى، فَقُلْتُ: إِنَّكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ رِجْلَيَ لَا تَحْمِلَنِي .

وبالسند قال :

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلِمَةَ) الْقَعْنَبِيُّ، (عَنْ مَالِكِ) الْإِمَامِ الشَّهِيرِ، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ) بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) بْنَ تَكْبِيرِ الْأَسْمَى، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ الْقَرْشِيِّ، الْعَدُوِّيِّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدْنِيِّ، كَانَ مِنْ سَادَاتِ الْتَّابِعِينَ، ثَقَةُ بَاتِفَاقِهِ، وَكَانَ وَصِيًّا أَبِيهِ، مَاتَ بِالْمَدِينَةِ أَوْلَى خَلَافَةِ هِشَامِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِئَةً .

روى له الجماعة ما عدا ابن ماجه .

(أَنَّهُ أَخْبَرَهُ) قَالَ الْحَافِظُ: صَرِيحٌ فِي أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ الْقَاسِمِ حَمَلَهُ عَنْهُ بِلَا وَاسْطَةٍ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ الرِّوَاةُ عَنْ مَالِكٍ، فَأَدْخَلَ مَعْنَى ابْنِ عَيْسَى وَغَيْرِهِ عَنْهُ فَيَبْيَنُ عَبْدَ الرَّحْمَنَ وَعَبْدَ اللَّهِ = الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَالَّذِي عَبْدُ الرَّحْمَنُ، بَيْنَ ذَلِكَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ وَغَيْرِهِ .

قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ سَمِعَهُ مِنْ أَبِيهِ عَنْهُ، ثُمَّ لَقِيَهُ أَوْ سَمِعَهُ مِنْهُ مَعَهُ، وَثَبَّتَهُ فِيهِ أَبُوهُ، اَنْتَهَى .

(أَنَّهُ)؟ أَيْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (كَانَ يَرَى) أَبَاهُ (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ) رضي الله عنه

(يتربع في الصلاة إذا جلس) للتشهد، (ففعلته)؛ أي: التربع، (وأنا يومئذ حديث السن)، أي: شاب (فهانى عبدالله بن عمر)؛ أي: عن التربع، (وقال) وفي رواية: (فقال)، وفي أخرى: (قال) بدون واو.

(إنما سنة الصلاة)؛ أي: التي سنهما النبي ﷺ (أن تنصب رجلك اليمنى)؛ أي: لا تلصقها بالأرض، (وتشي اليسرى)، بفتح المثناة من تشى؛ أي: تعطفها. قال الحافظ: لم يبين في هذه الرواية ما يصنع بعد ثنيها؛ هل يجلس فوقها، أو يجلس على وركه؟

ووقع في «الموطأ» عن يحيى بن سعيد أن القاسم بن محمد أراهم الجلوس في التشهد، فنصب رجله اليمنى، وثنى اليسرى وجلس على وركه اليسرى، ولم يجلس على قدمه، ثم قال: أراني هذا عبدالله بن عبدالله بن عمر، وحدثني أن أباه كان يفعل ذلك.

قال: فتبين من رواية القاسم ما أجمل في رواية ابنه، قال: وإنما اقتصر البخاري على رواية عبد الرحمن؛ لتصريحه فيها بأن ذلك هو السنة لاقتضاء ذلك الرفع، بخلاف رواية القاسم.

ثم ذكر ما حاصله أن الصفة المذكورة لا تخالف حديث أبي حميد - أي: الآتي -، المفصل بين الجلوس الأول والثاني؛ لأن في «الموطأ» أيضاً عن عبدالله بن دينار التتصريح بأن هذه الصفة كانت في التشهد الأخير، وروى النسائي من غير طريق مالك عن عبدالله بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: من سنة الصلاة أن تنصب اليمنى وتجلس على اليسرى، فإذا حملت هذه الرواية على التشهد الأول ورواية مالك

على التشهد الأخير انتفى عنهما التعارض ووافق ذلك التفصيل المذكور في حديث أبي حميد، والله أعلم انتهى.

(فقلت: إنك تفعل ذلك) أي: التربع، (فقال: إنَّ رجليَّ) قال الحافظ: كذا للأكثر - أي: بالتشنيه - وفي رواية حكاها ابن التين - أي: ورقم عليها في «اليونينية» علامتي ابن عساكر وأبي الوقت -: (إن رجلاً)، ووجهها - أي ابن التين - على أن (إن) بمعنى نعم، ثم استأنف فقال: (رجلاً)، أو على لغة بني الحارث.

قال: ولها وجه آخر لم يذكره، وقد ذكرت الأوجه في قراءة منقرأ: **﴿هَذَنِ لَسَّحَرَنِ﴾** [طه: ٦٣]، انتهى.

(لا تحملاني) قال الكرماني: بتشديد النون وتحفيتها، وقال في «الفتح»: بتشديد النون، ويجوز التخفيف، ورقم في «اليونينية» على التشديد علامة أبي ذر.

قال ابن عبد البر: اختلفوا في التربع في النافلة وفي الفريضة للمريض.

قال: فأما الصحيح فلا يجوز له التربع في الفريضة بإجماع العلماء، وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: لأن أقعد على رضفيتين أحبت إلى من أن أقعد متربعاً في الصلاة، وهذا يشعر بتحريمه عنده.

قال الحافظ: ولكن المشهور عن أكثر العلماء أن هيئة الجلوس في التشهد سنة، والتربع عندهم جائز، فلعل ابن عبد البر أراد بنفي الجواز إثبات الكراهة، انتهى.

* * *

٨٢٨ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْلَّيْثُ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَلْحَلَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءِ، وَحَدَّثَنَا الْلَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ وَيَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَلْحَلَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءِ: أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا مَعَ نَفْرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَا صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ: أَنَا كُنْتُ أَحْفَظُكُمْ لِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ إِذَا كَبَرَ جَعَلَ يَدِيهِ حِذَاءَ مَنْكِبِيهِ، وَإِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدِيهِ مِنْ رُكْبَتِيهِ، ثُمَّ هَصَرَ ظَهِيرَهُ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ اسْتَوَى حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَ يَدِيهِ غَيْرَ مُفْتَرِشٍ وَلَا قَابِضِهِمَا، وَاسْتَقْبَلَ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلِهِ الْقِبْلَةَ، فَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ جَلَسَ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى وَنَصَبَ الْيُمْنَى، وَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَنَصَبَ الْأُخْرَى وَقَعَدَ عَلَى مَقْعِدَتِهِ.

وَسَمِعَ الْلَّيْثُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ وَيَزِيدُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَلْحَلَةَ، وَابْنَ حَلْحَلَةَ مِنْ ابْنِ عَطَاءِ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ الْلَّيْثِ: كُلُّ فَقَارٍ. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُوبَ قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو حَدَّثَهُ: كُلُّ فَقَارٍ.

وبالسند قال:

(حدثنا يحيى بن بكر) المصري، (قال: حدثنا الليث) بن سعد

المصري، (عن خالد) هو ابن يزيد الجمحي المصريون (عن سعيد) زاد في رواية: (هو ابن أبي هلال) وفي أخرى: بدله؛ يعني: (ابن أبي هلال) وهو من أقران خالد الآخذ عنه.

(عن محمد بن عمرو بن حَلْحَلة) بحائين مهمتين مفتوحتين، بينهما لام ساكنة، هو من بنى الدليل، مدنبي ثقة، وكان ذا هيئة، ملازمًا للمسجد.

لم يذكروا له وفاة، وقال في «الترقيب»: من السادسة.

روى له الجماعة ما عدا الترمذى وابن ماجه.

(عن محمد بن عمرو بن عطاء) هو قرشى عامرى من بنى عامر ابن لؤى، مدنبي، ثقة.

قال محمد بن سعد: كانت له هيئة ومروءة، وكانوا يتحدثون بالمدينة في حياته أن الخلافة تفضي إليه لهيئته ومروءته وعقله وكماله، ولقي ابن عباس وغيره من الصحابة رض.

وتوفي في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وله أحاديث، انتهى.

وقال ابن حبان: توفي في آخر خلافة هشام وأول خلافة الوليد، زاد ابن حبان: وله ثلات وثمانون سنة، وقال غيره: وله تسعون سنة، وقال الحافظ أيضًا: مات بعد سنة عشرين ومئة.

وكذا قال في «الترقيب»: مات في حدود العشرين.

وقال: ووهم من قال: إن القطان تكلم فيه، أو أنه خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن، فإن ذلك هو محمد بن عمرو بن علقمة - أي: لأنه تأخرت وفاته - وأما صاحب الترجمة فمات قبل خروج محمد بمدة مد IDEA.

روى له الجماعة.

(قال: وحدثنا الليث) قائل ذلك هو يحيى بن بكر المذكور أولاً، وفي بعض الأصول قبله: (ح) التي للتحويل، وفي رواية: (قال يحيى: وحدثنا الليث)، وفي أخرى: (قال: وحدثني الليث).

(عن يزيد بن أبي حبيب)، واسم أبي حبيب: سعيد، (وعن يزيد ابن محمد)، هو يزيد بن محمد بن قيس بن معاشرة بن المطلب بن عبد مناف القرشي، المطليبي، المصري، وهو مدني الأصل، وثقة الدارقطني، وذكره ابن حبان في «الثقات».

لم يذكروا له وفاة، وقال في «النقريب»: من السادسة.

روى له البخاري مقولناً بيزيد بن أبي حبيب، وأبو داود والنسائي كلاهما.

(عن) وفي رواية معزوة في «اليونينية» للحموي والمستملبي: (من) بدل (عن)، ولم ينبه عليها أحد من الشرح، فإن صحت فتاویلها - والله أعلم - كلاهما سمع من (محمد بن عمر بن حملة).

قال الحافظ: والحاصل أن بين الليث وبين محمد بن عمرو بن

حَلْحَلَةٌ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى اثْنَيْنِ، وَبَيْنَهُمَا فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ وَاسْطَةٌ
وَاحِدَةٌ، وَيُزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ مِنْ صَغَارِ الْتَّابِعِينَ، وَيُزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
رَفِيقَهُ، وَأَرْدَفَ الرِّوَايَةَ النَّازِلَةَ بِالرِّوَايَةِ الْعَالِيَةِ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ،
وَرَبِّمَا وَقَعَ لَهُمْ ضَدُّ ذَلِكَ؛ لِمَعْنَى مَنَاسِبٍ، انتَهَى.

(عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَطَاءِ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا مَعَ نَفْرِي) وَفِي
رِوَايَةٍ: (فِي نَفْرِي)، وَنَسْبُ الْحَافِظِ الْأُولَى لِكَرِيمَةٍ فَقَطْ، (مِنْ أَصْحَابِ
النَّبِيِّ) وَفِي رِوَايَةٍ: (رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)، وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: (سَمِعْتُ أَبَا
حَمِيدَ فِي عَشَرَةِ) وَعِنْدَ سَعِيدِ بْنِ مُنْصُورٍ: (رَأَيْتُ أَبَا حَمِيدَ مَعَ عَشَرَةِ).
قَالَ الْحَافِظُ: وَلِفَظٍ (مَعَ) يَرْجِعُ أَحَدُ الْاحْتِمَالِيْنَ فِي لِفَظٍ (فِي)؛
لِأَنَّهَا مُحْتَمَلَةٌ لِأَنْ يَكُونَ أَبُو حَمِيدُ مِنَ الْعَشَرَةِ أَوْ زَائِدًا عَلَيْهِمْ.

قَالَ: وَقَدْ سُمِّيَّ مِنْهُمْ: سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو أُسَيْدِ السَّاعِدِيِّ،
وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، وَأَبُو هَرِيرَةَ وَأَبُو قَتَادَةَ، قَالَ: وَلَمْ أَقْفِ عَلَى تَسْمِيَةِ
الْبَاقِيْنَ.

(فَذَكَرْنَا صَلَاتَةَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو حَمِيدِ السَّاعِدِيِّ) الْأَنْصَارِيُّ،
الْخَزْرَجِيُّ، الْمَدْنِيُّ، الصَّحَابِيُّ الْجَلَلِيُّ، قَيْلُ: اسْمُهُ الْمَنْذُرُ بْنُ سَعِيدٍ
ابْنُ الْمَنْذُرِ، وَقَيْلُ: الْمَنْذُرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ مَالِكٍ، وَقَيْلُ: الْمَنْذُرُ بْنُ سَعْدٍ
ابْنُ عُمَرَ، وَقَيْلُ: اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَيَقَالُ: إِنَّهُ عَمٌ لِسَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ
السَّاعِدِيِّ، شَهَدَ أَحَدًا وَمَا بَعْدَهَا.

تَوَفَّى فِي آخِرِ خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ، أَوْ أَوَّلِ لَوْلَيَّةِ يُزِيدٍ، سَنَةَ سِتِّينَ.
رُوِيَ لَهُ الْجَمَاعَةُ.

قال الحافظ: ثم إن رواية الليث ظاهرة في اتصال الحديث بين محمد بن عمرو وأبي حميد، ورواية أبي داود صريحة في ذلك، وزعم ابن القطان تبعاً للطحاوي أنه غير متصل لأمرتين:

أحدهما: أن أبا داود أخرجه من طريق آخر، فأدخل بين محمد بن عمرو بن عطاء وبين الصحابة عباس بن سهل.

ثانيهما: أن في بعض طرقه تسمية أبي قتادة في الصحابة المذكورين، وأبو قتادة قديم الموت يصغر سنَّ محمد بن عمرو عن إدراكه.

قال: والجواب عن ذلك:

أما الأول: فلا يضر الثقة المصحح بسماعه - أي: كما مر في رواية أبي داود - أن يدخل بينه وبين شيخه واسطة، إما لزيادة في الحديث، وإما ليثبت فيه، فيكون من المزيد في متصل الأسانيد.

وأما الثاني: فالمعتمد فيه قول بعض أهل التاريخ: إن أبا قتادة مات في خلافة علي وصلى عليه علي، وكان قتل علي سنة أربعين، وأن محمد بن عمرو بن عطاء مات بعد سنة عشرين ومئة وله نيف وثمانون سنة - أي: كما مرّ قريراً في ترجمته - فعلى هذا لم يدرك أبا قتادة.

قال: والجواب أن أبا قتادة اختلف في وقت موته، فقيل: سنة أربع وخمسين - أي: وهذا هو الأصح الذي قدمناه في ترجمته - وعلى هذا فلقاء محمد له ممكن.

قال: وعلى الأول، فلعل من ذكر مقدار عمره أو وقت وفاته وَهُمْ، أو الذي سمي أبا قتادة في الصحابة المذكورين وَهُمْ في تسميته، ولا يلزم من ذلك أن يكون الحديث الذي رواه غلطًا؛ لأن غيره ممن رواه معه عن محمد بن عمرو بن عطاء، أو عن عباس بن سهل قد وافقه، انتهى.

وقد اشتمل حديث أبي حميد هذا على جُمِلٍ كثيرة من صفة الصلاة، وسندين ما في رواية غير الليث من الزيادة، وسياق الليث في حكاية أبي حميد لصفة الصلاة بالقول، ووافقه غيره وخالف بعض رواته فحكى أنه وصفها بالفعل، ولفظه: (قالوا فأرنا، فقام فصلى، وهم ينظرون فبدأ فكير) ... الحديث.

قال الحافظ: ويمكن الجمع بينهما بأن يكون وصفها مرةً بالقول ومرةً بالفعل.

(أنا كنت أحفظكم لصلاة رسول الله ﷺ) زاد أبو داود: (قالوا: فلم؟ فوالله ما كنت بأكثرنا له اتباعاً). والترمذى: (ولا أقدمنا له صحبة)، وقال: (إتياناً) بدل (إتباعاً)، وفي بعض طرقه: (قالوا: فكيف؟ قال: أتَبَعْتَ ذلك منه حتى حفظته)، زاد أبو داود: (قالوا: فَاعْرِضْ)، وعند ابن حبان: (استقبل القبلة، ثم قال: الله أكبر)، وزاد ابن خزيمة فيه ذكر الوضوء.

(رأيته) عليه الصلاة والسلام، (إذا كَبَرَ جعل يديه حِذاء منكبيه)، بكسر المهملة والمد، وفي رواية: (حَذْوَ)، بفتحها وسكون المعجمة

وباللواو آخره، وزاد في بعض طرقه: (ثم قرأ بعض القرآن).

(إِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدِيهِ مِنْ رَكْبَتِيهِ ثُمَّ هَصَرَ ظَهِيرَهِ) بالهاء والصاد المهملة المفتوحتين؛ أي: ثناه في استواء من غير تقويس، وفي بعض طرقه: (غَيْر مُقْبِنِ رَأْسَهُ وَلَا مُصَوِّبَهُ)، وعند أبي داود: (فَوَضَعَ يَدِيهِ عَلَى رُكْبَتِيهِ، كَأَنَّهُ قَابِضٌ عَلَيْهِمَا، وَوَتَرَ يَدِيهِ فَتَجَافِي عَنْ جَنَبِيهِ)، وفي بعضها: (وَفَرَجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ).

(إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ أَسْتَوَى) زاد أبو داود: (فَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، اللَّهُمَّ رِبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَرَفَعَ يَدِيهِ)، وزاد غيره: (حَتَّى يَحَذِّي بَهْمَاءَ مَنْكِبِيهِ مُعْتَدِلًا).

(حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ) وفي رواية: (إِلَى مَكَانِهِ)، وَالْفَقَارُ - بفتح الفاء والقاف - جمع فَقَارَة، وهي عِظام الظَّهَر، وهي العظام التي يقال لها: خَرَزَ الظَّهَر.

وقال ابن سيده: هي من الكَاهِل إلى العَجْب، وعن ابن الأعرابي: أن عدتها سبع عشرة، وعن الزجاج: أصولها تسع غير التوابع، وعن الأصمسي: هي خمس وعشرون؛ سبع في العنق وخمس في الصلب وبقيتها في أطراف الأَضْلاع.

وحكى في «المطالع» عن رواية الأَصِيلِي أنه بفتح الفاء وكسرها، وعن ابن السَّكَن بكسرها، والصواب بفتحها، ويأتي ما فيه في آخر الحديث، والمراد بذلك كمال الاعتدال، ففي بعض طرقه: (ثم يمكث قائمًا حتى يقع كل عظم موقعه).

(فإذا سجد وضع يديه غير مفترش)؛ أي: لهما، ولا بن حبان: (غير مفترش ذراعيه)، (ولا قابضهما)؛ أي: بأن يضمهما إليه، (واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة) وفي بعض طرقه: (فإذا سجد فرج بين فخذيه غير حامل بطنه على شيء منهما)، وفي بعضها: (جافى يديه عن جنبيه)، وفي بعضها: (ونحى يديه عن جنبيه، ووضع يديه حذو منكبيه)، وفي بعضها: (فأعلوَى على جنبيه وراحتيه وركبتيه وصدر قدميه، حتى رأيت بياض إبطيه ما تحت منكبيه، ثم ثبت حتى اطمأن كل عظم منه، ثم رفع رأسه فاعتدل).

وزاد في بعضها: (ثم يقول: الله أكبر، ويرفع رأسه ويثنى رجله اليسرى، فيقعد عليها حتى يرجع كل عظم إلى موضعه). وفي بعضها (يلفظ: ثم كَبَرَ فجلس فتورك، ونصب قدمه الأخرى، ثم كَبَرَ فسجد)، وهي مخالفة لما قبلها في صفة الجلوس، وفي بعضها خلاف الروايتين ولفظه: (فاعتدل على عقبيه وصدر قدميه).

قال الحافظ: فإن لم يحمل على التعدد، وإن فرواية: (ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها) أرجح انتهى.

(فإذا جلس في الركعتين)؛ أي: الأولين للتشهد، (جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى) وفي بعض طرقه: (ثم جلس فافترش رجله اليسرى، وأقبل بصدر اليمنى على قبنته ووضع كفه اليمنى على ركبته اليمنى وكفه اليمنى على ركبته اليسرى، وأشار بإصبعه).

وزاد في بعضها: (حتى إذا هو أراد أن ينهض إلى القيام قام

بتكبيرة)، وهي مخالفة لرواية: (ثم إذا قام من الركعتين كَبَرَ ورفع يديه، كما كبر عند افتتاح الصلاة).

قال الحافظ: ويمكن الجمع بينهما بأن التشبيه واقع على صفة التكبير لا على محله، ويكون معنى قوله: (إذا قام)؛ أي: أراد القيام أو شرع فيه انتهى.

(وإذا جلس في الركعة الآخرة) للتشهد الأخير، (قدم رجله اليسرى، ونصب الأخرى، وقعد على مقعده)، عند أبي داود: (حتى إذا كانت السجدة التي يكون فيها التسليم)، وعند ابن حبان: (التي تكون خاتمة الصلاة، أَخَرَ رجلَه اليسرى، وقعد متوركاً على شقه الأيسر)، زاد في بعض طرقه: (ثم سلم)، وفي بعضها: (فلما سَلَّمَ سَلَّمَ عن يمينه: سلام عليكم ورحمة الله، وعن يساره كذلك)، وعند أبي داود وغيره: (قالوا - أي: الصحابة المذكورين -: صدقت، هكذا كان يصلي).

وفي الحديث حجة قوية للشافعي ومن قال بقوله، في أن هيئة الجلوس في التشهد الأول مغایرة لهيئة الجلوس في الأخير.

وخالف في ذلك المالكية والحنفية فقالوا: يفترش في الكل، وعكسه المالكية وخالف فيه قول أحمد، والمشهور عنه: اختصاص التورك بالصلاحة التي فيها تشهدان.

وقد قيل: في حِكْمَة التغاير بينهما: أنه أقرب إلى عدم اشتباه عدد الركعات، ولأن الأول تعقبه حركة بخلاف الثاني، ولأن المسبوق

إذا رأه علم قدر ما سبق به .

واستدل الشافعي بعموم قوله فيه : (في الركعة الأخيرة) على أن
تشهد الصبح كالتشهد الأخير من غيره .

وفيه من الفوائد أيضاً: جواز وصف الرجل نفسه بكونه أعلم من
غيره إذا أمن الإعجاب ، وأراد تأكيد ذلك عند من سمعه؛ لما في
التعليم والأخذ عن الأعلم من الفضل .

وفيه: أن (كان) تستعمل في المستقبل أيضاً، كقوله: (كنت
أحفظكم)، وأراد استمراره على ذلك .

وفيه: أنه كان يخفى على الكثير من الصحابة بعض الأحكام
المتلقاة عن النبي ﷺ، وربما تذكره بعضهم .

وفي الطرق التي أشير إلى زياقتها جملة من صفة الصلاة ظاهرة
لمن تدبر ذلك وتفهمه ، قاله في «الفتح» .

(وسمع) وفي رواية: (سمع) بإسقاط الواو (الليث)؛ أي: ابن
سعد، (يزيد بن أبي حبيب، ويزيد بن محمد بن حلحلة)، وفي
رواية: (ويزيد بن محمد بن حلحلة)

(و) سمع (ابن حلحلة من ابن عطاء) وفي رواية: (ابن عطاء)
 بإسقاط (من) على أنه مفعول (سمع)، وسقط قوله: (وسمع الليث)
 إلى قوله: (من ابن عطاء) من رواية، وهذا كلام المصنف .

قال الحافظ: ووهم من جزم بأنه كلام يحيى بن بكر ، وقصد به
أن العنونة الواقعة في إسناد هذا الحديث بمنزلة السمع ، وقد وقع

التصريح بتحديث ابن حلحلة ليزيد في رواية ابن المبارك، كما يأتي قريباً، انتهى.

(قال) وفي رواية: (وقال)، (أبو صالح عن الليث)؛ يعني بإسناده الثاني عن البزيدين، كذلك وصله الطبراني عن مطلب بن شعيب، وابن عبد البر من طريق قاسم بن أصبغ، كلاهما عن أبي صالح، وهو عبدالله بن صالح، كاتب الليث.

قال الحافظ: ووهم من جَزْم - أي: كالكَرْمَانِي -، بأن أبا صالح هنا، هو عبد الغفار الْحَرَّانِي .

(كل فَقَار) قال الحافظ: ضبط في روايتنا بتقديم القاف على الفاء، وكذا للأصيلي، وعند الباقيين بتقديم الفاء، كرواية يحيى بن بكيه، لكن ذكر صاحب «المطالع» أنهم كسرروا الفاء، وجذب جماعة من الأئمة بأن تقديم القاف تصحيف، وقال ابن التين: لم يتبيّن لي وجهه؛ أي: وجه تقديم القاف.

(وقال ابن المبارك) هو عبدالله، الإمام الجليل، (عن يحيى بن أيوب قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب أن محمد بن عمرو)، وزاد في رواية: (ابن حَلْحَلَة)، (حَدَّثَهُ)؛ أي: حدث يزيد بن أبي حبيب، (كل فقار) قال الحافظ: وهذا التعليق وصله الجوزي، وإبراهيم الحربي، وجعفر الفريابي كلهم من طريق ابن المبارك بهذا الإسناد، ووقع عندهم بلطف: (حتى يعود كل فقار منه)، وهي نحو رواية يحيى بن بكيه.

ووقع في رواية الكُشْمِيْهْنِي وحده: (كل فقاره)، واختلف في ضبطه فقيل: بهاء الضمير، وقيل: بهاء التأنيث؛ أي: حتى تعود كل عظام من عظام الظهر مكانها، والأول معناه حتى يعود جميع عظام ظهره.

قال: وأما رواية يحيى بن بکير ففيها إشكال، وكأنه ذکر الضمير؛ لأنه أعاده على لفظ الفقار، والمعنى حتى تعود كل عظام مكانها، أو استعمل الفقار للواحد تجوازاً، انتهى.

قال الزین بن المُنیّر: ضمن ترجمة الباب ستة أحكام وهي: أن هيئة الجلوس غير مطلق الجلوس، والتفرقة بين الجلوس للتشهد الأول والأخير، وبينهما وبين الجلوس بين السجدين، وأن ذلك كله سنة، وأن لا فرق بين الرجال والنساء، وأن ذا العلم يحتاج بعلمه.

قال الحافظ: وهذا الأخير إنما يتم إذا ضمَّ أثر أم الدرداء إلى الترجمة؛ أي: جعل من جملتها، وقد تقدم تقرير ذلك انتهى.

* * *

١٤٦ - بَابٌ

مَنْ لَمْ يَرَ الشَّهَدَ الْأَوَّلَ وَاجِبًا،
لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَرْجِعْ

(باب من لم ير التشهد الأول)؛ أي: في الجلسة الأولى من الرباعية والثلاثية (واجبًا) والتشهد: تفعل من تشهد، سُمي به لاشتماله على النطق بشهادة الحق، تغليباً لها على بقية أذكاره لشرفها.

(لأن النبي ﷺ قام من الركعتين ولم يرجع)، كما يأتي في حديث الباب.

قال ابن المُئِّر: ذكر في هذه الترجمة الحكم ودليله، ولم يقطع الحكم مع ذلك، كأن يقول: (باب لا يجب التشهد الأول)، وسببه ما يطرق الدليل المذكور من الاحتمال.

قال: وقد أشار إلى معارضته في الترجمة التي تلي هذه، حيث أوردها بنظير ما أورد به الترجمة التي بعدها، وفي لفظ حديث الباب فيها ما يشعر بالوجوب، حيث قال: وعليه جلوس، وهو محتمل أيضاً.

قال الحافظ: وسيأتي في الكلام على حديث التشهد، وورد الأمر بالتشهد الأول أيضاً.

قال: ووجه الدلالة من حديث الباب أنه لو كان واجباً لرجوع إليه لمَا سبّحوا به بعد أن قام، كما سيأتي بيانه في الكلام في (أبواب سجود

السهو)، فقول من قال: لو كان واجباً لسبحوا به = غفلة عن الرواية المنصوص فيها على أنهم سبحوا به، قال: قال ابن بطال: والدليل على أن سجود السهو لا ينوب عن الواجب أنه لو نسي تكبيرة الإحرام لم تُجبر، فكذلك التشهد، انتهى.

وممن قال بوجوبه الليث وإسحاق وأحمد في المشهور، وهو قول للشافعي، ورواية عند الحنفية.

وااحتج الطبرى لوجوبه بأن الصلاة فُرِضَت ركعتين، وكان التشهد فيها واجباً، فلما زيدت لم تكن الزيادة مُزيلةً لذلك الواجب. وأجيب بأن الزيادة لم تعين في الآخرين، بل يحتمل أن تكونا هما الفرض الأول، والمزيد هما الركعتان الأوليان بتشهدهما، و يؤيد هذه استمرار السلام بعد التشهد الأخير كما كان، انتهى.

* * *

٨٢٩ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هُرْمَزَ مَوْلَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، وَقَالَ مَرَّةً مَوْلَى رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُحَيْنَةَ - وَهُوَ مِنْ أَرْذِ شَنُوْءَةَ وَهُوَ حَلِيفُ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى لِهِمُ الظُّهُرَ فَقَامَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ لَمْ يَجْلِسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ، وَأَنْتَرَ النَّاسَ تَسْلِيمَهُ، كَبَرَ وَهُوَ جَالِسٌ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ ثُمَّ سَلَّمَ.

وبالسند قال :

(حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع، (قال: أَخْبَرَنَا)، وفي رواية: (حدَّثَنَا)، (شُعَيْبٌ)؛ أي: ابن أبي حمزة، (عن الزهري) محمد بن سلم بن شهاب (قال: حدثني عبد الرحمن بن هُرْمَز) الأعرج، (مولى بنى عبد المطلب، وقال)؛ أي: الزهري، (مرة) أخرى، (مولى ربيعة بن الحارث)، ولا تنافي بينهما؛ لأنَّه مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فذكره أولاً بجد مواليه الأعلى، وثانياً بمولاه الحقيقي.

(أن عبد الله بن بُحينة)، بضم المثلثة وفتح المهملة: اسم أم عبد الله، (وهو)؛ أي: عبد الله^(١) (من أَزْدَ شَنْوَةَ) بفتح الهمزة وسكون الزاي بعدها مهملة، ثم معجمة مفتوحة ثم نون مضمومة وهمزة مفتوحة بوزن فعولة، قبيلة مشهورة.

(وهو حليفُ لبني عبد مناف)؛ لأن جده حالف المطلب بن عبد مناف، وسيأتي ما في ذلك في (أبواب سجود السهو).

(وكان من أصحاب النبي ﷺ)، هو مقول الأعرج: (أن النبي ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الظَّهَرَ، (فقام في الركعتين الأولىين لم)، وفي رواية: (ولم)، وفي مسلم ورواية (سجود السهو): (فلم) بالفاء، (يجلس)؛ أي: للتشهد.

(١) «وهو أي: عبد الله» ليس في «و».

قال ابن رشيد: إذا أطلق في الأحاديث الجلوسُ في الصلاة من غير تقييد، فالمراد به جلوسُ التشهد، وبهذا يظهر وجه مناسبة الحديث للترجمة.

(فقام الناس معه، حتى إذا قضى الصلاة)؛ أي: أتمَّها، (وانظر الناس تسليمَه، كَبَرَ وهو جالس فسجد سجدين)؛ أي: للسهو، (قبل أن يسلِّمَ، ثم سلَّمَ)، وسيأتي الكلام على فوائد الحديث، وأحكام سجود السهو في بابه إن شاء الله تعالى.

* * *

التَّشَهِيدُ فِي الْأُولَىٰ

(باب التشهد في الأولى)؛ أي: الجلسة الأولى [من رباعية أو ثلاثة، وفي بعض الأصول الصحيحة: (في الجلسة الأولى)]^(١).

قال الْكَرْمَانِي: الفرق بين هذه الترجمة والتي قبلها، أنَّ الأولى لبيان عدم وجوب التشهد الأول، والثانية لبيان مشروعيته؛ أي: والمشروعية أعمُ من الواجب والمندوب، قاله في «الفتح».

٨٣٠ - حَدَّثَنَا قُتْيَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ابْنِ بُحَيْنَةَ قَالَ: صَلَّى إِنَّا رَسُولُ اللَّهِ الظَّهَرَ فَقَامَ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ.

وبالسند قال:

(حدثنا قتيبة بن سعيد، قال حدثنا بكر)، بفتح المودة وسكون الكاف، وهو ابن مضر، (عن جعفر بن ربعة، عن الأعرج) عبد

(١) ما بين معاوقين ليس في «و».

الرحمن بن هُرْمُز السابق في الإسناد الذي قبله، (عن عبد الله بن مالك ابن بُحينة)، هو عبد الله بن بُحينة المذكور في الإسناد الذي قبله أيضاً، فثبتت الألف في ابن بُحينة خطأ، إذا ذكر مالك، ويعرّب إعراب عبد الله وينون مالك.

(قال صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر فقام وعليه جلوس)؛ أي: للتشهد الأول، (ولمَّا كان في آخر صلاته سجد سجدين)؛ أي: للسهو، (وهو جالس)؛ أي: قبل أن يسلم، كما مر في حديث الباب الذي قبله.

* * *

الشَّهَدَةُ فِي الْآخِرَةِ

(باب التَّشَهِيدُ فِي الْآخِرَةِ)، قيل: ليس في حديث الباب ما يعين محلَّ التَّشَهِيدِ.

قال الحافظ: والأشبَهُ بتصرُّفه أَنَّهُ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى مَا فِي بَعْضِ طرُقِهِ، كَمَا سَيَّأَتِي قَرِيبًا، وَأَجَابَ إِبْنَ رَشِيدٍ بِمَا فِيهِ تَكْلِفُ.

٨٣١ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَّفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلَيَقُولُ: التَّسْعِيَاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيَّاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيَّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

وبالسند قال:

(حدَثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ) الفضلُ بْنُ دُكَينٍ. (قال: حدَثَنَا الْأَعْمَشُ) سليمان

ابن مهران، (عن شقيق بن سلمة)، في رواية يحيى الآتية بعد باب: (حدثني شقيق وهو أبو وائل)، (قال: قال عبد الله)، أي: ابن مسعود رضي الله عنه، (كنا إذا صلينا)، ولأبي داود: (كنا إذا جلسنا) (خلف النبي)، وفي رواية: (رسول الله) صلوات الله عليه قلنا: السلام على جبريل)، وقع في هذه الرواية اختصار ثبت في رواية يحيى الآتية؛ وهو قلنا: السلام على الله من عباده، وللمصنف (في الاستذان) قبل (عباده)، وبهذه الزيادة يتبيّن موقع قوله صلوات الله عليه: (إن الله هو السلام)، وفي رواية يحيى المذكورة: «لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام».

(وميكائيل، السلام على فلان وفلان)، زاد ابن ماجه: (يعنون الملائكة)، وللسراج: (فَنَعَدُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ).
قال القسطلاني: والأظهر كما قاله أبو عبد الله الأبي: إنَّ هذا كان استحساناً منهم، وأنَّه عليه الصلاة والسلام لم يسمعه إلا حين أنكره عليهم.

قال: وقوله: (كنا) ليس من قبيل المرفوع حتى يكون منسوباً بقوله: «إن الله هو السلام»؛ لأن النسخ إنما يكون فيما يصح معناه، وليس تكرر ذلك منهم مَظِنَّةً سمعاه له منهم؛ لأنَّه في التشهد، والتشهد سر، انتهى.

(فالتفت إلينا رسول الله صلوات الله عليه فقال)، قال الحافظ: ظاهره أنه كلّمهم بذلك في أثناء الصلاة، لكنَّه في رواية (الاستذان) أنه بعد الفراغ من الصلاة، ولفظها: فلما انصرف النبي صلوات الله عليه من الصلاة قال:

(إن الله هو السلام)، أنكر رسوله التسليم على الله، وعلمهم أنَّ ما يقولونه عكسٌ ما يجب أن يقال، فإنَّ كلَّ سلام ورحمة له ومنه، وهو مالكها ومعطيها، قاله البيضاوي.

وقال التُّورِيشْتِي: وجهُ النهي أنَّ الله تعالى هو المرجع إلى بالمسائل، المتعالي عن المعاني المذكورة، فكيف يُدعى له وهو المدعُّ على الحالات.

وقال الخطابي: المراد أنَّ الله هو ذو السلام، فلا تقولوا: السلام على الله، فإنَّ السلام منه بدأ وإليه يعود، ومرجع الأمر في إضافته إليه أنه ذو السلام من كل آفة ونقص وعيوب.

قال: ويحتمل أن يكون مرجعها إلى حظُّ العبد فيما يطلبه من السلامة من الآفات والمهالك.

وقال النَّووي: معناه أنَّ السلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، يعني: السالم من النقائص.

ويقال: المسلمُ أولياءه، وقيل: المسلمُ عليهم؛ أي: فكيف يكونون هم المسلمين عليه.

وقال ابن الأنباري: أمرهم أن يصرفوه إلى الخلق؛ ل حاجتهم إلى السلامة وغناه سبحانه وتعالى عنها.

(فإذا صلَّى أحدكم فليقل)، بين في رواية: (الاستذان) محلَّ القول، ولفظه: (فإذا جلس أحدكم في الصلاة)، وللنُّسائي من طريق آخر عن عبدالله: (كنا لا ندرِّي ما نقول في كل رَكعتين، وإنَّ

محمدًا عَلِمَ فواتح الخير وخواتمه، فقال: إذا قعدتم في كل ركعتين
فقولوا...).

وعند ابن خزيمة من طريق الأسود، عن عبدالله: (علمني
رسول الله ﷺ التشهد في وسط الصلاة وفي آخرها).

زاد الطحاوي في أوله: (أخذت التشهدين من في رسول الله ﷺ،
ولقنيه كلمة كلمة).

واستدلّ بقوله: (فليقل) على الوجوب، خلافاً لمن لم يقل به
كمالٍ.

وأجاب بعض المالكية بأن التسبيح في الركوع والسجود
مندوب، وقد وقع الأمر به في قوله ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَيَّغَ
إِلَيْهِمْ رَيْكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحقة: ٥٢]: «اجعلوها في ركوعكم» الحديث،
فكذلك التشهد.

وأجاب الكرماني بأن الأمر حقيقته الوجوب، فيُحمل عليه، إلا
إذا دلّ دليل على خلافه، ولو لا الإجماع على عدم وجوب التسبيح في
الركوع والسجود لحملناه على الوجوب، انتهى.

ونظر فيه الحافظ بأن أحمد يقول بوجوبه، ويقول بوجوب
التشهُّد الأول أيضاً، وسيأتي بيان اختلافهم فيه آخر الباب.

وقد جاء عن ابن مسعود التصريح بفرضية التشهد، أخرجه
الدارقطني وغيره بإسنادٍ صحيح، ولفظه: (كنا لا ندرِي ما نقول قبل أن

يُفرض علينا التشهد)، ولا أثر لقول ابن عبد البر في «الاستذكار»: (تفرد بقوله: قبل أن يُفرض ابن عيّنة)؛ لأنّه ثقة ثبت متقن، يُقبل ما تفرّد به، وليس فيه مخالفة لما رواه غيره من الثقات.

(التحيات) جمع تحيّة، وانخُلُف في معناها، فقيل: المُلْك، وبه جزم أكثر العلماء.

وقيل: السلام، وقيل: البقاء، وقيل: العظمة، وقيل: السلامة من الآفات والنقص، وقيل: الحياة، وأشار المحب الطبرى إلى أنها مشتركة بين هذه المعاني اشتراكاً معنوياً.

وقيل: إنّها بمعنى السلام هنا أَنْسَب وأَمَنْ إِذَا حُمِّلت (التحيات) على الملك أو العظمة كان المعنى المُلْكُ الحقيقى التام، والعظمة الكاملة لله؛ لأنّ ما سوى ملكه وعظمته زائل ناقص.

وإذا حُمِّلت على السلام كان التقدير: التحيات التي يُعْظَمُ بها الملوك مثلاً = مستحقة لله تعالى.

وإذا حُمِّلت على البقاء، فهو مختص بالله تعالى من غير نزاع، وكذلك الحياة والسلامة من الآفات والنقص.

وقال أبو سعيد الضرير: ليست التحية المُلْكَ نفسه، وإنما هي الكلام الذي يحيي به الملك، وإنما جُمعت لأنّه كان لكل ملِك من ملوك العرب تحيّةٌ تخصُّه يحييه بها أصحابه، فكانه قال: جميع تحياتهم لله؛ لأنّه هو المستحق لها حقيقة.

قال ابن قُتيبة وغيره، وقال الخطابي ثم البغوي: ولم يكن في تحياتهم شيء يصلح للثناء عليه، فلهذا أبهمْت الفاظها، واستعمل منها معنى التعظيم، فقال: قولوا: (التحيات لله)؛ أي: أنواع التعظيم له، واللام في (الله) للملك والاستحقاق، وتعظيم المبتدأ بأل التي هي للاستغراف الدالحة على الجمع، يُشعر بالاختصاص أيضاً.

(الله)، قال القرطبي: فيه تنبية على الإخلاص في العبادة؛ أي أن ذلك لا يُفعل إلا لله.

(الصلوات الطيبات) يحتمل أن يكونا معطوفين على (التحيات) فيكون من باب عطف الجمل لاستكمال الجملة الأولى؛ أي: والصلوات لله والطيبات لله، دلّ على ذلك خبرُ الجملة التي قبله. ويحتمل أن تكون (الصلوات) مبتدأً؛ وخبره محذوف، و(الطيبات) معطوفة عليها، وتكون الواو الأولى لعطف الجملة على الجملة، والثانية لعطف المفرد على الجملة، ذكر ذلك البيضاوي. وقال ابن مالك: إذا جعلت (التحيات) مبتدأً ولم تكن صفةً لموصوف محذوفٍ، كان قوله: (والصلوات) مبتدأً؛ لئلا يُعطى نعت على منعوه، فيكون من باب عطف الجمل بعضها على بعض، وكل جملة مستقلة بفائدتها، وهذا المعنى لا يوجد عند إسقاط الواو^(١).

(١) في الفقرة تقديم وتأخير وتكرار في «و»، والمثبت من «ن» و«الفتح» (٣١٣/٢).

واختلف في المراد بـ(الصلوات) فقيل: المكتوبات الخمس، وجزم به جماعة، والمعنى أنها واجبة لله، ولا يجوز أن يقصد بها غيره، أو أنها خالصة له.

وقيل: ما هو أعمّ من ذلك من الفرائض والنواقل في كل شريعة، وقيل: العبادات كلها، وقيل: الدعاء والتضرع، وقيل: الرحمة.

ومعنى قوله: (الله) أنه المتفضّل بها؛ لأن الرحمة التامة لله يؤتى بها من يشاء.

ومعنى (الطيبات) ما طاب من الكلام وحسن أن يُشَنَّى به على الله، دون ما لا يليق بصفاته مما كان الملوك يحيّون به.

وقيل: من ذِكر الله، وقيل: الأقوال الصالحة، وقيل: الأعمال الصالحة، وهو أعمّ.

قال ابن دقيق العيد: قد فُسرت بالأقوال، ولعل تفسيرها بما هو أعمّ أولى، فيشمل الأفعال والأقوال والأوصاف، وطبيتها كونُها كاملة خالصةً عن الشوائب، انتهى.

وقيل: (التحيات): العبادات القولية، و(الصلوات): العبادات الفعلية، و(الطيبات): الصدقات المالية.

(السلام عليك أَيُّها النَّبِيُّ)، قال النَّوْوَيْ: يجوز فيه وفيما بعده التعريف والتنكير، والتعريف أفضل، قال: وهو الموجود في روايات «الصَّحِيحَيْنِ».

وتعقبه الحافظ بأنه لم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بالتنكير، وإنما وقع ذلك في حديث ابن عباس، وهو من أفراد مسلم.

قال القلقشندى: وفي التعقب نظر من وجهين:

أحدهما: أن النّووي لم يذكر أن التنكير جائز في رواية ابن مسعود، وإنما هو جائز من حيث المذهب لثبوته في حديث ابن عباس وغيره.

ثانيهما: أنه وقع في بعض طرق حديث ابن مسعود بتنكير الأول وتعريف الثاني عند الطبراني، وعند النّسائي عكسه كما سيأتي، انتهى.

قال الطّيّبى: أصل (سلام عليك): سلمت سلاماً عليك، ثم حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، وعدل عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبوت المعنى واستقراره.

ثم التعريف إما للعهد التقريري؛ أي: ذلك السلام الذي وُجّه إلى الرسل والأنبياء المتقدمة عليك أيها النبي، وكذلك السلام الذي وَجَّه إلى الأمم السالفة علينا وعلى إخواننا.

وإما للجنس؛ أي: حقيقة السلام الذي يعرفه كُلُّ واحد، وعمّن يصدر، وعلى مَن ينزل عليك وعلينا.

ويجوز أن يكون للعهد الخارجي، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ بِكَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَيْتَ﴾ [النمل: ٥٩].

قال : ولا شك أن هذه التقادير أولى من تقدير النكرة ، انتهى .

وقيل : إن التنکير فيه للتعظيم ، وهو وجہ من وجوه الترجيح ،
فلا يقصر عن الأوجه المتقدمة .

وقيل : معناه : الله عليك حفيظ وكفیل ، كما تقول : معك الله ؛
أی : متوليك وكفیل بك .

وقيل : معناه السلامة والنجاة لك ، ويكون مصدراً كاللَّذَاذ
واللَّذَاذة .

وقيل : الانقياد ، ذلك كما في قوله : **﴿ثُمَّ لَا يَحِدُّونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَا فَضَّلُتْ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾** [النساء : ٦٥] .

قال ابن دقيق العيد : ليس يخلو بعض هذه من نقص ؛ لأن السلام
لا يتعدى لبعض هذه المعاني بلفظة على .

وقال التُّورِبِشْتِي : السلام بمعنى السلامة ، كالمقام والمقامة ،
والسلام من أسماء الله تعالى ، ووضع المصدر موضع الاسم مبالغة ،
والمعنى أنه سالم من كل عيب وآفة ونقص وفساد .

ومعنى قولنا : السلام عليك : الدعاء ؛ أی : سلمت من المكاره .

وقيل : معناه اسم السلام عليك ، كأنه تبرُّك المصلى عليه باسم
الله تعالى .

وقال البيضاوي : علَّهم أن يفردوه بِالذِّكْرِ لِشَرْفِهِ ومزيد حَقٌّ
عليهم ، ثم علَّهم أن يخصّصوا أنفسهم أولاً ، لأن الاهتمام بها أهم .

ثم أمرَهم بعممِ السلام على الصالحين، إعلاماً منه بأن الدعاء للمؤمنين ينبغي أن يكون عاماً لهم، انتهى.

ولا يضر هذا الخطاب مع كونه خطاباً بَشَرَّاً؛ لأن هذا من خصائصه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وقال الطَّيْبِيُّ: إنما لم يأت بلفظ الغيبة مع أنه الذي يقتضيه السياق؛ لأجل اتباع لفظ الشارع بعينه الذي عَلَّمَه للصحابة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: ويحتمل أن يقال على طريق أهل الْعِرْفَانَ: إن المصلَّينَ لِمَا استفتحوا بابَ الْمُلْكُوتِ بالتحيات أذن لهم بالدخول في حريمِ الحي الذي لا يموت، فقرَّتْ أعينُهُمْ بالمناجاة، فنُبَهُوا على أن ذلك بواسطة نبِيِّ الرَّحْمَةِ وبرَّكَةِ متابعته، فالتفتوا فإذا الحبيبُ في حَرَمِ الحبيبِ حاضر، فأقبلوا عليه قائلين: السلام عليك أَيُّهَا النَّبِيُّ ورحمة الله وبرَّكاته، انتهى.

ووقع في بعض طرق هذا الحديث، كما في (الاستذان) عند المصنف ما يقتضي المغایرة بين زمنه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فيقال بلفظ الخطاب، وبين غيره فيقال بلفظ الغيبة، ولفظه: فلَمَّا قُبضَ قلنا السلام يعني على النبي، ووقع عند غير البخاري بلفظ (فلَمَّا قُبضَ قلنا: السلام على النبي) بحذف لفظ (يعني)، ووقع في «الموطأ» مثله عن ابن عمر من فعله.

قال السُّبْكِيُّ في «شرح المنهاج»: إن صَحَّ هذا عن الصحابة دلَّ على أن الخطاب في السلام بعد النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ غير واجب، فيقال: السلام على النبي.

قال الحافظ : وقد صح بلا ريب ، قال : ووُجِدَت له متابعاً قوياً ،
إسناده صحيح عن عطاء بذلك .

وقال القلقشندى عن مهمات الأسنوى : مقتضى هذا الحديث
الذى ثبت عن الصحابة أنَّ الخطاب الـيـوم غيرُ واجب ، قال : وقد رأيـته
مـصرـحـاً به في «ـتـذـكـرـةـ الـعـالـمـ أـبـيـ حـفـصـ عـمـرـ بـنـ الـإـمـامـ أـبـيـ الـعـابـسـ بـنـ
سـرـيـجـ» .

وأـجـيـبـ عنـ هـذـاـ بـأـنـ الـذـيـ وـقـعـ مـنـ تـعـلـيمـهـ بـعـلـيـهـ لـهـمـ ،ـ إـنـمـاـ هـوـ
بـكـافـ الـخـطـابـ ،ـ وـلـمـ يـقـيـدـهـ بـحـالـةـ الـحـيـاـةـ ،ـ فـهـوـ مـقـدـمـ عـلـىـ اـجـتـهـادـ مـنـ
رـأـهـ بـخـلـافـهـ ،ـ اـنـتـهـىـ .

وـإـنـمـاـ عـدـلـ عـنـ الـوـصـفـ بـالـرـسـالـةـ إـلـىـ الـوـصـفـ بـالـنـبـوـةـ ،ـ مـعـ أـنـ
الـوـصـفـ بـالـرـسـالـةـ أـعـمـ فـيـ حـقـ الـبـشـرـ ،ـ لـقـصـدـ أـنـ يـجـمـعـ لـهـ الـوـصـفـانـ ،ـ
فـإـنـهـ وـُـصـفـ بـالـرـسـالـةـ فـيـ قـوـلـهـ :ـ (ـوـأـشـهـدـ أـنـ مـحـمـداـ رـسـوـلـ اللهـ)ـ ،ـ وـإـنـ
كـانـ الرـسـوـلـ الـبـشـرـيـ يـسـتـلـزـمـ الـنـبـوـةـ ،ـ لـكـنـ التـصـرـيـحـ بـهـمـاـ أـبـلـغـ .

قـيـلـ :ـ وـالـحـكـمـةـ فـيـ تـقـدـيمـ الـوـصـفـ بـالـنـبـوـةـ أـنـهـ وـُـجـدـتـ فـيـ
الـخـارـجـ ،ـ كـذـلـكـ لـنـزـولـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ (ـأـقـرـأـ بـأـسـمـ رـبـكـ)ـ [ـالـعـلـقـ :ـ ١ـ]ـ قـبـلـ
قـوـلـهـ :ـ (ـيـتـأـيـهـ الـمـدـيـرـ ①ـ قـرـأـنـىـنـ)ـ [ـالـمـدـثـ :ـ ١ـ -ـ ٢ـ]ـ قـالـهـ فـيـ (ـالـفـتـحـ)ـ .

(ـوـرـحـمـةـ اللهـ)ـ ؛ـ أـيـ :ـ إـحـسـانـهـ ،ـ (ـوـبـرـكـاتـهـ)ـ ؛ـ أـيـ :ـ زـيـادـتـهـ مـنـ كـلـ
خـيـرـ .

(ـالـسـلـامـ عـلـيـنـاـ)ـ يـرـيدـ بـهـ الـمـصـلـيـ نـفـسـهـ وـالـحـاضـرـينـ مـنـ الـإـمـامـ وـالـمـأـمـومـينـ
وـالـمـلـائـكـةـ ،ـ وـاسـتـدـلـ بـهـ عـلـىـ اـسـتـجـابـ الـبـدـاءـ بـالـنـفـسـ فـيـ الـدـعـاءـ .

وروى الترمذى وصححه عن أبي بن كعب (أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر أحداً فدعا له، بدأ بنفسه)، وأصله في «مسلم»، ومنه قول نوح : «رَبِّ أَغْفِرْ لِي» [نوح : ٢٨] الآية، وقول إبراهيم : «رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ» [نوح : ٢٨]، وإنما قدم النبي ﷺ لأنه أحب للمؤمن من نفسه وولده وماله .

(وعلى عباد الله)، بالإضافة فيه للتشريف، (الصالحين)، تخصيصٌ بعد تعميم، والأشهر في تفسير الصالح هنا: أنه القائم فيما يجب عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وتتفاوت درجاته .

قال الترمذى الحكيم: من أراد أن يحظى بهذا السلام الذى يسلمه الخلق في صلاتهم، فليكن عبداً صالحاً، وإلا حُرِمَ هذا الفضل العظيم .

وقال الفاكهانى: ينبغي للمصلى أن يستحضر في هذا المثل جميع الأنبياء والملائكة والمؤمنين، ليتوافق لفظه وقصده .

(فإنكم إذا قلتموها)؛ أي: (وعلى عباد الله الصالحين)، وهو كلام معترضٌ بين قوله: (الصالحين) وبين قوله: (أشهد أن لا إله إلا الله)، قُدُّم للاهتمام به لكونه أنكر عليهم عَدَّ الملائكة واحداً واحداً، ولا يمكن استيعابهم لهم مع ذلك، فعلمهم لفظاً يشمل الجميع مع غير الملائكة من النبيين والمرسلين والصَّدِيقين وغيرِهم بغير مشقة، وهو من جوامع الكلم التي أُوتِيَها ﷺ، وإلى ذلك الإشارة بقول ابن مسعود: (وأنَّ مُحَمَّداً عَلَيْهِ الْكَلَمُ فَوَاتِحُ الْخَيْرِ وَخَوَاتِمِهِ)، كما تقدم .

قال الحافظ: وقد ورد في بعض طرقه سياقُ التشهد متواياً؛ أي: غير معترض بهذه الجملة، بل جيء بها بعد (قال)، وهو من تصرف الرواية، وسيأتي أواخر (الصلاحة)، انتهى.

(أصابت كلَّ عبد صالحَ الله)، استدل به على أن الجمع المضاف والجمع الم محل بالألف واللام يعم، لقوله أولاً (عبد الله الصالحين) ثم قال: (أصابت كل عبد صالح).

قال الكرماني: ولا يقال إنه - أي: الصالحين - جمُّع قلة، فلا يزيد على العشرة، لأن القلة والكثرة إنما يعتبران في النكرات لا في المعرف.

وقال القرطبي: فيه دليل على أن جمع التكسير للعموم.

قال الحافظ: فيه نظر، واستدل به على أن للعموم صيغة.

قال ابن دقيق العيد: وهو مقطوع به عندنا في لسان العرب، وتصرفات ألفاظ الكتاب والسنّة، انتهى.

وفي خلاف عند أهل الأصول، وعلى أن لفظ (كل) من صيغ العموم، وتوقف في ذلك بعض الأصوليين، وعلى أن عطفَ العام على الخاص لا يقتضي أن المراد بالعام ذلك الخاصُ المتقدم، بل يُحمل ذلك على الاهتمام بالخاص، كما لو تقدَّم العام وعُطف عليه الخاص.

(في السماء والأرض)، في رواية يحيى الآتية: (أو بين السماء

والأرض)، والشُّكُّ فيه من مُسَدَّدٍ.

(أشهد أن لا إله إلا الله)، زاد ابن أبي شيبة: (وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ)، وسنه ضعيف، لكن ثبتت هذه الزيادة في حديث عائشة الموقوف في «الموطأ»، وفي حديث ابن عمر عند الدارقطني، وسنه ضعيف، وفي حديثه أيضاً الموقوف عند أبي داود.

قال القَلْقَشْنَدِي: وفي حديث ابن الزبير قال: ونسبها شيخنا في «فتح الباري» لحديث أبي موسى عند مسلم، وهو وَهْمٌ، انتهى.
(أشهد أن محمداً عبده ورسوله)، لم تختلف الطرق عند ابن مسعود في هذا اللفظ، وكذا هو في حديث أبي موسى وابن عمر وعائشة وجابر وابن الزبير.

ووقع في حديث ابن عباس عند مسلم وأصحاب السنن وغيرهم: (أشهد أن محمداً رسول الله).
ومنهم من حذف (أشهد)، ورواه ابن ماجه بلفظ ابن مسعود.

واعلم أنه ورد في هذا الباب عدة تشهادات، وجملة من رواها من الصحابة أربعة وعشرون صحيحاً، والذي منها في الصحيحين حديث ابن مسعود هذا، وفي «صحيح مسلم» حديث ابن عباس وحديث أبي موسى.

وقال النّووي: اتفق العلماء على جواز هذه الثلاثة، واختلفوا في الأفضل منها:

فمذهب الشافعي وبعض أصحاب مالك أن تَشَهُّدَ ابن عباس أَفْضَلُ لزيادة (المباركات) فيه، ولموافقة الآية في قوله تعالى: **﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَّكَةً طَيِّبَةً﴾** [النور: ٦١]، ولأنه أكَّدَه بقوله: (يعلَّمنا التَّشَهِدُ كَمَا يعلَّمُنَا السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ).

وقال مالك: تَشَهُّدُ عمر الموقوفُ عليه أَفْضَلُ؛ لأنَّه عَلَّمَ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَلَمْ يَنْازِعْهُ أَحَدٌ، فَدَلَّ عَلَى تَفْضِيلِهِ وَهُوَ: (التحيات لله، الزَّاكِياتُ لِللهِ الطَّيِّبَاتُ، الصلواتُ لِللهِ، سلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ . . . إلخ)، وقد رواه ابن مَرْدُوْهَ في (كتاب التَّشَهِدُ) مَرْفُوعًا.

وكلام الطَّحاوِي يُشَعِّرُ بِأَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءَ يَقُولُ بِوجُوبِ التَّشَهِدِ المرويٌّ عن عمر.

وقال أبو حَيْفَةُ وَأَحْمَدُ وَجَمِيعُ الْفَقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ: تَشَهُّدُ ابن مسعود أَفْضَلُ؛ لأنَّه عَنْدَ الْمُحَدِّثِينَ أَشَدُّ صَحَّةً؛ لأنَّه رُوِيَ عَنْهُ مِنْ نِيفٍ وَعَشْرِينَ طَرِيقًا، وَرَجَالَهُ أَشَهَرُ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ صَحِيحًا، وَرُجُجٌ أَيْضًا بِأَنَّ وَأَوْ الْعَطْفَ تَقْتَضِيُّ الْمُغَايِرَةَ بَيْنَ الْمُتَعَاطِفِينَ، فَتَكُونُ كُلُّ جَمْلَةٍ ثَنَاءً مُسْتَقِلَّاً، وَهُوَ أَبْلَغُ مَا إِذَا سَقَطَتْ لَأْنَهَا تَصِيرُ صَفَاتٍ لِلْأُولَاءِ، فَتَكُونُ جَمْلَةً وَاحِدَةً، وَبِأَنَّهَا مُتَفَقُّ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَبِأَنَّ الرِّوَاةَ ثَقَاتٌ عَنْهُ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي الْفَاظِهِ، وَبِأَنَّهَا تَلَقَّاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّيْنَا، وَبِأَنَّهَا وَرَدَ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ بِخَلَافِ غَيْرِهِ، فَإِنَّه مُجَرَّدَ حَكَايَةُ، وَبِأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ إِيَّاهُ وَأَمْرَهُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسَ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَلَمْ يَنْقُلْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ، وَبِتَعْرِيفِ السَّلَامِ فِيهِ، وَتَنْكِيرِهِ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَمَّا التَّأكِيدُ فِي

حديثه بقوله : (يعلمنا . . .) إلخ ، فقد وقع أيضاً مثله في حديث ابن مسعود عند المصنف في (الاستذان) ولفظه : (علمني رسول الله ﷺ التشهدَ وكُفِيَ بين كفيه ، كما يعلّمني السورةَ من القرآن) ، وذهب بعضهم كابن خُزيمة إلى أنه لا أفضليَّة لأحدٍها على الآخر .

قال الحافظ : وأما من رجح حديث ابن عباس بكونه من أحداث الصحابة ، ويكونه أفقهَ من رواه ، ويكون إسناد حديثه حجازياً وإسناد ابن مسعود كوفياً ، وهو مما يرجح به = فإنه لا طائل فيه لمن أنصف .

نعم ، أجيبيَّ عن حذف الواو في حديث ابن عباس بأنها مقدرة ، كما قاله النَّووي ، وعن تنكير السلام فيه بأنه وقع معرَّفاً فيه في الموضعين عند مُسْلِم ، ووقع في بعض طرق حديث ابن مسعود بتنكير السلام أيضاً في الأول عند الطَّبراني ، وفي الثاني عند النَّسائي فلا ترجيح حيَّثُنَّدِ من هذين الوجهين .

قال القَلْقَشَنْدِي : وبهذا يعلم بطلانُ قولهم : إن رواة حديث ابن مسعود لم يختلفوا في ألفاظه ، وقد وردت زيادة (بسم الله) في أول التشهد ، في حديث عمر وابن عمر وجابر ، وساقها الحافظ في «الفتح» ثم قال : وفي الجملة لم تصح هذه الزيادةُ وهو وجهُ لبعض الشافعية ، وضعف .

قال : ويدلُّ على عدم اعتباره أنه ثبت في حديث أبي موسى المرفوع في التشهد وغيره : (إِنَّمَا قَدَّمْتُ لَكُمْ أَوَّلَ قَوْلَةَ التَّحْيَاتِ اللَّهُ أَعْلَمُ) الحديث .

قال: وقد أنكر ابن مسعود وابن عباس وغيرهما على مَن زادها.

فائدة: لا خلاف من أن لفاظ التشهد في الأولى كالتالي في الأخيرة سواء، إلا ما روى الزُّهري عن سالم قال: (كان ابن عمر لا يسلِّم في التشهد الأول، كان يرى ذلك نسخاً لصلاته).

قال الزُّهري: فاما أنا فأسلِّم، يعني قوله: (السلام عليك أيها النبي) إلى (الصالحين)، أخر جه عبد الرزاق.

واعلم أنه قد تقدَّم عن المالكية أن التشهد مطلقاً غير واجب؛ أي: بل هما سنتان، لكنهم أوجبوا الجلوس.

قال الحافظ: والمعلوم عند الحنفية أنه واجب لا فرض، بخلاف ما يوجد عنهم في كتب مخالفيهم.

وقال القَلْقَشَنْدِي: وقال أبو حنيفة بوجوب الأخير دون الأول.

وقال أحمد بفرضية الأخير ووجوب الأول؛ أي: بمعنى أنه يجب بتركه السجود.

وقال الشافعي وطائفة: هو فرض في الأخير سنة في الأول، لكن أَفْلُه عند الشافعي ومن وافقه: (التحيات لله، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين،أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، واستشكل جواز حذف (الصلوات والطبيات) مع ورودهما في الروايات الصحيحة.

قال الحافظ: ومنهم من وجَّه الحذف بكونهما صفتين، كما هو

الظاهر من سياق ابن عباس، لكن يعُكِّر عليه ما تقدّم من البحث في ثبوت العطف فيما في سياق غيره، وهو يقتضي المغایرة، انتهى.
وسيأتي حكم الصلاة على النبي ﷺ قريباً في (باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد).

وفي الحديث من الفوائد غير ما مرّ: مشروعية تعلم الأحكام وضبطها وحفظها، كما يشرع تعلم القرآن وضبطه وحفظه، ومسُّ المعلم بعض أعضاء المتعلم عند التعليم تأنيساً له وتنبيهاً.

ونقل ابن الحاج في «المدخل» عن بعض السلف أن الطلبة كانوا لا يُبعُدون عن المدرس بل يمس ثيابهم ثوبه لقربهم منه، والله أعلم.
واعلم أنه وقع هنا في بعض الأصول (حدثنا أبو نعيم: حدثنا سيف: سمعت مجاهداً يقول: حدثني عبد الله بن سخّرة أبو معمّر، سمعت ابن مسعود يقول: علمني النبي ﷺ وكفي بين كفيه التشهد)، الحديث الذي أشرنا إليه آنفاً أنه عند المصنف (في الاستذان) وذكره المزّي أيضاً في «الأطراف»، فقال: هو في (الصلاه) و(في الاستذان)، أي: بهذا السنّد.

لكن قال الحافظ: إنه لم يره في شيء من الروايات التي اتصلت له هنا، قال: نعم، هو في (الاستذان) بهذا الإسناد، والله أعلم.

* * *

١٤٩ - بَاب

الدُّعَاءُ قَبْلَ السَّلَامِ

(باب الدعاء قبل السلام)، وفي رواية: (قبل التسليم)، والمراد وبعد فراغ التشهد كما يأتي الكلام عليه.

٨٣٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُرْوَةُ بْنُ الزَّبِيرِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتِمِ وَالْمَغْرِمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِذُ مِنَ الْمَغْرِمِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرَمَ حَدَثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

٨٣٣ - وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِذُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

وَبِالسِّنْدِ قَالَ:

(حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع (قال: أخبرنا شعيب)، أي:

ابن أبي حمزة، (عن الزهري قال: أخبرنا عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ)، وسقط (زوج النبي إلخ، من رواية .

(كان يدعوا في الصلاة); أي: بعد التشهد وقبل السلام، كما يأتي: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر)، من إضافة المظروف إلى ظرفه؛ أي: من العذاب في القبر، وفيه ردٌ على من أنكره، ويأتي البحث فيه في (الجنائز) إن شاء الله تعالى .

(وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال)، الفتنة في اللغة: الامتحان والاختبار .

وقال عياض: الفتنة عُرْفًا: كشف ما يُكْرَه، يقال: فنت الذهب إذا أدخلته النار لتخبره، يقال: فَتَنَ، وحُكَّي: أَفْتَنَ، وأنكره الأصمعي، وتسعمل أيضًا في القتل والنفيمة والإحراق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنَثُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] .

و(المَسِيح) بفتح الميم وتحقيق المهملة المكسورة، وآخره حاء مهملة، يطلق على عيسى بن مريم، على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام .

وعلى الدَّجَّالِ عدُوُ الله، لكن إذا أريد الدَّجَّال قُيَّدَ به كما هنا، وضيَّطَه بعضهم بكسر الميم وتشديد السين، ونسبة الهرَوي إلى التصحيف .

وقال أبو داود في «السنن»: المسيح - الدجال، ومحفوظاً

عيسى، والمشهور الأول، وستأتي روایة المستملي في آخر الحديث.
وقال الجوهری: من قاله بالتخفیف فلمسحه الأرض، ومن قاله
بالتشدید فلکونه ممسوح العین.

وحكی عن بعضهم أنه قال: بالخاء المعجمة في الدجال،
ونسب لرواية الكشمیهني، ومعناه أن الله تعالى مسحه؛ أي: خلقه
خلقا ملعوناً، وادعى بعضهم أنه تصحیف.

وقال ابن دحیة: إنه خطأ، والدجال من الدجل؛ وهو الخلط
والتمویه، يقال: دجل الحق إذا غطاه بالباطل، ومن دجل كذب،
والدجال الكذاب، وجمعه دجالون.

قال القرطبي في «تفسيره»: اسم الدجال صافٍ، ويکنی أبا
یوسف، وإنہ یهودی.

قال القلقشندی: ولعله مبني على أنه يرى أن ابن صياد هو
الدجال.

واختلف في تلقیه بالمسیح؛ أي: بالحاء المهملة، فقيل: لأنه
ممسوح العین، وقيل: لأن أحد شقی وجده خلقا ممسحا لا عین فيه
ولا حاجب، وقيل: لأنه يمسح الأرض إذا خرج.

واما سیدنا عیسی علیه الصلاة والسلام فقيل:
لقب بذلك لأنه خرج من بطن أمه ممسحا بالدهن، وقيل: لأن
زکریا مسحه، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برىء، وقيل: لأنه

كان يمسح الأرض بسياحته، وقيل: لأن رجله كانت لا أخص لها، وقيل: للبئس المسوح، وقيل: هو بالعبرانية ماشيخا؛ أي: بمعجمتين فَعَرَبَ بالمسيح.

وقيل: المسيح: الصديق، كما سيأتي ذكر قائله في (التفسير) إن شاء الله تعالى.

وذكر صاحب «القاموس» أنه جمع في سبب تسميته بذلك خمسين قولًا، أوردها في «شرح المغارق».

(وأعوذ بك من فتنة المحيا)، هي ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها وجهالاتها، وأعظمها - والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت، وقيل: الابلاء مع عدم الصبر، قيل: والأول هو الصحيح.

(وفتنة الممات)، قيل هي ما يُفتن به عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، أو لأنها لا تُعدُّ من الدنيا.

وقيل: هي فتنة القبر، وفي «الصحيح» من حديث أسماء رضي الله عنها: «إنكم تفتتون في قبوركم مثلًا أو قريباً من فتنة الدجال»، وعليه ليس مكرراً مع قوله: (عذاب القبر) قبله؛ لأن العذاب مرتب على الفتنة، والسبب غير المسبَب.

وقيل: هي السؤال في القبر مع الحيرة، وهو من العام بعد الخاص؛ لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة القبر، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا.

ونقل الباقياني الإجماع على أنَّ مَن مات مسلماً لا يخشى عليه من فتنة القبر، ويحيب الملkin لقوله تعالى: «يَتَبَشَّرُ اللَّهُ أَلَّذِينَ أَمْنُوا» [إبراهيم: ٢٧] الآية.

وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في (باب ما جاء في عذاب القبر من كتاب الجنائز).

(اللهم إني أعوذ بك من المأثم)؛ أي: ما يأثم به الإنسان، أو هو الإثم نفسه وضعاً للمصدر موضع الاسم.

(و) مِنَ (المَغْرَم)، بفتح الراء؛ أي: الدِّين، مِنْ غَرِمَ بكسر الراء: أدان، قيل: والمراد الاستدامة فيما لا يجوز، أو فيما يجوز ثم يعجز عن أدائه.

قالوا: فاما دين احتاجه وهو قادر على أدائه فلا استعاذه منه.
وقال الحافظ: ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك، وقد استعاذه بِاللَّهِ من غلبة الدين، وقد نبه في الحديث على الضرر اللاحق من المَغْرَم، وقال القرطبي: المغرم: الغرم.

(فقال له)؛ أي: للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (قائل)، بين النسائي في روايته من طريق مَعْمَر، عن الزُّهْرِي القائل، وهو عائشة، ولفظها: (فقلت: يا رسول الله!).

(ما أكثر)، بفتح الراء، نصب على التعجب (ما تستعذ)، ما مصدرية في محل نصب به؛ أي: ما أكثر استعاذتك (من المغرم؛

فقال) عليه الصلاة والسلام : (إن الرجل إذا غَرِمَ)، بفتح المعجمة وكسر الراء؛ أي : أَدَانَ، (حَدَثَ) - جواب (إذا) - (فَكَذَبَ) بأن يَحْتَجْ بِشَيْءٍ في وفَاءِ مَا عَلَيْهِ لَمْ يَقُمْ بِهِ، فَيُصِيرَ كاذبًا، وَهُوَ عَطْفٌ عَلَى حَدَثَ.

(وَوَعْدٌ فَأَخْلَفَ)، كذا لِلأَكْثَرِ، وَفِي رِوَايَةَ : «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»؛ أي : كَانَ يَقُولُ لَهُ : أَوْفِيكَ دِينَكَ يَوْمَ كَذَا، فَلَمْ يَفِ، وَالْكَذْبُ وَخَلْفُ الْوَعْدِ مِنْ صَفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، وَالْمَرَادُ أَنَّ ذَلِكَ شَأْنٌ مِنْ يَسْتَدِينَ غَالِبًا، وَسِيَّاسَيِّي الْحَدِيثُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى فِي (بَابِ مِنْ اسْتِعَاذَ مِنَ الدِّينِ) مِنْ (كِتَابِ الْإِسْتِعْرَاضِ) أَخْصَصَ مِنْ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ) إِلَخَ.

(قال محمد بن يوسف)، هو الفِرَبِرِيُّ : (سمِعْتُ خَلْفَ بْنَ عَامِرَ)، قال الحافظ : هو الْهَمْدَانِيُّ أَحَدُ الْحَفَاظَةِ، وَقَالَ فِي «تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ» : خَلْفُ بْنُ عَامِرٍ شِيْخُ الْفِرَبِرِيِّ، حَكِيَ عَنْهُ فِي صَفَةِ الصَّلَاةِ فِي «الصَّحِيفَةِ»، انتهى.

يقول القسْطَلَانِيُّ تَبَعًا لِلْعَيْنِيِّ : قال محمد بن يوسف، يَحْكِيُّ عَنِ الْمُؤْلِفِ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ خَلْفَ بْنَ عَامِرَ . . . إِلَخَ، يُوَهِّمُ أَنَّهُ شِيْخُ الْبَخَارِيِّ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ فِي كِتَابِ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ.

(يَقُولُ فِي الْمَسِيحِ) - بفتح الميم مخففًا - : (وَالْمَسِيحُ مَشَدَّدٌ)، وَسَقْطُ لِفَظِ (مَشَدَّدٌ) فِي أَصْوَلِ، (لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ وَهُمَا وَاحِدٌ)، أَحَدُهُمَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالآخَرُ الدَّجَّالُ؛ أي : لَا اخْتِصَاصٌ لِأَحَدِهِمَا بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنَ، وَمِنَ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ مُسْتَوْفَىٰ.

وقوله: (قال محمد بن يوسف...) إلخ، ثبت في رواية المستملي وحده.

(وعن الزهري)؛ أي: ابن شهاب، (قال أخبرني عروة) - زاد في رواية: (ابن الزبير) - (أن عائشة) رضي الله عنها (قالت: سمعت رسول الله ﷺ يسْتَعِذُ فِي صَلَاتِهِ)؛ أي: في آخرها، (من فتنة الدجال).

قال الحافظ: والظاهر أن قوله: (وعن الزهري...) إلخ معطوف على الإسناد المذكور، فكأنَّ الزهري حدَّث به مطولاً ومحظراً، لكن لم أره في شيء من المسانيد والمستخرجات، من طريق شُعيب عنه إلَّا مطولاً، نعم رأيته باللفظ المختصر المذكور سندأ ومتناً عند المصنف في (كتاب الفتن) من طريق صالح بن كيسان، عن الزهري، وكذا أخرجه مسلم من طريقه، انتهى.

والحكمة في استعادته ﷺ من هذه الأمور مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم وما تأخر = تعليم لأمته وتبينه لهم أهم ما يدعون به، وهي جديرة بذلك لعظم الأمر فيها، وشدة البلاء في وقوعها، وأكثرها، أو كلُّها أمور إيمانية غيبة فتكررها على الأنفس يجعلها ملَّكة لها.

وقيل: السؤال منه ﷺ لأمته فيكون معناه أعوذ بك لأمتي.

وقيل: أراد سلوك التواضع، وإظهار العبودية، وملازمة خوف الله وإعظامه والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الإجابة؛ لأن ذلك يحصل الحسنات ويرفع الدرجات.

وأجاب بعضُهم عن استعادته من فتنة الدجال مع تحققه أنه لا يدركه باحتمال أن يكون ذلك قبل أن يعلم أنه لا يدركه، ويدلُّ عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه»، رواه مسلم.

أو يحمل التعود منها على فتنة تشبهها، أو بأن فائدتها تعليمُ أمته لكي ينتشر خبره فيها جيلاً بعد جيل، بأنه كذاب مبطل، ساع في الأرض بالفساد، حتى لا يلتبس كفره عند خروجه على من يدركه.

* * *

٨٣٤ - حَدَّثَنَا قُتْيَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْلَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ طَهَّرَهُ اللَّهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ طَهَّرَهُ اللَّهُ: عَلِمْتِي دُعَاءً أَدْعُوكَ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

وبالسند قال:

(حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا الليث)؛ أي: ابن سعد.
 (عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير)، واسمه مرثد بفتح الميم والمثلثة بينهما راء ساكنة، ابن عبدالله اليزيدي، بالتحتانية والزاي المفتوحتين ثم نون).

(عن عبد الله بن عمرو)؛ أي: ابن العاص القرشي السَّهْمي، (عن أبي بكر الصديق) واسمه عبد الله بن أبي قحافة، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشي، التَّيَّمي، الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ، خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وصهره، ورفيقه في الغار، وأحد العشرة المبشرة المشهود لهم الجنة، وهو أول من أسلم من الرجال، وأول أمير أرسل إلى الحج، وأول من جَمَع القرآن بين اللوحين، وأول خليفة عَهِدَ بالخلافة، وأسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة، وهم: عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن، وأمُّهُ أُمُّ الْخَيْرِ سَلْمَى بُنْتُ صَخْرٍ، وأسلم أبواه، وتَأَخَّرَتْ وفاة أبيه بعده، ومات في خلافة عمر في المحرم ستة أربع عشرة، وشهد أبو بكر المشاهد كلَّها، وهاجر وترك ماله وأولاده وعياله.

وكانت ولادته بعد الفيل بثلاث سنين تقريباً، وقيل: بستين وثلاثة أشهر.

وروي له عن النبي ﷺ فيما قيل: مئة واثنان وأربعون حديثاً، اتفق الشیخان منها على ستة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث واحد.

واستخلف بعد وفاة النبي ﷺ يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهو أَفْضَلُ الصَّحَّابَةِ مَطْلَقاً، وهو عتيق الله من النار، كما رواه الترمذى من حديث عائشة.

وفي «الصحيحين»: سئل النبي ﷺ: أئي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقيل: من الرجال؟ قال: أبوها، وفيها أيضاً قصة الغار، وفيها: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وفيهما أيضاً: «لو كنت متخدلاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحببي».

وفي «البخاري» القصة التي فيها أنه كان بينه وبين عمر شيء، وأنه أتى إلى عمر وسأله أن يغفر له فأبى عليه، فأقبل إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: (يغفر الله لك يا أبا بكر! ثلاثة).

وأخرج أبو داود، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي».

وأخرج الترمذى عن ابن عمر مرفوعاً: «أنا أول من تنشق الأرض عنه، ثم أبو بكر، ثم عمر».

وفي «الحلية» لأبي نعيم عن أنس مرفوعاً: «اللهم اجعل أبا بكر يوم القيمة معي في درجتي»، الحديث في قصة الغار.

وفي «الغيلانيات» عن أبي جحيفة عن علي رضي الله عنه: (خيرنا بعد نبينا أبو بكر، ثم عمر).

وفضائله ومناقبه رضي الله عنه كثيرة جداً، ويكفيه منها أن عمر حسنة من حسناته، كما أخرجه أبو يعلى، عن عمار بن ياسر مرفوعاً، وقد أفردت ترجمته في مجلدة.

مات رضي الله عنه بالمدينة يوم الاثنين، وقيل: يوم الثلاثاء لشمان بقين من

جمادى الآخرة على الصحيح، سنة ثلاثة عشرة، وله ثلاثة وستون سنة على الصحيح، وصلى عليه عمر.
روى له الجماعة.

(أنه قال لرسول الله ﷺ)، ومقتضى رواية الليث هذه أن الحديث من مسند الصديق، وخالف عمرو بن الحارث الليث، فجعله من مسند عبدالله بن عمرو، [ولفظه]: (عن أبي الخير أنه سمع عبدالله بن عمرو^[١] يقول: إن أبا بكر قال للنبي ﷺ)، أخرجها المصنف معلقةً في (الدعوات) وموصولة في (التوحيد) من طريق ابن وهب عن عمرو ابن الحارث.

قال الحافظ: ولا يقدح هذا الاختلاف في صحة الحديث.
(علّمني دعاءً أدعوه في صلاتي)، يأتي الكلام على تعين محلّ
هذا الدعاء قريباً.

(قال له) عليه الصلاة والسلام: (قل اللهم إني ظلمتُ نفسي)؛
أي: بملابسة ما يستوجب العقوبة أو ينقص حظها.

قال ابن الملقن: الظاهر أنَّ المراد بالنفس هنا الذات المشتملة على الروح؛ أي: ظلمتها بوضع المعاichi موضع الطاعات، وجزم بذلك البرماوي.

وفيه: أنَّ الإنسان لا يُعرى عن تقصيرٍ ولو كان صديقاً.

(١) ما بين معكوفتين ليس في «و».

(ظلمًا كثيراً)، مصدر مؤكّد، وصفه تحقيقاً لرفع المجاز، و(كثيراً) روی بالمثلثة وهو أشهر، وبالموحدة، واختار النّووي الجمعَ بينهما، فيقول: كثيراً كثيراً احتياطاً للتبّع ومحافظةً على لفظ الشارع، وتبعه جماعة.

وتعقبَ بأن الجمع بينهما لم يقله الشارع، والأولى أن يقال: هذا مرّة وهذا مرّة.

(ولا يغفر الذّنوب)، قال القلقشّندي: والمعنى أنه طلب أن يجعل ساتراً بينه وبين الذّنوب إن لم تكن وُجدت، وساتراً بينه وبين ما يتربّع عليها من العقاب واللّوم إن وجدت، وبهذا التقرير يندفع الإشكال في دعاء النبي ﷺ بالغفرة مع عصّمته.

و(الذّنوب) جمع ذنب، وهو الجُرم، يقال: أذنبْ يُذنبْ، والذّنبُ: اسم مصدر، والمصدر إذناب لكنه لا يُستعمل.

(إلا أنت) فيه إقرار بالوحدانية واستجلابُ للمغفرة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية، فأثنى على المستغفرين وتضمنّت الآية الأمر به، فقد قيل: كل شيء أثني اللهُ على فاعله فهو أمرٌ به، وكلّ شيء ذمٌّ فاعله فهو ناهٍ عنه.

(فاغفر لي).

قال القلقشّندي: قال بعضهم: هو أرجحُ في الاستغفار من قول: أستغفرك وأتوب إليك؛ لأنّه إذا قال ذلك ولم يكن متصفاً به كان كاذباً، وضُعِّفَ بأن السّين للطلب، فكانه قال: أطلب مغفرتك؛ أي:

وهذا لا كذب فيه، وأيضاً ليس المراد الإخبارَ بل إنشاءُ الطلب، فكأنه قال: اغفر لي، لاسيما وقد ورد في الشرع صيغة: (أستغفرك) أمراً وفعلاً، فيتلقى ما جاء عن الشارع بالقبول.

وهذا نظير توقف بعضهم عن أن يجعل ذكره: لا إله إلا الله؛ خشيةَ حصولِ المنية بين النفي والإثبات، وجعل ذكره الله الله، قال: وهذا مصادمٌ للسنة والخير كله في اتباعها، انتهى.

(مغفرةً مِنْ عندك)، قال الطيبي: دلَّ التنکير على أن المطلوب غفرانٌ عظيم لا يدرك كُنُهُ، ووصفه بكونه من عنده سبحانه وتعالى مزيداً لذلك التعظيم؛ لأن الذي يكون من عند الله لا يحيط به وصف.

وقال ابن دقيق العيد: يحتمل من وجهين:
أحدهما: الإشارة إلى التوحيد المذكور، كأنه قال: لا يفعل هذا إلا أنت، فافعله لي أنت.

والثاني وهو أحسن: أن يكون إشارة إلى طلب مغفرةٍ متفضلٍ بها، لا يقتضيها سببٌ من العبد من عملٍ حسنٍ ولا غيره.

وبهذا الثاني جزم ابن الجوزي فقال: المعنى: هَبْ لِي المغفرة تفضلاً، وإن لم أكن أهلاً لها بعملي.

(وارحمني)، والمراد هنا زيادة الإحسان على الغفران دفعاً للتكرار (إنك أنت الغفور الرحيم)، بكسر (إِنَّ) على الاستئناف البياني المُشَعِّر بتعليق ما قبله، وهذا صفتان للمبالغة، ذُكرتا خَتْمًا للكلام على جهة

المقابلة لما تقدمَ، فـ (الغَفُور) لقوله: (اغفر لي)، وـ (الرحيم) لقوله: (ارحمني) مقابلة مرتبة.

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم:

مشروعية طلب التعليم من العالم خصوصاً في الدعوات التي فيها جوامع الكلم.

وفيه: الاعتراف بظلم النفس والتقصير، فإنه يكون سبباً للمغفرة، كما ورد في الحديث عن الله تعالى أنه قال: (عَلِمْتِي عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يغفر الذنب ويأخذ به، أَشَهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لَكَ).

وفيه: التبرّي عن الأسباب، والإدلالُ بالأعمال، واعتقادُ كونها موجبةً للثواب.

واعلم أن ترجمة المصنف بـ (الدعاء قبل السلام) يتبدّل منها أن المراد بالدعاء بعد فراغ التشهد، كما يرشد إليه ترتيبه، لكن حديثاً الباب لا تقييد فيما بما بعد التشهد.

وأجاب الكَرْماني بأن الدلالة من حيث إنَّ لكل مقاماً ذكراً مخصوصاً، فتعيَّن أن يكون محلُه بعد الفراغ من الكل، وهو آخر الصلاة، أو عُلِّم من الحديث الذي في الباب بعده.

وتعقبَ الحافظ الجوابَ الأول بأن التعيين الذي أدعاه لا يختصُ بهذا المحلَ لورود الأمر بالدعاء، فكذلك الجلوس في آخر الصلاة له ذكر مخصوص، وأمر فيه مع ذلك بالدعاء إذا فرغ منه، وحيثُنَّ فيطالب المصنف بدليل اختصاص هذا المحل بهذا الذكر.

قال: ولو قطع النظر عن ترتيبه لم يكن بين الترجمة والحديث منافاة، لأنَّ قَبْلَ السلام يصدق على جميع الأركان، وبذلك جزم ابن المُنِير، انتهى.

وقال ابن دقيق العيد: في الكلام على حديث أبي بكر: لم يبيِّن فيه محلَّ الدعاء، ولعلَّ الأوَّلَى به أن يكون في أحد مواطنين: السجود أو بعد التشهد؛ لأنَّه أمرٌ فيهما بالدعاء.

ولعله يترجح الثاني لظهور العناية فيه بتعليم دعاء مخصوص في هذا المحل.

ونازعه الفاكهاني فقال: في هذا الترجيح نظر، قال: والأوَّلَى الجمعُ بينهما في المحلَّين المذكورين.

وأما قول ابن المُلِقْنَ، ويعيد ما قاله ابن دقيق العيد: احتجاج البخاري والنَّسائي والبيهقي وغيرهم بهذا الحديث للدعاء في آخر الصلاة، فيقال: فيه ما قاله الحافظ من أنَّ المصنَّف يطالب بدليل اختصاص هذا المحل بهذا الذكر.

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون سؤالُ أبي بكر عن ذلك كان عند قوله لِمَا علِمُوا التَّشَهِيدَ: (ثم لِيُتَخِيرَ مِن الدُّعَاء مَا شاء)، ومن ثُمَّ أَعْقَبَ المصنَّف الترجمة بقوله: (باب ما يُتَخِيرَ مِن الدُّعَاء بَعْدَ التَّشَهِيد).

وقال قبل ذلك: والذي يظهر لي أنَّ البخاري أشار إلى ما ورد في بعض الطرق من تعينه بهذا المحل، ثم ذكر حديث ابن مسعود الآتي في الباب بعده.

ثم قال: وعند مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (إذا فرغ
أحدكم من التشهد الأخير فليتعود بالله من أربع؛ من عذاب جهنم،
ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح
الدجال).

قال: فهذا فيه تعين هذه الاستعاذه بعد الفراغ من التشهد،
فيكون سابقاً على غيره من الأدعية، وما ورد فيه الإذن أن المصلي
يتخيّر من الدعاء ما شاء، يكون بعد هذه الاستعاذه وقبل السلام،
انتهى.

* * *

١٥٠ - بَابٌ

مَا يُتَخِيرُ مِنَ الدُّعَاءِ بَعْدَ التَّشَهِيدِ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ

(باب ما يُتَخِير) - بضم أوله مبنياً للمفعول - (من الدعاء بعد التشهد)؛ أي: بعد فراغه وقبل السلام، (وليس بواجب).

قال الحافظ: يشير إلى أن الدعاء السابق في الباب الذي قبله - أي: في حديث أبي هريرة - لا يجب، وإن كان قد ورد بصيغة الأمر، لقوله في آخر حديث الباب: (ثم ليتَخِير).

قال: والمنفي وجوبه - أي: في قول المصنف، وليس بواجب - يحتمل أن يكون الدعاء؛ أي: لا يجب دعاء مخصوص، وإن كان التخيير مأموراً به.

ويحتمل أن يكون المنفي التخيير، ويحمل الأمر الوارد به على النَّدَبِ، ويحتاج إلى دليل.

قال ابن رشيد: ليس التخيير في أحد الشيء بداعٍ على عدم وجوبه، فقد يكون أصل الشيء واجباً ويقع التخيير في وصفه.

وقال ابن المُنَيَّر: قوله: (ثم ليتَخِير) وإن كان بصيغة الأمر لكنها كثيراً ما ترد للنَّدَبِ، وادعى بعضهم الإجماع على عدم الوجوب، وفيه نظر.

فقد نقل عن طاوس أنه أمر ابنه بإعادة الصلاة لمّا ترك الاستعاذه المأمور بها في حديث أبي هريرة المذكور، أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح، وبه قال بعض أهل الظاهر، وأوجبه ابن حزم حتى في التشهد الأول أيضاً.

وقال ابن المنذر: لو لا حديث ابن مسعود (ثم ليتخير من الدعاء) لقلت بوجوبها.

* * *

٨٣٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ الْأَعْمَشِ، حَدَّثَنِي شَقِيقٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحَيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيَّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيَّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو.

وبالسند قال:

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ)؛ أي: ابن مُسْرَهَد (قال: حدثنا يحيى) القَطَّان، (عن الأعمش) سليمان بن مهران قال: (حدثني شقيق)، هو أبو

وائل، (عن عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه، (قال: كنا إذا كننا مع النبي صلوات الله عليه في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلانٍ وفلان)؛ أي: من الملائكة، كما تقدم.

(قال النبي صلوات الله عليه: لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام)، فكيف يُدعى له وهو مالكه وإليه يعود؟ (ولكن قولوا: التحيات لله)، وفي رواية بإسقاط: (قولوا)، (والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك) - وفي رواية بإسقاط لفظ: (ذلك) - (أصحاب كل عبد)؛ أي: صالح (في السماء أو بين السماء والأرض).

قال الكرماني: لفظ (أو) ليست للشك ولا للترديد، بل للتنويع، أو هو للشك بين لفظ (في السماء) ولفظ (بين السماء)، وجرى القسطلاني على الثاني.

(أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم ليتخيّر)، وفي رواية: (ثمَّ يتخيّر) (من الدعاء أعجبه إليه فيدعوه)، زاد أبو داود (فيدعوه به)، وللنمسائي: (فليدُعُ به)، وعند المصنف في (الدعوات): (ثمَّ ليتخيّر من الثناء ما شاء)، ونحوه لمسلم بلفظ (من المسألة)، وفي آخر حديث أبي هريرة السابق: (ثمَّ ليدعوا لنفسه بما بدا له)، أخرجه البيهقي وهي زيادة صحيحة، واستدل به على مشروعية الدعاء قبل التحلُّل من الصلاة بما اختار المصلحي من أمر الدنيا والآخرة

ما لم يكن إثماً، وبه قال الشافعي وجمهور العلماء واستثنى بعض الشافعية ما يقبحُ من أمر الدنيا .

قال الحافظ : فإن أراد الفاحشَ من اللفظ فِي حِتْمَلِ ، إِلَّا فَلَا شَكَّ أن الدعاء بالأمور المحرَّمة لا يجوز مطلقاً .

وقال القلقشندِي : واستثنى منه بعض الشافعية ما لو قال : اللهم أطْنِي جارِيَةً صفتَهَا كَذَا وَكَذَا ، وَوَصَّفَ أَعْضَاءَهَا وَمَحَاسِنَهَا وَنَحْوَهُ ، مَا لَا يَلِيقُ بِالصَّلَاةِ وَخَشْوَعَهَا ، انتهى .

وقال أبو حَنِيفَةَ : لا يجوز إلا بالدعوات الواردة في الكتاب والسنة ، وعبارة بعض الحنفية أو بما يشابه لفظ القرآن ، وبعضُهم أو بما كان مأثُوراً ، وهو أعمُ من أن يكون مرفوعاً أو غير مرفوع ، عملاً بقوله عليه السلام : «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس». .

قال القسْطَلَانِيُّ : ولنا قوله عليه السلام : «سلوا الله حوائجكم حتى الشَّيْعَ

لَنْعَالَكُمْ وَالملح لِقَدْرِكُمْ» .

وقد ورد فيما يقال بعد التشهد أخبارٌ؛ مِنْ أَحْسَنِهَا مَا رواه أبو بكر بن أبي شيبة من طريق عُمَير بن سعد ، قال : (كان عبد الله - يعني ابن مسعود - يعلمنا التشهد في الصلاة ، ثم يقول : إذا فرغ أحدكم من التشهد فليقلْ : اللهم إِنِّي أَسأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، اللهم إِنِّي أَسأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، رَبَّا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ

حسنةً وقنا عذاب النار، قال: ويقول: لم يدعُ نبِيٌّ ولا صالحٌ بشيءٍ إلا دخل في هذا الدعاء).

قال الحافظ: وهذا من المأثور غير مرفوع، وليس هو مما ورد في القرآن، انتهى.

وقال ابن المُنيّر: الدعاء بأمور الدنيا في الصلوات خطر، وذلك أنه قد يلتبس عليه في الدنيا الجائزة بالمحظورة، فيدعوا بالمحظور فيكون عاصيًّا متكلماً في الصلاة، فتبطل صلاته وهو لا يشعر، ألا ترى أن العامة يلتبسُ عليها الحقُّ بالباطل، فلو حكم حاكم على عاميًّا بحق فظنه باطلًا فدعا على الحاكم باطلًا بطلت صلاته، وتمييز الحظوظ الجائزة من المحرمة عسِرٌ جداً، فالصواب أن لا يدعو بدنياه إلا على ثبُتٍ من الجواز، انتهى.

وقد استدل بالحديث على عدم وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهدين، وقد أوجبها الشافعي في التشهد الأخير، وادعى أبو الطَّيْب الطبرى من أتباعه والطَّحاوى وأخرون أنه لم يُسبق إلى ذلك، وتعقبوا بأنه نُقل عن جماعة الصحابة منهم ابن مسعود راوي الحديث، وعمر ابن الخطاب وابنه عبد الله، وأبو مسعود البَدْرِي.

وحكى عن أبي جعفر الباقر، ومحمد بن كعب القرظى، والشعبي، وقد وافق الشافعى أَحْمَدَ في إحدى الروايتين عنه، وبعض أصحاب مالك، وبعض الظاهيرية، وقال إسحاق بوجوبها أيضاً، لكن قال: إن تركها ناسياً رجوت أن تجزئه، فقيل: إن له في المسألة

قولين ، وقيل : بل كان يراها واجبة لا شرطاً.

وقال ابن حزم بوجوبها في التشهد الأول أيضاً ، ومنهم من قيد تفرد الشافعي بكونه عينها بعد التشهد لا قبله ولا فيه ، حتى لو صلى على النبي ﷺ في أثناء التشهد مثلاً لم يجزئ عنده ، وسيأتي مزيداً لهذا وبيانُ أدلة وجوبها في (كتاب الدعوات) إن شاء الله تعالى .

* * *

مَنْ لَمْ يَمْسِحْ جَبَهَتَهُ وَأَنْفَهُ حَتَّىٰ صَلَّى

(باب من لم يمسح جبهته وأنفه)؛ أي: مما يصيبهما من ماء وطين ونحوهما في الصلاة، (حتى صَلَّى)، قال أبو عبدالله؛ أي: البخاري: (رأيُتُ الْحُمَيْدِيَّ) عبد الله بن الزبير، وهو شيخ المصنف وأحد تلامذة الشافعي، (يتحجّ ب لهذا الحديث)؛ أي: الآتي. (أن لا يمسح)؛ أي: لعدم مسح المصلي (الجبهة)؛ أي: الأنف، حال كونه. (في الصلاة).

وقوله: (قال أبو عبدالله... إلخ، يوجد في بعض الأصول مؤخراً عن الحديث، والظاهر من إيراده أنه يوافق شيخه على المنع من المسح، ومن ثمَّ لم يتعقبه).

لكن قال ابن المنيّ ما حاصله: ذكر البخاري المستدل ودليله ووكل الأمر فيه لنظر المجتهد، هل يوافق الحميدي أو يخالفه؟ وإنما فعل ذلك لما يطرق إلى الدليل من الاحتمالات؛ لأن بقاء أثر الطين لا يستلزم نفي مسح الجبهة؛ إذ يجوز أن يكون مسحها وبقي الأثر بعد المسح، ويعتمد أن يكون ترك المسح ناسياً أو تركه عامداً لتصديق رؤياء، أو لكونه لم يشعر ببقاء أثر الطين في جبهته، أو لبيان الجواز،

أو لأن ترك المسع أولى؛ لأن المسع عمل وإن كان قليلاً.
 قال: وإذا تطرق هذه الاحتمالات لم ينهاض الاستدلال، لاسيما
 وهو فعل من الجليليات لا من القرب، انتهى.
 وحاصله أنه إن احتج به على المنع جملة لم يسلم من الاعتراض،
 ولكنَّ التركَ أولى، قاله الحافظ.

* * *

٨٣٦ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى،
 عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالْطَّينِ حَتَّى رَأَيْتُ أَثْرَ الطَّينِ فِي جَبَهَتِهِ.

وبالسند قال:

(حدثنا مسلم بن إبراهيم) الفراهيدي (قال: حدثنا هشام) هو الدَّسْتَوَائِي، (عن يحيى) هو ابن أبي كثير، (عن أبي سَلَمَة) بن عبد الرحمن بن عوف، (قال: سألت أبا سعيد الخدري) ﷺ؛ أي: عن ليلة القدر، (قال: رأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته)، هو محمول على أثر خفيف لا يمنع مباشرة الجبهة لمحل السجود، ويأتي بقية الكلام عليه في (كتاب الصيام) إن شاء الله تعالى.

* * *

١٥٢ - بَابُ

التَّسْلِيمُ

(باب التسليم)؛ أي : من الصلاة .

قال الحافظ : قيل : لم يذكر المصنف حكمه لتعارض الأدلة عنده في الوجوب وعدمه ، ويمكن أن يؤخذ الوجوب من حديث الباب حيث جاء فيه (كان إذا سلم)؛ لأنَّه يشعر بتحقق مواظبه على ذلك ، وقد قال : «صلوا كما رأيتونني أصلبي» ، ومن حديث : «تحليلها التسليم» أخرجه أصحاب «السنن» بسنده حسن .

وأما حديث : (إذا أحدث وقد جلس في آخر صلاته قبل أن يسلم فقد جازت صلاته) فقد ضعَّفه الحفاظ ، ويأتي الكلام على الخلاف فيه قريباً .

٨٣٧ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ هِنْدِ بْنِتِ الْحَارِثِ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، وَمَكَثَ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ .
قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ مُكْثَهُ لِكَيْ يَنْفُذَ النِّسَاءُ

(١) في «و»: «السلام» .

قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ مَنِ انْصَرَفَ مِنَ الْقَوْمِ.

وبالسند قال :

(حدثنا موسى بن إسماعيل) التّبّوذكي (قال : حدثنا إبراهيم بن سعد)؛ أي : ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، (قال : حدثنا الزُّهري عن هند بنت العارث) الفِرَاسِيَّةُ (أنَّ أُمَّ سَلَمَةَ) أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها (قالت : كان رسول الله ﷺ إِذَا سَلَّمَ)؛ أي : من الصلاة ، (قام النساء حين) ، وفي رواية : (حتى) (يقضي تسليمه)؛ أي : يتمّه ويفرغ منه ، (ومكث يسيراً قبل أن يقوم ، قال ابن شهاب)؛ أي : الزُّهري : (فَأُرِيَ)؛ بضم الهمزة أي : أظن ، (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) جملة معتبرة بين أرى وبين قوله : (أَنَّ مُكْثَهُ) اليسير كان (لكي يُفْدَ النِّسَاءُ) بفتح التحتية وضم الفاء وآخره ذال معجمة؛ أي : يخرجن (قبل أن يدركهنَّ) ، بنون النسوة ، وفي هامش «اليونينية» : (يدركهم) وعليها علامة أبي ذر في نسخة .

(مَنِ انْصَرَفَ مِنَ الْقَوْمِ) المصلّين .

ويأتي الكلام على بقية فوائدہ بعد أربعة أبواب .
ومذهب الجمهور أن السلام رکنٌ لا يحصل التحللُ من الصلاة إلا به ، ويحصل بالتسليمة الأولى ، وأما الثانية : فسنة .

وقالت : الحنفية : يجب الخروج من الصلاة به ولا نفرضه ، واستدلوا بالحديث السابق .

وقال المَرْدَاوي من الحنابلة في «مقنعه»: يسلم مرتبًا معرّفًا وجوابًا، مبتدئًا عن يمينه جهراً، مسراً به عن يساره، ويسُرّهما بمرة، انتهى.

ولم يذكر المصنف عدد التسليم، وقد أخرج مسلم من حديث ابن مسعود وحديث سعد بن أبي وقاص التسليمتين، بل ذكرهما الطحاوي من حديث ثلاثة عشر صحابياً، وزاد غيره سبعة، وبذلك أخذ الإمام الشافعي وأبو حنيفة وصاحباه.

وقال المالكية: السلام واحدة، واستدلُّوا بحديث عائشة المروي في «السنن»: (أنه عَزَلَهُ اللَّهُ كان يسلم تسليمة واحدة: السلام عليكم، يرفع بها صوته حتى يوقفنا).

وأجيب بأنه حديث معلول، كما ذكره العُقيلي وابن عبد البر، وبأنه في قيام الليل، والذين رواوا عنه التسليمتين رواوا ما شهدوا في الفرض والنَّفْل، على أن حديث عائشة ليس صريحاً في الاقتصار على تسليمة واحدة، بل أخبرت أنه كان يسلم تسليمة واحدة يوقفهم بها، ولم تنفِ الأخرى، بل سكتت عنها، وسكتوتها عنها ليس مقدماً على روایة مَنْ حفظها وضبطها، وهم أكثر عدداً وأحاديثهم أصحُّ.

ونقل في «المجموع» عن الشافعي والأصحاب أن الإمام لو اقتصر على تسليمة واحدة سُنّ للمأمور الثانية؛ لأنَّه خرج عن المتابعة بالأولى، بخلاف التشهد الأول لو تركه الإمام لزم المأمور تركه؛ لأنَّ المتابعة واجبة عليه قبل السلام.

* * *

يُسَلِّمُ حِينَ يُسَلِّمُ الْإِمَامُ

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رض يَسْتَحِبُ إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ أَنْ يُسَلِّمَ مَنْ خَلْفَهُ.

(باب) بالتنوين : (يُسَلِّمُ) ؛ أي : المأمور (حين يُسَلِّمُ الإمام).

قبل ابن المنيّر : ترجم بلفظ حديث الباب ، وهو محتمل لأن يكون المراد أنه يبتدئ السلام بعد ابتداء الإمام له ، فيشرع المأمور فيه قبل أن يتمّ الإمام ، ويحتمل أن يكون المراد أن المأمور يبتدئ السلام إذا أتمه الإمام ؛ أي : وهذا هو السنة عندنا.

قال : فلما كان محتملاً للأمرتين ، وُكِلَ النظر فيه للمجتهد ، انتهى .

قال الحافظ : ويحتمل أن يكون أراد أن الثاني ليس بشرط ، لأن اللفظ يحتمل الصورتين ، فأيهما فعل المأمور جاز .

قال : وكأنه أشار إلى أنه يُنْدِب ألا يتأخر المأمور في سلامه بعد الإمام متشارعاً بدعاء وغيره ، ويدل على ذلك ما ذكره عن ابن عمر .

قالوا : ومقارنة المأمور للإمام في جميع الأركان لا تضر إلا في تكبيرة الإحرام ؛ لأنه لا يصير في صلاة حتى يفرغ منها ، فلا يربط

صلاته بمن ليس في صلاة.

(وكان ابن عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (يستحب إذا سلم الإمام)، قال العيني: إذا ليست شرطية، بل لمجرد الظرف، (أن يسلم من خلفه).

قال في «الفتح»: والأثر المذكور لم أقف على من وصله، لكن عند ابن أبي شيبة عن ابن عمر ما يعطي معناه، انتهى.

وقال في «تغليق التعليق»: وقال ابن أبي شيبة: عن هشيم، عن منصور وخالفه، عن أنس بن سيرين، عن ابن عمر قال: (كان إذا سلم الإمام قام).

* * *

٨٣٨ - حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الرُّهْرِيِّ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عِثْمَانَ قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه، فَسَلَّمَنَا حِينَ سَلَّمَ.

وبالسند قال:

(حدثنا حبان بن موسى، هو بكسر المهملة وتشديد الموحدة، ابن سوار السلمي، أبو محمد المروزي الكشميري، ثقة، وروى عنه أئمة حفاظ).

مات سنة ثلاثة وثلاثين ومئتين. روى عنه البخاري ومسلم، وروى له الترمذى والنسائي بواسطة.

(قال أخبرنا عبد الله)، هو ابن المبارك (قال: أخبرنا معمر)، هو ابن راشد، (عن الزُّهري، عن محمود بن الربيع) الأننصاري الصحابي، وفي رواية: (عن محمود، هو ابن الربيع)، وسقط (ابن الربيع) من رواية.

(عن عَبْيَانَ بْنِ مَالِكٍ) بكسر العين المهملة وسكون المثناة الفوقيَّة
بعد وسقط (ابن مالك) من رواية.

(قال: صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ فَسَلَّمَنَا حِينَ سَلَّمَ)، سبق كلامُ
ابن المُنِيرِ فيه، وتقديم الكلام على حديث عَبْيَانَ مطولاً أوائلَ الصَّلَاةِ،
وذكره هنا مختصراً جداً، وفي الباب الذي يليه أتم منه.

* * *

١٥٤ - بَابٌ

مَنْ لَمْ يَرَ رَدَ السَّلَامِ عَلَى الْإِمَامِ، وَاكْتَفَى بِتَسْلِيمِ الصَّلَاةِ

(باب من لم ير رد السلام)؛ أي: من المأمور (على الإمام)؛
أي: بتسليمة ثلاثة بين التسليمتين.

(واكتفى بتسليمة الصلاة)؛ أي: وهو التسليمتان خلافاً لمن
استحب ذلك من المالكية، وسيأتي الكلام على ذلك آخر الباب.

٨٣٩ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ،
عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَقَلَ
رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَقَلَ مَجَّهًا مِنْ دُلُوْ كَانَ فِي دَارِهِمْ.

٨٤٠ - قَالَ: سَمِعْتُ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكِ الْأَنْصَارِيَّ ثُمَّ أَحَدَ بْنِي
سَالِمٍ قَالَ: كُنْتُ أُصْلَى لِقَوْمِي بَيْنِي سَالِمٌ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ:
إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِيِّ، وَإِنَّ السُّيُولَ تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَسْجِدِ قَوْمِيِّ،
فَلَوْدَدْتُ أَنْكَ حِجْتَ فَصَلَّيْتَ فِي بَيْتِي مَكَانًا حَتَّى أَنْخِذَهُ مَسْجِدًا،
فَقَالَ: «أَفَعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فَغَدَأَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبُو بَكْرٍ مَعَهُ بَعْدًا
مَا اسْتَدَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ:

«أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصْلَىٰ مِنْ بَيْنِكَ؟»، فَأَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي أَحَبَّ
أَنْ يُصَلَّىٰ فِيهِ، فَقَامَ فَصَفَفْنَا خَلْفَهُ ثُمَّ سَلَّمَ، وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ.

وبالسند قال :

(حدثنا عبدان) هو عبدالله بن عثمان بن جبلة المروزي، (قال
أخبرنا عبد الله) هو ابن المبارك، (قال: أخبرني معمراً)، هو ابن
راشد، (عن الزهري قال: أخبرني محمود بن الربيع، ورغم)، المراد
به هنا: القول المحقق؛ إذ هو اللاقى بالمقام؛ لأن معموداً موثقاً عند
الزهري، فقوله عنده مقبول، قاله الحافظ.

(أنه عَقْل) - بفتح القاف أي: فهم - (رسول الله ﷺ، وعَقْلَ مَجَّةً
مجّها من دلو كانت في دارهم).

قال الكرماني: (كانت) صفة لموصوف ممحذف؛ أي: من بئر
كانت في دارهم، والدلل دليل على ذلك.

وقال غيره: الدلو يذكر ويؤنث، فلا يحتاج إلى تقدير، وفي
رواية: (كان) بدل (كانت).

[قوله: (مجّة)؛ أي: رمية، (مجّها)؛ أي: رماها، ثم لما كانت
المجّة قد تكون رمي اللعب وغيره بيئتها بأنها كانت من الماء، وأن
ذلك الماء في بيتهما، فقال: (من دلو كانت في دارهم)][⁽¹⁾].

(1) ما بين معاوقيتين ليس في «ن»، والمثبت من هامش «و».

(قال: سمعت عَتَبَانَ بْنَ مَالِكَ الْأَنْصَارِيَ ثُمَّ أَحَدَ بْنَيْ سَالِمٍ).

قال الحافظ: بنصب (أحد) عطفاً على قوله: (الأنصاري)، وهو بمعنى قوله الأنصاري ثم السالمي، هذا الذي يكاد مَنْ له أدنى ممارسة بمعرفة الرجال أن يقطعَ به.

وقال الْكَرْمَانِي - أي بعد أن جزم بالأول -: ويحتمل أن يكون عطفاً على (عَتَبَانَ) يعني (سمعت عَتَبَانَ) ثُمَّ سمعت أَحَدَ بْنَيْ سَالِمٍ أيضاً، والظاهر أن المراد به: الْحُصَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فكأنَّ مُحَمَّداً سمع من عَتَبَانَ ومن الْحُصَيْنِ.

قال وهو بخلاف ما تقدَّمَ في (باب المساجد في البيوت) أن الزهري هو الذي سمع مُحَمَّداً وَالْحُصَيْنَ.

قال: ولا منافاة بينهما؛ لاحتمال أن الزهري ومُحَمَّداً سمعاً جمِيعاً من الْحُصَيْنِ.

قال: ولو رُوِيَ بِرُفعٍ (أحد) بِأَنْ يَكُونَ عَطْفَةً عَلَى (مُحَمَّد) لِسَاغٍ، ووافَقَ الرَّوَايَةُ الْأُولَى، يَعْنِي فِيصِيرَ التَّقْدِيرِ: قال الزهري: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ الْحُصَيْنِ، انتهى.

وَكَانَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ كُلُّهُ قَوْلُ الزهري فِي الرَّوَايَةِ السَّابِقَةِ: (ثُمَّ سَأَلَتِ الْحُصَيْنُ بْنَ مُحَمَّدَ الْأَنْصَارِيَ، وَهُوَ أَحَدُ بْنَيْ سَالِمٍ) فَكَانَهُ ظَنَّ أَنَّ الْمَرَادَ بِقَوْلِهِ: (ثُمَّ أَحَدُ بْنَيْ سَالِمٍ) هُنَا هُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: (أَحَدُ بْنَيْ سَالِمٍ) هُنَاكَ.

قال: ولا حاجةً لِذَلِكَ، فَإِنَّ عَتَبَانَ مِنْ بْنَيْ سَالِمٍ أَيْضًا اتَّفَاقَ،

والأصل عدم التقدير في إدخال أخبارني بين (ثم) و(أحد).
قال: وعلى الاحتمال الذي ذكره إشكال آخر؛ لأنه يلزم منه أن يكون الحُصين بن محمد [هو صاحب القصة المذكورة، أو أنها تعددت له ولعثمان، وليس كذلك فإن الحُصين المذكور لا صحبة له، بل لم أر من ذكر أباء في الصحابة.]

وقد ذكر ابن أبي حاتم الحُصين بن محمد^(١) في «الجرح والتعديل»، ولم يذكر له شيخاً غير عثمان، ونقل عن أبيه أن روایته مرسلة، ولم يذكر أحد من صنف في الرجال لمحمد بن الربيع رواية عن الحُصين، والله أعلم، انتهى.

(قال)؛ أي: عثمان: (كنت أصلي لقومي بني سالم، فأتيت النبي ﷺ فقلت) له: (إنني أنكرتُ بصري، وإن السبيل تحول بيني وبين مسجد قومي)؛ أي تصدني عن الوصول إليهم، (فلوَدَدْتُ)؛ أي: فوالله لو ددت (أنك جئت فصليت في بيتي مكاناً) - نصب على الطرف - (اتخذه).

قال الْكَرْمَانِي: بالرفع وبالجزم؛ لأنَّه وقع جواب التمني المستفاد من (وددت)، وفي رواية: (مكاناً حتى أتَخْذَه) (مسجداً، فقال) عليه الصلاة والسلام: (أَفْعُلُ إِنْ شاءَ اللَّهُ تَعَالَى)، قال عثمان: (فَغَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ) الصديق رض (معه بعدهما

(١) ما بين معاوقين ليس في «و».

اشتد النهار)؛ أي : ارتفعت الشمس، (فاستأذن النبي ﷺ)؛ أي : في الدخول علىَ ، (فأذنت له) فدخل، (فلم يجلس حتى قال : أين تحبُ أن أصلِي من بيتك؟ فأشار) قال الكَرْماني : أي : النبي ﷺ (إليه من المكان الذي أُحِبُّ) - أي : عِتَبَانَ - (أن يصلي فيه)؛ أي : فيكون ضمير (إليه) عائداً علىَ (المكان)، و(من) بيانية، قال : ويحتمل أن تكون (من) للتبعيض .

قال : ولا ينافي ما تقدم أنه قال : (فأشرت له إلى المكان) لإمكان وقوع الإشارتين منه ومن النبي ﷺ؛ إما معاً، وإما متقدماً أو متاخراً، انتهى .

وقال الحافظ : والذي يظهر أن فاعل أشار هو عِتَبَانَ، وفيه التفاصي؛ إذ ظاهر السياق أن يقول : (فأشرت . . .) إلخ، قال : وبهذا تتوافق الروايتان .

(فقام وصففنا) بفأين، وفي رواية : (فصففنا) بفاء أوله، (خلفه، ثم سَلَّمَ وسلَّمنَا حين سَلَّمَ)، وهذا موضع الترجمة، إذ ظاهره أنهم سَلَّموا نظير سلامه، وسلامه إما واحدة وهي التي يتحلل بها من الصلاة، وإما هي وأخرى معها، فيحتاج من استحب تسلية ثالثة على الإمام بين التسليمتين كما تقوله المالكية إلى دليل خاص، وإلى رد ذلك أشار البخاري .

وقال ابن بطال : أظنه قصد الرد على من يوجب التسلية الثانية، وقد نقله الطحاوي عن الحسن بن الحُرْ .

قال الحافظ : وفي هذا الظن بعد ، والله أعلم .
وقال التيمي : كان مسجد المهاجرين يسلّمون تسلیمةً واحدة ؛
أي : ولا يردون على الإمام ، ومسجد الأنصار تسلیمتين .
وقال مالك : يسلّم المأموم عن يمينه ؛ أي : جهراً ، ثم يرُدُّ على
الإمام أي : سراً .
ومن قال بتسليمتين من أهل الكوفة يجعلون التسلیمة الثانية ردًا
على الإمام ، انتهى .

* * *

الذِّكْرُ بَعْدَ الصَّلَاةِ

(باب الذِّكْرُ بَعْدَ الصَّلَاةِ)؛ أي: بَعْدَ الفِرَاغِ مِنْهَا.

٨٤١ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو: أَنَّ أَبَا مَعْبِدٍ مَوْلَى أَبْنِ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ حِينَ يُنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ: كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انْصَرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ.

وَبِالسِّنْدِ قَالَ:

(حدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نُصَيْرٍ)، هو إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ نَصِيرٍ، نَسْبٌ إِلَى جَدِّهِ، (قَالَ: حَدَّثَنَا)، وَفِي رِوَايَةِ: (أَخْبَرَنَا) (عَبْدُ الرَّزَاقِ) أَبْنُ هَمَّامَ (قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمُلْكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جُرَيْجٍ) - بِضْمِنِ الْجِيمِ أَوْلَهُ وَفَتْحِ الرَّاءِ - .

(قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو) - هُوَ أَبُونِ دِينَارٍ - (أَنَّ أَبَا مَعْبِدٍ)، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْمُوْهَدَةِ بَيْنَهُمَا مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ، وَاسْمُهُ - كَمَا يَأْتِي قَرِيبًا -: نَافِذُ بَنْوَنَ وَفَاءَ مَكْسُورَةٌ وَذَالٌ مَعْجَمَةٌ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، حِجَّازِيٌّ،

ثقة، حسن الحديث، وكان من خيار موالي ابن عباس، وقيل: مات سنة تسع وستة، روى له الجماعة.

(مولى ابن عباس، أخبره أن ابن عباس) ﷺ (أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوية كان على عهد رسول الله)، وفي رواية: (النبي) ^(١) (ﷺ)، أي: على زمانه، وسبق غير ما مرة أن مِثَلَّ هذا له حكم الرفع عند الجمورو، خلافاً لمن منع.

قال القَلْقَشْنَدِي: فيه دليل لما قاله بعض السلف: إنه يُستحب رفع الصوت بالتكبير والذكر عَقِبَ المكتوية.

وقال: به جَزَمَ ابنُ حَزَمِ الظاهري، ورجحه بعض المتأخرین، وذكر بعض المصنفین، في كتاب: «ما العوام عليه موافقون للسنة والصواب دون الفقهاء»، وقد ذكر مسائل، منها: رفع الصوت بالذكر عَقِبَ الصلاة.

وقال ابن بطال: إن أصحاب المذاهب المتبوعة وغيرهم متفقون على عدم استحباب رفع الصوت بالتكبير والذكر، ونُقل عن مالك إنه مُحدث.

نعم استحب بعض المالكية التكبير في العساكر والبعوث عَقِبَ الصبح والعشاء تكبيراً عالياً ثلاثة، قال: وهو قديم من شأن الناس.

وقال: وفي السياق إشعاراً بأن الصحابة لم يكونوا يرفعون

(١) «وفي رواية: النبي» ليس في «و».

أصواتهم بالذكر في الوقت الذي قال فيه ابن عباس ما قال .

وَتَعَقَّبُ الْحَافِظُ تَقْيِيْدَهُ بِالصَّحَابَةِ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ حِينَئِذٍ إِلَّا
القليل .

وَحَمَلَ الشَّافِعِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى أَنَّهُ جَهَرَ بِهِ وَقَاتَأَ يَسِيرًا
لِيَعْلَمُهُمْ صَفَةُ الْذِكْرِ، لَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْهَرُونَ دَائِمًا .

قَالَ: وَاخْتَارَ لِلإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ أَنْ يَذْكُرَا اللَّهَ تَعَالَى وَيَخْفِيَا ذَلِكَ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ إِمَامًا يَرِيدُ أَنْ يُتَعْلَمَ مِنْهُ، فَيَجْهَرَ بِذَلِكَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُمْ قَدْ
عَلِمُوا، ثُمَّ يُسِرُّ .

قِيلَ: وَفِي هَذَا الْحَمْلِ نَظَرٌ لِإِشْعَارِ (كَانَ) بِالْمَدَوِّمَةِ وَالْكَثْرَةِ،
وَأَجِيبُ بِأَنَّهَا قَدْ تَسْتَعْمِلُ فِي الشَّيْءِ النَّادِرِ أَيْضًا .
وَأَوْلَئِكَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِهَذَا التَّكْبِيرِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ،
وَاسْتَبْعَدَ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ قَوْلَهُ: (كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انْصَرَفْتُوْ بِذَلِكَ) أَنَّ هَذَا
الْأَمْرَ تُرُكُ فِي زَمْنِهِ، وَمَا تُرُكَ إِلَّا لِدَلِيلٍ أَرْجَحَ مِنْ هَذَا قَامَ عَنْهُمْ عَلَى
عَدْمِ اسْتِحْبَابِهِ .

وَتُعَقِّبُ بِأَنَّ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ لَا يُتَرُكُ الْعَمَلُ بِهِ بِمَجْرِدِ هَذَا
الْاحْتِمَالِ، انتهٰى .

(وَقَالَ) - وَفِي رَوَايَةِ بَدْوِنِ وَأَوْ - (ابْنِ عَبَّاسٍ: كُنْتُ أَعْلَمُ)، فِيهِ
إِطْلَاقُ الْعِلْمِ عَلَى الْأَمْرِ الْمُسْتَنْدُ لِلظَّنَّ الْغَالِبِ، (إِذَا انْصَرَفْتُوْ بِذَلِكَ)؛
أَيْ: أَعْلَمُ وَقْتًا انْصَرَافَهُمْ بِسَمَاعِ الْذِكْرِ، فَ(إِذَا) فِي مَحْلٍ نَصِيبٍ عَلَى أَنَّهُ

مفعول به لـ (أعلم) فهي متجرّدةٌ عن الشرطية والظرفية والاستقبال .
 (إذا سمعته) في محل نصب على الظرفية ، والعامل (أعلم)؛
 أي : في وقت السماع ،
 قوله : (قال ابن عباس) قائله أبو معبد ، فهو موصول بالإسناد
 المبتدأ به .

* * *

٨٤٢ - حَدَّثَنَا عَلَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفِيَّانُ، قَالَ:
 أَخْبَرَنِي أَبُو مَعْبُدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ
 النَّبِيِّ ﷺ بِالْتَّكْبِيرِ .

وبالسند قال :

(حدثنا علي)، زاد في رواية : (ابن عبد الله)؛ أي : ابن المديني ،
 (قال : حدثنا سفيان)، هو ابن عيينة (قال : حدثنا عمرو) هو ابن
 دينار ، وسقط (حدثنا عمرو) من بعض الأصول الصحيحة ، ولا بد
 منه ، (قال : أخبرني أبو معبد) مولى ابن عباس ، (عن ابن عباس) ﷺ
 (قال : كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بِالْتَّكْبِيرِ) ، ووقع في رواية
 مسلم : (ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ إِلَّا بِالْتَّكْبِيرِ) ، وهي
 رواية الحُمَيْدِي في «الجمع» ، وهو أخصُّ من قوله في الحديث الذي
 قبله : (بالذكر) ، لأنَّه أعمُّ من التكبير .

قال الحافظ : ويحتمل أن تكون هذه مفسّرةً لتلك ، فيكون المراد

بالذكر التكبير، قال: وكأنهم كانوا يبدؤون بالتكبير بعد الصلاة^(١) قبل التسبيح والتحميد، وسيأتي الكلام على ذلك في الحديث الذي بعده، انتهى.

وحدث ابن عباس هذا جعله الحافظ المِزَّي حديثين.

قال الحافظ: وأغرب في ذلك، قال: والذي يظهر أنهما واحد، كما سنبينه، انتهى.

وأختلف في كون ابن عباس قال ذلك، فقال عياض وتبعه النّووي: الظاهر أنه لم يكن يحضر الجماعة لصغره، فكان من لا يواطِبُ على ذلك، ولا يلزم به أو لعذر آخر، كما قاله القرطبي، فيحمل قوله: (كنت أعلم...) إلخ على الحالة التي لم يحضر فيها الصلاة.

وقيل: يحتمل أن يكون حاضراً في أواخر الصفوف، فكان لا يعرف انقضاءها بالتسليم، وإنما كان يعرفه بالتكبير.

وقال ابن دقيق العيد: يؤخذ منه أنه لم يكن ثمَّ مُبلغ جهير الصوت يُسمع من بعده.

وتعقبه الفاكهاني: باحتمال أن يكون المبلغ قريباً من الإمام، ولا يلزم أن يكون آخر الصفوف، والتكبير لا يختص بصف من الصفوف. (وقال)، وفي رواية (قال) بدون واو، وفي أخرى: (حدثنا) بدل

(١) «بعد الصلاة» ليس في «و».

(قال) (علي) هو ابن المديني، (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة، (عن عمرو)، هو ابن دينار، (قال: كان أبو مَعْبُدَ أَصْدِقَ مَوَالِيَ ابْنِ عَبَّاسٍ)، التفضيل في (أَصْدِقَ) باعتبار أفراد الخبر، وإلا فنفس الصدق لا يتفاوت، إذ هو مطابقة الكلام للواقع على الصحيح، قاله الْكَرْمَانِيُّ.

(قال علي: واسمي نافذ)، وسقطت هذه الزيادة وهي قوله: (وقال علي... إلخ من رواية، وزاد مسلم في روايته: (قال عمرو - يعني ابن دينار -، وذكرت ذلك لأبي مَعْبُدَ بَعْدَ فَأَنْكَرَهُ، وقال: لم أحدثك بهذا، قال عمرو: قد أخبرنيه قبل ذلك).

قال الشافعي بعد أن رواه عن سفيان: كأنه نسيه بعد أن حدثه به،

انتهى.

قال الحافظ: وهذا يدل على أن مسلماً كان يرى صحة الحديث، ولو أنكره راويه إذا كان الناقل عنه عَدْلًا.

ولأهل الحديث في ذلك تفصيل:

قالوا: إما أن يجزم بردّه أو لا، وإذا جزم فإما أن يصرّح بتكذيب الراوي فيه أو لا.

فإن لم يجزم بالردّ كأن قال: لا أذكره، فهو متفقٌ عندهم على [قوله؛ لأن الفرع ثقة والأصل لم يطعن فيه.

وإن جزم وصرّح بالتكذيب فهو متفقٌ عندهم على [^(١) ردّه؛ لأن

(١) ما بين معکوفتين ليس في «و».

جزم الفرع بكون الأصل حَدَّثَه يستلزم تكذيبه للأصل في دعوه أنه كذبٌ عليه، وليس قَبُول قول أحدهما بأولى من الآخر.

وإن جزم بالرد ولم يصرّح بالتكذيب فالراجح عندهم قَبُوله. وكذا هو قول جمهور الفقهاء في هذه الصورة، ومن أمثلته هذا الحديث.

وعن بعض الحنفية ورواية عن أَحْمَدَ: لَا يُقْبَلُ قِيَاساً عَلَى الشاهد.

قال القَسْطَلَانِيَّ بعد نقله ذلك عن الحافظ: وبالجملة ظاهر صنيع ابن حجر اتفاق المحدثين على الردّ في صورة التصرّح بالتكذيب.

وقصر الخلاف على هذه؛ أي: الأخيرة، وفيه نظر، فالخلاف موجود، فمِنْ مُتَوَقِّفٍ، ومن قائل بالقَبُول مطلقاً، وهو اختيار ابن السُّبُكِيَّ تَبَعَا لِأَبِي الْمَظْفَرِ بْنِ السَّمْعَانِيِّ، وقال به أبو الحسين بن القَطَّانِ، وإن حَكِيَ المَدْنِيُّ وَالْهَنْدِيُّ الْإِنْفَاقُ عَلَى الرَّدِّ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ، وهو مما يساعد ظاهراً صنيع الحافظ ابن حجر في الصورة الثانية، وينازع في الثالثة؟

ويجَابُ بِأَنَّ الْإِنْفَاقَ فِي الْثَّالِثَةِ وَالْخَلَافَ فِي الْثَّالِثَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ لِلْمَحْدُثِينَ خَاصَّةً، انتهى.

* * *

٨٤٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ

عُبَيْدَ اللَّهِ، عَنْ سُمَيْ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: جَاءَ الْفَقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيَجَاهُدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أَحَدُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرِكُتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكُكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرُ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهَارَانِيَّهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثِينَ»، فَأَخْتَلَفَنَا بِيَنَّا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ وَنَحْمَدُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ.

وبالسند قال:

(حدثنا محمد بن أبي بكر)؛ أي: ابن علي بن عطاء بن مقدم المقدمي قال: (حدثنا مُعْتَمِر)، هو ابن سليمان بن طرخان التيمي، (عن عُبَيْدَ اللَّهِ) بالتصغير، وهو ابن عمر العمري، (عن سُمَيْ) بضم أوله وفتح الميم، وهو مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، (عن أَبِي صالح) ذَكْوَانَ السَّمَّانَ (عن أَبِي هُرَيْرَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قال: جاء الفقراء)، سُمَيْ منهم أبو ذَرَ الغَفَارِي عند أَبِي داود، وأبو الدرداء عند النسائي).

(إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ) بضم المهملة

والثالثة، جمع دَثْر بفتح ثم سكون المثلثة، وحُكِي تحرِيكُها، وهو المال الكثير، والدَّثْر بكسر المهملة وسكون الموحدة مثله.

وقال الجوهرى تبعاً لابن سِيدَه: الدَّثْر بالثالثة لا يثنى ولا يجمع يقال: مال دَثْر، ومالان دَثْر، وأموال دَثْر. وحُكِي أنه يثنى ويُجمع.

وقال الداودى: الدُّثُور من الأضداد يطلق على الغنى وعلى الاندراس، ووقع في رواية أبي زيد المروزى وعند الخطابى (الدُّور) بحذف الثالثة، ونسبت إلى الغلط أو التصحيف.

(من الأموال)، بيان للدُّثُور وتأكيد أو وصف، لأن الدَّثْر يجيء بمعنى الكثرة، يقال: مال دَثْر أي: كثير.

(بالدرجات العلي)، بضم العين جمع العُلْيَا تأنيث الأعلى.

قال الحافظ: يجوز أن تكون حِسِيَّةً، وهي درَجُ الجنان، وأن تكون معنوية، والمراد علُوُّ الْقَدْر عند الله تعالى.

(والنعميم المقيم) النعيم ما يُسْتَنَعُ به من مطعم وملبس ومركب ومنكح ومنظر وعلوم و المعارف وغير ذلك، و(المقيم) الدائم، ووصفه بالإقامة إشارةً إلى ضده، وهو النعيم العاجل الزائل، فإنه قل ما يصفو، وإن صفا فهو في مَعْرِضِ الزوال، وهذا واقع من الفقراء لا على وجه الحسد، بل على وجه الغِبْطَة، وهي طلب مثل نعمة المغبوط من غير زوالها عنه، وفي رواية أبي داود: (ذهب أصحاب الدُّثُور بالأجور)، وزاد المصنف في (الدعوات): (قال: كيف ذلك؟ قالوا).

(يصلون كما نصلِي ويصومون كما نصوم)، زاد النَّسَائِي في

«الاليوم والليلة» من حديث أبي الدرداء: (ويذكرون كما نذكر)، والبزار من حديث ابن عمر: (صدقوا تصديقنا، وأمنوا إيماناً).

(ولهم فضل أموال)، قال الحافظ: كذا للأكثر بالإضافة، وفي رواية الأصيلي: (فضل الأموال)، وللක්ෂ්මීහි: (فضل من أموال)، انتهى . وفي بعض الأصول: (فضول من أموال).

(يُحجُّون بها ويُعتمرون)؛ أي: ولا نجح.

قال الحافظ: لكن يُشكل عليه ما وقع في حديث أبي الدرداء: (ويحجون كما نجح)، ونظيره ما وقع هنا (ويجاهدون)؛ أي: ولا نجاهد، وقد وقع عند المصنف في (الدعوات): (وجاهدوا كما جاهدنا)، قال: لكن الجواب عن هذا الثاني ظاهر، وهو التفرقة بين الجهاد الماضي، فهو الذي اشتركتوا فيه، وبين الجهاد المتوقع، فهو الذي يقدر عليه أصحاب الأموال غالباً.

قال: ويمكن أن يقال مثله في الحج، ويحتمل أن يقرأ قوله: (يُحجُّون بها) بضم أوله من الرباعي؛ أي: يعينون غيرهم على الحج بالمال، انتهى .

وأقول: يُبَعِّدُ هذا الاحتمالَ عطفُ (يُعتمرون) عليه، وضبطُ في الأصول الصحيحة من الثلاثي.

(ويتصدقون)، زاد مسلم: (ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق)، قال، وفي رواية: (فقال): (ألا أحدثكم بما)؛ أي: شيء (إن أخذتم به)، وفي رواية: (بأمر إن أخذتم به)، وسقط قوله: (بما) من

أكثر الروايات، وكذا قوله: (به)، ولمسلم: (أفلا أعلمكم شيئاً)، ولأبي داود: (قال: يا أبا ذر! ألا أعلمك كلماتٍ تقولهن).

(أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدهم؟ أي: من أهل الأموال الذين امتازوا عليكم بالصدقة وغيرها، وسقط قوله: (من سبقكم) من رواية).

والسبقية والبعدية يحتمل أن يراد بهما الأمر الحسي باعتبار الزمان المخصوص بهذه الأمة، فإن فضيلتهم ثابتة^(١) على غيرهم من الأمم مطلقاً.

ويحتمل أن يراد بهما الأمر المعنوي، وهو الفضيلة، قال ابن دقيق العيد: وهذا أقرب.

(وكتم خير من أنتم بين ظهرانيهم)، وفي رواية: (ظهرانيه) بفتح النون وسكون التحتانية، ولمسلم: (ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من عمل مثله).

قال في «المصابيح»: ظاهره مشكّل، إذ كيف تثبت الأفضلية مع التساوي في العمل؟! فيتناول (إلا من عمل مثله)، وزاد بغيره من فعل البر بدليل سياق الحديث، هكذا وقع لبعضهم.

قلت: فهم هذا القائل أن المعنى: إلا من عمل مثله فهو خير منكم، فورد الإشكال فاحتياج إلى التأويل.

(١) في «و»: «عامة».

قال : وهذا غير مستقيم ؛ إذ القاعدة لا تقتضي هذا الذي ذكره وينى الإشكال عليه ، وإنما تقتضي أن يكون المعنى : إلا من عمل مثله فلستم خيراً منه ضرورة ، إن هذا هو نقىضُ الحكم الثابت للمسئلى منه ، وانتفاء خيرية المخاطبين بالنسبة إلى مَنْ عمل مثل عملهم صادقٌ بمساواتهم لهم في الخيرية ، وهذا حُقْ لَا يتوَجَّهُ معه الإشكال المذكور ، فتأمله .

قال بعضهم : وظاهر قوله في رواية مسلم : (ولا يكون أحدُ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ) يخالف قوله : (أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقُكُمْ) ؛ لأنَّ الإدراك ظاهره المساواة ، وهذا ظاهره الأفضلية .
وأجيب بأنَّ الإدراك لا يلزم منه المساواة ، فقد يدرك ثم يفوق ، وعليه فالنَّزَقُ بهذا الذكر راجحٌ على التَّقْرُبِ بالمال .

قال الحافظ : ويحتمل أن يقال : الضمير في (كتم) للمجموع من السابق والمدرك ، وكذا قول : (إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ) ؛ أي : من الفقراء ، فقال الذكر ، أو من الأغنياء فتصدق ، أو أن الخطاب للفقراء خاصة لكن يشاركهم الأغنياء في الخيرية المذكورة ، فيكون كُلُّ من الصنفين خيراً ممن لا يتقرَّبُ بذكرٍ ولا صدقة ، ويعيده رواية البزار من حديث ابن عمر : (أَدْرَكْتُمْ مَنْ فَضَلُّهُمْ) .

قال : واستشكل تساوي فضل هذا الذكر بفضل التَّقْرُبِ بالمال
والجهاد ونحوهما مع شدة المشقة فيه .

قال : وأجاب الكَرْمَانِي بأنَّه لا يلزم أن يكون الثوابُ على قدر المشقة في كُلِّ الأمور ، واستدلَّ لذلك بفضل كلمة الشهادة مع سهولتها

على كثير من العبادات الشاقة، انتهى كلام الحافظ.
زاد الْكَرْمَانِي : وكذا الكلمة المتضمنة لتمهيد قاعدة خير عام
ونحوها .

قال : وقال العلماء : إن إدراكَ صحبة رسول الله ﷺ لحظةَ خيرٍ
وفضيلةً لا يوازيها عمل ولا تزال درجتها بشيء ، ثم إن نيتهم أنهم لو
كانوا أغنياء لعملوا مثلَ عملهم وزيادة ، ونية المرء خيرٌ من عمله ، فلهم
ثواب النية وهذه الأذكار .

وقال قبل ذلك : وهذه الكلمات حُقُّها من الإخلاص - سيماء
الحمد في حال الفقر - من أعظم الأعمال وأشقيها ، انتهى .

وقال أيضاً : قوله : (إلا من عمل مثله) ؛ أي : إلا الغني الذي
يسبّح ، فإنكم لم تكونوا خيراً منه بل هو خير منكم أو مثلكم .
نعم إذا قلنا : إن الاستثناء يرجع إلى الجملة الأولى أيضاً ، لزم
قطعاً كون الأغنياء أفضلَ ؛ إذ معناه : إن أخذتم أدركتم ، إلا من عمل
مثله فإنكم لا تدركونه .

فإن قلت : فالأغنياء إذا سبّحوا يترجّحون ، فيبقى بحاله ما شكى
القراء منه ، وهو رُجُحانهم من جهة الجهاد وأخواته = قلت : مقصود
القراء تحصيل الدرجات العلى والنعيم المقيم لهم أيضاً ، لا نفي
زيادتهم مطلقاً ، انتهى .

وسيأتي للحافظ جواب آخر في آخر الباب .
(تسبحون وتحمدون وتكتبون)، كذا وقع في أكثر الأحاديث ،

تقديم التسبيح على التحميد وتأخير التكبير، وقع في بعض الروايات
تقديم التكبير على التحميد.

وفي بعضها: (تكبر وتحمد وتسبح).

قالوا: وهذا يدل على أن لا ترتيب فيها، ويستأنس بذلك بقوله
في حديث (الباقيات الصالحات): (لا يضرك بأيّهن بدأ) لكن
الأولى البداءة بالتسبيح؛ لأنّه يتضمن نفي النقائص عن الباري جل
وعز، ثم التحمي؛ لأنّه يتضمن إثبات الكمال له، إذ لا يلزم من نفي
النقائص إثبات الكمال، ثم التكبير؛ إذ لا يلزم من نفي النقائص
إثبات الكمال أن يكون هناك كبير آخر، كذا قاله الحافظ.

وقال غيره: ثم التكبير ليعلم أن ذاته تعالى أكبر من أن تدركها
الأوهام وتعرفها الأفهام، ثم الختم بالتهليل كما ورد في الحديث الآتي
لدلالته على انفراده تعالى بجميع ذلك.

(خلف كل صلاة)، هذه مفسّرةً لرواية المصنف في (الدعوات)،
وهي قوله: (دبر كل صلاة)، ولرواية الفريابي عن أبي ذر: (إثر كل
صلاة).

وذهب الأمر - بضم الدال المهملة والمودحة -: آخره، ويقال:
ذهب بفتح ثم سكون، وقد رُدّ على من زعم أنه لا يقال بضم إلا
للحجارة بمثل قولهم: أعتق غلامه عن دُبر.

وحمل أكثر العلماء الصلاة على الفرض، وكأنّهم أخذوه من
حديث كعب بن عُجْرة عند مسلم حيث قيّدها بالمكتوبة، فحملوا
المطلقات عليها.

وقضية الحديث أن الذكر المذكور لا يتأخر عن الفراغ من الصلاة، لكن لا يضرُ التأخير نسياناً أو يسيراً بحث لا يُعَدُ مُعِرضاً، أو للتشاغل بما ورد أيضاً بعد الصلاة كآية الكرسي.

وهل التشاغلُ بعدها بالراتبة يُعَدُ فاصلاً أو لا؟ محلُ النظر، قاله الحافظ.

وقال القلقشندِي: والأقرب عندي أنه يفوت.
(ثلاثاً وثلاثين)، قال الكرماني: يحتمل أن يكون المجموع هذا المقدار بحث يكون كل واحد منها أحد عشر، وأن يكون كلُّ واحد منها يبلغُ هذا العدد فهو مجمل.

قال: وتمام الحديث يبين أن المقصود هو الثاني، قال الحافظ:
وهو الأظهر.

قال: وعليه ففيه تنازع ثلاثة أفعال في ظرف؛ أي: وهو خلف، ومصدر، أي: وهو ثلاثة وثلاثين، المراد أنه منتصب انتصاب المصدر، وأطلق المصدر عليه توسيعاً، والتقدير: تسبحون خلف كل صلاةٍ ثلاثة وثلاثين، وتحمدون كذلك، وتكبرون كذلك، انتهى.

وقال النّووي في «شرح مسلم»: ظاهر الأحاديث وطرق هذا الحديث غير رواية أبي صالح [أن كل واحد منها يكون ثلاثة وثلاثين].
وأما قول سهيل؛ يعني ابن أبي صالح^{[١)} في رواية لمسلم (أن

(١) ما بين معاوقيتين ليس في (و).

كلَّ واحد منها أحد عشر) فلا ينافي رواية الأكثرين، فإنَّ معهم زيادة يجب قبولها.

وقال الحافظ: لم يتابعَ سهيلٌ على ذلك، بل لم أر في شيءٍ من طرق الحديث كُلُّها التصريحَ بـ(إحدى عشرة، إحدى عشرة) إلا في حديث ابن عمر عند البزار، وإنسانه ضعيفٌ، انتهى.

(فاختلتنا بيننا)، قال الكرماني: أي: في أنَّ كلَّ واحد ثلاثة وثلاثون أو المجموع، أو أنَّ تمامَ المئة بالتكبير أو بغيره.

قال الحافظ: وظاهره أنَّ أبا هريرة هو القائل: (فاختلتنا)، وكذا قوله: (فرجعت إليه)، وأنَّ الذي رجع أبو هريرة إليه هو النبي ﷺ، وعليه فالاختلاف في ذلك وقع بين الصحابة، لكنَّ بيئَ مسلمَ أنَّ القائل: (فاختلتنا) هو سُميٌّ، وأنَّه هو الذي رجع إلى أبي صالح، وأنَّ الذي خالقه بعضُ أهله، ولفظه: (قال سُميٌّ: فحدثتُ بعضَ أهلي بهذا الحديث)، فقال: وهمت، إنما قال لك: تسبّح الله ثلاثة وثلاثين، وتحمد الله ثلاثة وثلاثين، وتكبر الله ثلاثة وثلاثين، قال: فرجعت إلى أبي صالح فذكرت له ذلك فقال... الحديث.

وعلى رواية مسلم اقتصر صاحب «العمدة»، لكنَّ لم يوصل هذه الزيادة فإنه أخرج الحديث عن قتيبة، عن الليث، عن ابن عَجْلان ثم قال: زاد غير قتيبة في هذا الحديث عن الليث فذكرها.

قال الحافظ: والغير المذكور يحتمل أن يكون شعيب بن الليث، أو سعيد بن أبي مريم، لأنَّ أبا عوانة أخرجَه في «مستخرجه» عن الريبع

ابن سليمان عن شعيب، وأخرجه الجوزي والبيهقي من طريق سعيد.
قال: وتبين بهذا أن في رواية عياد الله بن عمر عن سمي في
حديث الباب إدراجاً، انتهى.

(فقال بعضنا: نسبح ثلاثةً وثلاثين، ونحمد ثلاثةً وثلاثين،
ونكبر أربعاً وثلاثين) هو قول بعض أهل سمي كما مر في رواية
مسلم، وتقدم احتمال كونه من كلام بعض الصحابة، وقد جاء مثل
هذا الاختلاف أيضاً في حديث أبي الدرداء عند النسائي، وكذلك عنده
أيضاً من حديث ابن عمر بسند قوي، ومثله لمسلم من حديث كعب
ابن عجرة، ونحوه لابن ماجه من حديث أبي ذر، لكن شك بعض
رواته في أنهن أربع وثلاثون، ويخالف ذلك ما في رواية أبي داود عن
أبي هريرة ففيها: (ويختتم المئة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له . . .)
إلخ، وكذا عند مسلم في رواية، فهذه زيادات من الثقات يجب
قبولها.

قال النووي: فينبغي أن يأتي الإنسان بثلاث وثلاثين تسبيحة،
وثلاث وثلاثين تحميد، وأربع وثلاثين تكبير، ويأتي بعد ذلك
بالتهليل المذكور، فيجمع بين الروايات.

وقال غيره: بل يجمع بأن يختتم مرة بزيادة تكبير، ومرة بلا إله
إلا الله، على وفق ما وردت به الأحاديث.

وقد وقع عند المصنف في (الدعوات): (تسبّحون عشرة،
وتحمدون عشرة، وتكبرون عشرة)، ويوافقه حديث عبد الله بن عمرو

مرفوعاً في «السنن»: «خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة وهو يسير، ومن يعمل بهما قليل، يسبّح الله في دُبُر كل صلاة عشرأً ويحمد عشرأً ويكبّر عشرأً» الحديث.

أي: والخصلة الثانية أنه (إذا أوى إلى فراشه سبّح ثلاثاً وثلاثين، وحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبّر أربعاً وثلاثين).

وقد جمع البغوي في «شرح السنة» بين هذا الاختلاف باحتمال أن يكون ذلك صدر في أوقات متعددة، أولها: عشرأً عشرأً، ثم إحدى عشرة إحدى عشرة، ثم ثلاثاً وثلاثين ثلاثاً وثلاثين، وبعضهم بأن الأمر في ذلك على سبيل التخيير، أو يفترق بافتراق الأحوال.

وقد جاء من حديث زيد بن ثابت وابن عمر: (أنه ﷺ أمرهم أن يقولوا كل ذِكْرٍ منها خمساً وعشرين، ويزيدوا فيها لا إله إلا الله خمساً وعشرين).

ولفظ زيد بن ثابت: (أمرنا أن نسبّح في دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبّر أربعاً وثلاثين، فأتي رجل في منامه فقيل له: أمركم محمد ﷺ أن تسبّحوا فذكره، قال: نعم، قال: اجعلوها خمساً وعشرين واجعلوا فيها التهليل، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: فافعلوا) أخرجه النسائي.

ولفظ ابن عمر: (رأى رجلٌ من الأنصار فيما يرى النائم) فذكر نحوه، وفيه: (فقيل: له سبّح خمساً وعشرين، واحمد خمساً وعشرين،

وكبر خمساً وعشرين، وهلل خمساً وعشرين، فتلك مئة)، وفيه: (فأمرهم النبي ﷺ أن يفعلوا كما قال) أخرجه النسائي أيضاً.

وأخرج أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (من سبع دُبُر كل صلاة مكتوبة مئة، وكبر مئة، وهلل مئة، وحمد مئة = غُفرت له ذنبه وإن كانت مثل زبد البحر).

وعند الطبراني في «الكبير» من حديث زميل الجهني، قال: (كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقول وهو ثانٍ رجله: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا، سَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ يَقُولُ: سَبْعِينَ بَسْعِيْعَ مَهْنَةً)، الحديث.

قال سُمي: (فرجعت إليه)، أي: إلى أبي صالح، (فقال)، أي: أبو صالح: (تقول: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّىٰ يَكُونَ مِنْهُنَّ كَلَّهُنَّ) بالجر تأكيداً للضمير المجرور (ثلاثةً وثلاثين)، وفي رواية: (ثلاثة وثلاثون) بالرفع، ووجهه أنه اسم يكون، (ومنهن كلهم) خبرها، ولا ضمير حيث ذُكر في (يكون)، ووجه النصب أن في (يكون) ضميراً مستتراً عائداً على العدد المفهوم، و(ثلاثة وثلاثين) هو الخبر، والمعنى: حتى يكون العدد منهن ثلاثة وثلاثين، وهو واضح خلافاً للزركشي حيث قال: إن رواية الرفع هي الوجه.

ومقتضاه أن رواية النصب لا وجه لها، قاله الدمامي.

وقول أبي صالح هذا، يقتضي أنه يأتي بالتسبيح والتحميد والتكبير مجموعاً ثلاثة وثلاثين مرة، فيأتي بها متعاطفةً بالواو وهو اختياره، لكن

الروايات الثابتة عن غيره أنه يأتي بكل واحد منها على انفراده ثلاثة وثلاثين، ورجحه القاضي عياض، ورجح بعضهم الجمع للإتيان فيه بواو العطف.

قال الحافظ: والذي يظهر أن كلاً من الأمرين حسن، إلا أن الإفراد يتميز بأمر آخر، وهو أن الذاكر يحتاج إلى العدد، وله على كل حركة لذلك سواء أكان بأصابعه أو بغيرها = ثواب لا يحصل لصاحب الجمع منه إلا ^{الثُّلُثُ}، انتهى.

واستنبط من الحديث أن مراعاة العدد المخصوص في الأذكار معتبرة، وإنما كان يمكن أن يقال لهم: أضيفوا إليها التهليل ثلاثة وثلاثين.

وقد كان بعض العلماء يقول: إن الأعداد الواردة كالذكر عَقِبَ الصلاة، إذا رتب عليها ثوابٌ مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور = لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص؛ لاحتمال أن تكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد.

بل بالغ القرافي في «قواعد» فقال: من البدع المكرورة الزيادة في المندوبات المحدودة شرعاً؛ لأن شأن العظماء إذا حدُوا شيئاً أن يوقفَ عنده، و يعدُّ الخارج عنه مسيئاً للأدب، انتهى.

وقد مثلَّه بعضُ العلماء بالدواء يكون فيه مثلاً أوقية سكر، فلو زيد فيه أوقية أخرى لخالف الانتفاع به، وبعضهم بأسنان المفتاح إذا زيد فيها لم يفتح.

وأفتى بعدم حصول الثواب لمن زاد الحافظُ ابن حجر.

قال القلقشندي : ونازعه الشيخ علاء الدين الأخ في ذلك ، قال : لأنَّ من أتى بالأكثر طابق وزاد ، وسبقه إلى ذلك الحافظ زين الدين العراقي ؛ أي : فإنه نظر في ذلك ، وقال : لأنَّه أتى بالمقدار الذي رُتب الثوابُ على الإتيان به ، فحصل له الثواب بذلك ، فإذا زاد عليه من جنسه كيف تكون الزيادة مزيلاً لذلك الثواب بعد حصوله ، انتهى .
وقال في «الفتح» : ويمكن أن يفترق الحال فيه بالنسبة ، فإن نوى بالانتهاء إليه امثأله الوارد ثم أتى بالزيادة ، فالأمر كما قال شيخنا العراقي لا محالة .

وإن زاد بغير نية بأن يكون الثواب رُتب على عشرة مثلاً فرتبه هو مئة ، فيتجه القول الماضي .

لكن ذكر في آخر كلامه ما يقتضي ما أفتى به ، وهو عدم الحصول مطلقاً ، فإنه قال مؤيداً لمثال الدواء والأذكار المتغيرة : إذا ورد لكلٍ منها عدد مخصوص ، فقد طلب الإتيان بجميعها متواالية ، فلا تحسن الزيادة على العدد المخصوص لِمَا في ذلك من قطع الموالاة ، لاحتمال أن يكون للموalaة في ذلك^(١) حكمة خاصة تفوت بفوائتها ، والله أعلم ، انتهى .

وقضية هذا أنه لولم يزد ، لكنه لم يوالِ لم يحصل الثواب المترتب عليها ، والله أعلم .

(١) «في ذلك» ليس في «و» .

وزاد مسلم في حديث الباب: قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلناه ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء»، وبين الحافظ أن هذه الزيادة مرسلة، قال: ورواهما البزار من حديث ابن عمر موصولة، قال: لكن إسناده ضعيف.

وكذا رواه جعفر الفريابي من حديث أبي ذر لفظه: (قال أبو ذر: يا رسول الله! ...). الحديث.

لكنها من رواية حرام بن حكيم بحاء وراء مهمليين، وهو يرسل عن أبي ذر.

قال: فعلى هذا لم يصح لهذه الزيادة إسناد، إلا أنها يقوى بها مرسل أبي صالح، انتهى.

قال ابن دقيق العيد: هذا الحديث تتعلق به المسألة المشهورة في التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر، وقد اشتهر فيها الخلاف، والفقراء قد ذكروا للنبي ﷺ ما يقتضي تفضيل الأغنياء بسبب القربات المتعلقة بالمال، وأقرّهم النبي ﷺ على ذلك، ولكن علمهم ما يقوم مقام تلك الزيادة، فلما قالها الأغنياء سأوا لهم فيها وبقي معهم رجحان قربات المال، فقال عليه الصلاة والسلام: «ذلك فضل يؤتى به من يشاء».

وكذا قال المهلب: في هذا الحديث فضل الغني نصاً لا تأويلاً، إذا استوت أعمال الغني والفقير فيما افترض الله عليهما، فللغني حيث

فضلُ عمل البر من الصدقة ونحوها، مما لا سبيل للفقير إليه.

قال : ورأيت بعض المتكلمين ذهب إلى أن هذا الفضل يخصُّ
القراء دون غيرهم ؛ أي : الفضل المرتب على الذكر المذكور .

قال : وغفل عن قوله في نفس الحديث : «إلا من صنع مثل
ما صنعتم» ، فجعل الفضل لقائله كائناً من كان .

وقال القرطبي : تأوّل بعضهم قوله : «ذلك فضل الله» بأن قال :
الإشارة راجعة إلى الثواب المرتب على العمل الذي يحصل به
التفضيل عند الله تعالى ، فكأنه قال : ذلك الثواب الذي أخبرتكم به لا
يستحقه أحد بسبب الذكر ، ولا بحسب الصدقة ، وإنما هو بفضل الله .

قال : وهذا التأوّل فيه بُعد ، وكذا قال ابن دقيق العيد : إنه تأوّل
مستكراً يُخرِجُه عن ظاهر الحديث القريب من النص أنه فضل الغنيّ .

قال : والذي يقتضيه الأصلُ تساويهما وحصول الرجحان بالعبادات
المالية ، فيكون الغنيُّ أفضَّل ، وذلك غيرُ مشكوكٍ فيه ، والذي يقطعُ
النظرُ فيه : إذا تساويا في أداء الواجب فقط ، وانفرد كل واحد بمصلحةٍ
ما هو فيه ، إما الصبر وإما الشكر ، فإذا تقابلتا فإنْ فُسِّرَ الفضلُ بزيادة
الثواب فالقياس أن المتعديَّ أفضَّل من القاصر ، وإنْ فُسِّرَ بالأشرف
بالنسبة إلى صفات النفس ، فالذي يحصلُ لها من التطهير للأخلاق
والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر أشرف ، فيترجَّحُ الفقر .

ومن ثمَّ ذهب جمهور الصوفية إلى ترجيح الفقير الصابر .

وقال ابن الجوزي : الصواب أن يقال : الفقر مصيبة من مصائب

الدنيا، والغنى نعمة من نعمها، وزانهما المرضُ والعافية، ففي المرض ثوابٌ وفضل، ولا يمنع ذلك من الاستعادة منه وسؤال العافية، فكذلك الغنى والفقر.

وقال القرطبي: الذي يظهر لي أن الأفضل ما اختاره الله لنبيه، ولجمهور صحابته، وهو الفقر غير المُدعَّع، ويُكفيك دليلاً أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنىائهم بخمس مئة عام، وأصحاب الأموال محبوسون على قنطرةٍ بين الجنة والنار يسألون عن فضول أموالهم، كما ثبت في «الصحيح»، قال: وفي المسألة للعلماء خمسة أقوال:

ثالثها: الأفضل الكفاف، رابعها: يختلف باختلاف الأشخاص، خامسها: التوقف.

وقال الحافظ: عقب ذكر جواب الكَرْماني السابق: وهو أن مقصودهم تحصيل الدرجات العلى لا نفي زيادتهم ... إلخ، والذي يظهر أن مقصودهم إنما كان طلب المساواة.

ويظهر أن الجواب؛ أي: بقوله: (ذلك فضل الله...) إلخ، وقع قبل أن يعلم بِعِلَّةِ أن متمني الشيء يكون شريكاً لفاعله في الأجر، كما سبق في (كتاب العلم) في الكلام على حديث ابن مسعود: «لا حسد إلا في اثنين»، فإن في رواية الترمذى التصريح بأن المنافق والمتمنى إذا كان صادقاً النية في الأجر سواء، وكذا قوله: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجره شيئاً»، فإن

القراء في هذه القصة كانوا السبب في تعلم الأغنياء الذكر المذكور، فإذا استووا معهم فيه امتاز القراء بأجر السبب مضافاً إلى التمني، فلعل ذلك يقارب التقرّب بالمال، وتبقى المقايسة بين صبر الفقير على شفف العيش - بمعجمة ثم ظاء مشالة مفتوحتين ؛ أي : مشقته - وشكر الغني على التنعم بالمال، فلذا وقع التردد في تفضيل أحدهما على الآخر.

قال : وستكون لنا عودةٌ إلى ذلك في الكلام على حديث : «الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر» في (كتاب الأطعمة) إن شاء الله تعالى ، انتهى .

لكن قال القلقشندى : وجزم شيخنا بأنه عليه السلام أجابهم بذلك قبل أن يعلم . . . إلخ ، يحتاج إلى نقل .

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم :

المسابقة إلى الأعمال الصالحة الممحصلة للدرجات العالية ، فإن الأغنياء لما سمعوا ذلك بادروا إليه وأقرّوا عليه ، وأن العمل السهل قد ينال به فضل العمل المشق ، وأن النفع القاصر قد يساوي المتعدي خلافاً لمن قال : إن المتعدي أفضل مطلقاً؛ لأنه عليه السلام قدّم هذا الذكر على الصدقة بالأموال ونحوها ، وجعل للفقراء المزية بقوله : (ولا يكون أحدٌ أفضل منكم . . .) إلخ . نبه على ذلك العز بن عبد السلام .

وفيه فضل الذكر عقب الصلوات .

واستدل به المصنف على فضل الدعاء عَقِبَ الصلاة، كما سيأتي في (الدعوات)؛ لأنَّه في معنى الذكر، ولأنَّها أوقات فاضلةٌ يرجى فيها إجابةُ الدعاء.

وأنَّ العالم إذا سُئل عن مسألة يقع فيها الخلاف يجيز بما يلْحُقُ به المفضولُ درجةَ الفاضل، ولا يجيز بنفس الفاضل، لِئَلَّا يقعُ الخلاف، قاله ابن بَطَّال.

قال الحافظ: ولعله أخذَه من كونه عليه الصلاة السلام أجاب بقوله: «أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى أَمْرٍ تَسَاوَنَهُمْ فِيهِ»، وعَدَلَ عن قوله: نعم، هُمْ أَفْضَلُ مِنْكُمْ، انتهى. وكأنَّه أشار بذلك إلى حديث ابن عمر: «أَدْرَكْتُمْ مِثْلَ فَضْلِهِمْ».

وفيه: التوسيعة في الغبطة وأنَّها غير مذمومة، بخلاف الحسد.

* * *

٨٤٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ وَرَادٍ كَاتِبِ الْمُغَيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: أَمَلَى عَلَيَّ الْمُغَيْرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدْدِ مِنْكَ الْجَدُّ».

وَقَالَ شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، بِهَذَا، عَنِ الْحَكَمِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ

مُخَيْرَةً، عَنْ وَرَادٍ، بِهَذَا.

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْجَدُّ: غَنِيٌّ.

وبالسند قال:

(حدثنا محمد بن يوسف)، هو الفريابي (قال: حدثنا سفيان)، هو الثوري، (عن عبد الملك بن عمير، عن وراد) - عند الإسماعيلي: (حدثني وراد) وهو بفتح الواو وتشديد الراء وآخره دال مهملة - (كاتب المغيرة بن شعبة)، بجر (كاتب) على الوصف أو البدل، وفي رواية: (كاتب للمغيرة الثقفي)، وكتيته أبو سعيد، ويقال: أبو الورد الكوفي، كاتب المغيرة بن شعبة ومولاه، وفد على معاوية بن أبي سفيان، وهو من الطبقة الثانية من التابعين، وذكره ابن حبان في «الثقة» ولم يذكروا له وفاة، وقال في «التقريب»: من الثالثة.

روى له الجماعة.

(قال: أملى على المغيرة بن شعبة) - وسقط (ابن شعبة) في رواية - (في كتاب) كتبه المغيرة (إلى معاوية)، يقال: أملى يملي، مثل أعطى يعطي، وأملأ يملأ مثل أجل يجّل، قال تعالى: «وَلَمْ يَلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحُقْقُ» [البقرة: ٢٨٢].

فيستفاد منه إملاء العالم العلّم على أصحابه ليقيندوه ويكتبوا.

وجواز العمل بالمكاتبنة في الرواية، وهو الصحيح عند المحدثين، سواءً اقتربت بالإجازة أم لا.

واعلم أن المغيرة كان أميراً إذ ذاك على الكوفة من قبل معاوية، ويأتي في (الدعوات) بيانُ السبب في ذلك، وهو أن معاوية كتب إليه: (اكتب إلى بحديث سمعته من رسول الله ﷺ)، ومثله في (القدر) وزاد: (يقول خلف الصلاة)، وفي آخره: (أن ورَاداً قال: ثم قدمتُ بعده على معاوية فسمعته يأمر الناس بذلك).

قال الحافظ: وزعم بعضهم أن معاوية كان قد سمع الحديث المذكور، وإنما أراد استثنات المغيرة.

واحتج بما في «الموطأ» من وجه آخر عن معاوية أنه كان يقول على المنبر: (أيها الناس، إنه لا مانع لما أعطي الله، ولا معطي لما منع الله، ولا ينفع ذا الجدّ منه الجدّ، من يُرِدُ الله به خيراً يفقهه في الدين، ثم يقول: سمعته من رسول الله ﷺ على هذه الأعواد)، انتهى.

قال القلقشندى: وفي الاحتجاج بهذا نظر، فإنه ليس فيه أنه سمعه يقول عَقِبَ الصلوات المكتوبات فكتب المغيرة إليه: (إن النبي ﷺ) - بكسر همزة (إن)، وفتحها في «اليونانية» - (كان يقول في دُبُرِ كُلِّ صلاة مكتوبة) - والمراد هنا عقب السلام منها كما مرّ - (لا إله إلا الله)، بالرفع على أنه خبر (لا)، أو على البدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر، أو من اسم (لا) باعتبار محله قبل دخولها خلاف مشهور.

(وحده لا شريك له)، ذكر بعد استفادة الحصر من الذي قبله، وهو (لا إله إلا الله) للتأكيد، وتكثير الحسنات للذاكر.

وقال ابن العربي: أتى به للإشارة إلى نفي الإعانة، فإن العرب كانت تقول: ليك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

(له الملك)، قال أبو الحسن الأخفش: يقال: مَلِكُ بَيْنَ الْمُلُكِ، بضم الميم، ومالك بَيْنَ الْمُلُكِ والمِلْكُ بفتح الميم وكسرها، وزعموا أنَّ الضَّمَّ لغةٌ في هذا المعنى، روى بعضهم لي: في هذا الوادي ملك، بالأوجه الثلاثة.

(وله الحمد)، زاد الطبراني من طريق أخرى عن المغيرة: (يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير) إلى (قدير)، ورواته موثقون.

(وهو على كل شيء قدير)، قال الفاكهاني: الظاهر أنَّ هذا العموم غير مخصوص، قال: وذهب بعضهم إلى أنَّه مخصوص من حيث إنَّ القدرة لا تتعلق إلا بالأسباب دون المستحيلات، والتقدير: وهو على كل شيء ممكن قدير.

قال: وهذا غلطٌ لأنَّه وقع الخلاف في الممكн المعدوم، هل يطلق عليه شيء حقيقة أم لا؟ فما ظنك بالمستحيل؟! انتهى.

ومذهبُ أهل السنة المنعُ، وذكر بعضُهم أنَّ عموماتِ القرآن التي لم يطرأْ عليها تخصيصُ أربع آيات، وهي: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾** [آل عمران: ١٨٥]، **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَزْقُهَا﴾** [هود: ٦]، **﴿وَاللَّهُ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ﴾** [البقرة: ٢٨٢]، **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [البقرة: ٢٨٤].

(اللهم لا مانع لما أعطيت)؛ أي: أردت إعطاءه، فإنَّ من أعطى شيئاً لا مانع له، إذ الواقع لا يرتفع.

(ولا مُعطِيَ لما منعت)؛ أي: الذي منعته.

قال الحافظ: واشتهر على الألسنة زيادة: (ولا رادَّ لما قضيت)، وهي في «مسند عبد بن حُميد» من رواية معمر، عن عبد الملك بن عمير بهذا الإسناد، لكن حذف قوله: (ولا معطي لما منعت).

قال القَلْقَشِنْدِي: فيستفاد منه الرُّدُّ على من أنكرَ ورود هذه الكلمة، ثم قال الحافظ: ووقع عند الطبراني تماماً من وجه آخر، كما سأذكره في (كتاب القدر)، ووقع عند أحمدَ والنَّسَائي: (أنه كان يقول الذِّكْر المذكورَ أولاً ثلث مرات)، انتهى.

وقال الزمخشري في «الفائق»: رُوي (أنطَيْتَ وَلَا مَنْطَيْتَ) بالنون فيهما، والإِنْطَاء الإِعْطَاء بلغة بني سعد، وقال في موضع آخر: إنها لغة أهل اليمن، انتهى.

واعلم أنه قد استشكل فتح العين في: (لا مانع)، والياء في (ولا معطي) بأن اسم (لا) إذا كان شبيهاً بالمضاف يُعرب ولا يُبني، كقولك لا خيراً من زيدٍ عندنا.

وأجيب بأنَّ البغداديين أجازوا ترك تنوين الاسم المطَوَّل، فأجازوا لا طالعَ جبلاً، أَجْرَوه في ذلك مَجْرِي المضاف، كما أُجري مَجْرِاه في الإِعْرَاب.

قال ابن هشام: وعلى ذلك يَتَخَرَّجُ الحديث، وتبعه الزَّرْكَشِي في

«تعليق العمدة»، ونقل ذلك في «المصايح».

ثم قال: قلت: بل يخرج على قول البصريين أيضاً، بأن يجعل (مانع) اسم (لا) مفرداً مبنياً معها، إما لتركيبه معها تركيب خمسة عشر، وإما لتضمينه معنى (من) الاستغرافية على الخلاف المعروف في المسألة، والخبر ممحظ؟ أي: لا مانع مانعٌ لما أعطيت، واللام للتقوية، فلك أن تقول: لا تتعلق، وكذا القول في: (ولا معطيٍ لما منعت)، وجواز الحذف ذِكْرٌ مثل الممحظ، وحسنَه دفع التكرار، فظاهر بذلك أن التنوين على رأي البصريين ممتنع.

قال: ولعل السر في العدول عن تنويته إرادة التنصيص على الاستغراق، ومع التنوين يكون الاستغراق ظاهراً لا نصاً.

فإن قلت: إذا نُونَ الاسم كان مطولاً (لا) عاملة، وقد تقرر أنها عند العمل ناصبةٌ على الاستغراق.

قلت: خَصَّ بعضُهم الاستغراق بحالة البناء من جهة تضمن معنى «من» الاستغرافية، ولو سَلِيمٌ ما قُلْتُه لم يتعيَّن عملُها في هذا الاسم المنصوب حتى يكون النص على الاستغراق حاصلاً؛ لاحتمال أن يكون منصوباً بفعل ممحظ؟ أي: لا نجد ولا نرى مانعاً ولا معطياً، فعدل إلى البناء لسلامته من هذا الاحتمال، انتهى.

(ولا ينفع ذا الجَدَّ منك الجَدُّ)، هو بفتح الجيم، وقال ابن عبد البر: رواه بعضهم بالكسر، وقال محمد بن جرير الطبرى^(١): هو بالفتح،

(١) في «و»، و«ن» «الطبراني».

وقاله أبو عمر الشيباني بالكسر، وهو خلاف ما يعرفه أهل النقل، قال:
ولا نعلم من قاله بالكسر غيره، انتهى.

ومعناه بالفتح الغنى، قاله الخطابي، ويقال: الحظ، وحکى
الراغب أنه أبو الأب؛ أي: لا ينفع أحداً نسبه، ومعناه بالكسر الاجتهاد؛
أي: لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده.
وأنكره أبو عبيده، وقال: قد أمر الله بالجذ والعمل، فكيف
لا ينفع؟

وردَّ ابن السَّيد بأن المعنى أن العبد لم يبلغ بجده وعمله دخولَ
الجنة إلا بفضل الله.

وقال الفَزَّاز في توجيهه إنكار الكسر ما حاصله: الاجتهاد في
العمل نافع؛ لأن الله قد دعا الخلق إليه، فكيف لا ينفع؟
وأجاب بأنه يحتمل أن يكون المرادُ الاجتهاد في طلب الدنيا
وتضييع أمر الآخرة.

وقيل: معناه الإسراع في الهرب؛ أي: لا ينفع ذا الإسراع في
الهرب منك هربه؛ لأنه في قبضتك وسلطانك.

وقال النَّووي في «شرح مسلم»: الصحيح المشهور الذي عليه
المتقدّمون والمتأخرُون أن (الجَدَّ) بالفتح، وهو الحَظُّ في الدنيا بالمال
والولد والعظمة والسلطان، والمعنى: لا ينجيه حَظُّه منك، وإنما
يُنجيه العمل الصالح لقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْبَنِينَ يُنَزَّلُونَ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٤٦] انتهى.

قال الخطابي: ولفظة (من) في قوله: (منك الجد) بمعنى البدل
كقول الشاعر:

فليت لنا من ماء زمزم شربةٌ
مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهِيَانِ
يريد ليت لنا بدل ماء زمزم، انتهى.

أي: فيكون المعنى أنه لا ينفع ذا الحظ حظه في الدنيا بذلك؛
أي: بدل طاعتك، أو بدل حظك؛ أي: بدل حظه منك، ومنه قوله
تعالى: «وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَكِيَّةً» [الزخرف: ٦٠].

والطهيان بفتحات وتحتانية بعد الهاء: خشبة يبرد عليها الماء.
وقال البكري: هو اسم ماء، وفي «المحكم». الطهنان بنون بعد
الهاء، وقال: هو اسم للبرادة.

وقال في «الصحاح»: (من) هنا بمعنى عند؛ أي: لا ينفع ذا
الغنى عندك غناه.

وجزم في «الفائق» بأنها للبدالية، ثم قال: ويجوز أن تكون على
معناها للابتداء، وتعلق إما بـ(ينفع) وإما بالجد، والمعنى أنَّ المجدودَ
منك الجد الذي منحته، وإنما ينفعه أن تمنحه التوفيق واللطف في
الطاعة، أو لا ينفع من جدك منك جده، وإنما ينفعه التوفيق منك.

وقال ابن دقيق العيد: قوله: (منك) يتعلق بـ(ينفع) وينبغي أن
يضمَّن (ينفع) معنى (يمنع) أو ما يقاربه، ولا يجوز أن يتعلق بـ(الجد)
على الوجه الذي يقال فيه: حَظِيَّ منك كثيرٌ أو قليل، بمعنى عنايتك بي
أو رعايتك لي، فإنَّ ذلك نافع، انتهى.

وجزم به بعضهم، وقال ابن التّين: الصحيح عندي أنها ليست بمعنى البَدْل ولا بمعنى عند، بل هي على بابها؛ أي: لا ينفع ذا المال منك ماله إن أردته بسوء، وجزم به ابن المُلَقْنَ في «شرحه على البخاري».

(وقال شعبة: عن عبد الملك) - زاد في رواية: (ابن نمير) - (بهذا)؛ أي: بهذا الذي رواه سفيان عن عبد الملك، وقد وصله السّرّاج في «مسنده» والطبراني وابن حبان من طريق معاذ بن معاذ، عن شعبة ولفظه: (عن عبد الملك بن عمير: سمعت وَرَاداً كاتب المغيرة ابن شعبة يحدّث^(١) أن المغيرة كتب إلى معاوية) فذكره.

وفي قوله: (كتب) تجويز لما تبيّن من رواية سفيان وغيره أن الكاتب هو وَرَاد، لكنه بأمر المغيرة وإملائه عليه.

وعند مسلم في رواية: (كتب المغيرة إلى معاوية)، كتب ذلك الكتاب له وَرَاد، فجمع بين الحقيقة والمجاز.

(وعن الحكم)، هو معطوف على قوله: (عن عبد الملك)، فهو من رواية شعبة عن الحكم، وهو ابن عُتيبة.

(عن القاسم بن مُخيمرة)، بالمعجمة مصغّراً، الهمذاني بالسكون، وكنيته أبو عروة الدمشقي.

(١) «يحدث» ليس في «و» و«ن»، والاستدراك من «صحيح ابن حبان»: (٤٣٩ / ٥).

قال ابن سعد: كوفي، ثقة، وكذا وثقه جماعة من الأئمة.
وقال يحيى بن معاين: ذهب إلى الشام، ولم نسمع أنه سمع من
أحد من أصحاب النبي ﷺ.

وقال ابن حبان: كان من خيار الناس، ومن صالحـي أهل الكوفـة، فانتقل منها إلى الشـام مـرابـطاً.

وذكره الوليد بن هشام لعمر بن عبد العزيز، فأرسل إليه، فدخل عليه فقال: سل حاجتك، قال: يا أمير المؤمنين! قد علمت ما في المسألة، قال: ليس أنا ذاك، إنما أنا قاسم، سل حاجتك. قال: تلحقني بالعطاء، قال: قد أحقناك في خمسين، فسل حاجتك، قال: تقضي عنِي ديني، قال: قد قضيَناه عنك، فسل حاجتك، قال: تحملني على دابة، قال: قد حملناك، فسل حاجتك، قال تلحق بنا في العيال، قال: قد أحقنا بنا في العيال، فسل حاجتك، قال: قد أحقني في العطاء وقضيت ديني، وحملت على الدابة، وألحقت البنات في العيال، فأي شيء بقي؟ قال: قد أمرنا لك بخادِم، فخذها من عند أخيك الوليد بن هشام.

وقيل عنه: لم يجتمع على مائتي لونان من الطعام قط، وما
أغلقت بابي قط ولني خلفه هم، وكان له شريك، وكان إذا ربع قاسم
شريكه ثم يقعد في بيته لا يخرج؛ أي: للتجارة حتى يأكله، وكان إذا
ووقيعه عند السيف كسرها ولم يبعها.

ومن كلامه: من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رحماً، أو تصدق به، أو أنفقه في سبيل الله = جمع ذلك كله في نار جهنم.

قال غير واحد: مات في خلاقة عمر بن عبد العزيز بدمشق، وقيل: سنة مئة، وقيل: سنة إحدى مائة، وعن الهيثم بن عدي أنه مات ستة إحدى عشرة مائة.

قال الذهبي: وهذا عندي أصحُّ، فإنَّ الأوزاعيَّ وسعيدَ بن عبد العزيز قد حملَا عنه، وإنما طلبَ العلمَ في حدود سنة عشر وبعدها، قال: وقد طلبَ الأوزاعيَّ قبلَ ذلك، فإنه قال: جلستَ إلى القاسم حين احتملتَ.

استشهد به البخاري في «الصحيح»، وروى له الباقيون. (عن ورَّاد بهذا) الحديثُ أيضًا، وتعليقُ شعبةَ عن الحَكَمِ وصله السَّراجُ والطبرانيُّ وابن حِبانَ أيضًا بالإسناد المذكور إلى شعبة، ولفظه كلفظ عبد الملك، إلا أنه قال فيه: (كان إذا قضى صلاتَه وسلَّمَ) فذكره. قال الحافظ: ووقع في رواية أبي ذر التعليقُ عن الحَكَمِ مؤخَّراً عن أثر الحسن. قال: وفي رواية كريمة بالعكس وهو الأصوب؛ لأنَّ قوله: (وَعَنِ الْحَكَمِ) معطوف على قوله: (عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ)، فهو من رواية شعبةَ عن الحَكَمِ أيضًا كما مرَّ؛ أي: وعلى رواية أبي ذر يكون قولهُ الحسن جملةً معتبرةً بين المعطوف والمعطوف عليه. (وقال الحسن: جَدُّ غَنَّيٍّ) اللفظتان منوتنان في «اليونينية».

قال الحافظ: الأولى في قراءة هذا الحرف أن يُقرأ بالرفع بغير تنوين على الحكاية، ويظهر ذلك من لفظ الحسن، فقد وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي رجاء، وعبد بن حُميد من طريق سليمان التميمي

كلاهما عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣]، قال: غنى ربنا، وعادة البخاري إذا وقع في الحديث لفظة غريبة وقع مثلها في القرآن = يحكي قول أهل التفسير فيها، وهذا منها.

ووقع في رواية كريمة: (قال الحسن: **الجَدُّ غَنِيٌّ**، وسقط هذا الأثر من أكثر الروايات، انتهى. وفي بعضها: **(الجَدُّ الغَنِيٌّ)**).

وفي هذا الحديث فوائد غير ما تقدم، منها: مشروعية هذا الذكر عقب الصلوات، لما اشتمل عليه من معاني التوحيد ونسبة الأفعال إلى الله تعالى، والمنع والإعطاء، وتمام القدرة، فيكون الاعتراف به عقب الصلاة أدعى لقبولها وأرجى لحصول المقصود، وعَظُمَ ثوابت هذا الذكر القليل مع خفته على اللسان لأجل مدلولاته؛ فإنها راجعة إلى الإيمان الذي هو أَجْلُ الأمور، ومشروعية التفويض إلى الله سبحانه، وأن الإعطاء والمنع بيده، وأن العمل لا أثر له إلا مع سبق العناية، وقد أدخله المصنف تبعاً لمالك في (كتاب القدر) وأخرجه أيضاً في (الدعوات).

* * *

يَسْتَقْبِلُ الْإِمَامُ النَّاسَ إِذَا سَلَّمَ

(بابٌ) بالتنوين : (يَسْتَقْبِلُ الْإِمَامُ النَّاسَ) - أي : بوجهه - (إذا سَلَّمَ) من الصلاة .

٨٤٥ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ ، عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا
صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوْجِهِهِ .

وبالسند قال :

(حدثنا موسى بن إسماعيل) التبؤذكي (قال : حدثنا جرير بن حازم) - بالمهملة والزاي - (قال : حدثنا أبو رجاء)، بتحريف الجيم
ممدوداً عمران بن ملحان، أو ابن تميم العطاردي، (عن سمرة بن جندي) (قال : كان النبي ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه)؛
معناه إذا صلى صلاةً ففرغ منها ضرورة أنه لا يتحول عن القبلة قبل
الفراغ، وأورده هنا مختصرًا، وسيأتي في أواخر (الجناز) مطولاً بهذا
السند، وظاهر سياقه أنه كان يواظب على ذلك .

قيل الحكمة فيه: أن يعلمُهم ما يحتاجون إليه، فعلى هذا يختصُّ
بمن كان في مثل حاله بِكُلِّهِ من قصد التعليم والموعظة.

وقيل: الحكمة فيه تعريفُ الداخِل بأن الصلاة انقضت؛ إذ لو
استمر الإمام على حاله لأوهم أنه في التشهد مثلاً.

وقال ابن المُنيَّر: استدبار الإمام المأمورين إنما هو لحق الإمامة،
فإذا انقضت الصلاة زال السبب، فاستقبالهم حينئذ يرفع الخيلاء
والترفعُ عليهم، انتهى.

* * *

٨٤٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ
كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ
الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ بِكُلِّهِ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْنِيَّةِ عَلَى
إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ الْلَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ
تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ
عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ
مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُؤْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ
بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ».

وبالسند قال:

(حدثنا عبد الله بن مسلم) القعنبي، وفي رواية: (قال عبد الله بن

مسلم)، (عن مالك) الإمام، (عن صالح بن كيسان، عن عبيدة الله بن عبد الله) الأول بالتصغير. (ابن عتبة) بضم المهملة وسكون الفوقة، (ابن مسعود، عن زيد بن خالد الجهنمي) رضي الله عنه (أنه قال: صلّى لنا)؛ أي: لأجلنا (رسول الله)، وفي رواية: (النبي) (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ الصَّبَرَةَ) بالحديبية)، بتخفيف الياء عند بعض المحققين، وهو الذي في «اليونينية»، وأكثر المحدثين يشددها، موضع على مرحلة من مكة سُميَّ ببئر هناك، وبه كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة سنة ست.

(على إثْر سَمَاءٍ)، بكسر الهمزة وإسكان الثاء المثلثة ويفتحها؛ أي: عَقِبَ، والسماء المطر.

(كانت) - أي: السماء - (من الليلة)، وفي رواية: (من الليل)، (فلماً انصرف)؛ أي: من الصلاة (أقبلَ على الناس) بوجهه الكريم (فقال) لهم: (هل تدرُّون ماذا قال ربكم)؟ استفهام على سبيل التنبيه والتعليم، (قالوا: الله ورسوله أعلم بما قال)، قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر)، إما أنه كُفُرٌ حقيقي لمقابلته بالإيمان، أو أنه اعتقاد ما يُفضي إلى الكفر.

(فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرِّنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بالكواكب)، وفي رواية: (وكافر) بالواو.

(وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرِّنَا بِنُؤْءِ كَذَا وَكَذَا)، بفتح النون وسكون الواو وفي آخره همزة؛ أي: بكواكب كذا وكذا، وفي رواية بإسقاط (مُطَرِّنَا).

(فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ) - وفي رواية: (ومؤمن) بزيادة واو العطف -
 (بالكوكب)، وسيأتي الكلام على الحديث في (كتاب الاستسقاء).
 وفيه: حكم من قال: (مطرنا بنوء، كذا).

* * *

٨٤٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، سَمِعَ يَزِيدَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَّسٍ قَالَ: أَخَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا صَلَّى أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَرَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا فِي صَلَاةٍ مَا انتَظَرْتُمُ الصَّلَاةَ.

وبالسند قال:

(حدثنا عبد الله بن مُنير)، بصيغة اسم الفاعل من أنار رباعياً، وفي رواية: (ابن المُنير) بالألف واللام، وسقط في رواية، نسبته لأبيه، أنه سمع يزيد بن هارون) - وسقط (ابن هارون) من رواية - (قال: أخبرنا حُمَيْدٌ؛ أي: الطويل، (عن أنس) - زاد في رواية: (ابن مالك) - (قال: أَخَرَ رَسُولَ اللَّهِ، وفي رواية: (النبي) (بِكِيرٌ الصَّلَاةُ) - أي: صلاة العشاء - (ذات ليلة)، هو من إضافة المسمى إلى اسمه، ولفظ ذات مقحّم، إلى شطر الليل، ثم خرج علينا، فلَمَّا صَلَّى) - أي: فرغ منها - (أَقْبَلَ علينا بِوَجْهِهِ) الشريف (فقال: إِنَّ النَّاسَ) - أي: الغير الحاضرين في المسجد - (قَدْ صَلَّوْا وَرَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ) - بالتون - (تَرَوْا فِي صَلَاةٍ) - أي: ثوابها - (مَا انتَظَرْتُمُ الصَّلَاةَ)؛ أي: مدة انتظارها.

وتقدم الكلام على هذا الحديث في (باب وقت العشاء إلى نصف الليل) وفي (باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة). وأحاديث الباب الثلاثة مطابقةٌ لما ترجم له، وأصرحُها حديث زيد بن خالدٍ لقوله فيه: (فلما انصرف أقبل على الناس).

* * *

مُكْثِ الْإِمَامِ فِي مُصَلَّاهُ بَعْدَ السَّلَامِ

(باب مُكْثِ الْإِمَامِ)، ضبط ميم (مكث) في «اليونانية» بالفتح والضم، (في مصَلَّاهُ بَعْدَ السَّلَامِ)؛ أي: وبعد استقبال القوم، فيلائم ما تقدم.

قال الحافظ: ثم إن المكث لا يقتيد بحال من ذِكْرِ أو دعاء أو تعليم أو صلاة نافلة، ولهذا ذكر في الباب مسألة طوع الإمام في مكانه، انتهى.

٨٤٨ - وَقَالَ لَنَا آدُمُ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَيْوَبَ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي فِي مَكَانِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ الْفَرِيضَةَ. وَفَعَلَهُ الْقَاسِمُ.

وَيُذَكِّرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفِعَهُ: لَا يَطْوَعُ الْإِمَامُ فِي مَكَانِهِ، وَلَمْ يَصِحَّ.

وبالسند قال:

(وقال لنا آدم)، قال الْكَرْمَانِي: لم يقل: حدثنا، لأنَّه لم يذكره

لهم نقاً وتحملاً، بل مذاكرةً ومحاورة، ومرتبته أحط درجةً من رتبة التحديث، وتبعه على ذلك البرماوي والعياني.

وقال الحافظ: هو موصول، وإنما عَبَر بقوله: (قال لنا) لكونه موقوفاً؛ مغایرةً بينه وبين المرفوع، هذا الذي عرفته بالاستقراء من صنيعه، وقيل: إنه لا يقول ذلك إلا مذاكرة، قال: وهو محتمل لكنه ليس بمطْرِد؛ لأنني وجدت كثيراً مما قال فيه قال لنا في «الصحيح» قد أخرجه في تصانيف أخرى بصيغة (حدثنا)، انتهى.

وتعقبه العيني بما حاصله أنه لا يلزم من كونه وجده . . . إلخ، أن يكون المؤلف أسنداً لهذا الأثر في تصنيف آخر بصيغة التحديث، انتهى.

ولعل العبارَة فيها قلب، وحقها لا يلزم من كونه وجده . . . إلخ، أن يكون حمل هذا بخصوصه على طريق المذاكرة، لا لكونه موقوفاً.

(قال: حَدَّثَنَا)، وفي رواية: (أَخْبَرَنَا) (شعبة) بن الحجاج، (عن أيوب) السَّخِيْتَانِي (عَنْ نَافِعٍ) مولى ابن عمر (قال: كان ابن عمر) ابن الخطاب (يصلِّي)؛ أي: النَّفْل (في مكانته الذي صَلَّى فيه الفريضة)، وفي رواية: فريضة وقد رواه ابن أبي شيبة من وجه آخر عن أيوب عن نافع قال: كان ابن عمر يصلِّي سبحة مكانته.

(وَفَعَلَهُ الْقَاسِمُ)؛ أي: ابن محمد بن أبي بكر الصديق، وقد وصله ابن أبي شيبة عن معتمر، عن عبيدة الله بن عمر قال: (رأيت القاسم وسالما يصلِّيان الفريضة ثم يتطَوَّعان في مكانتهما).

(ويُذكَر) - البناء للمفعول - (عن أبي هريرة) رضي الله عنه.

(رَفْعُه) قال الْكَرْمَانِي وَتَبَعَهُ الْبَرْمَاءِي وَالْعَيْنِي: مصدر مضاد للفاعل، وهو الضمير الراجع إلى أبي هريرة، ومفعوله هو جملة (لا يطُوع الإمام).

(في مكانه) و(رَفْعُه) مرفوعٌ بأنه مفعول مالم يسم فاعله، انتهى.
وضبطه في «اليونينية» بفتح الفاء والعين مصححاً عليه بتصحيفين، على أنه فعل ماضٍ؛ أي: والجملة في موضع الحال بتقدير قد.

وفسره الحافظ فقال: أي: قال فيه رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضبط في «اليونينية»: (لا يطُوع) بضم العين وكسرها.

قال الحافظ: وذكره المصنف بالمعنى ولفظه عند أبي داود: «أي عجز أحدكم أن يتقدم أو يتأخر أو عن يمينه أو عن شماليه». وعند البيهقي: «إذا أراد أحدكم أن يطُوع بعد الفريضة فليتقدم»، الحديث.

(ولم يصحّ)، هو كلام البخاري، وذلك لضعف إسناده واضطرابه، تفرد به ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، واختلف عليه فيه، وقال البخاري في «تاریخه»: لم يثبت هذا الحديث.

قال الحافظ: وفي الباب عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً بلفظ: «لا يصلِّي الإمام في الموضع الذي صلَّى فيه حتى يتَحول»، رواه أبو داود وإسناده منقطع.

وروى ابن أبي شيبة بإسناد حسن عن علي قال: مِنَ السَّنَةِ
لَا يَنْطَوِي الْإِمَامُ حَتَّى يَتَحَوَّلَ مِنْ مَكَانِهِ .
وَحَكَى ابْنُ قُدَامَةَ فِي «الْمَغْنِي» عَنْ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَرَهَ ذَلِكَ، وَقَالَ:
لَا أَعْرِفُهُ عَنْ غَيْرِ عَلَيِّ، فَكَانَهُ لَمْ يُثْبِتْ عَنْهُ حَدِيثٌ أَبْيَ هَرِيرَةَ وَلَا
الْمُغَيْرَةَ، وَكَانَ الْمَعْنَى فِي كُرَاهَةِ ذَلِكَ خَشْيَةُ التَّبَاسِ النَّافِلَةِ بِالْفَرِيضَةِ .
وَفِي «مُسْلِمٍ» عَنِ السَّائِبِ، عَنْ يَزِيدَ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ مَعَاوِيَةَ الْجَمْعَةِ
فَتَنَفَّلَ بَعْدِهِ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: إِذَا صَلَّيْتَ الْجَمْعَةَ فَلَا تَصْلِّهَا بِصَلَاتِكَ
حَتَّى تَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِذَلِكَ .

فِي هَذَا إِرْشَادٌ إِلَى طَرِيقِ الْأَمْنِ مِنِ الْالْتَبَاسِ، وَعَلَيْهِ تُحْمَلُ
الْأَحَادِيثُ الْمُذَكُورَةُ .

قَالَ: وَيُؤْخَذُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَدْلَةِ أَنَّ لِلْإِمَامِ أَحْوَالًا، لِأَنَّ الصَّلَاةَ
إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَا يُتَطَوَّعُ بَعْدَهَا أَوْ لَا يُتَطَوَّعُ .

الْأُولُى: اخْتَلَفَ فِيهِ؛ هُلْ يَتَشَاغِلُ قَبْلَ التَّطَوُّعِ بِالذِّكْرِ الْمَأْثُورِ ثُمَّ
يُتَطَوَّعُ؟ وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ عَمَلُ الْأَكْثَرِ، وَحَجَّتْهُمْ حَدِيثُ مَعَاوِيَةَ نَعْنَى
وَعَنْ الْحَنْفِيَّةِ يَبْدُأُ بِالْتَّطَوُّعِ .

قَالَ: وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ لَا يَتَعَيَّنُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ
بِالذِّكْرِ، بَلْ إِذَا تَنَحَّى مِنْ مَكَانِهِ كَفِىَ .

فَإِنْ قِيلَ: لَمْ يُثْبِتْ الْحَدِيثُ فِي التَّنَحِّيِ، قُلْنَا: قَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ
مَعَاوِيَةَ (أَوْ يَخْرُجُ)، وَيَتَرَجَّحُ تَقْدِيمُ الذِّكْرِ الْمَأْثُورِ بِتَقْيِيدهِ فِي الْأَخْبَارِ
الصَّحِيحةِ بِدُبُرِ الصَّلَاةِ .

وزعم بعض الحنابلة أن المراد بدبـر الصلاة ما قبل السلام، وـتـعـقـبـ بـحـدـيـثـ: ذـهـبـ أـهـلـ الدـثـورـ، فـإـنـ فـيـهـ: (تـسـبـحـونـ دـبـرـ كـلـ صـلـاـةـ)، وـهـوـ بـعـدـ السـلـامـ جـزـمـاـ، فـكـذـلـكـ ماـ شـابـهـ.

وـأـمـاـ الصـلـاـةـ الـتـيـ لـاـ يـتـطـوـعـ بـعـدـهـاـ، فـيـتـشـاغـلـ إـلـيـمـ وـمـنـ مـعـهـ بـالـذـكـرـ الـمـأـثـورـ، وـلـاـ يـتـعـيـنـ لـهـ مـكـانـ، بـلـ إـنـ شـاؤـواـ اـنـصـرـفـواـ وـذـكـرـواـ، وـإـنـ شـاؤـواـ مـكـثـوـاـ وـذـكـرـواـ.

وـعـلـىـ الثـانـيـ: إـنـ كـانـ لـلـإـلـمـ عـادـةـ أـنـ يـعـلـمـهـمـ أـوـ يـعـظـمـهـمـ فـيـسـتـحـبـ أـنـ يـقـبـلـ عـلـيـهـمـ جـمـيـعـاـ، وـإـنـ كـانـ لـاـ يـزـيدـ عـلـىـ الذـكـرـ الـمـأـثـورـ فـهـلـ يـقـبـلـ عـلـيـهـمـ جـمـيـعـاـ أـوـ يـنـفـتـلـ فـيـجـعـلـ يـمـيـنـهـ مـنـ قـبـلـ الـمـأـمـوـمـيـنـ وـيـسـارـهـ مـنـ قـبـلـ الـقـبـلـةـ وـيـدـعـوـ؟

الـثـانـيـ: هـوـ الـذـيـ جـزـمـ بـهـ أـكـثـرـ الشـافـعـيـةـ.

قـالـ: وـيـحـتـمـلـ إـنـ قـصـرـ زـمـنـ ذـكـرـ أـنـ يـسـتـمـرـ مـسـتـقـبـلـاـ لـلـقـبـلـةـ مـنـ أـجـلـ أـنـهـ أـلـيـقـ بـالـدـعـاءـ، وـيـحـمـلـ الـأـوـلـ عـلـىـ مـاـ إـذـاـ طـالـ الذـكـرـ وـالـدـعـاءـ، اـنـتـهـىـ.

* * *

٨٤٩ - حـدـثـنـاـ أـبـوـ الـوـلـيـدـ، حـدـثـنـاـ إـبـرـاهـيـمـ بـنـ سـعـدـ، حـدـثـنـاـ الزـهـرـيـ، عـنـ هـنـدـ بـنـ الـحـارـثـ، عـنـ أـمـ سـلـمـةـ: أـنـ النـبـيـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كـانـ إـذـاـ سـلـمـ يـمـكـثـ فـيـ مـكـانـهـ يـسـيرـاـ.

قـالـ أـبـنـ شـهـابـ: فـنـرـىـ - وـالـلـهـ أـعـلـمـ - لـكـيـ يـنـفـذـ مـنـ يـنـصـرـفـ مـنـ السـيـاـءـ.

٨٥٠ - وَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ: أَخْبَرَنَا نَافِعٌ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَعْفَرٌ بْنُ رَبِيعَةَ: أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ كَتَبَ إِلَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنِي هِنْدُ بْنَتُ الْحَارِثِ الْفِرَاسِيَّةِ، عَنْ أُمٍّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - وَكَانَتْ مِنْ صَوَاحِبَاتِهَا - قَالَتْ: كَانَ يُسَلِّمُ فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ، فَيَدْخُلُنَّ يُبَوَّهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْصَرِفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي هِنْدُ الْفِرَاسِيَّةِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي هِنْدُ الْفِرَاسِيَّةِ.

وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ: أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ: أَنَّ هِنْدَ بْنَتَ الْحَارِثِ الْقُرَشِيَّةِ أَخْبَرَتْهُ، وَكَانَتْ تَحْتَ مَعْبِدِ بْنِ الْمِقْدَادِ - وَهُوَ حَلِيفُ يَبْنِ رُهْرَةَ - وَكَانَتْ تَدْخُلُ عَلَى أَرْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَالَ شُعَيْبٌ: عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي هِنْدُ الْقُرَشِيَّةِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْقَنِ: عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ هِنْدِ الْفِرَاسِيَّةِ.

وَقَالَ الْلَّيْثُ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ حَدَّثَتْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَبِالسِنْدِ قَالَ:

(حدثنا أبو الوليد وهشام بن عبد الملك)؛ أي: الطيالبي، وسقط قوله هشام بن عبد الملك في رواية قال: (حدثنا إبراهيم بن

سَعْد) بسكون العين قال: (حدثنا الزُّهْرِي عن هند بنت) - وفي رواية: (ابنة) - (الحارث الفِرَاسِيَّة)، بكسر الفاء وبالسین المهمّلة نسبة إلى بني فراس بطن من كنانة، (عن أُمّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ) - أي: هند - (من صَوَّاحِبَتِهَا)؛ هي جمع صاحبة، فإنها تجمع جمع تكسير على صواب، كضاربة وضوارب، ثم جمعت جمع سلامة على صواحبات.

قال في «المصايح»: وهو مسموع في هذا اللفظ.
(قالت) أُم سَلَمَة: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْلِمُ)؛ أي: من الصلاة.

(فَيَنْصُرُفُ النِّسَاءُ فَيُدْخِلُنَّ بَيْوَتَهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْصُرُفُ رَسُولُ اللهِ ﷺ)، وأفادت هذه الرواية الإشارة إلى أقل مقدار كان يمكنه النبي ﷺ، قاله الحافظ.

(وقال ابن وهب: هو) عبد الله، (عن يُونس) بن يَزِيدَ، (عن ابن شهاب: أَخْبَرَتِي هند الفِرَاسِيَّة)، بالفاء أيضاً، وفي نسخة بهامش «اليونينية»: (القرشية)، وهذا وصله التَّسائِي عن محمد بن سَلَمَةَ عنه بالإسناد المذكور، ولفظه: (أَنَّ النِّسَاءَ كَنَّ إِذَا سَلَّمْنَ قُمْنَ، وَثَبَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ).

(وقال عثمان بن عمر) بن فارس البصري: (أَخْبَرَنَا يُونس) بن يَزِيدَ، (عن) ابن شهاب، (الزَّهْرِيُّ حَدَّثَنِي هند القرشية)، كذا في أكثر الروايات، وفي بعضها: (الفِرَاسِيَّة) بالفاء والسین المهمّلة، وهذا

يأتي موصولاً من طريقه بعد أربعة أبواب بلفظ النّسائي، إلا أنه لم يُنسّب هنداً فيه.

(وقال الزُّبيدي) محمد بن الوليد: (أخبرني الزُّهري أن هنداً) - بالصرف، وفي رواية: (هنداً) غير مصروف - (بنت الحارث القرشية أخبرته)؛ أي: الزُّهري، (وكانت تحت مَعْبَدَ بن المقداد) ابن الأسود الكندي، و(مَعْبَد) بميم مفتوحة فعين ساكنة فموحدة مفتوحة.

(وهو) - أي: المقداد - (حليف بني زهرة، وكانت تدخل على أزواج النبي ﷺ)، وهذا وصَلَه الطبراني في «مسند الشاميين» من طريق عبدالله بن سالم عنه بتمامه، وفيه: (أن النساء كنَّ يشهدن الصلاة مع رسول الله ﷺ، فإذا سَلَّمَ قام النساء فانصرفن إلى بيوتهن قبل أن يقوم الرجال).

(وقال شعيب)، هو ابن أبي حمزة، (عن الزُّهري: حدثني هندا القرشية)، بالقاف وبالشين المعجمة، (وقال ابن أبي عتيق)، هو محمد بن عبدالله بن أبي عتيق، واسمه محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، القرشي، التميمي، المدنى، أخوه عبد الرحمن، ذكره ابن حبان في «الثقات».

قال: وقال الْذَّهْلِي: ابن أبي ذئب وابن أبي عتيق مقاريان في الرواية عن الزُّهري، إلا أنَّ ابن أبي ذئب مشهور، روى عنه أهل الحجاز وأهل العراق.

قال : وأمّا ابن أبي عتّيق فلم يرو عنه فيما علمتُ غيرُ سليمانَ بنِ
بلال .

قال الْذَّهْلِي : وهو حسن الحديث عن الزهرى ، كثير الرواية ،
مقاربُ الحديث ، لو لا أن سليمان بن بلال قام بحديثه لذهب حديثه ،
إلى أن قال : فمدار حديث ابن أبي عتّيق على سليمان بن بلال ، ومدار
حديث سليمان على عبد الحميد بن أبي أوس ، ومدار حديث عبد
الحميد على أخيه إسماعيل بن أبي أوس ، وأيوب بن سليمان بن بلال
لم يذكروا له وفاة .

وقال في «التقريب» : مقبول من السابعة .

روى له البخاري مقوّناً بغيره ، وأبو داود والترمذى والنّسائي ،
وفي «الزهرة» روى عنه البخاري ثلاثة أحاديث ، انتهى .

(عن الزَّهْرِي عن هند) الفِراصِيَّة ، بالفاء والسين المهمّلة ، ورواية
شعيب وابن أبي عتّيق وصلهما الذهلي في «الزهريات» ، الأول من
طريق أبي اليمان ، عن شعيب ، والثاني من طريق إسماعيل بن أبي
أوس ، عن أخيه عبد الحميد ، عن سليمان بن بلال ، عن ابن أبي
عتّيق .

(وقال الليث) بن سعد : (حدّثني يحيى بن سعيد) ، هو
الأنصاري (حده) ؛ أي : الليث (عَنْ ابْنِ شَهَابٍ) ، وفي رواية : (حده
ابن شهاب) ، ورواية يحيى بن سعيد عن الزَّهْرِي من رواية الأقران .
(عن امرأة) - وفي رواية : (أن امرأة من قريش) ، هي هند بنت

الحارث المذكورة - (حدثه)؛ أي الزهري عن النبي ﷺ وحدثيث
الليث لم يصله في «الفتح»، وقال في «التعليق» وصله الذهلي في
«الزهريات» فقال: حدثنا عبدالله بن صالح أبو صالح، قال: حدثنا
الليث به، وهو غير موصول؛ لأن هنداً تابعية كما تقدم.

قال الحافظ: وكان التقصير فيه من يحيى بن سعيد.

قال الحافظ: ومراد البخاري بيان الاختلاف في نسب هندا، وأن
منهم من قال: الفراسية نسبة إلىبني فراس بكسر الفاء وتخفيض الراء
آخره مهملة، وهم بطن من كنانة.

ومنهم من قال: القرشية، فمن قال: إن كنانة جماع قريش فلا
مغایرة بين النسبتين، ومن قال: إن جماعها فهر بن مالك، فيحتمل أن
يكون اجتماع النسبتين لهندا على أن أحدهما بالأصلة والأخرى
بالمخالفة.

قال: وأشار البخاري برواية الليث إلى الرد على من زعم أن قول
من قال: القرشية تصحيف من الفراسية، بقوله فيه عن امرأة من قريش.
وقال الكرماني: قال الكلاباذي: قال جعفر بن أبي ربيعة وابن
أبي عتيق عن الزهري، وابن وهب عن يونس، عن الزهري:
[الفراسية)، وقال الزبيدي وشعيـب، عن الزهـري وعثمان بن عمر،
عن يـونـس، عن الزـهـري^(١): (القرشـية)، وقال: فيـ السـابـقـةـ: (ـ اـمـرـأـةـ
ـ مـنـ قـرـيـشـ)، اـنـتـهـىـ.

(١) ما بين معاوقيـنـ ليسـ فيـ «ـ وـ»ـ.

وفي الحديث مراعاة الإمام أحوال المأمورين، والاحتياط في اجتناب ما قد يُفضي إلى المحذور.

وفيه: اجتناب موقع التّهم، وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت، وأن النساء كن يحضرن الجمعة في المسجد، ويأتي لذلك باب مفرد قريباً.

* * *

مَنْ صَلَىٰ بِالنَّاسِ فَذَكَرَ حَاجَةً فَتَخَطَّاهُمْ

(باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم)، قال الحافظ: الغرض من هذه الترجمة بيان أن المكت المذكور في الباب الذي قبله محله ما إذا لم تدع حاجة إلى القيام.

٨٥١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلِيْكَةَ، عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِيْنَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعاً، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَّرِ نِسَائِهِ، فَفَرَّغَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئاً مِنْ تِبْرِ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ».

وبالسند قال:

(حدثنا محمد بن عبيد)، أي: ابن ميمون القرشي التيمي، أبو عبيد بن أبي عباد بفتح أوله والتشديد. (التَّبَان)، بفتح المثناة وتشديد الموحدة، ونسبة في «الترغيب» فقال: أي: ابن ميمون العلاف.

قال في «الفتح»: وثبت كذلك في رواية ابن عساكر؛ أي: فكان
كان يبيع التّين والعلف، وهو مولى هارون بن زيد بن المهاجر بن قنفذ
التميمي.

قال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في «الثقة» وقال: ربما
أنخطا.

لم يذكروا له وفاة. وقال في «النّقريب»: من العاشرة. روى عنه
البخاري وابن ماجه.

وقال في «تهذيب التهذيب»: وذكره أبو علي الغسّاني في شيخ
أبي داود.

(قال: حدثنا عيسى بن يونس) بن إسحاق السّيّعى أبو عمرو،
أو أبو محمد الكوفي، أخو إسرائيل بن يونس ويوسف بن يونس، رأى
جده أبا إسحاقَ ولم يسمعه، وروى عنه أبوه يونس وأئمّة جلّة،
وأجمعوا على جلالته وتوثيقه وارتفاع مرتبيه، وأثّنوا عليه.

وعن سليمان بن داود قال: كنا عند ابن عيّنة فجاء عيسى بن
يونس فقال: مرحباً بالفقيّه ابن الفقيّه، وكان من أصحاب
الأعمش الذي لا يفارقونه.

وقال أبو زرعة: كان حافظاً.

وقال أحمد بن حنبل وقد سئل عنه: ما عيسى ممّن يُسأله عنه،
وقيل له: إن فلاناً يتكلّم فيه، فقال: من كذّب أهل الصدق فهو
الكذّاب.

وقال محمد بن عمار الموصلي : هو أثبت من أخويه يوسف وإسرائيل ، وأثبتهم : عيسى ثم يوسف ثم إسرائيل .

وقال أحمد وقد سئل عنه وعن إسرائيل : ما أقربهما .

وقال علي بن المديني : جماعة من الأولاد أثبت عندنا من آبائهم ، منهم عيسى بن يونس ، وأقوالهم فيه كثيرة شهيرة .

قال حجّ الرشيد ومعه ابنه الأمين والمأمون ، فدخل الكوفة وقال لأبي يوسف : قل للمحدثين يأتونا فيحدثونا ، فلم يختلف عنه من شيوخ الكوفة إلا عبدالله بن إدريس وعيسى بن يونس ، فركب الأمين والمأمون إلى عبدالله بن إدريس فحدثهما بمئه حديث .

فقال المأمون : لابن إدريس : يا عمّ أتاذن لي أن أعيدها عليك من حفظي فأعادها كما سمعها ، وكان ابن إدريس من أهل الحفظ فعجب من حفظ المأمون .

وقال المأمون : يا عمّ إلى جانب مسجدك دار إن أذنت اشتريناها ووسّعنا بها المسجد ، فقال : مالي بهذا حاجة قد أجزأ من كان قبلني وهو يُجزياني ، فنظر إلى قُرْحٍ في يد الشيخ فقال : إن عندنا متطيّين وأدوية ، أفتاذن لي أن أعالجك ؟ قال : لا ، قد ظهر لي مثله وبرئ ، فأمر له بجائزه .

ثم صدرا إلى الشيخ عيسى بن يونس فحدثهما ، فأمر له المأمون بعشرة آلاف ، فأبى أن يقبلها ، فظنّ أنه استقلّها ، فأمر له بعشرين ألفاً ،

فقال عيسى : لا ولاء اهل ليلة ، ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ ،
ولو ملأت لي هذا المسجد إلى السقف ، فانصرف من عنده .

ولم يزل ساكناً بالكوفة ، ثم تحولَ إلى الثغر فنزل بالحدرة
بمهملتين مفتوحتين ثغر بناحية الشام .

قال أحمد بن جناب^(١) : غزا عيسى بن يونس خمساً وأربعين
غزوة ، وحجَّ خمساً وأربعين حجَّة ، كان سنةً في الحج وسنةً في
الغزو ، وتوفي بالحدث في خلافة هارون الرشيد أول سنة إحدى
وتسعين ومئة ، وقال جماعة : سنة سبع وثمانين ومئة ، وقال أبو داود
وغيره : سنة ثمان وثمانين ومئة في النصف من شعبان ، وقيل : سنة
سبعين وثمانين ومئة ، روى له الجماعة .

قال الخطيب : حدث عنه حمَّاد بن سَلَمَة والحسن بن عرفة ،
وبين وفاتهِما تسعون سنة .

وقال غيره : حدَّثَ عنه أبوه والحسن بن عرفة ، وبين وفاتهِما مئة
سنة .

(عن عمر بن سعيد) ، بضم عين عمر مكِّبَراً ؛ أي : ابن أبي
حسين المكي النوفلي .

(١) في «و» و«ان» : «عيسى بن خباب» ، والتصويب من «سير أعلام النبلاء»
٤٩٤ / ٨).

(قال: أخبرني ابن أبي مُلِيَّة) عبد الله بن عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ تَكْبِيرِ الْأَوْلَى
وتصغير الثاني .

(عن عقبة)، هو ابن الحارث التوفلي، وللمصنف في (الزكاة) من طريق آخر: أن عقبة بن الحارث حدّثه قال: (صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر، فسلم ثم قام)، وفي رواية: (قام) حال كونه (مسرعاً، فتحطى) - بغير همز؛ أي: تجاوز - (رقب الناس إلى بعض حُجَّر نسائه، ففزع الناس)، بكسر الزياء؛ أي: خافوا (من سرعته)، وكانت تلك عادتهم إذا رأوا منه غير ما يعهدونه، خشيةً أن ينزل فيهم شيءٌ يسوعهم .

(فخرج عليهم)، وفي رواية: (إليهم)؛ أي: من الحجرة، (فرأى أنهم عَجِبُوا)، وفي رواية: (قد عجبوا)، (من سرعته، فقال عليه الصلاة والسلام: ذكرت) - ضبطها في «اليونينية» بفتح الذال والكاف، وبضمها وكسر الكاف - (شيئاً من تبَرٍ عندنا) في رواية (الزكاة): (فذكرت تبراً من الصدقة) .

وفي (باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة) قبيل (باب السهو): ذكرت وأنا في الصلاة .

والتبَر بكسر المثناة وسكون الموحدة: ما كان من الذهب غير مضروب، وقد يقال في الفضة أيضاً .

وأطلقه بعضهم على جميع جواهر الأرض قبل أن تصاغ أو

تُضَرِّبُ، وَقِيلَ: هُوَ الْذَّهَبُ الْمَكْسُورُ.

(فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسْنِي)؛ أَيْ: يَشْغُلُنِي التَّفْكُرُ فِيهِ عَنِ التَّوْجِهِ
وَالِّإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَفَهْمُ ابْنِ بَطَالِ مَعْنَى آخَرَ، فَقَالَ فِيهِ: إِنْ تَأْخِيرُ الصَّدَقَةِ تَحْبِسُ
صَاحِبَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(فَأَمْرَتْ) - بِالْبَيْنَاءِ لِلْفَاعِلِ - (بِقَسْمِهِ)، بِكَسْرِ الْقَافِ وَبِمِثْنَاهُ فَوْقِيَّةٍ
قَبْلِ الْهَاءِ، وَفِي رَوَايَةِ: (بِقَسْمِهِ) بِفَتْحِ الْقَافِ وَبِدُونِ الْفَوْقِيَّةِ، وَفِي
رَوَايَةِ (الزَّكَاةِ): (فِي قَسْمِهِ).

وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ الْمَكْثَ بَعْدَ الصَّلَاةِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَإِنَّ
الْتَّخْطِيَ لِلْحَاجَةِ مُبَاحٌ، وَإِنَّ التَّفْكِرَ فِي الصَّلَاةِ فِي أَمْرٍ لَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّلَاةِ
لَا يَفْسُدُهَا وَلَا يَنْقُصُهَا مِنْ كَمَالِهَا، وَسِيَّاتِي لَهُ بَابٌ مُفْرَدٌ، وَإِنَّ إِنْشَاءَ
الْعَزْمِ فِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ عَلَى الْأَمْرَوْرِ الْجَائِزَةِ لَا يَضُرُّ.

وَفِيهِ: جُوازُ الْاسْتِنَابَةِ مَعَ الْقَدْرَةِ عَلَى الْمُبَاشِرَةِ.

* * *

الِّانْفِتَالِ وَالِّانْصِرَافِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ

وَكَانَ أَنَسُّ يَنْفَتِلُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، وَيَعِيبُ عَلَى مَنْ يَتَوَخَّى، أَوْ مَنْ يَعْمِدُ الِّانْفِتَالَ عَنْ يَمِينِهِ.

(باب الانفتال والانصراف عن اليمين والشمال)؛ أي: عن يمين المصلي وشماله.

قال ابن المُنْبَرُ: جمع في الترجمة بين الانفتال والانصراف؛ للإشارة إلى أنه لا فرق في الحكم بين الماكت في مصلاته إذا انتقل لاستقبال المأمورين، وبين المتوجّه لحاجته إذا انصرف إليها.

(وكان أنس) - زاد في رواية: (ابن مالك) - (ينفتل)؛ أي: ينصرف، (عن يمينه وعن يساره، ويَعِيب) - بفتح أوله - (على من يَتَوَخَّى)، بخاء معجمة مشددة؛ أي: يقصد ويتحرّى، (أو مَنْ يَعْمِد^(١)) الانفتال عن يمينه)، بفتح الياء من (يَعْمِد) وسكون العين وكسر الميم و(أو) شُكُّ من الراوي.

(١) في «ن» «تعميم»، وفي «و» «تعميد»، وجاء على هامش «و»: «تعميم» والمثبت من «صحيـح البخارـي» (١/٢٩١).

وفي رواية: (أو يعمد) بدون (من)، وفي رواية: (أي: من يعمد) فيكون تفسيراً من الراوي لـ (يتوخّى).

وقال القسطلاني: وفي رواية أبي ذر: (أو من تعمّد) بفتح المثناة الفوقية والعين والميم المشدّدة.

وأثر أنس وصله مُسَدَّد في «مستنده الكبير» من طريق سعيد عن قتادة قال: (كان أنس . . .) فذكره.

قال الحافظ: وظاهره يخالف ما رواه مسلم من طريق إسماعيل ابن عبد الرحمن السُّدِّي: (قال: سألت أنساً: كيف أنصرف إذا صليت عن يميني أو عن يساري؟ قال: أمّا أنا فأكثُر ما رأيت رسول الله ﷺ ينصرف عن يمينه).

قال: ويجمع بينهما بأن أنساً عابَ من يعتقد تحتم ذلك ووجوبه، وأمّا إذا استوى الأمران فجهة اليمين أولى، انتهى.

* * *

٨٥٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْأَنْسَوِدِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا يَجْعَلْ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ شَيْئاً مِنْ صَلَاتِهِ، يَرَى أَنَّ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ إِلَّا عَنْ يَمِينِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ كَثِيرًا يَنْصَرِفُ عَنْ يَسَارِهِ.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك

(قال: حَدَّثَنَا)، وفي رواية: (أَخْبَرَنَا) (شعبة) بن الحَجَّاج، (عن سليمان) هو الأعمش، (عن عُمارَة بْنَ عُمَيْر)، بضم العين فيهما، وفي رواية الطِّيالِسِي: (عن الأعمش سمعت عمارَة بْنَ عُمَيْر)، (عن الأسود) بن يزيد النَّخْعَي (قال: قال عبد الله)؛ أي: ابن مسعود رض: (لا يجعل) - وفي رواية: (لا يجعلنَّ) بزيادة نون تأكيد - (أَحْدُكُمْ للشَّيْطَانِ شَيْئاً مِنْ صَلَاتِه)، وفي رواية لمسلم: (جزءاً مِنْ صَلَاتِه).

(يَرِى) - بفتح أوله أي: يعتقد، ويجوز الضم أي: يظن - (أَنْ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصُرَفْ إِلَّا عَنْ يَمِينِه)، وجملة (يرى...) إلخ بيان للجَعْل المذكور، أو استئنافٌ بياني، كأنه قيل: كيف يجعل للشَّيْطَان شيئاً مِنْ صَلَاتِه؟ فقال: يَرِى... إلخ.

وقوله: (أَنْ لَا يَنْصُرَفْ) في موضع رفع خبر (أَنْ).

واستشكل بأنه معرفة؛ إذ تقديره عدم الانصراف، فقد صرَّح الزَّمَّخْشَري بتعريف مثله، فكيف وقع خبراً لـ(أَنْ)، واسمها نكرة؟ وأجيب بأن النكرة المخصوصة كالمعرفة، وأنه من باب القلب؛ أي: يرى أن عدم الانصراف حقٌّ عليه، قاله الْكَرْمَانِي وتبَعَه الْبِرْمَاوِي والحافظ.

(لَقَدْ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثِيرًا يَنْصُرَفُ عَنْ يَسَارِه)، ولمسلم: (أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْصُرَفُ عَنْ شَمَالِه).

قال الحافظ: فأما رواية البخاري فلا تعارضُ حديثَ أنس الذي أشرتُ إليه عند مسلم، وأما رواية مسلم - أي: هذه التي عن ابن

مسعود - ظاهرها التعارض؛ لأنَّه عَبَرَ في كلِّ منها بصيغة أ فعل .

قال النَّوويُّ : ويجمع بينهما بأنَّه ﷺ كان يفعل تارة هذا وتارة هذا، فأخبر كُلُّ منها بما اعتقد أنه الأكثُر ، انتهى .

قال : ويُمكِّنُ الجمعُ بينهما بوجهٍ آخر ، وهو أنَّ يُحمل حديث ابن مسعود على حالة الصلاة في المسجد؛ لأنَّ حُجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ كانت من جهة يساره ، ويُحمل حديث أنسٍ على ما سِوى ذلك كحال السَّفَرِ ، قال : ثم إذا تعارض رُجُحُ ابن مسعود؛ لأنَّه أعلمُ وأسنُ وأجلُّ ، وأكثُر ملازمةً للنَّبِيِّ ﷺ ، وأقربُ إلى موقفه في الصلاة من أنسٍ ، وبأنَّ في إسناد حديثِ أنسٍ مَنْ تَكَلَّمَ فيه ، وهو السُّدِّيُّ ، وبأنَّ حديث ابن مسعود يوافق ظاهر الحال؛ لكون الحجرة على جهة اليسار كما مرَّ .

قال : ثم ظهر لي أنه يمكن الجمعُ بينهما بوجهٍ آخر ، وهو أنَّ مَنْ كان أكثرُ انتراصافه عن يساره نظر إلى هيئته في حالة الصلاة ، ومن قال : كان أكثرُ انتراصافه عن يمينه نظر إلى هيئته في حالة استقباله القومَ بعد سلامه من الصلاة ، فعلى هذا لا يختصُّ الانصراف - أي : الذهاب - بجهة معينة .

ومن ثمَّ قال العلماء : يُستحبُّ الانصراف إلى جهةٍ خاصة ، لكن قالوا : إذا استوت الجهات في حَقِّه فاليمينُ أفضَلُ؛ لعموم الأحاديث المُصرّحة بفضل التِّيامن ، انتهى .

قال النَّوويُّ : وإنما كرهَ ابنُ مسعود أن يُعتقد وجوبُ الانصراف عن اليمين .

قال الحافظ : وهو موافقٌ للأثر المذكور أولاً عن أنس .

وقال في «المصابيح» : فيه أن المندوب ربما انقلب مكروهاً ، إذا خيف على الناس أن يرفعوه عن رُتبته .

وقد قال أبو عبيدة لمن انصرف عن يساره : وهذا أصابَ السنة ، ي يريد - والله أعلم - حيث لم يلزم التيامنَ على أنه سنةٌ مؤكدة أو واجب ، وإنما نَظَرَ أن التياسُرَ سُنَّةٌ حتى يكون التيامن بدعةً ، إنما البدعة في رفع التيامن عن رتبته ، وإليه ينظر مالكٌ من كراهة صيام الأيام الستة ، انتهى .

* * *

١٦٠ - باب

ما جاءَ فِي الثُّومِ النَّيِّ وَالبَصَلِ وَالْكُرَاثِ

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الثُّومَ أَوِ الْبَصَلَ مِنَ الْجُوعِ أَوْ غَيْرِهِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا».

(باب ما جاء في الثوم)؛ أي: أكله، وهو بضم المثلثة، ويقال فيه: فوم بالفاء، قال تعالى: ﴿وَفُومُهَا﴾ [البقرة: ٦١].

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (وَثُومُهَا)، وَقِيلَ: الْفُومُ بالفاء، الْحَنْطَة، وَقِيلَ: الْحِمْصُ، وَقِيلَ: الْحَبُوبُ.

(النَّيِّ) بـكسر النون بـعدها تـحتـانـيـة ثـم هـمـزـة مـمـدـوـدـة، وـقـد تـدـعـمـ، وـهـوـ مـجـرـورـ صـفـةـ لـلـثـومـ.

وـتـقـيـدـ المـصـنـفـ بـالـنـيـ حـمـلـ لـلـأـحـادـيـثـ الـمـطـلـقـةـ فـيـ الثـومـ عـلـىـ غـيـرـ النـضـيـجـ مـنـهـ.

(البصل والكراث) والمراد أـيـضاـ نـيـئـهـمـاـ.

قال الحافظ: لم يقع ذِكرُ الْكُرَاثِ فِي أَحَادِيثِ الْبَابِ الَّتِي ذُكِرَتْ، لـكـنـهـ أـشـارـ بـهـ إـلـىـ مـاـ وـقـعـ فـيـ بـعـضـ طـرـقـ حـدـيـثـ جـاـبـرـ كـمـاـ بـيـنـاـ ذـكـرـهـ، أي: فـيـمـاـ يـاتـيـ.

قال: وهذا أولى من قول بعضهم: إنه قاسه على البصل، ويحتمل أن يكون استنبط الـ**الـكـرـاثـ** من عموم **الـخـضـرـاتـ**، فإنه يدخل فيها دخولاً أولوياً؛ لأن رائحته أشد، انتهى.

قال الحافظ ما حاصله: هذه الترجمة والتي بعدها من أحكام المساجد، والترجم التي قبلها كلها من صفة الصلاة، لكن مناسبة هذه الترجم لما قبلها من جهة أنه بني صفة الصلاة على الصلاة في الجماعة، واقتضى كلامه فضل حضورها بطريق العموم، فناسب أن يورد فيه من قام به عارض؛ أي: يمنعه من حضورها، كأكل الثوم، ومن لا يجب عليه ذلك كالصبيان، ومن تُنْدَبُ له في حالة دون حالة النساء، فذكر هذه الترجم، فختم بها صفة الصلاة، انتهى.

(وقول النبي ﷺ) - بجر (قول) عطفاً على قوله: (ما جاء) - (من أكل الثوم والبصل من الجوع أو غيره فلا يقربن مسجدنا).

قال الحافظ: لم أر التقييد بالجوع وغيره صريحاً، لكنه مأخذٌ من قول الصحابي في بعض طرق حديث جابر وغيره، فعند مسلم من روایة جابر: (نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والـ**الـكـرـاثـ**، فغلبتنا الحاجة)، الحديث.

وعنه أيضاً من حديث أبي سعيد: (لم نَعْدُ أَنْ فُتُحَتْ خَيْرَ فَوْقَنَا فِي هَذِهِ الْبَقْلَةِ، وَالنَّاسُ جِيَاعٌ)، الحديث، انتهى.

واغترَّ ابن المُنْيَرَ بقول البخاري: (من الجوع أو غيره)، فظنه لفظَ حديث، كما سيأتي في كلامه، وليس كذلك، بل هو من تفهُّم البخاري

وتجویزه لذكر الحديث بالمعنى.

وقال ابن بطال: هذا يدلّ على إباحة أكل الثوم؛ لأن قوله: (من أكل) لفظُ إباحة.

وتعقبه ابن المنيّر بأن هذه الصيغة إنما تعطي الوجود لا الحكم، بدليل: (من غشنا فليس منا)؛ أي: من وُجد منه الأكل، وهو أعمُ من كونه مباحاً أو غير مباح، انتهى.

وسيأتي الدليل على عدم تحريمـه.

* * *

٨٥٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي نَافعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي غَزْوَةِ خَيْرٍ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا».

وبالسند قال:

(حدثنا مسدد)، هو ابن مسرهد (قال: حدثنا يحيى)، هو القطان، (عن عبيد الله)، هو ابن عمر (قال: حدثني نافع) مولى ابن عمر، (عن ابن عمر) بن الخطاب ﷺ:

(أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر)، قال الداودي: أي: حين أراد الخروج لها، أو حين قدم منها. وتعقب بأنه لا ضرورة تمنع أن يخبرهم بذلك في السفر، وبأنه قال ذلك وهو في نفس الغزارة. قال الحافظ: وكان الحامل للداودي على ذلك قوله في الحديث:

«فلا يقربن مسجدنا»؛ لأن الظاهر أنه مسجد المدينة، لكن حديث أبي سعيد عند مسلم دال على أن القول المذكور كان منه عَلَيْهِ السَّلَامُ عَقِبَ فتح خيبر، فعليه قوله: (مسجدنا) يريده به المكان الذي أُعدَ ليصلّي فيه مدة إقامته هناك، أو المراد الجنس، كما سيأتي، والغزوة كانت سنة سبع.
(من أكل من هذه الشجرة؛ يعني الثوم).

قال الحافظ: لم أعرف من قال: (يعني الثوم)، ويحتمل أن يكون عبيدا الله العمري، واستدل لذلك.

وفي قوله: (شجرة) مجاز؛ لأن الشجرة: ما له ساق، وما لا ساق له يقال له: نَجْمٌ، كما هو المعروف في اللغة، وبهذا فَسَرَ ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُان﴾ [الرحمن: ٦]، ومن أهل اللغة مَنْ قال: كُلُّ مَا نَبَتَ لَهُ أَرْوَمَةٌ؛ أي: أصل في الأرض بخلاف ما قُطِعَ منه = فهو شجر، وإلا فنجم، وقيل إنه يُطلق كُلُّ منها على الآخر، ونُطِقَ أَفْصَحُ الفصحاء به من أقوى الدلائل.

(فلا يقربن)، هو بفتح الراء، قال القاضي أبو بكر بن العربي: سمعت الشاشي يقول: إذا قيل: لا تقرَبْ بفتح الراء معناه: لا يتلبَّس بالفعل؛ أي: ويكون حينئذ متعدِّياً، وإذا كان بضم الراء فمعناه لا تَدْنُ؛ أي: ويكون قاصراً.

(مسجدنا) المراد به الجنس، والإضافة لل المسلمين؛ أي: فلا يقرب مسجد المسلمين، ويعوده روایة أَحْمَد: «فلا يقربن المساجد»، وروایة مسلم: «فلا يأتين المساجد»، وهي روایة الْكُشْمِيْهْنِي وَأَبِي

الوقت في الحديث الذي بعده، وهذا يدفع قولَ من خَصَّ النَّهَيَ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَّلَهُ بِأَنَّهُ كَانَ مَهْبِطَ الْمَلَكَ بِالْوَحْيِ.

وفي «مصنف عبد الرزاق» عن ابن جُريج قال: قلت لعطاً: هل النَّهَيُ لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ خَاصَّةً أَوْ فِي الْمَسَاجِدِ؟ قال: بَلْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَالْعُلَمَاءُ الصَّحِيحَةُ هِيَ إِمَّا تَأْذِيُ الْأَدْمِينَ، أَوْ تَأْذِيُ الْمَلَائِكَةَ الْحَاضِرِينَ، وَذَلِكَ مُوجَدٌ فِي الْمَسَاجِدِ كُلَّهَا.

قال الحافظ: وَحَكَمَ رَحْبَةُ الْمَسَاجِدِ وَمَا قَرُبَ مِنْهَا حُكْمُ الْمَسَاجِدِ، وَلَذِلِكَ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا وَجَدَ رِيحَهَا فِي الْمَسَاجِدِ أَمْرٌ بِالْخَرَاجِ مَنْ وُجِدَتْ مِنْهُ إِلَى الْبَقِيعِ، كَمَا ثَبَّتَ فِي «مُسْلِمٍ» عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * *

٨٥٤ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءً قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يُرِيدُ الثُّومَ - فَلَا يَغْشَانَا فِي مَسَاجِدِنَا»، قُلْتُ: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مَا أَرَاهُ يَعْنِي إِلَّا نَيْئَهُ. وَقَالَ مَخْلُدُ بْنُ يَزِيدَ: عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ إِلَّا نَيْئَهُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ: عَنِ ابْنِ وَهْبٍ: أُتَيَ بِسِدْرٍ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَعْنِي طَبَقاً فِيهِ خَضْرَاتٌ. وَلَمْ يَذْكُرِ الْلَّيْثُ، وَأَبُو صَفْوَانَ، عَنْ يُونُسَ قِصَّةَ الْقِدْرِ، فَلَا أَدْرِي هُوَ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَوْ فِي الْحَدِيثِ.

وبالسند قال :

(حدثنا عبد الله بن محمد)، هو المُسْنَدِي (قال حدثنا أبو عاصم)، هو النبيل، وهو شيخ البخاري، وربما روى عنه بواسطة كما هنا.

(قال: أخبرنا ابن جُرِيج) عبد الملك بن عبد العزيز (قال: أخبرني عطاء)، هو ابن أبي رباح (قال: سمعت جابرَ بن عبد الله الأنصاريَ رض قال: قال النبي صل: من أكل هذه الشجرة؟ يزيد الثوم).

قال الحافظ: لم أعرف من فسّره أيضاً، وأظنه ابن جُرِيج، قال: لأن الزُّهري في الرواية الآتية بعد هذه رواه عن عطاء فجزم بذكر الثوم، على أن يحيى القطّان رواه عن ابن جُرِيج بلفظ: «من أكل من هذه البقلة الثوم»، وقال مَرَّةً: «من أكل البصل والثوم والكُراث».

ورواه أبو الزبير عن جابر بلفظ: (نهى النبي صل عن أكل البصل والكُراث)، قال: ولم تكن بيلدنا يومئذ الثوم، أخرجه ابن خزيمة.

قال: ولا ينافي التفسير المتقدم؛ إذ لا يلزم من كونه لم يكن بأرضهم أَلَّا يُجلبُ إليهم، حتى ولو امتنعَ هذا الحمل لكانَت رواية المُثبِّت مقدمةً على رواية النافي، انتهى.

(فلا يغشانا)، بصيغة النفي التي يراد بها النهي.

قال الكرماني: أو على لغة مَنْ يُجري المُعْتَلَ مُجْرِي الصَّحِيفَ، أو أشبع الرواية الفتحة فتوَلَّتَ الأَلْفَ بعد سقوط الأَلْفَ الأَصْلِيَّةَ

للحاجز، وصدر الْكَرْمَانِي أولاً بقوله: (فلا يغشنا)، ولم أر هذه الرواية في شيء من الأصول، والمراد بالغشيان الإitan.

(في مسجدنَا)، وفي رواية: (مساجدنَا) بصيغة الجمع، وعزها في «الفتح» للكشْمِيني وأبي الوقت.

(قلت: ما يعني به)؛ أي: أضيّجاً أم نيّاً؟

قال الحافظ: أظن القائل ابن جرير، والمقال له عطاء، وفي «مصنف عبد الرزاق» ما يرشد إلى ذلك.

قال: وجزم الْكَرْمَانِي بأن القائل عطاء، والمسؤول جابر، وعلى هذا فالضمير في قوله:

(قال: ما أرَاه يعني) النبي ﷺ، وهو بضم الهمزة؛ أي: أظنه، انتهى.

(إلا نيئه) تقدم ضبطه. (وقال مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدٍ)، بفتح الميم واللام بينهما معجمة ساكنة، و(يزيد) من الزيادة، كُنْيَتُه أبو يحيى أو أبو خِرَاش، ويقال: أبو خالد، وقيل: غير ذلك، القرشي، الْحَرَانِي، كان فاضلاً كبير السن، وثقة ابن معين وأبو داود وغيرهما.

وقال أحمد: لا بأس به، وكان يَهُمُّ، وكان من شيوخ أحمد، وأنكر عليه أبو داود حديثاً وصله.

قال في «المقدمة»: أخرج له البخاري أحاديث قليلة من روايته عن ابن جرير توبع عليها.

مات سنة ثلاثة وسبعين ومئة، روى له الجماعة سوى الترمذى.

(عن ابن جرير إلا نتنه)، بفتح النون وسكون المثناة بعدها نون أخرى؛ أي : قال : بدل (إلا نئه) (إلا نتنه) وهو الرائحة الكريهة.

قال الحافظ : ولم أجد طريق مَخْلَد هذه موصولة بالإسناد المذكور، وقد أخرج السَّرَّاج في «مسنده» حديث أبي كُرُبَيْ : حدثنا مَخْلَد بن يزيد، عن ابن جُرِيْحَ، عن أبي الزَّبِيرِ، عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ عن أكل الْكُرَاثِ، فلم ينتهوا ولم يجدوا من ذلك بُدَّاً، فوْجَدَ رِيَحَهَا فَقَالَ : أَلَمْ أَنْهَكُمْ عَنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الْخَبِيثَةِ أَوْ الْمُنْتَنَةِ، مَنْ أَكَلَهَا فَلَا يَغْشَنَا فِي مَسْجِدِنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنَادِي مَا يَتَأْذِي مِنْهُ إِلَّا سَانَ.

قال : وليس فيه المقصود من التعليق المذكور ، فإن كان وأشار إلى قوله : (أو المتننة) ، وإلا فما أظنه إلا تصحيفاً ، انتهى .

وفي بعض طرقه تفسير النيء بأنه الذي لم يُطبخ وهو حقيقة ، وقد يُطلق على أعمّ من ذلك وهو ما لم ينضج ، فيدخل فيه ما طُبَخَ قليلاً ولم يبلغ النضجَ .

واعلم أن حديث جابر هذا إلى قوله : (إلا نتنه) وقع مقدماً على حديث ابن عمر قبله في أصول صحيحة ، وعلى أولهما في «اليونينية» علامه التقديم والتأخير ، ورمز عليها علامه أبي ذر .

* * *

٨٥٥ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: زَعَمَ عَطَاءً: أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ زَعَمَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلَيَعْتَزِلْنَا - أَوْ قَالَ - فَلَيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِقِدْرٍ فِيهِ خَضِرَاتٍ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ فَأَخْبَرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ، فَقَالَ: «قَرْبُوْهَا» إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ: «كُلْ فَإِنِّي أَنَّاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي».

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ بَعْدَ حَدِيثِ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: وَهُوَ يُبَيِّنُ قَوْلَ يُونُسَ.

وبالسند قال:

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ) هو عبد الله المصري، (عن يونس) هو ابن يزيد، (عن ابن شهاب) الزهري قال: (زعم عطاء)، هو ابن أبي رباح، وفي رواية: (عن عطاء)، ولمسلم من وجه آخر: (عن ابن وهب: حدثني عطاء)، (أن جابر بن عبد الله زعيم).

قال الخطابي: لم يقل زعم على وجه التهمة، لكنه لمّا كان أمراً مختلفاً فيه، أتى بلفظ الزعم؛ لأن هذه اللفظة لا تقاد تستعمل إلا في أمرٍ يُرتاب فيه أو يختلف فيه، انتهى.

وقد مرّ أنه يستعمل في القول المحقق، وكلام الخطابي لا ينفي ذلك، قاله الحافظ.

(أن النبي ﷺ قال: من أكل ثوماً أو بصلًا فليعتزل)، أي: فليعتزل الصلاة والحضور معنا.

(أو قال: فليعتزل مسجدنا)، شَكَ الزُّهْرِيُّ، وفي رواية: (أو فليعتزل) بإسقاط (قال)، وفي أصل صحيح: (أو ليعتزل).

(وليقعُد في بيته)، وفي رواية: (أو ليقعد) بالشك أيضًا، والأولى لمسلم، وهي أخص من الاعتزال؛ لأنَّه أعم من أن يكون في البيت أو غيره، والمراد بالقعود فيه الإقامة والإمساك عن الحضور لا حقيقة، ويكون أكله حينئذ عذرًا له عن التخلف.

(وأن النبي ﷺ).

قال الحافظ: هذا حديث آخر، وهو معطوف على الإسناد المذكور، والتقدير: وحدثنا سعيد بن عُفَيْر بإسناده (أن النبي ﷺ أتى... إلخ).

قال: وهذا الثاني كان متقدماً على الحديث الأول بست سنين؛ لأنَّ الأول تقدم في حديث ابن عمر وغيره أنه وقع منه ﷺ في غزوة خير، وكانت سنة سبع، وهذا الثاني وقع في السنة الأولى عند قدومه ﷺ المدينة ونزوله في بيت أبي أيوب، كما سأبینه، انتهى.

(أُتَى) - ببنائه للمفعول - (يَقْدُرُ)، بكسر القاف: ما يُطبخ فيه، ويجوز تذكيره وتأنيثه، وتأنيثه أشهر، ولهذا أعاد الضمير على القدر مؤنثاً، حيث قال: (فأخبر بما فيها)، وحيث قال: (قربوها)، والضمير المذكور في قوله: (فيه خَضْرَاتٍ) عائد على الطعام الذي في القدر،

والتقدير: أُتَيَ بِقُدْرٍ مِنْ طَعَامِهِ فِي خَضِرَاتٍ، قَالَهُ فِي «الْفَتْحِ».
وَجَوَزَ ابْنُ الْمُلْقَنَ عَوْدَ الضَّمِيرِ الْمُذَكَّرِ عَلَى الْقِدْرِ إِذَا قَلَّنَا: إِنَّهُ
مُذَكَّرٌ، وَعَوْدٌ الضَّمِيرُ الْمُؤْنَثُ فِي قَوْلِهِ: (قَرْبُوهَا) عَلَى الْخَضِرَاتِ أَوْ
الْبَقْوَلِ، ثُمَّ قَالَ: الْأَوْلَى عُودُهُ عَلَى الْبَقْوَلِ لَأَنَّهَا أَقْرَبُ.

وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ: الضَّمِيرُ فِي (قَرْبُوهَا) إِمَامًا لِلْخَضِرَاتِ، وَإِمَامًا لِلْبَقْوَلِ،
وَإِمَامًا لِلْقِدْرِ؛ لَأَنَّهُ قَدْ يُؤْنَثُ، انتهَى.

(فِي خَضِرَاتٍ): أَيِّ: بَقْوَلُ خَضِرَاتٍ، وَهِيَ بِمَعْجَمَتَيْنِ، فَإِنْ
ضُمِّنَتِ الْأُولَى فَتَحَّتِ الْثَانِيَةُ، وَهِيَ رَوْاْيَةُ أَبِي ذِرٍ، وَإِنْ فَتَحَّتِ الْأُولَى
كَسَرَتِ الْثَانِيَةُ وَهِيَ رَوْاْيَةُ غَيْرِهِ، وَأَنْكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْلُّغَةِ فَتْحَ الْخَاءِ،
وَيَجُوزُ مَعَ ضَمٍّ أَوْلَهُ وَضَمِّ الضَّادِ وَتَسْكِينِهَا، وَهِيَ جَمْعُ خُضْرَةِ بَضْمِ
الْخَاءِ وَسَكُونِ الضَّادِ، أَوْ بَفْتَحِهَا وَكَسْرِ الضَّادِ؛ أَيِّ: غَضَّةٌ، بِمَعْجَمَتَيْنِ،
يُقَالُ: بَقْلَةٌ خُضْرَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجَنَا مِنْهُ خَضْرَةً﴾ [الْأَنْعَامُ: ٩٩].

(مِنْ بَقْوَلِ)، جَمْعُ بَقْلٍ، وَهُوَ كُلُّ نَبَاتٍ اخْضُرَتْ بِهِ الْأَرْضُ،
وَالْمَرَادُ هُنَا مَا لَهُ رَائِحةٌ كَرِيئَةٌ مِنْ ثُومٍ أَوْ بَصْلٍ وَنَحْوِهِمَا، بَدْلِيلُ قَوْلِهِ.
(فُوْجِدَ لَهَا رِيحًا)، أَمَّا مَا لَا رَائِحةٌ لَهُ فَقِيلٌ: يُسْتَحْبِبُ إِحْضَارُهُ الْمَائِدَةَ؛
لِحَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ مَرْفُوعًا: (أَحْضِرُوهَا مَوَائِدَكُمُ الْبَقْلَ فَإِنَّهُ مَطْرَدٌ لِلشَّيْطَانِ
مَعَ التَّسْمِيَةِ)، وَهَذَا الْحَدِيثُ أُورَدَهُ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي «الْمَوْضِعَاتِ»،
وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِ فِي «الْمَدْخُلِ»: قِيلٌ: إِنَّهُ يُنْفِي الْجَانَّ أَوْ الشَّيْطَانَ.

(فَسْأَلَ، فَأُخْبِرَ) - بِالْبَنَاءِ لِلْمَفْعُولِ - (بِمَا فِيهَا) - أَيِّ: الْقَدْرُ - (مِنْ

البِقول، فَقَالَ، وَفِي رِوَايَةَ: (قَالَ): (قَرِبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ).

قَالَ الْكَرْمَانِي: هُوَ نَقْلٌ بِالْمَعْنَى، إِذَا النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَقُلْ بِهِذَا الْلَّفْظِ، بَلْ قَالَ: قَرِبُوهَا إِلَى فَلَانَ مَثَلًا، أَوْ فِيهِ حَذْفٌ؛ أَيْ: قَالَ: قَرِبُوهَا مُشِيرًا أَوْ إِشَارَةً إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ، اِنْتَهَى.

وَوَقَعَ فِي «شِرْحِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ»: (إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِيِّ) بِالْيَاءِ وَلَا إِشْكَالٌ فِيهِ.

قَالَ الْحَافِظُ: وَالْمَرَادُ بِالْبَعْضِ: أَبُو أَيُوبُ، فَفِي «صَحِيفَةِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُوبَ فِي قَصْةِ نَزْوَلِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، فَإِذَا جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ - أَيْ: بَعْدَ أَنْ يَأْكُلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ - سُأْلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصْبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَنَعَ ذَلِكَ مَرَةً فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، وَكَانَ الطَّعَامُ فِيهِ ثُومٌ، فَقَالَ: أَحْرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَكْرَهَهُ، اِنْتَهَى. وَتَعَقِّبَهُ الْقَلْقَشَنْدِيُّ فَقَالَ: فِي الْإِسْتِدَلَالِ بِهِذَا عَلَى مَا جَزَمَ بِهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى.

(فَلَمَّا رَأَاهُ)، أَيْ: فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ ذَلِكَ الْبَعْضَ. قَالَ الْبِرْمَاءُ: فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ جَمْلَةٌ؛ أَيْ: فَقَرِبُوهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ . . . إِلْخَ.

(كَرِهَ أَكْلَهَا، قَالَ): وَفِي رِوَايَةَ: (فَقَالَ): (كُلُّ، فَإِنِّي أَنْاجِي مَنْ لَا تَنْاجِي)، أَيْ: أُسَارِرُ مَنْ لَا تَسْأَرُ؛ أَيْ: الْمَلَائِكَةُ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَيُوبَ عَنْ أَبِنِ خُزِيمَةَ وَابْنِ حِبَانَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ

أن رسول الله ﷺ أرسل إليه بطعم من خُضْرة فيه بصل أو كُرَاث، فلم ير فيه أثر رسول الله ﷺ فأبى أن يأكل، فقال له: «ما معك؟»، قال: لم أر أثراً يدِكَ، قال: «أستحي من ملائكة الله، وليس بمحرّم».

ولهما من حديث أمّ أيوب قالت: نزل علينا رسول الله ﷺ فتكلّفنا له طعاماً فيه بعض البقول، فذكر الحديث نحوه، وقال فيه: «كلوا، فإنّي لست كأحدٍ منكم، إنّي أخاف أن أؤذّي صاحبي».

(وقال أحمد بن صالح) المصري شيخ المصنف، (عن ابن وهب: أتى بِبَدْر)، بفتح المودحة وسكون الدال المهمّلة آخره راء، (قال ابن وهب) في تفسير بدر: (يعني طبقاً)، سُمِّي بذلك لاستدارته تشبيهاً له بالقمر عند كماله. (فيه خَضِّرات) ومراده أنّ أحمد بن صالح خالف سعيد بن عُفَيْر في هذه اللفظة فقط، وشاركه في سائر الحديث عن ابن وهب بإسناده المذكور، وقد أخرجه البخاري في (الاعتصام) قال: (حدثنا أحمد بن صالح) فذكره بلفظ: (أتى بدر) وفيه قول ابن وهب: يعني طبقاً فيه خَضِّرات.

واعلم أنّ روایة مسلم: (بقدر) بالقاف، ورجح جماعة من الشرّاح روایة أحمد بن صالح لكون ابن وهب فسر البَدْرَ بالطبق، فدلّ على أنه حدث به كذلك، وزعم بعضهم أن لفظة (بقدر) تصحيف؛ لأنّها تشعر بالطبع، وقد ورد الإذن بأكل هذه البقول مطبوخة، بخلاف الطبق فظاهره أنّ البقول كانت فيه نية.

قال الحافظ: والذى يظهر لي أن رواية القدر^(١) أصحُّ، لِمَا تقدَّمَ من حديث أبي أَيُوب وأُمّ أَيُوب جمِيعاً، فَإِنْ فِيهِ التَّصْرِيفُ بِالطَّعَامِ؛ أَيْ: وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الْمَطْبُوخِ.

قال: وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ امْتِنَاعِهِ^{بِعِلَّةٍ} مِنْ أَكْلِ الثُّومِ وَغَيْرِهِ مَطْبُوخاً، وَبَيْنَ إِذْنِهِ لَهُمْ فِي أَكْلِ ذَلِكَ مَطْبُوخاً، فَقَدْ عَلَّ ذَلِكَ بِقُولِهِ: (إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ).

وَتَرْجِمَ ابْنُ خُزِيْمَةَ عَلَى حَدِيثِ أَبِي أَيُوب: ذَكْرُ مَا خَصَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ مِنْ تَرْكِ أَكْلِ الثُّومِ وَنَحْوِهِ مَطْبُوخاً، وَقَدْ جَمَعَ الْقَرْطَبِيُّ فِي «الْمَفْهُومِ» بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ بِأَنَّ الَّذِي كَانَ فِي الْقِدْرِ لَمْ يَنْضَجْ حَتَّى تَضَمَّنَ حَلَّ رَائِحَتُهُ، فَبَقِيَ فِي حَكْمِ النَّبِيِّ، اَنْتَهَى. قَالَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ: وَهُوَ جَمَعُ حَسَنٍ. (ولَمْ يَذْكُرْ الْلَّيْثُ)، أَيْ: ابْنُ سَعْدٍ، (وَأَبُو صَفْوَانَ)، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَعِيدٍ بْنَ عَبْدِ الْمَلْكِ بْنَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمِ، الْقَرْشِيُّ الْأَمْوَيُّ، الدَّمْشَقِيُّ، ذَهَبَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى مَكَّةَ، وُقُتِلَ أَبُوهُ مَعَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ، ثَقَةٌ.

مَاتَ فِي حَدُودِ الْمَتَّيْنِ، رُوِيَ لَهُ الْجَمَاعَةُ سُوِّيْ ابْنُ مَاجَهٍ. (عَنْ يُونُسَ قَصْةُ الْقِدْرِ)، أَمَّا رَوَايَةُ الْلَّيْثِ فَوَصَّلَهَا الْذُّهَلِيُّ فِي «الْزَّهْرِيَّاتِ»: (حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحَ كَاتِبُ الْلَّيْثِ)، قَالَ: حَدَّثَنَا الْلَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ بْنِهِ، أَمَّا رَوَايَةُ أَبِي صَفْوَانَ فَوَصَّلَهَا الْمُؤْلِفُ فِي (الْأَطْعَمَةِ) عَنْ

(١) «الْقِدْرُ» لَيْسَ فِي «وَ».

علي بن المديني عنه، واقتصرت على الحديث الأول، وكذلك عقيل عن الزهري عند ابن خزيمة.

(فلا أدرى)، هو قول البخاري.

قال الحافظ: ووهم من زعم أنه كلام أحمد بن صالح أو من فوقه، انتهى.

وكانه أشار إلى الكرماني فإنه قال: قوله: (ولم يذكر) لعله قول أحمد، وكذا لفظ: (فلا أدرى) ويحتمل أن يكون قول ابن وهب، أو البخاري، أو سعيد بن عفیر تعليقاً.

(هو) - أي: ذِكْر قصة القدر - (من قول الزهري)؛ لكون الليث وأبي صفوان لم يذكراه؛ أي: فيكون الحديث مرسلاً.

(أو في الحديث) لذكر ابن وهب له في الحديث؛ أي: فيكون مسندأً.

قال البيهقي: الأصل أنَّ ما كان من الحديث متصلًا به فهو منه حتى يجيء البيان الواضح بأنه مدرج فيه، قاله في «الفتح».

واعلم أن قوله: (وقال أحمد بن صالح) إلى قوله: (أو في الحديث) مكتوبٌ في أصل «اليونينية» عَقِبَ قوله في حديث جابر: (إلا ننته)، ومرقومٌ عليه علامة التأثير، وعلامة أبي ذر ومكتوب بجانبه في هامشها: (يؤخر) إلى بعد قوله: (من لا تناجي عنده: ص، س، ط) ومكتوب في أصلها أيضًا عَقِبَ قوله: (من لا تناجي) ما نصَّه: (وقال أحمد بن صالح بعد حديث يونس عن ابن شهاب)،

وهو يثبت قولَ يُونسَ، انتهى.

وعليه علامة السقوط للأربعة، وهو موجودٌ في بعض الأصول الصحيحة، ولم ينبع عليه الحافظ، وخرج بعد قوله هنا: (وقالَ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحَ) تخرِيجاً، وكتب بالهامش: عن ابن وهب أتى بيدر إلى قوله: أَوْ فِي الْحَدِيثِ وَلَمْ يَصْحَحْ عَلَيْهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ اكْتَفَى بِمَا فِي الْهَامِشِ مِنْ قَوْلِهِ: (يَؤْخِرُ . . .) إلخ.

* * *

٨٥٦ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَنَّسًا: مَا سَمِعْتَ نَبِيَّ اللَّهِ فِي الثُّومِ؟ فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبُنَا، أَوْ لَا يُصَلِّيَنَّ عَلَيْنَا». مَعْنَى».

وبالسند قال:

(حدثنا أبو مَعْمَر)، بفتح الميمين وسكون المهملة بينهما، عبد الله المُقْعَد، (قال: حدثنا عبد الوارث) بن سعيد العنبري، (عن عبد العزيز)، هو ابن صُهَيْب (قال: سأله رجل) - قال الحافظ: لم أقف على تسميته - (أنسًا)، وفي رواية: (أنس بن مالك): (ما سمعت) بفتح التاء، و(ما) استفهامية (نبي الله ﷺ في الثوم)، وفي رواية: (يقول) وفي أخرى: (يذكر في الثوم)، (فقال)

أنسٌ : (قال النبي ﷺ: مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ) ؛ أي : الثوم ، ومر الكلام على إطلاق الشجرة عليه ، (فَلَا يَقْرَبُنَا) ، ضبطه الشرح بفتح الراء والمودحة وتشديد النون ، وكذا كانت في أصل «اليونينية» بقلبها ثم صلحت بـكَسْط الشَّدَّةِ وسكون المودحة .
(ولا يَصْلِيْنَ مَعْنَا) بنون التوكيد المشددة أيضاً .

قال الحافظ : وليس فيه تقيد النهي بالمسجد ، فيستدلُّ بعمومه على إلحاقي حكم الجوامع بالمساجد ، كمصلى العيد والجنازة ومكان الوليمة .

قال : وقد ألحقها بعضهم بالقياس ، والتمسك بهذا العموم أولى ، لكن قد علل المنع في الحديث بتأنّي الملائكة ويتأنّي المسلمين ، فإن كان كُلُّ منهما جزءاً عِلْمَةً اختص النهي بالمسجد وما في معناها .

قال : وهذا هو الأظهر ، ويرؤيه قوله في حديث أبي سعيد عند مسلم : «من أكل من هذه الشجرة شيئاً فلا يقربنا في المسجد» .

وإن قلنا : كُلُّ علة مستقلة عمَّ النهي كُلُّ مَجْمَع كالأسواق ، وهذا هو الذي استظهره ابن دقيق العيد ، وبه ردَّ على المازري في قوله : لو أن جماعة مسجد أكلوا كُلُّهم ما له رائحة كريهة لم يُمْنَعوا منه ، بخلاف ما إذا أكل بعضهم ، وذلك لأن المنع لم يختص بهم بل بهم وبالملائكة .

وعليه يتناول المنع مَنْ تناول شيئاً من ذلك ودخل المسجد ولو وحده .

ونسبة النّووي في «شرح مسلم» لقول العلماء، وأقره في «فتح الباري».

وقال الحافظ أيضاً: واستدلّ بأحاديث الباب على أن صلاة الجماعة ليست فرضَ عين.

قال ابن دقيق العيد: لأنّ اللازم عن أحد أمرين: إما أن يكون أكلُ هذه الأمور مباحاً فتكون صلاة الجماعة ليست فرضَ عين، أو حراماً فتكون فرضاً، وجمهور الأمة على إباحة أكلِها، فيلزم ألاّ تكون صلاة الجماعة فرضَ عين.

وتقريره أن يقال: أكلُ هذه الأمور جائز، ومن لازمه ترك صلاة الجماعة، وترك الجماعة في حقِّ أكلِها جائز، ولا زُمُ الجائز جائز، وذلك ينافي الوجوب.

قال: ونُقل عن أهل الظاهر أو بعضهم تحرِيمُها بناءً على أنها فرض، وتقريره أن يقال: صلاة الجماعة فرضُ عين، ولا يتمُّ إلا بترك أكلها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فترك أكل هذا واجب فيكون حراماً، انتهى كلام ابن دقيق العيد.

وكذا نقل عياضُ ذلك عن أهل الظاهر، لكن صرح ابن حزم منهم بأن أكلَها حلال مع قوله بأن الجماعة فرضُ عين، وانفصل عن اللزوم المذكور بأن المنع من أكلها يختصُّ بمن عَلِمَ بخروج الوقت قبل زوال الرائحة.

قال : ونظيره أن صلاة الجمعة فرضٌ عين بشروطها ، ومع ذلك تسقط بالسفر ، وهو في أصله مُباح ، لكن يحرم على مَنْ أَنْشَأَهُ بَعْدَ سَمَاعِ النَّدَاءِ ، انتهى كلام الحافظ .

وقال ابن المُلَقَّنْ : فإن قلت : لا مانعَ من إسقاط الفرض بالمباح كالسفر ، فإنه يسقط الصوم وتقتصر الصلاة لأجله ؛ أي : فَيُعْتَذِرُ لابن حزم بهذا ، فجوابه أن السفر لا يُسقط ذلك جملةً ، وإنما ينقله إلى بدل بخلافِ ما نحن فيه ، فإنه أُسْقَطَ الجماعة لغير بدل ، انتهى .

وقال ابن دقيق العيد أيضاً : قد يُسْتَدِلُّ بهذا الحديث على أن أَكْلَ هذه الأمور من الأعذار المُرْحَّصة في ترك حضور الجماعة .

وقد يقال : إن هذا الكلام خرج مَخْرُج الزَّجْرِ عنها ، فلا يقتضي ذلك أن يكون عُذْرًا في تركها إلا أن تدعوا إلى أكلها ضرورة .

قال : ويبعد هذا من وجْه تقريره إلى بعض أصحابه ، فإن ذلك ينفي الزَّجْرَ ، انتهى .

قال الحافظ : ويمكن حمله على حالتين ، والفرق بينهما أن الزَّجْرَ وقع في حق مَنْ أراد إِتْيَانَ الْمَسْجِدِ ، والإِذْنُ في التقرير وقع في حالة لم يكن فيها ذلك ، بل لم يكن المسجد النبوي إذ ذاك بني كما قَدَّمَته ، فقد قدمتُ أن الزَّجْرَ متأخِّرٌ عن قصة التقرير بست سنين ، انتهى .

وتعقبَه القَلْقَشَنْدِي بأن هذا مبنيٌ على أن أباً أَيُوبَ هو الذي قَرَّبَ إليه الْقِدْرَ حين نزل عليه النبي ﷺ أول ما قدم المدينة ، وهو غير مُسْلِمٌ ، انتهى .

أي: لأنَّه تَعَقَّبُ الحافظ في قوله: المراد ببعض أصحابه أبو أيوب، واستدلاله بالخبر الذي ذكره كما مرَّ.

وقال الخطابي: توهمَ بعضُهم أنَّ أَكْلَ الشوم ونحوه عذرٌ في التخلف عن الجماعة، وإنما هو عقوبةٌ لَا كله على فعله إذ حُرِّمَ فَضْلَ الجماعة، انتهى.

قال الحافظ: وكأنَّه يخصُّ الرخصةَ بما لا سببَ للمرء فيه كالمطر مثلاً، لكنَّ لا يلزم من ذلك أن يكون أَكْلُها حراماً، ولا أنَّ الجماعة فرضٌ عين .

قال القلقشندى: وظاهر كلام الخطابي حرمة أَكلها.

ونقل النّووي في «شرح مسلم» إجماعَ مَن يُعتَدُ به على حِلٍّ أَكلها. قال: وقد اختلف أصحابنا هل كان حراماً على النبي ﷺ أم كان ترکه تنزيهاً؟

وقال في «الروضة» تبعاً للشرح: الصحيح عدم حرمة أَكله عليه، وأنَّه مكروهٌ في حقه كراهة تنزيه، انتهى.

وقال في «شرح مسلم»: ويدلُّ له ظاهرُ قوله: (ليس لي تحرِيمٌ ما أَحَلَّ اللَّهُ)، ومن قال بالتحريم يقول: المرادُ ليس لي أن أَحرِمَ على أمتي ما أَحَلَّ اللَّهُ لها .

واستدل المهلب بقوله: (إِنِّي أَنْاجِي مَنْ لَا تَنْاجِي) على تفضيل الملائكة على البشر .

وَتُعَقِّبُ بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَفْرَادِ عَلَى بَعْضِ تَفْضِيلِ
الجِنْسِ عَلَى الجِنْسِ .

وَالْحَقُّ لِلْعُلَمَاءِ بِالْمَذْكُورَاتِ كُلَّاً مَا لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ
وَغَيْرُهَا .

وَنَقْلُ النَّوْوَى عَنِ الْقَاضِيِّ عِيَاضٍ إِلَى الْحَاقِ الْفِجْلُ بِهَا إِذَا كَانَ آكَلُهُ
يَتَجَشَّأً، وَأَقْرَهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ وَرَدَ التَّصْرِيحُ بِهِ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ فِي «الْأَوْسَطِ»
وَ«الصَّغِيرِ» عَنْ جَابِرٍ، لَكِنْ فِي سُنْدِهِ يَحِيَّى بْنُ رَاشِدٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ .

وَنَقْلُ عِيَاضٍ عَنِ ابْنِ الْمَرَابِطِ أَنَّهُ يَلْتَحِقُ بِهَا مِنْ بَهْرٍ فِي فِيهِ، أَوْ
بِهِ جُرْحٌ لِرَائِحَةِ .

قَالَ: وَقَاسَ الْعُلَمَاءُ عَلَى هَذَا مَجَامِعُ الصَّلَاةِ غَيْرَ الْمَسْجَدِ،
كَمْصَلَّى الْعِيدِ وَالْجَنَائِزِ، وَنَحْوُهُمَا . وَكَذَا مَجَامِعُ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ
وَالْوَلَائِمِ، وَنَحْوُهُمَا . [قَالَ: وَلَا يَلْتَحِقُ بِهَا الْأَسْوَاقُ وَنَحْوُهَا].

وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: وَقَدْ تَوَسَّعَ الْقَائِسُونَ فِي هَذَا حَتَّى ذَهَبُ
بَعْضُهُمْ إِلَى الْحَاقِ مَنْ بَهْرٌ، فَذَكَرَ نَحْوُ مَا تَقْدِمْ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُنَيْرِ: أَلْحَقَ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْمَجْذُومَ وَنَحْوَهُ .

قَالَ: وَفِيهِ نَظَرٌ، لَأَنَّ آكَلَ الثُّومَ أَدْخَلَ هَذَا الْمَانَعُ عَلَى نَفْسِهِ
بِالْخَيْارِ، وَالْمَجْذُومُ عِلْتُهُ سَمَاوِيَّةً، ثُمَّ ذَكَرَ مَا حَاصِلُهُ أَنَّ فِي بَعْضِ
طَرَقِ الْحَدِيثِ مَا يَقْتَضِي التَّسْوِيَّةَ بَيْنَ الْمَعْذُورِ بِأَكْلِهَا وَغَيْرِهِ، وَالْحَقُّ
بَعْضُهُمْ أَصْحَابُ الصَّنَائِعِ كَالْقَصَّابِ وَالسَّمَّاكِ، وَبَعْضُهُمْ الْأَبْرَصُ وَمِنْ

يؤذى الناسَ بلسانه في المسجد .

قال القَلْقَشَنْدِي : وهو توسيعٌ غير مَرْضِيٌّ ، كما أشار إليه ابن دقق العيد .

واعلم أنه وقع في حديث حذيفة عند ابن خُزيمة : (من أكل من هذه البقلة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا ثلاثة)، وبِوَبَ عليه توقيت النهي عن إتيان الجَمْع^(١) لِأَكْلِ الثُّومِ .

قال الحافظ : وفيه نظرٌ، لاحتمال أن يكون قوله ثلاثة يتعلّقُ بالقول ؛ أي : قال ذلك ثلاثة . قال : بل هذا هو الظاهر ؛ لأن علة المنع وجود الرائحة ، وهي لا تستمر هذه المدة ، انتهى .

* * *

(١) في «ن» : «الجماعة» .

١٦١ - باب

وَضُوءِ الصَّبِيَّانِ، وَمَنْتَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ
الْغَسْلُ وَالظُّهُورُ؟ وَحُضُورُهُمُ الْجَمَاعَةُ
وَالْعِيدَيْنِ وَالْجَنَائِزِ، وَصَفْوَفُهُمْ

(باب وضوء الصبيان)

قال ابن المنيّر: لم ينصّ على حُكمه؛ لأنّه لو عَبَرَ بالنَّدْبِ لاقتضى صحة صلاة الصبي بغير وضوء، ولو عبر بالوجوب لاقتضى عقابه على تركه، كما هو حُدُّ الواجب، فأتى بعبارة سالمية من ذلك، وإنما لم يذكر الغسل لن دور موجبه من الصبي بخلاف الوضوء، ثم أَرْدَفَهُ بذكر الوقت الذي يجب فيه ذلك عليهم، فقال:

(ومنْتَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ الْغَسْلُ) - بضم المعجمة وفتحها - (وَالظُّهُورُ)،
بضم الطاء، من عطف العام على الخاص، وليس في أحاديث الباب تعين وقت الوجوب إلا في حديث أبي سعيد، فإن مفهومه أنَّ غُسل الجمعة لا يجب على غير المحتلِمِ، فيؤخذ منه أن الاحتلام شرط لوجوب الغسل، وأما ما رواه أبو داود والترمذى وصححه عن شُبْرُمة بن معبد رضي الله عنه مرفوعاً: (علموا الصبي الصلاة ابنَ سبع، واضربوه عليها ابنَ عشر)، فهو وإن اقتضى تعينَ وقت الوضوء لتوقف الصلاة عليه، فلم يقل بظاهره إلا بعضُ أهل العلم، قالوا: تجب الصلاة على الصبي للأمر بضربه على تركه، وهذه صفة الوجوب، وبه قال أَحْمَدُ في رواية،

وحكى البَنْدِنِيْجِي أن الشافعي أوما إليه.

وذهب الجمهور إلى أنها لا تجب عليه إلا بالبلوغ، وقالوا: الأمر بضربه على تركه للتدريب؛ أي: أن الأمر متوجّه إلى الأولياء، وحكمته التدريب إذا بلغ.

وجزم البيهقي بأنه منسوخ بحديث: «رفع القلم عن الصبي حتى يحتمل» قال: لأن الرفع يستدعي سبق وضع، قاله الحافظ.

قال: ويؤخذ من إطلاق الصبي على ابن سبع الرد على من زعم أنه لا يسمى صبياً إلا إذا كان رضيعاً، ثم يقال له غلاماً إلى أن يصير ابن سبع، ثم يصير يافعاً إلى عشر، ويافق الحديث قول الجوهري: الصبي الغلام، انتهى.

(وحضورهم الجماعة)، بجر (حضورهم) عطفاً على قوله: (وضوء الصبيان)، (والعبيد والجناز) بنصبهما عطفاً على الجماعة، (وصفوفهم) بجره كذلك.

* * *

٨٥٧ - حَدَّثَنَا أَبْنُ الْمُثْنَى قَالَ: حَدَّثَنِي غُنْدَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ مَرَّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَبْرِ مَنْبُوذٍ، فَأَمَّهُمْ وَصَفُوا عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَمْرِو! مَنْ حَدَّثَكَ؟ فَقَالَ: أَبْنُ عَبَّاسٍ.

وبالسند قال:

(حدثنا محمد بن المثنى)، وفي رواية بإسقاط لفظ (محمد)، (قال: حَدَّثَنَا)، وفي رواية: (حدَثَنِي) (غُنْدَر) محمد بن جعفر (قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) بن الحجاج (قال: سمعت سليمان الشيباني) - هو سليمان بن فiroز، أبو إسحاق - (قال: سمعت) عامراً (الشعبي قال: أخبرني من مرأ) - أي: من الصحابة - (مع النبي ﷺ على قبر مَنْبُوذِ)، روی بتنوينهما وبالإضافة، والممنبُوذ المطرود، والمراد أنه منفرد في ناحية عن القبور، أو المراد قبر لقيط. (فأمّهم) عليه الصلاة والسلام في الصلاة عليه، (وصفوا عليه)؛ أي: على القبر، وفي رواية: (وصفوا خلفه) بدل (عليه)، قال الشيباني: (فقلت: يا أبا عمرو) - بفتح العين، وهو كنية الشعبي -: (من حدثك) بهذا الحديث (قال) - وفي رواية: (فقال: حدثني) -: (ابن عباس)، وسيأتي الكلام عليه في (الجناز)، ووجه مطابقته للترجمة أن ابن عباس حضر تلك الجماعة، وكان إذ ذاك صغيراً، فهو مطابق لقوله: وحضورهم الجمعة، ولقوله (وصفوفهم)، وللجزء الأول منها أيضاً؛ لأنَّه لم يكن يصلِّي بغير وضوء لا يقال: قوله: (وصفوفهم) يقتضي أن يكون للصبيان صفوف تخصهم، وليس فيه ولا في باقي أحاديث الباب ما يدلُّ لذلك؛ لأنَّ نقول: المراد بصفوفهم وقوفهم في الصف مع غيرهم، وهذا الحديث دليله؛ لأنَّ الظاهر أن ابن عباس صَفَّ معهم، وكذا يدل عليه قوله في حديث «السنن»: (واليتيم معي).

قال الحافظ: وفِقْهُ ذَلِكَ: هل يخرج مَنْ وقف معه الصَّبِيُّ فِي

الصف عن أن يكون فرداً، حتى يُسلّمَ من بُطلان صلاته عند مَن يمنعه
أو كراحته؟

قال: وظاهر حديث أنسٍ يقتضي الأخير؛ أي: وهو السلامة من
الكراهة، فهو حجّةٌ على مَن منع ذلك من الحنابلة مطلقاً، وقد نصَّ
أحمد على أنه يجزئ في النَّفْل دون الفرض، وفيه ما فيه، انتهى.

* * *

٨٥٨ - حَدَّثَنَا عَلَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفِيَّانُ قَالَ: حَدَّثَنِي
صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُخْتَلِمٍ».

وبالسند قال:

(حدثنا علي بن عبد الله)، هو ابن المديني (قال: حدثنا سفيان)،
هو ابن عُيّنة (قال: حدثني صفوان بن سليم) بالتصغير، العابد
الزاهد، (عن عطاء بن يسار) مولى ميمونة أم المؤمنين.

(عن أبي سعيد الخدري) رضي عنه، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) قال: الغُسْلُ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ - أي: كالواجب؛ أي: المتأكد - (على كل مُخْتَلِمٍ)،
وبياني الكلامُ عليه في (كتاب الجمعة)، وفيه المطابقةُ للجزء الثاني من
الترجمة كما مرَّ توجيهه.

* * *

٨٥٩ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفِيَّانُ، عَنْ عَمْرِو فَالْأَنْصَارِيِّ كُرَيْبٍ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: بِثُتْ عِنْدَ خَالْتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَنَامَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَوَضَّأَ مِنْ شِنْ مَعْلَقٍ وَضُوءًا خَفِيفًا - يُخَفِّفُهُ عَمْرُو وَيُقَلِّلُهُ جِدًا - ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقَمْتُ فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقَمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اضْطَبَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، فَأَتَاهُ الْمُنَادِي بِأَذْنِهِ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، قُلْنَا لِعَمْرِو: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ؟ قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: إِنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ: «إِنَّ أَرْيَ فِي النَّاسِ أَقْرَأَ أَذْبَحَكَ» [الصافات: ١٠٢].

وبالسند قال:

(حدثنا عليٌّ بن عبد الله) - وسقط (ابن عبد الله) في رواية - (قال: حدثنا)، وفي رواية: (أخبرنا) (سفيان) بن عيينة، (عن عمرو) هو ابن دينار، (قال: أخبرني كُرَيْب) بالتصغير، مولى ابن عباس، (عن ابن عباس) عَلَيْهِ السَّلَامُ (قال: بِثُتْ عِنْدَ خَالْتِي مَيْمُونَةَ) أم المؤمنين رضي الله عنها (ليلةً فنام) - وفي رواية: (فقام) - (النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما كان في بعض الليل قام رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فتوضأً من شِنْ مَعْلَقٍ)؛ أي: قربة عتيقة، وذكر الوصف باعتبار أنها جلد أو سقاء.

(وَضُوءًا خَفِيفًا يُخَفِّفُهُ عَمْرُو)؛ أي: ابن دينار، (ويقلله جداً، ثم

قام) عليه الصلاة والسلام (بصلي، فقمتُ فتوضاتُ نحوًّا مما توضأً، ثم جئت فقمت عن يساري، فحوّلني فجعلني عن يمينه، ثم صلّى ما شاء الله ثم اضطجع فنام حتى نفخ فأتاه المنادي)، وفي رواية: (المؤذن فآذنه) بفاء فهمزة ممدودة فدال مفتوحة ؛ أي : أعلمـهـ .

وفي رواية بأصل «اليونانية»: (يأذنهـ) بفتح التحتانية أول وسكون الهمزة وكسر المعجمة مصححاً عليهـ، وفي هامشها ما نصـهـ: (عـنـدـ أـبـيـ ذـرـ يـأـذـنـهـ) بفتح الذالـ، وفي أـخـرـيـ: (يـؤـذـنـهـ) مضارع آذـنـهـ من الإـيـذـانـ منـ غيرـ فـاءـ ؛ـ أيـ: يـعـلـمـهـ (بالـصـلـاـةـ،ـ فـقـامـ مـعـهـ)ـ ؛ـ أيـ:ـ معـ المـؤـذـنـ أوـ الإـيـذـانــ (إـلـىـ الصـلـاـةـ،ـ فـصـلـىـ وـلـمـ يـتـوـضـأـ)،ـ قـالـ سـفـيـانـ:ـ (قـلـنـاـ)ـ وـفـيـ روـاـيـةـ (فـقـلـنـاـ)ـ (لـعـمـرـوـ)ـ ؛ـ أيـ:ـ اـبـنـ دـيـنـارــ .

(إـنـ نـاسـاـ يـقـولـونـ:ـ إـنـ النـبـيـ ﷺـ تـنـاـمـ عـيـنـهـ وـلـاـ يـنـاـمـ قـلـبـهـ)،ـ قـالـ عـمـرـوـ:ـ سـمـعـتـ عـبـيـدـ بـنـ عـمـيـرـ،ـ بـالـتـصـغـيرـ فـيـهـمـاـ يـقـولـ:ـ (رـؤـيـاـ)ــ وـفـيـ روـاـيـةـ:ـ (إـنـ رـؤـيـاـ)ــ (الـأـنـبـيـاءـ وـحـيـ)،ـ ثـمـ قـرـأـ:ـ «إـنـ أـرـىـ فـيـ الـمـنـاـوـ أـنـ أـذـبـحـكـ»ـ وـتـقـدـمـ الـكـلـامـ عـلـىـ بـعـضـ مـبـاـحـهـ فـيـ (بـابـ التـخـفـيفـ فـيـ الـلـوـضـوـءـ)،ـ وـسـتـأـتـيـ بـقـيـتـهـاـ فـيـ (كـتـابـ الـوـتـرـ)ـ إـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـىــ .ـ وـفـيـ الـمـطـابـقـةـ لـلـجـزـءـ الـأـوـلـ مـنـ التـرـجـمـةـ مـنـ قـوـلـهـ:ـ (فـتوـضـاتـ نـحـواـ مـاـ تـوـضـأـ)ـ .

* * *

٨٦٠ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ جَدَّهُ مُلِيكَةَ دَعَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامِ صَنَعَتْهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ فَقَالَ: «قُومُوا فَلَأُصَلِّيَ بِكُمْ»، فَقَمَتْ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَ مِنْ طُولِ مَا لَبِثَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْيَتَيمُ مَعِي، وَالْعَجُورُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ.

وبالسند قال :

(حدثنا إسماعيل) هو ابن أبي أويس (قال: حدثي مالك) إمام دار الهجرة، (عن إسحاق بن عبد الله) بن أبي طلحة، (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه : (أن جدته مليةكة) - بالتصغير - (دعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لطعام صنعته له، فأكل منه، فقال)، وفي نسخة: (ثم قال): (قوموا فلأصلّي بكم، فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبّس، فنضحته بماء، فقام رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه؛ أي: على الحصير، (واليتيم معي)؛ أي: أنا واليتيم صفا، (والعجوز) هي مليةكة المذكورة، (من ورائنا، فصلّى بنا ركعتين)، وتقدم الكلام على الحديث في (باب الصلاة على الحصير) مستوفى مع ضبط (فلأصلّي) ومع الخلاف في مرجع ضمير (جدته)، فراجعه.

ومطابقته للترجمة من حيث إن اليتيم دالٌ على الصبي؛ إذ لا يُتم بعد احتلام، وقد أقره صلوات الله عليه وآله وسلامه على ذلك.

* * *

٨٦١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلِمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانِي وَأَنَا يَوْمًا مِنْ قَدْ نَاهَزْتُ الْإِحْتِلَامَ وَرَسُولُ اللَّهِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِمَنِي إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفَّ، فَنَزَّلْتُ وَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ، وَدَخَلْتُ فِي الصَّفَّ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ أَحَدٌ.

وبالسند قال :

(حدثنا عبد الله بن مسلمة) القعبي، (عن مالك) الإمام، (عن ابن شهاب) الزهري، (عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) بن مسعود، (عن ابن عباس)، وفي رواية: (عن عبد الله بن عباس): (أنه قال: أقبلت راكباً على حمارٍ أتاني بتنوينهما، وروي بالإضافة، كما مرّ في كتاب العلم).

(وأنا يومئذ قد ناهزت)؛ أي: قاربت (الاحتلام)؛ أي: البلوغ، (ورسول الله يُصلي بالناس بمني) - بالصرف وعده - (متوجهاً إلى غير جدار)؛ أي: إلى غير ستة، (فمررت بين يدي بعض الصف، نزلت، وأرسلت الأتان ترتع)؛ أي: ترعى، (ودخلت في الصف)، فلم ينكر ذلك عليّ أحد)، وفي رواية: (علي ذلك أحد)، وتقديم الكلام على الحديث في (باب متى يصح سماع الصغير)، وفي (باب: ستة الإمام ستة من خلفه)، ومطابقته للترجمة في الجزء الأول منها والثالث

والأخير؛ فإن ابن عباس كان إذ ذاك صغيراً، وحضر الجماعة، ودخل معهم في الصف، ولم يكن صلى إلا بوضوء.

* * *

٨٦٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ
قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزَّبِيرِ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَعْتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَالَ عَيَّاشُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ،
عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الْعِشَاءِ حَتَّى نَادَاهُ عُمَرُ: قَدْ نَامَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ يُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ غَيْرُكُمْ».
وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ يُصَلِّي غَيْرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع، (قال: أخبرني شعيب) هو ابن أبي حمزة، (عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير: أن عائشة قالت: أعتم النبي)، وفي رواية: (رسول الله) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وقال عياش) بالمعنى التحتية وبالشين المعجمة، قال الحافظ: وقع في بعض الروايات: (قال لي عياش)؛ أي: فهو موصول، قال: وحول الإسناد عند الأكثر بعد قوله: (عن الزهري)، وأتمه - أي: بقوله: (قال: أخبرني عروة...) إلخ - في رواية المستملي.

(حدثنا عبد الأعلى) هو السامي بالمهملة قال:

(حدثنا) وفي رواية: (أخبرنا) (معمر)؛ أي: ابن راشد، (عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة) رضي الله عنها (قالت: أعتم)؛ أي: آخر (رسول الله ﷺ في العشاء حتى ناداه)، وفي رواية: (نادي) (عمر) بن الخطاب (قد نام النساء والصبيان).

قال ابن رشيد: فهم البخاري منه أن النساء والصبيان الذين ناموا كانوا حضوراً في المسجد، وليس الحديث صريحاً فيه؛ إذ يحتمل أنهم ناموا في البيوت، لكن الصبيان جمع محلّى باللام، فيعمُّ من كان منهم مع أمه أو غيرها في البيوت، ومن كان مع أمه في المسجد، [وقد قدمنا في شرحه في (أبواب الجمعة): أن الظاهر أن الصبي كان مع أمه في المسجد]، وأن احتمال أنها كانت تركته نائماً في بيتها وحضرت الصلاة فيستيقظ في غيابها فيسكن = بعيد، لكن الظاهر الذي فهمه أن القضاء بالمرئي أولى من القضاء بالمقدار، انتهى.

(فخرج رسول الله ﷺ إليهم من الحجرة فقال: إنه ليس أحد من أهل الأرض يصلّي هذه الصلاة)؛ أي: العشاء (غيركم) بالرفع والنصب. (ولم يكن أحد يومئذ يصلّي غير أهل المدينة) بنصب (غير) ورفعه أيضاً.

وتقدمت مباحث الحديث في (باب فضل العشاء) وفي (باب النوم قبل العشاء لمن غلب)، وساقه هنا من طريق شعيب ومعمر بلفظ معمر، ثم ساق لفظ شعيب في الباب الذي بعده.

* * *

٨٦٣ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلَيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفِيَّانُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَابِسٍ، سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: شَهِدْتَ الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ? قَالَ: نَعَمْ، وَلَوْلَا مَكَانِي مِنْهُ مَا شَهِدْتُهُ - يَعْنِي مِنْ صِغَرِهِ - أَتَى الْعِلْمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرٍ ابْنِ الصَّلَتِ، ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ فَوَاعْظُهُنَّ وَذَكَرُهُنَّ، وَأَمَرُهُنَّ أَنْ يَتَصَدَّقُنَّ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُهُوِي بِيَدِهَا إِلَى حَلْقِهَا تُلْقِي فِي ثُوبِ بِلَالٍ، ثُمَّ أَتَى هُوَ وَبِلَالُ الْبَيْتَ.

وبالسند قال:

(حدثنا عمرو بن علي) بفتح عين عمرو، وهو الفلاس الصيرفي (قال: حدثنا يحيى) هو القطان (قال: حدثنا سفيان) هو الشوري قال: (حدثني)، وفي رواية: (حدثنا) (عبد الرحمن بن عباس) - بموحدة مكسورة والسين مهملة - ابن ربيعة التَّنْخَعِي الكوفي، ثقة، مات سنة تسع عشرة ومئة، روى له الجماعة سوى الترمذى.

(قال: سمعت ابن عباس، وقال له)، وفي رواية: (قال) بدون واو.

(رجل) قال في «المقدمة»: لم يسم السائل، وأظن أن في بعض الطرق أنه الراوي، انتهى.

(شهدت) بالخطاب وحرف الاستفهام مقدر؛ أي: أشهدت (الخروج إلى مصلى) العيد (مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ قال: نعم) شهدت؟

(ولولا مكاني منه)؛ أي: قربي منه عليه الصلاة والسلام (ما شهدت؛ يعني: من صغره) هو مقول الراوي.

(أتنى) عليه الصلاة والسلام (العلم) - بفتحتين - (الذي عند دار كثير بن الصلت)، و(كثير) ضد القليل، و(الصلت) بفتح المهملة وسكون اللام.

(ثم خطب، ثم أتنى النساء فوعظهن وذَكَرُهن) بتشديد الكاف من (الذكر).

(وأمرهن أن يتصدقن، فجعلت المرأة تهوي) بضم الفوقة وفتحها؛ أي: توميء (بiederها إلى حلقتها) بفتحتين وبكسر أوله، جمع: (حلقة) بسكون اللام، وهي الخاتم لا فصّ له أو القرط، وللأصيلي بسكون اللام، وكأنه أراد المحل الذي يعلق فيه.

(تلقي) من الإلقاء؛ أي: ترمي (في ثوب بلال)؛ أي: الخاتم أو القرط، (ثم أتنى هو وبلال البيت)، وفي رواية: (إلى البيت).

وسيأتي الكلام على الحديث في (كتاب العيددين)، وترجم عليه هناك (باب خروج الصبيات إلى المصلى)، ومطابقته هنا لقوله: (وحضورهم العيددين).

* * *

خُرُوج النِّسَاء إِلَى الْمَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ وَالْغَلَسِ

(باب خروج النساء)؛ أي: حكمه (إلى المساجد) للصلوة (بالليل والغلس) هو: بقية ظلمة الليل.

٨٦٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانُ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرُوْةُ بْنُ الزُّبِيرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَتَمَةِ حَتَّى نَادَاهُ عُمَرُ: نَامَ النِّسَاءُ وَالصِّبِيَّانُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ غَيْرُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ»، وَلَا يُصَلِّي يَوْمَئِذٍ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَكَانُوا يُصَلِّونَ الْعَتَمَةَ فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع (قال: أخبرنا شعيب)؛ أي: ابن أبي حمزة، (عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة) رضي الله عنها (قالت: أعتم رسول الله ﷺ بالعتمة) بفتحات، وهي صلاة العشاء؛ أي: أبطأ بها وأخرّها (حتى ناداه عمر) بن الخطاب رضي الله عنه: (نام النساء والصبيان) الحاضرون في المسجد، (فخرج النبي ﷺ فقال:

ما يتظاهرا)؛ أي: صلاة العشاء (أحد غيركم) - بالنصب والرفع - (من أهل الأرض ولا يُصلّى) ببنائه للمفعول، وبالتحتية أوله، وفي رواية بالفوقية؛ أي: العشاء.

(يومئذ)؛ أي: جماعة (إلا بالمدينة، وكانوا يصلون العتمة فيما بين أن يغيب الشفق إلى ثلث الليل الأول) بجزه، صفة لـ (ثلث)؛ أي: فيما بين أزمنة غيوبه الشفق إلى الثلث الأول.

ومرّ الكلام على الحديث في (باب النوم قبل العشاء لمن غلب)، والمطابقة في قوله: (نام النساء).

* * *

٨٦٥ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ حَنْظَلَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا اسْتَأْذَنْتُمُ نِسَاءَكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَذْنُوا لَهُنَّ». تَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبالسند قال:

(حدثنا عبيد الله بن موسى) - بضم العين مصغراً - (عن حنظلة بن أبي سفيان) الجُمْحِي، (عن سالم بن عبد الله)؛ أي: ابن عمر، (عن ابن عمر) بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، (عن النبي صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إذا استأذنكم نساكم)؛ أي: طلب منكم الإذن (بالليل إلى المسجد) للعبادة (فأذنوا لهن).

وقوله : (بالليل)، كذا وقع مقيداً به عند مسلم وغيره أيضاً، ووقع في أكثر طرقه بغير تقييد.

قال الحافظ : وكأن اختصاص الليل بذلك لكونه أستر، ويأتي في (باب: هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم) التقييد بالليل، واختلافهم : هل مفهومه مفهوم موافقة أو مخالفة، قال : ولا يخفى أن محل ذلك إذا أُمِنْت المفسدة منهن وعليهـن .

قال : وفيه إشارة إلى أن الإذن المذكور لغير الوجوب؛ لأنـه لو كان واجباً لانتفى معنى الاستئذان؛ لأنـ ذلك إنما يتحقق إذا كان المستأذن مخـيراً في الإجابة أو الرد.

وقال النـووي في «شرح مسلم»: هذا الحديث وشبهـه من أحاديث الـباب ظاهرـ في أنـ المرأة لا تمنعـ من المسـجد، لكنـ بـشروط ذكرـهاـ العلمـاءـ مـأخـوذـةـ منـ الأـحادـيثـ، وهـيـ: أنـ لا تكونـ مـتـطـيـةـ، ولا مـتـزـيـةـ، ولا ذاتـ خـلـاـخـلـ يـسـمـعـ صـوـتـهاـ، ولا ثـيـابـ فـاخـرـةـ، ولا مـخـتـلـطـةـ بـالـرـجـالـ، ولا شـابـةـ وـنـحـوـهاـ مـمـنـ يـفـتـنـ بـهـاـ، وـأـنـ لاـ يـكـونـ فـيـ الطـرـيقـ مـنـ تـخـافـ مـنـهـ المـفـسـدـةـ.

قال : وهذا النـهيـ - أيـ: فيـ الحديثـ الـذـيـ أـورـدـهـ المـصـنـفـ فيـ الـبـابـ الـأـتـيـ قـرـيـباـ بـلـفـظـ: «فـلاـ يـمـنـعـهـاـ» لـلـتـزـيـهـ إـذـاـ كـانـ الـمـرـأـةـ ذاتـ زـوـجـ أوـ سـيـدـ وـوـجـدـتـ الشـرـوـطـ المـذـكـورـةـ، فـإـنـ لـمـ تـكـنـ كـذـلـكـ وـوـجـدـتـ الشـرـوـطـ حـرـمـ المـنـعـ، اـنـتـهـىـ .

ويدل لما ذكره ما وقع عند أبي داود من حديث أبي هريرة: «وليخرجن تَفَلَّاتٍ» بفتح المثناة الفوقية وكسر الفاء؛ أي: غير متسلسلات، يقال: امرأة تَفِلَّةٌ، إذا كانت متغيرة الريح.

وما وقع عند مسلم من حديث زينب امرأة ابن مسعود: «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيّاً»، ويلتحق بالطيب ما في معناه مما مر؛ لأن سبب المنع منه ما فيه من تحريك داعية الشهوة.

وحدث عائشة الآتي: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده، الحديث.

وقال أبو حنيفة: أكره للنساء شُهود الجمعة والصلاوة المكتوبة، ورَحْض للعجز شهود العشاء والفجر دون غيرهما.

وفرق أبو يوسف، فكره للشابة دون العجوز. وأطلق الكراهة لهن مطلقاً جماعة من الصحابة، وهو مذهب الثوري.

وفي «مدونة مالك»: لا يمنع النساء المساجد، وخالف أصحابه فيه.

وقال ابن التين: الذي عليه جماعة أهل العلم: أنه مباح لهن، وروي أن عاتكة بنت زيد أخت سعيد بن زيد امرأة عمر بن الخطاب، كانت تقول: لا تخرجن إلا أن يمنعني، وكان عمر شديد الغيرة، فجلس لها يوماً في الغلس في طريق المسجد، فلما مرت مس طرف ثوبها، وهي لا تعرفه، فرجعت ولم تخرج بعد ذلك، فقال لها: لم لا تخرجن

إلى المسجد؟ فقالت: كنا نخرج حين كان الناس ناساً، فأعلمها أنه هو الذي فعل ذلك، فقالت: ولو، وأبت أن تخرج.

وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث وغيره ما يدل على أن صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، لفظه عن ابن عمر: «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خيراً لهن»، أخرجه أبو داود، وصححه ابن خزيمة.

وعند أحمد بإسناد حسن من حديث أم حميد الساعدية: أنها^(١) جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إني أحب الصلاة معك، قال: «قد علمت، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجد الجمعة».

ووجه كون صلاتها في الأخفى أفضل تحققُ الأمان فيه من الفتنة، ويتأكد ذلك بعد وجود ما أحدث النساء من التبرج والزينة.

ومن ثم قالت عائشة ما قالت حتى تمسّك بعضهم بقولها في منعهن مطلقاً، كما يأتي.

وقال النووي: واستدل بالحديث على أن المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه.

(١) «أنها» ليست في «و».

وتعقبه ابن دقيق العيد بأنه إن أخذ من تخصيص النهي بالخروج إلى المساجد، وأن ذلك يقتضي بطريق المفهوم جواز الممنوع في غير المساجد، فقد يعترض بأن هذا مفهوم لقب، وهو ضعيف عند الأصوليين.

قال: لكن يتقوى بأن منع الرجال نساءهم أمر مقرر معتاد، وإنما علق الحكم بالمساجد لبيان محل الجواز، وإخراجه عن الممنوع المستمر المعلوم، فيبقى ما عداه على الممنوع، ثم ذكر مناسبة أخرى تصلح أن تكون علة للجواز، وأنها إذا انتفت انتفى الحكم.

وقال القلقشندى: ويمكن أن يقال: أخذ منعهن من غير المسجد إذا لم يأذن الزوج من باب أولى؛ لأن المسجد الذي يقصد للطاعة وتحصل فيه الجماعة إذا توقف خروجها إليه على الإذن فغيره من باب أولى.

قال: وقال بعضهم: مفهوم اللقب إنما يضعف لعدم رائحة التعليل فيه، والتعليق هنا موجود، وهو أن المسجد محل للعبادة، فلا يمنع من التعبد فيه، انتهى.

قال الخطابي في «المعالم»: واستدل به بعضهم على أنه ليس للزوج منع زوجته من الحج؛ لأن المسجد الحرام الذي يخرج إليه الناس للحج والطواف أشهر المساجد وأعظمها حرمة، وهو مذهب مالك وأحد قولي الشافعى، والصحيح عنده الجواز؛ لحديث آخر.

قال القلقشندى: ويلحق بالإذن في الخروج إلى المسجد ما في معناه كعبادة المريض وشهود العيد وزيارة الأبوين ونحوهما من المحaram.

أما إذا استأذنت في الخروج لتعلم ما يجب عليها، ولم يكن زوجها عالماً، أو لأداء شهادة وجبت عليها، أو لأداء فرض الحج ونحوه من المفروضات، فيتأكد في حق الزوج الإذن في ذلك؛ لأنه أعظم مما تقدم، انتهى.

(تابعه) قال العيني: أي: تابع عبيد الله بن موسى (شعبة) بن الحجاج، (عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ)، وقد وصلها أحمد قال: (حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة بلفظ: «ائذنا للنساء بالليل إلى المساجد»).

أقول: وقد وصلها المصنف أيضاً بهذا اللفظ في (كتاب الجمعة) في (باب: هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟)، لكن من طريق عمرو بن دينار، عن مجاهد، عن ابن عمر، ووافقه مسلم على إخراجه من هذا الوجه أيضاً؛ أي: من طريق شعبة، عن الأعمش، وزاد فيه: (فقال له ابنُ له يقال له: وقد: إذاً يتخذه دَغَلاً، قال: فضرب في صدره وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: لا!!)، وفي رواية عند أحمد: (فانتهه وقال: أَفِ لَك).

قال الحافظ: ولم أر لهذه القصة ذكرًا في شيء من الطرق التي أخرجها البخاري لهذا الحديث، قال: وأظن البخاري اختصرها للاختلاف في تسمية ابن عبدالله بن عمر؛ فقد رواه مسلم من وجه آخر عن ابن عمر وسمى الابن بلاً، ولفظه: (قال - أي: سالم -: فقال بلال بن عبدالله: والله لنمنعهن)، وروى أحمد من طريق شعبة عن الأعمش المذكورة أولاً: (فقال سالم - أي: ابن عبدالله - أو بعض

بنيه: والله لا ندعهن يتخذنه دغلاً).

قال: والراجح من هذا أن صاحب القصة بلال؛ لورود ذلك من روایته نفسه، ومن روایة أخيه سالم، ولم يختلف عليهما في ذلك. قال: وأما هذه الأخيرة فمرجوحة لوقوع الشك فيها.

ثم قال: فإن كانت روایة عمرو بن دينار عن مجاهد محفوظة في تسمية واقد، فيحتمل أن يكون كُلُّ من بلال وواعد وقع منه ذلك؛ إما في مجلس أو في مجلسين، وأجاب ابن عمر كلاًّ منهما بجواب يليق به، ويقويه اختلاف النقلة في جواب ابن عمر؛ ففي روایة بلال عند مسلم: (فأقبل عليه عبدالله فسبَّه سبًا سيئًا ما سمعته سبَّه مثله قط)، ووقع في روایة الطبراني تفسير السبِّ المذكور باللعن ثلاث مرات، وعند أحمد والترمذى: (فعل الله بك و فعل)، وعند أبي داود: (فسبه وغضب).

ثم ذكر ما حاصله: أن الحكمة في إجابة عبدالله بن عمر ولده بلالاً بالسب المفسر باللعن، وإجابته ولده واقد بالسب المفسر بالتأفيف والدفع في الصدر = كون بلال عارض الحديث، وأقسم على منعهن بمجرد رأيه، ولم يستند لشيء، وواعد ذكر علة المخالفة وهي اتخاذهن ذلك دغلاً، أي: وهو - بفتح المهملة ثم المعجمة - الخديعة والمكر، وقاله لما رأى من فساد بعضهن في ذلك الوقت، وحملته على ذلك الغيرة، وإنما أنكر عليه ابن عمر؛ لتصريحه بمخالفة الحديث، وإنما فلو قال مثلاً: إن الزمان قد تغير وإن بعضهن ربما ظهر منه قصد المسجد وإضمار غيره لكان يظهر أن لا ينكر عليه، وإلى ذلك أشارت عائشة بما ذكر في الحديث الأخير.

وأَخِذَ من إنكار عبد الله بن عمر على ولده وسَبِّه إِيَاه تَأْدِيبُ
المعترض على السنن برأيه وعلى العالم بهواه، وتأديبُ الرجل ولده
- وإن كان كبيراً - إذا حصل منه ما لا ينبغي، وتأديبُ العالم من يتعلم
عنه إذا وقع منه خلاف الصواب، وظهرت منه المعاندة، وجوازُ
التَّأْدِيبُ بِالْهِجْرَانِ؛ فقد وقع في بعض طرقه عند أَحْمَدَ: فما كَلَمَهُ
عبد الله حتى مات.

قال القَلْقَلِيَّ تَبَعَا لِلْحَافِظِ: وهذا - إن كان محفوظاً - فيحتمل
أن يكون عبد الله مات عقب هذه الواقعة بقليل، ولم يحصل بينهما
اجتماع يقتضي الكلام، فلا دليل فيه حيَّثُدِ، لاسيما وقد صح النهي
عن الهجران، انتهى.

واعلم أنه قد وقع عقب هذا الحديث زيادة، وهي : (باب انتظار
الناس قيام الإمام العالم)، قال الحافظ: هي في رواية كريمة، وكذا في
نسخة الصَّاغَانِيِّ، وليس ذلك بمعتمد؛ إذ لا تعلق لذلك بهذا الموضع،
بل قد تقدم في موضعه من الإمامة بمعناه، انتهى.

* * *

انتظار الناس قيام الإمام العالم

٨٦٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي هِنْدُ بْنُتُ الْحَارِثِ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهَا: أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ إِذَا سَلَمَنَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ قُمْنَ، وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ.

وبالسند قال:

(حدثنا عبد الله بن محمد) المسندي (قال: حدثنا عثمان بن عمر) ابن فارس قال: (أخبرنا يونس) بن بزيد الأيلبي ، (عن الزهرى قال: حدثنى هند بنت الحارث) الفراشية: (أن أُمَّ سلمة زوج النبي ﷺ أخبرتها: أن النساء في عهد رسول الله ﷺ كنَّ إذا سلمن من) الصلاة (المكتوبة قمن، وثبت) عطف على (قمن)؛ أي: كن إذا سلمن ثبت (رسول الله ﷺ، [ومن صلَّى من الرجال ما شاء الله، فإذا قام رسول الله ﷺ][١] قام الرجال)، وتقديم الحديث في أواخر صفة الصلاة

(١) ما بين معکوفتين مستدرک من «عمدة القاري» (٦/١٦٧).

في (باب مكث الإمام في مصلاه بعد السلام).

ومطابقته للترجمة من حيث إن النساء كنَّ يخرجن إلى المساجد،
وهو أعم من أن يكون بالليل أو بالنهار.

* * *

٨٦٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ بْنِتِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْلِي
الصُّبْحَ، فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرْوُطِهِنَّ، مَا يُعْرَفُ مِنَ الْغَلَسِ.

وبالسند قال:

(حدثنا عبدالله بن مسلمة) القعنبي، (عن مالك) الإمام (ح) هي
للحويل من سند إلى آخر، وسقطت في رواية.

(وحدثنا عبدالله بن يوسف) التّيسّي (قال: أخبرنا مالك، عن
يحيى بن سعيد) الأنباري، (عن عمّرة) - بفتح المهملة وسكون
الميم - (بنت عبد الرحمن) الأنبارية، (عن عائشة) أم المؤمنين رضي
الله عنها (قالت: إن كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكسر همزة (إن)، وهي
المخففة من الثقيلة).

(ليصبح الصبح) بفتح اللام الأولى، وهي الفارقة بين النافية
والمخففة عند البصريين، وعند الكوفيين هي بمعنى: (إلا) و(إن)
نافية.

(فينصرف النساء) حال كونهن (متلفعات) - بفاء ثم مهملة -
 (بمروطهن): جمع: (مِرْط) بكسر الميم: كفاء يؤتزر به .
 (ما يُعرفن من الغلس)، وقد تقدم الكلام عليه في (باب وقت
 الفجر)، ومطابقته للترجمة ظاهرة .

* * *

٨٦٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِسْكِينٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، أَخْبَرَنَا
 الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ
 الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ
 وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي
 كَرَاهِيَّةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» .

وبالسند قال :

(حدثنا محمد بن مسكين)؛ أي: ابن [نميلة بالنون مصغراً، وقد
 وقع في رواية الأصيلي - يعني: ابن ثميلة - بمثلثة]^(١)، وكنيته أبو
 الحسن اليماني، نزيل بغداد .
 وثقة البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم .

مات ببغداد سنة تسع وسبعين ومئتين، روى عنه الجماعة ما عدا
 الترمذى وابن ماجه، روى عنه مسلم حديثاً واحداً .

(١) ما بين معکوفتين مستدرک من هامش «ن» .

(قال: حدثنا بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة، زاد في رواية: (ابن بكر) بفتح الموحدة وسكون الكاف، التّنّيسي، أبو عبد الله البَجْلِي، دمشقي الأصل، وثّقَه العِجْلِي والعقيلي، وقال الحاكم: ثقة مأمون، وروى عن الأوزاعي أشياء انفرد بها.

ذكر هو عن نفسه: أنه ولد سنة أربع وعشرين ومئة، وكان أكثر مقامه بتنّيس ودمياط، وتوفي بدمياط في ذي القعدة سنة خمس ومئتين، وعن دُحِيم: مات سنة مئتين. روى له الجماعة ما عدا مسلماً والترمذى.

قال: (أَخْبَرَنَا)، وفي رواية: (حدثنا) (الأوزاعي) عبد الرحمن بن عمر الإمام قال: (حدثني يحيى بن أبي كثير) - بالمثلثة - (عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري، عن أبيه) قتادة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطوّل فيها، فاسمع بكاء الصبي، فأتجوز؛ أي: فأخفف، وأسمع) و(أتجوز) مرفوعان عطفاً على (لأقوم) (في صلاتي كراهيَةً) بالنصب؛ أي: لأجل، وفي رواية: (مخافَةً) (أن أشقَّ على أمه)، وقد تقدم الكلام عليه في (باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي)، ومطابقته للترجمة ظاهرة أيضاً.

* * *

٨٦٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَوْ أَدْرَكَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَحْدَثَ النِّسَاءَ لَمْنَعْهُنَّ كَمَا مُنِعْتُ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
قُلْتُ لِعَمْرَةَ: أَوْ مُنِعْنَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ.

وبالسند قال :

(حدثنا عبد الله بن يوسف) التّنّيسي (قال: أخبرنا مالك) الإمام (عن يحيى بن سعيد) الأنصاري، (عن عمرة) - بفتح المهملة وسكون الميم - بنت عبد الرحمن الأنصارية، (عن عائشة) رضي الله عنها (قالت: لو أدرك النبي ﷺ مَا أَحْدَثَ النِّسَاءَ؟؛ أي: من قلة المبالاة لما يجب من الحياة ونحوه (لمنعهن)، زاد في رواية: (المسجد)، وفي رواية بدلها: (المساجد) (كما مُنِعْتُ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ)، قال الْكَرْمَانِي: فَإِنْ قُلْتَ: مِنْ أَيْنْ عَلِمْتَ عَائِشَةَ هَذِهِ الْمَلَازِمَةَ، وَالْحُكْمُ بِالْمَنْعِ وَعَدْمِهِ لَيْسَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى؟!

قلت: مما شاهدت من القواعد الدينية المقتضية لجسم مواد الفساد.

قال يحيى بن سعيد: (قلت لعمرة) بنت عبد الرحمن: (أَوْ مُنِعْنَ) ^(١) بهمزة الاستفهام وواو العطف، والفعل مبني للمجهول، والضمير عائد إلى نساء بني إسرائيل؛ أي: من المساجد. (قالت)؛ أي عمرة: (نعم) منعهن منها.

قال الحافظ: ويظهر أن عمرة تلقته عن عائشة، ويحتمل أن يكون عن غيرها، وقد ثبت ذلك من حديث عروة عن عائشة موقوفاً، أخرجه

(١) في «و» و«ن»: «أَوْ مُنِعْنَ»، والتوصيب من «عدمة القاري» (٦/١٥٩).

عبد الرزاق بإسناد صحيح، ولفظه : قالت : كن نساء بنى إسرائيل يتخذن أرجلًا من خشب يتشرفن للرجال في المساجد، فحرم الله عليهن المساجد، وسلطت عليهن الحيبة.

وهذا - وإن كان موقوفاً - فحكمه الرفع؛ لأنه لا يقال بالرأي.

قال : وتمسك بعضهم بقول عائشة في منع النساء مطلقاً، وفيه نظر؛ إذ لا يترتب على ذلك تغيير الحكم؛ لأنها علقته على شرط لم يوجد بناء على ظن ظته، فقالت : لو رأى لمنع، فيقال : لم ير ولم يمنع، فاستمر الحكم، حتى إن عائشة لم تصرّح بالمنع، وإن كان كلامها يشعر بأنها كانت ترى المنع، وأيضاً فقد علم الله سبحانه ما يستحدثن فما أوحى إلى نبيه بمنعهن، ولو كان ما أحذثن يستلزم منعهن من المساجد لكان مُنْعَهُن من غيرها كالأسواق أولى، وأيضاً فالإحداث إنما وقع من بعض النساء لا من جميعهن، فإن تعين المنع فليكن لمن أحذثت، انتهى.

أقول : لو حمل قول عائشة : (لمنعهن) على منع من أحذثت منه ما أحذثت = لكان المعنى صحيحاً، ولعل هذا هو مراد قول صاحب «المصابيح» : فيه أنه يحدث للناس فتاوى بقدر ما أحذثوا، كما قاله الإمام مالك رضي الله عنه، وقال : ليس هذا من التمسك بالمصالح المرسلة المبaitة للشريعة كما تخيله بعضهم، وإنما مراده كمراد عائشة؛ أي : يحدثون أمراً تقتضي أصول الشريعة فيه غير ما اقتضته قبل حدوث ذلك الأمر، ولا غرو في تبعية الأحكام للأحوال، انتهى، والله أعلم.

* * *

صلوة النساء خلف الرجال

(باب صلاة النساء خلف الرجال)؛ أي: صفوفهم.

٨٧٠ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَرَعَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ هِنْدِ بْنِتِ الْحَارِثِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ، قَالَ: نَرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ مِنَ الرِّجَالِ.

وبالسند قال:

(حدثنا يحيى بن قرعة) - بالقاف والزاي والمهملة المفتوحات، وقد تسكن الزي - القرشي، المكي، المؤذن، ذكره ابن حبان في «الثقة»، ولم يذكروا له وفاة، وقال في «الالتقريب»: مقبول من العاشرة، روى عنه البخاري فقط، وفي «الزهرة»: روى عنه البخاري مئة وعشرين حديثاً.

(قال: حدثنا إبراهيم بن سعد) - بسكون العين - الزهري، (عن الزهري، عن هند بنت الحارث) الفراسية، (عن أم سلمة) أم المؤمنين رضي الله عنها

قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة قام النساء حين يقضي تسليمه، ويمكت هو) عليه الصلاة والسلام (في مقامه) - بفتح الميم - (يسيراً قبل أن يقوم، قال): أي: الزهري، وهو موصول بالإسناد المذكور، كما نبه عليه الحافظ في (باب مكت الإمام في مصلاته بعد السلام)، وقال الكرماني: وهذا إدراج منه.

(نرى) بفتح النون وضمها؛ أي: نعتقد أو نظن (والله أعلم أن ذلك) الفعل (كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال)، وفي روایة، وهي في أصل «اليونينية»: (أن يدركهن من الرجال) وقال في هامشها: ضبب ابن عساكر على (من)؛ أي: على لفظة (من) وفي أخرى: (قبل أن يدركهن أحد من الرجال)، وتقدم الكلام عليه في ذلك الباب، ومطابقته للترجمة من جهة أن صفت النساء لو كان أمام الرجال أو بعضهم للزم من انصرافهن قبلهم أن يتخطّلُنَّهم، وذلك منهى عنه.

• • •

٨٧١ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعِيمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَيْنَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ،
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَعْدَتْ وَيَتِيمُ
خَلْفَهُ، وَأُمُّ سُلَيْمٍ خَلْفَنَا.

والسندي قال:

(حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين (قال: حدثنا ابن عيينة)، وفي

رواية: (سفيان بن عيينة) (عن إسحاق بن عبد الله)، وسقط (ابن عبد الله) في رواية.

(عن أنس) رضي الله عنه (قال: صلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في بيته أم سليم)، وقع في بعض الأصول: (أم سلمة)، ورقم عليها في هامش «اليونينية» عالمة أبي ذر في نسخته، ولم ينبه عليها أحد، والظاهر أنه وهم. (فقمت ويتيم خلفه) فيه شاهد لمذهب الكوفيين في جواز العطف على المرفوع المتصل بدون توكيده.

(وأم سليم خلفنا)، وتقدم الكلام عليه في (باب المرأة وحدها تكون صفأ)، وفي (باب الصلاة على الحصير)، ومرأة أن اليتيم اسمه ضميرة مصغراً.

وموضع الترجمة منه قوله: (وأم سليم خلفنا).

* * *

١٦٥ - بَابٌ

سُرْعَةُ انْصِرَافِ النِّسَاءِ مِنَ الصُّبْحِ
وَقَلَّةُ مَقَامِهِنَّ فِي الْمَسْجِدِ

(باب سرعة انصراف النساء من الصبح، وقلة مقامهن في المسجد)
خوفاً من أن يعرفن بسبب انتشار الضوء إذا مكثن، ومم (مقامهن) بالفتح
وبضمها من (أقام). .

وَقَيْدُهُ بِالصُّبْحِ؛ لِأَنَّ طُولَ التَّأْخِيرِ فِيهِ يُفْضِي إِلَى الْإِسْفَارِ،
فَنَاسِبُ الْإِسْرَاعِ بِخَلَافِ الْعِشَاءِ؛ فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَى زِيَادَةِ الظُّلْمَةِ فَلَا يَضُرُّ
الْمَكْثَ.

٨٧٢ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا
فُلَيْحٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الصُّبْحَ بِغَلَسٍ فَيُتَصَرِّفُنَّ نِسَاءُ
الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُعْرَفُنَّ مِنَ الْغَلَسِ، أَوْ لَا يُعْرَفُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا.

وبالسند قال:

(حدثنا يحيى بن موسى) الملقب بـ: خَتٌّ، بمعجمة مفتوحة وفوقية
مشددة، (قال: حدثنا سعيد بن منصور؛ أي: ابن شعبة الخراساني، أبو
عثمان المروزي، ويقال: ولد بجوزجان، ونشأ بيلخ، وطاف البلاد،

وسكن مكة ومات بها.

اتفقوا على توثيقه وإمامته وحفظه، وهو راوية سفيان بن عيينة،
وأحد أئمة الحديث، له مصنفات كثيرة، منها «سننه» الشهيرة، متفق
على^(١) إخراجه في «الصحيحيين».

وقد أحسن الثناء عليه أحمد، وفَحَمَ أمره، وقال: إنه من أهل
الفضل والصدق، وقيل له: من بمكة؟ قال: سعيد بن منصور.
وقال أبو حاتم: من المتقين الأثبات ممن جمع وصنف.

وقال حرب بن إسماعيل: كتبت عنه ستة مئتين وتسعمائة عشرة،
وأملأ علينا نحواً من عشرة آلاف حديث من حفظه، ثم صنف بعد
ذلك الكتب، وكان موسعاً عليه.

مات بمكة في شهر رمضان سنة سبع وعشرين ومئتين، وقيل: سنة
ثمان، وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة ست وعشرين ومئتين، والصحيح
الأول.

قال في «الفتح»: هو من شيوخ البخاري، وربما روى عنه بواسطة
كما هنا.

وروى عنه مسلم وأبو داود، وروى له الباقيون.

(قال: حدثنا فليح) - بالتصغير - ابن سليمان، (عن عبد الرحمن
ابن القاسم، عن أبيه) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، (عن

(١) «متفق على» مستدرك من «سير أعلام النبلاء» (١٠ / ٥٩٠).

عائشة) رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح بغلس، فينصرفن نساء المؤمنين) هو على لغة بنى الحارث.

وذكر الْكَرْمَانِي أن في بعض النسخ: (نساء المؤمنات)، وقال: تأويله نساء الأنفس المؤمنات، أو أن الإضافة بيانية، أو أن (النساء) هنا بمعنى الفاضلات؛ أي: فاضلات المؤمنات، وتقدم مثله. (لا يُعرفن) – بالبناء للمفعول – (من الغلس، أو قالت: لا يُعرف بعضهن بعضاً)، وفي رواية: (لا يُعرفن بعضهن بعضاً)، وهو على تلك اللغة أيضاً.

وقد تقدم الكلام على الحديث في (باب وقت الفجر)، ومطابقته للترجمة من حيث إن انصرافهن بغلس دليل على سرعته، وقلة مقامهن بعد الصلاة.

* * *

١٦٦ - بَابٌ

اسْتِئْذَانِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ

(باب استئذان المرأة زوجها بالخروج)؛ أي: في الخروج (إلى المسجد)؛ لأجل العبادة.

٨٧٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنْتِ امْرَأَةً أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْنَعُهَا».

وبالسند قال:

(حدثنا مُسَدَّد)؛ أي: ابن مُسْرَهَد قال: (حدثنا يزيد بن زريع) - بالتصغير - (عن معمر) هو ابن راشد، (عن الزهري)، عن سالم بن عبد الله، سقط (ابن عبد الله) في رواية، (عن أبيه) عبد الله بن عمر بن الخطاب، (عن النبي ﷺ)؛ أنه قال: (أما إذا استأذنت امرأة أحدكم)؛ أي: في أن تخرج إلى المسجد أو ما في معناه، كشهود العيد وعيادة المريض، وقد وقع التقييد بالمسجد في بعض طرقه .
(فلا يمنعها) بالجزم في «اليونينية».

وتقديم الكلام على الحديث في (باب خروج النساء إلى المساجد)،

وأخرجه هناك من غير هذا الطريق، وبغير لفظه.

قال الحافظ: ومقتضى الترجمة: أن جواز خروجها يحتاج إلى إذن الزوج، وقد تقدم البحث فيه أيضاً، انتهى.

واعلم أنه زاد في «اليونينية» بعد هذا الحديث (باب صلاة النساء خلف الرجال)، وهو مكرر مع ما قبله، وأورد فيه الحديثين اللذين ذكرهما قبل مقدماً حديث أنس على حديث أم سلمة. قال القسطلاني: وهو ساقط في جميع الأصول التي وقفت عليها؛ لأنه لا فائدة في تكريره.



(١١)

كتاب الجمعة

(١١)

كتاب الجمعة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(كتاب الجمعة)

قال الحافظ : ثبتت هذه الترجمة للأكثر ، ومنهم من قدمها على البسمة ، وسقطت لكريمة ولأبي ذر عن الحَمْوِي ، والمشهور في ميم (الجمعة) الضم ، وقد تسكن ، وحكي فتحها وكسرها ، والتاء فيه ليست للتأنيث ؛ لأنَّه صفة لليوم ، بل للمبالغة كعلامة ، أو هي صفة للساعة ، قاله الكَرْمَانِي .

واختلف في تسمية اليوم بذلك مع الاتفاق على أنه كان يسمى في الجاهلية العَرُوبَة ، بفتح المهملة وضم الراء وبالموحدة .

فقيل : سمي بذلك لأنَّ كمال الخلائق جمع فيه ، ذكره أبو حذيفة البخاري في «المبتدأ» عن ابن عباس ، وإنْسَاده ضعيف .

وقيل : لأنَّ خلق آدم جمع فيه ، أخرجه أَحْمَد وابن خزيمة ، وله شاهد عن أبي هريرة بإسناد قوي موقوفاً ، وبإسناد ضعيف مرفوعاً .

قال الحافظ : وهذا أصح الأقوال ، ويليه ما أخرجه عبدُ بن حميد

عن ابن سيرين بسند صحيح إليه في قصة تجميع الأنصار مع أسد بن زراة، وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، فصلى بهم وذكراهم، فسموه الجمعة حين اجتمعوا إليه.

وقيل: لأن كعب بن لؤي كان يجمع قومه فيه، فيذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم، ويخبرهم بأنه سيبعث منهنبي، أخرجه الزبير ابن بكار في «كتاب النسب» عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مقطوعاً.

وقيل: إن قصيأ هو الذي كان يجمعهم.

وقيل: لاجتماع الناس للصلوة فيه، وبهذا جزم ابن حزم فقال: إنه اسم إسلامي لم يكن في الجاهلية، وإنما كان يسمى العروبة.

وتعقبه الحافظ فقال: قال أهل اللغة: إن العروبة اسم قديم كان للجاهلية، وقالوا في الجمعة: هو يوم العروبة، قال: فالظاهر أنهم غيروا أسماء الأيام السبعة بعد أن كانت: أول، أهون، جبار، دبار، مؤنس، عروبة، شيار، انتهى.

وأنشد ابن دريد لبعض شعراء الجاهلية:

أَوْمَلُ أَنْ أَعِيشَ وَإِنَّ يَوْمِي
بِأَوَّلِ أَوْ بِأَهُونَ أَوْ جُبَارِ
أَوْ التَّالِي دُبَارٍ فَإِنْ أَفْتَهُ
فَمُؤْنَسٌ أَوْ عَرَوِيَّةٌ أَوْ شِيَارٍ
فَبِدأْ بِيَوْمِ الْأَحَدِ، ثُمَّ بِبَقِيَّةِ الْأَيَّامِ عَلَى التَّوَالِيِّ.

وقد ذكروا له خصوصيات أفردت بالتأليف، وهو أفضل أيام الأسبوع، قال عليه الصلاة والسلام: «خير يوم طلعت عليه الشمس

يُومُ الجمعة» الحديث ، متفق عليه من حديث أبي هريرة .
وأخرج الحاكم وصححه : «سِيدُ الْأَيَّامِ يُومُ الْجُمُعَةِ ، وَيُومُ عَرْفَةَ
أَفْضَلُ أَيَّامِ السَّنَةِ» .

والصحيح عندنا : أن يوم عرفة أفضل من يوم الجمعة .

* * *

١ - باب

فرض الجمعة، لقول الله تعالى

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَأَسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]

(باب فرض الجمعة لقول الله تعالى)، وفي رواية: (عَلَى): ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾؛ أي: أذن لها عند قعود الخطيب على المنبر ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾؛ أي: في يومها ﴿فَأَسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الخطبة أو الصلاة أو هما معاً، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ المعاملة، فهي حرام حيتذ، ﴿ذَلِكُمْ﴾؛ أي: السعي ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المعاملة؛ فإن نفع الآخرة أفضل وأبقى، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كنتم من أهل العلم.

كذا في رواية كريمة وأبي ذر، وانتهت رواية الأكثر إلى قوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، وزاد في رواية: (﴿فَأَسْعَوْا﴾؛ فامضوا) وهو تفسير منه للمراد بالسعي هنا بخلافه في قوله: «فلا تأتوها تسعون»، فإن المراد به الجري، وسيأتي في (التفسير) أن عمر قرأ: (فامضوا)، وهو يؤيد ذلك.

وأستدلال البخاري بهذه الآية على فرضية الجمعة سبقة إليه الشافعى في «الأم»، وكذا بحديث الباب.

وقال الشيخ الموفق: الأمر بالسعى يدل على الوجوب؛ إذ لا يجب السعي إلا إلى واجب.

وقال ابن المُبَيْر: وجه الدلالة من الآية مشروعية النداء لها؛ إذ الأذان من خواص الفرائض، وكذا النهي عن البيع؛ لأنه لا ينهى عن المباح - يعني: نهي تحريم - إلا إذا أفضى إلى ترك واجب، ويضاف إلى ذلك التوبيخ على قطعها.

واختلف في وقت فرضيتها؛ فالأكثر على أنها فرضت بالمدينة، وهو مقتضى ما تقدم: أن فرضيتها بالأية المذكورة، وهي مدينة.

وقال الشيخ أبو حامد في «تعليقه»: فرضت بمكة، وهو غريب.

وأول جمعة جمعت بعد قدوم رسول الله ﷺ بالمدينة بأربعة أيام في بني سالم بن عوف، فإنه ﷺ قدم المدينة يوم الإثنين، ونزل في دار بني عمرو بن عوف، وهي قباء، ثم ارتحل منها يوم الجمعة، وهو راكب ناقته القصواء، فأدركه الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف بين قباء والمدينة، فصلى بال المسلمين الجمعة هناك، في دار يقال له: رانونا براء مهملة ونونين، فكانت أول جمعة صلاتها بالمدينة أو مطلقاً.

وأخرج أبو داود وابن حبان بإسناد حسن عن كعب بن مالك قال: إن أسعد بن زراراً أول من جمع بنا في نقيع يقال له: نقيع الخضمان - بالنون - من حرة بني بياضة، وهي قرية على ميل من المدينة، وكانوا أربعين رجلاً.

وفي معجمي الطبراني «الكبير» و«الأوسط» بسند ضعيف عن أبي مسعود الأنصاري: أول من قدم من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير، وهو أول من جمع بها الجمعة، جمعهم قبل أن يقدم النبي ﷺ، وهم اثنا عشر رجلاً.

وله شاهد عند الدارقطني من حديث ابن عباس: (أذن للنبي ﷺ في الجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع أن يجمع بمكة، فكتب إلى مصعب بن عمير: «أما بعد: فانتظر اليوم الذي يجهر فيه اليهود بالزبور، فاجمعوا نساءكم وأبنائكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بركتين»).

قال: فهو أول من جمع، حتى قدم النبي ﷺ المدينة فجمع عند الزوال من الظهر، وأظهر ذلك.

ومذهب الشافعية والمالكية والحنابلة وزفر: أن الجمعة فرض الوقت، والظهر بدل عنها، وبه قال محمد في رواية عنه، وفي القديم للشافعي، وبه قال أبو حنيفة وأبو يوسف: الفرض الظهر، وقال محمد في رواية: الفرض أحدهما.

* * *

٨٧٦ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزَّنَادِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هُرْمُزَ الْأَعْرَجَ مَوْلَى رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ

السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ
الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَأَخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَذَا إِنَّا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعُّ،
الْيَهُودُ غَدَأَ وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدِّهِ .

وبالسند قال :

(حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع (قال: أخبرنا شعيب) ابن أبي حمزة (قال: حدثنا أبو الزناد) عبدالله بن ذكوان: (أن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى ربيعة بن العارث حدثه: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: نحن الآخرون السابقون يوم القيمة); أي: الآخرون زماناً، الأولون منزلة، والمراد: أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة.

وقيل: المراد بالسبق هنا: إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل، وهو يوم الجمعة، ويوم الجمعة وإن كان مسبوقاً بسبتٍ قبله أو أحدٍ، لكن لا يتصور اجتماع الأيام الثلاثة متواالية إلا ويوم الجمعة سبق.

وقيل: المراد بالسبق؛ أي: إلى القبول والطاعة التي حُرِّمَها أهل الكتاب، فقالوا: سمعنا وعصينا.

قال الحافظ: والأول أقوى.

(بَيْدَ أَنَّهُمْ)؛ أي: اليهود والنصارى؛ لقرينة قامت عليه (أوتوا

الكتاب من قبلنا)، قال الحافظ: وسقط من الأصل قوله: (وأوتيناه من بعدهم)؛ أي: والضمير فيه عائد على القرآن، وهو ثابت في رواية أبي زرعة الدمشقي، عن أبي اليمان شيخ البخاري فيه، أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» عنه، وكذا لمسلم من طريق ابن عيينة عن أبي الزناد.

قال: وسيأتي تماماً عند المصنف بعد أبواب من وجه آخر عن ابن عيينة، انتهى.

قال الحافظ: اللام في (الكتاب) للجنس، والمراد: التوراة والإنجيل، والضمير في (أوتيناه) للقرآن.

قال: وقال القرطبي: المراد بـ(الكتاب): التوراة.

قال: وفيه نظر، لقوله: (وأوتيناه من بعدهم)، فأعاد الضمير على (الكتاب)، فلو كان المراد التوراة لما صحَّ الإخبار؛ لأنَّا إنما أوتينا القرآن، انتهى.

وحاصِل كلام الحافظ: أن اللام إذا كانت للجنس لم يشكل عود ضمير (أوتيناه) للقرآن، وإن كانت للعهد - كما قاله القرطبي - أشكَّل ذلك، ويمكن الجواب بأنه من باب الاستخدام، والله أعلم.

و(يَد) بموحدة ثم تحاتية ساكنة، قال الحافظ: مثل (غير) وزناً ومعنى، وبه جزم الخليل والكسائي ورجحه ابن سيده؛ أي: ويأتي توجيهه في كلام الطَّيْبِي.

وعن الشافعي: أن معناها من أجل، واستبعده عياض، ولا بُعدَ

فيه، بل معناه: أنا سبقنا بالفضل إذ هدينا للجمعة مع تأخرنا في الزمان، بسبب أنهم ضلوا عنها مع تقدمهم، ويشهد له ما في بعض طرقة بلفظ: (لأنهم أتوا الكتاب من قبلنا)، وما في «موطاً سعيد بن عفيراً»، عن مالك، عن أبي الزناد بلفظ: (ذلك بأنهم أتوا الكتاب).

وقال الداودي: هي بمعنى: (على) أو (مع).

قال القرطبي: إن كانت بمعنى (غير) فنصب على الاستثناء، وإن كانت بمعنى (مع) فنصب على الظرفية.

وقال الطيبي: هي للاستثناء، وهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، والمعنى: نحن السابقون للفضل، غير أنهم أتوا الكتاب من قبلنا، ووجه التأكيد فيه ما أُدْمِج من معنى النسخ؛ لأن الناسخ هو السابق في الفضل، وإن كان متاخراً في الوجود، وبهذا التقرير يظهر موقع قوله: (نحن الآخرون) مع كونه أمراً واضحاً، انتهى.

(ثم هذا)، الإشارة إلى يوم الجمعة؛ لكونه ذكر في أول الكلام، كما عند مسلم من طريق آخر عن أبي هريرة، ومن حديث حذيفة قالا:

قال رسول الله ﷺ: «أصلَ اللهُ عن الجمعة من كان قبلنا»، الحديث.

(يومهم الذي فُرِضَ عليهم)، وفي رواية: (فرض الله عليهم)، (فاختلقوه فيه)، قال ابن بطال: ليس المراد أن يوم الجمعة فُرِضَ عليهم بعينه فتركوه؛ لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن، وإنما المراد - والله أعلم - أنه فرض عليهم يوم من الجمعة، ووَكَلَ إلى اختيارهم؛ ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلقوه في أيّ الأيام

هو، ولم يهتدوا ليوم الجمعة.

ومال عياض إلى هذا، ورَسَّحَهُ بأنَّه لو فُرِضَ عَلَيْهِمْ بَعْيَنَهُ لَقَلِيلٌ :
(فَخَالَفُوا) بَدْل (فَخَتَلُفُوا).

وقال التَّوَوْيِيُّ : يمكن أن يكونوا أَمْرُوا بِهِ صَرِيحاً ، فَاخْتَلَفُوا : هَلْ
يَلْزَمْ بَعْيَنَهُ ، أَمْ يَسْوَغُ إِبْدَالُهُ يَوْمَ آخَرٍ ؟ فَاجْتَهَدُوا فِي ذَلِكَ فَأَخْطَأُوا ،
أَنْتَهُى .

أَيْ : وَبِقُولِهِ : (أَمْ يَسْوَغُ إِبْدَالُهُ يَوْمَ آخَرٍ) يَجَابُ عَنْ قَوْلِ ابْنِ
بَطَالٍ : (لَا يَحْجُزُ لَأَحَدٍ أَنْ يَتَرَكَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ) ؛ لَأَنَّهُمْ لَمْ
يَتَرَكُوهُ ، بَلْ جَعَلُوا بَدْلَهُ يَوْمَآخَرٍ .

قَالَ الْحَافِظُ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِالْخِتَالَفِ الْخِتَالَفُ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى فِي ذَلِكَ .

قَالَ : وَقَدْ رُوِيَ ابْنُ أَبِي حَاتِمَ عَنِ السَّدِيِّ التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهُ فَرَضَ
عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْيَنَهُ فَأَبْوَا ، وَلِفَظُهُ : إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى الْيَهُودِ
الْجُمُعَةَ ، فَأَبْوَا وَقَالُوا : يَا مُوسَى ! إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ فِي يَوْمِ السَّبْتِ شَيْئاً
فَاجْعَلْهُ لَنَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِعَجِيبٍ مِّنْ مُخَالَفَتِهِمْ ، كَمَا وَقَعَ لَهُمْ فِي قُولِهِ :
﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِجَّةً﴾ [البقرة: ٥٨] وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ لَا
وَهُمُ الْقَاتِلُونَ : ﴿سَيَعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النَّسَاء: ٤٦] ! أَنْتَهُى .

وَقَالَ الْقَسْطَلَانِيُّ : وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ مَا نَقَلَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْيَيِّ : أَنَّ
مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَيْنَ لَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِفَضْلِهِ ،
فَنَاظَرُوهُ بِأَنَّ السَّبْتَ أَفْضَلُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : دَعْهُمْ وَمَا اخْتَارُوا .

قال : والظاهر أنه عينه لهم ، ويشهد له قوله : «هذا يومهم الذي فرض عليهم» ؛ فإنه ظاهر أو نص في التعين ، ولأن السياق يدل على ذمهم في العدول عنه ، وهذا لا يكون إلا إذا عين لهم ؛ لأنه لو لم يعين لهم ، ووكل التعين إلى اجتهادهم ، لكان لا لوم عليهم فيما أداه إليه اجتهادهم من السبت أو الأحد ، بل يلزمهم العمل بمقتضى اجتهادهم ، انتهى .

(فهدا نا الله له) يحتمل أن يراد بأنه نصّ لنا عليه ، وأن يراد الهدى إليه بالاجتهاد .

قال الحافظ : ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ ، وقبل أن تنزل الجمعة ، فقالت الأنصار : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فهم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله ونصلّى ونشكره ، فجعلوا يوم العروبة ، واجتمعوا إلى أسعد بن زراة ، فصلّى بهم يومئذ ، وأنزل الله تعالى بعد ذلك : ﴿إِذَا نُودِي للصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة : ٩] . . . الآية .

وهذا - وإن كان مرسلاً - لكن له شاهد ، وهو حديث كعب بن مالك السابق ، الذي أخرجه أبو داود وغيره بإسناد حسن ، فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ، ولا يمنع ذلك أن يكون النبي ﷺ علمه بالوحي وهو بمكة ، فلم يتمكن من إقامتها ثم ، ولذلك جمع بهم أول ما قدم المدينة ، وعلى هذا فقد

حصلت الهدایة للجامعة بجهتی البيان والتوفیق.

وقیل: الحکمة فی اختیاره: أن الله تعالیٰ أکمل فیه الموجدات، وأوجد فیه الإنسان الذي ینتفع بها، فناسب أن یشکر علی ذلك بالعبادة فیه.

وقال فی «المصابیح»: قال ابن المُنیّر فی قوله: (فهدانا الله له) دلیل لطیف علی أن الإجماع یخصل هذه الأمة؛ أي: ويکونون فیه معصومین من الخطأ، خلافاً لمن زعم أن غيرهم مثلهم، ووجه الدلیل: أن کل واحد من الأمتیں اجتمعت علی تفضیل یوم، وأخطأت فیه.

قال: والسرُّ فی اختصاص هذه الأمة بالصواب فی الإجماع أنهم الجماعة بالحقيقة؛ لأن نبینا علیه الصلاة والسلام بعث إلی الناس کافة، وغیره من الأنبياء إنما کان یبعث لقومه، وهم بعض من کل، فیصدق علی کل أمة أن المؤمنین غير منحصرین [فیهم] فی عصر واحد، وأما هذه الأمة فالمؤمنون منحصرون فیهم، وید الله مع الجماعة، انتهى.

(فالناس لنا فیه تبع)، وسقط لفظ (فیه) من روایة، ومر أنه - وإن كان مسبوقاً بسبیت أو أحد قبله - لكن المراد أن الثلاثة الأيام متواالية لا یكون الجمعة فیها إلا سابقاً.

(الیهود غداً، والنصاری بعد غد)، قال فی «المصابیح»: إن تعید اليهود غداً وتعید النصاری بعد غد، کذا قدره ابن مالک؛ لیسلم من الإخبار بظرف الرمان عن الجنة، وقیل - أي: وقائله القرطبی -: التقدیر

اليهود يعظمون غداً، والنصارى يعظمون بعد غدٍ، فليس ظرفاً، وإنما هو مفعول به.

قلت : قوله بعد ذلك في رواية أخرى : (فغداً اليهود ، وبعد غد النصارى) يرجح الأول ، وفيه بحث ، انتهى .

وقال الحافظ : وسبق ابن مالك إلى نحوه عياضٌ . قال : وهو أوجه من كلام القرطبي .

وزاد ابن خزيمة بعد قوله : (فهداانا الله له) : (فهو لنا ، ولليهود يوم السبت ، وللنصارى يوم الأحد) ، والمعنى : أنه لنا بهداية الله تعالى ، ولهم باعتبار اختيارهم وخطئهم في اجتهادهم .

واستدل به النّووي على فرضية الجمعة ؛ لقوله : «فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فهداانا الله له» ؛ فإن التقدير : فرض عليهم علينا فضلوا وهدينا ، وفي بعض طرقه عند مسلم بلفظ : (فكتب علينا) .

وفي الحديث أن الهدایة والإضلال من الله تعالى ، كما هو مذهب أهل السنة ، وأن سلامة الإجماع من الخطأ مخصوصٌ بهذه الأمة كما مر ، وأن استنباط معنى من الأصل يعود عليه بالإبطال باطل ؛ أي : من حيث أنه عُيِّن لهم كما مر ، فقالت اليهود : يوم السبت يوم قد فرغ فيه من خلق الخلق ، فنحن نستريح فيه من العمل ، ونشتغل فيه بالعبادة والشكر لله تعالى ، وقالت النصارى : الأحد أول يوم بدأ الله فيه بخلق الخليقة ، فهو أولى بالتعظيم .

وأن القياس مع وجود النص فاسد ، وأن الاجتهاد في زمن نزول

الوحي جائز، وأن الجمعة أول الأسبوع شرعاً، ويدل على ذلك تسمية الأسبوع كله جمعة، وكانوا - أي : المسلمين - يسمون الأسبوع سبتاً، كما سيأتي في (الاستسقاء) في حديث أنس، وذلك لأنهم كانوا مجاوريين لليهود، فتبعوهم في ذلك.

وفيه بيان واضح لمزيد فضل هذه الأمة على الأمم السابقة، زادها الله تعالى .

* * *

٢ - باب

فَضْلُ الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،
وَهُلْ عَلَى الصَّبِيِّ شَهُودُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، أَوْ عَلَى النِّسَاءِ

(باب فضل الغسل يوم الجمعة)، قال ابن المنيّر: لم يذكر الحكم لما وقع فيه من الخلاف، واقتصر على الفضل؛ لأن معناه الترغيب فيه، وهو القدر الذي تتفق الأدلة على ثبوته.
(وهل على الصبي شهود يوم الجمعة)، سقط لفظ (يوم) من روایة .

(أو على النساء)، وسيأتي الكلام على هذا في آخر الباب .
٨٧٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ». .

وبالسند قال :

(حدثنا عبدالله بن يوسف) التّيسّي (قال: أخبرنا مالك) إمام دار الهجرة، (عن نافع) مولى ابن عمر، (عن عبدالله بن عمر) بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، سقط لفظ (عبدالله) من روایة .

(أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إذا جاء أحدكم الجمعة)؛ أي: صلاة

ال الجمعة، أو المكان الذي تقام فيه، وذكر المجيء لكونه الغالب، وإلا فالحكم عام للآتي والمقيم بالجامع.

(فليغسل)، وفي بعض طرقه: (من جاء منكم)، وفي بعضها عند مسلم: (إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة)، وهي مبينة للمراد من قوله: (إذا جاء) و(من جاء فليغسل)؛ إذ ظاهره أن الغسل يعقب المجيء، فإن الفاء للتعليق، وليس مراداً، فهو نظير قوله تعالى: **﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ أَرْسُولَ فَقَدِّمُوا﴾** [المجادلة: ١٢]، وحديث أبي هريرة الآتي، ولفظه: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى» = صريح في تأخير الرواح عن الغسل، وبه يعلم فساد قول من حمله على ظاهره.

وهذا الحديث له طرق كثيرة، وذكر الحافظ: أنه تتبعها فبلغت أسماء من رواه عن نافع مئة وعشرين نفساً.

قال: فمما يستفاد منه هنا: ذكر سبب الحديث؛ ففي بعض طرقه عند أبي عوانة: كان الناس يغدون في أعمالهم، فإذا كانت الجمعة جاءوا وعليهم ثياب متغيرة، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «من جاء منكم الجمعة فليغسل».

ومنها: ذكر محل القول، ففي بعضها عند النسائي وغيره، عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ على أعواد هذا المنبر بالمدينة يقول.

ومنها: ما يدل على تكرار ذلك، ففي بعضها: كان إذا خطب يوم الجمعة قال، الحديث.

ومنها: زيادة في المتن، ففي بعضها بلفظ: «من أتى الجمعة من

الرجال والنساء فليغتسُلُ، ومن لم يأتها فليس عليه غسل»، ورجاله ثقات.

ومنها: زيادة في المتن والإسناد أيضاً، ففي بعضها عند أبي داود والنسائي وغيرهما، عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الجمعة واجبة على كل محتلم، وعلى من راح إلى الجمعة الغسل».

واحتاج به على أن الغسل للصلوة لا للنوم، قال ابن دقيق العيد: في الحديث دليل على تعليق الأمر بالغسل بالمجيء إلى الجمعة، والمراد إرادة المجيء وقصد الشروع فيه، واستدل به لمالك في أنه يعتبر أن يكون الغسل متصلة بالذهب، ووافقه الأوزاعي والليث، انتهى.

والجمهور من السلف والخلف قالوا: يجزئ من بعد الفجر، ويشهد لهم حديث ابن عباس الآتي قريباً، ولكن تأخيره إلى وقت الذهب أولى.

قال ابن دقيق العيد: ولقد أبعد الظاهري إبعاداً يكاد أن يكون مجزوماً ببطلانه حيث لم يشترط تقدم الغسل على إقامة صلاة الجمعة، حتى لو اغتسل قبل الغروب كفى عنده؛ تعلقاً بإضافة الغسل إلى اليوم؛ أي: كما في حديث أبي سعيد الآتي في هذا الباب.

وقد تبين من بعض الروايات - أي: التي تقدمت وغيرها - أن الغسل لإزالة الرائحة الكريهة. قال: وفِهم منه أن المقصود عدم تأدي

الحاضرين، وذلك لا يتأتى بعد إقامة الجمعة.

قال: ولذلك أقول: لو قدمه بحيث لا يحصل هذا المقصود لم يعتد به، والمعنى إذا كان معلوماً كالنص قطعاً، أو ظناً مقارياً للقطع، فاتباعه وتعلقُ الحكم به أولى من اتباع مجرد اللفظ، انتهى.

وكذا قال الحافظ: ومقتضى النظر أن يقال: إذا عرف أن الحكمة في الأمر بالغسل رعاية الحاضرين من التأدي بالرائحة الكريهة، فمن خشى أن يصيبه في أثناء النهار ما يزيل تنظيفه استحبَ له أن يؤخر الغسل لوقت ذهابه، ولعل هذا هو الذي لحظه مالك من اشتراط اتصال الذهاب بالغسل، انتهى.

ولو قال: استحب له إعادته، لكان أولى.

ثم قال الحافظ: وقد حكى ابن عبد البر الإجماعَ على أن من أغسل بعد الصلاة لم يغسل لل الجمعة، ولا فعلَ ما أمر به.

وقد ادعى ابن حزم أن ما قاله هو قول جماعة من الصحابة والتابعين، وأطال في تقرير ذلك بما هو بصدق المنع والرد، ولم يورد عن أحد من ذكر التصريح بما ذكره، وإنما أورد عنهم ما يدل على أنه لا يشترط اتصال الغسل بالذهاب إلى الجمعة، فاستنبط هو منه: أنه لا فرقَ بين ما قبل الزوال وما بعده، والفرق بينهما ظاهر كالشمس، انتهى.

واستدل بمفهومه على أن الغسل لا يشرع لمن لم يحضر الجمعة، وقد صرَح به في بعض الأحاديث السابقة بقوله: «ومن لم يأتها فليس

عليه غسلٌ، وهو الصحيح عند الشافعية، وبه قال الجمهور خلافاً لأكثر الحنفية.

* * *

٨٧٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ قَالَ: أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ اللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَئِمُّهُ قَائِمٌ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذَا دَخَلَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَنَادَاهُ عُمَرُ: أَيَّةُ سَاعَةٍ هَذِهِ؟ قَالَ: إِنِّي شُغِلْتُ فَلَمْ أَنْقِلِبْ إِلَى أَهْلِي حَتَّى سَمِعْتُ التَّأْذِينَ، فَلَمْ أَرِدْ أَنْ تَوَضَّأَ، فَقَالَ: وَالْوُضُوءُ أَيْضًا؟! وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ.

وبالسند قال:

(حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء) بن عياد بن مخارق، ويقال: ابن مخارق **الضبي**، بضم المعجمة وفتح الموحدة، أبو عبد الرحمن البصري، وهو ابن أخي جويرية الراوي عنه، ثقة، قيل في حقه: أفضل أهل البصرة، وعظم ابن المديني شأنه، وقال أحمد الدورقي: لم أر بالبصرة أفضل منه.

مات سنة إحدى وثلاثين. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود، وروى له النسائي.

(قال: أخبرنا)، وفي رواية: (حدثنا) (جويرية) - تصغير جارية -

(ابن أسماء) عم عبدالله بن محمد، وهو من أقران مالك.

(عن مالك) الإمام، (عن الزهري، عن سالم بن عبدالله بن عمر، عن ابن عمر) بن الخطاب رضي الله عنه: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد رواه أصحاب «الموطات» عن مالك بدون ذكر ابن عمر، لكن وافق جويرية غيره في ذكره، وسردهم في «الفتح» ثم قال: ولجويرية ابن أسماء فيه إسناد آخر أعلى من روایته عن مالك أخرجه الطحاوي وغيره من روایة أبي غسان عنه عن نافع، عن ابن عمر.

(بينما) بالميم، وفي روایة: (بينا) بدون ميم، وجعل في «الفتح» روایة (بينما) بالميم ليونس عند مسلم.

(هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل)، وفي روایة: (إذا جاء رجل) (من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه)، قيل في تعريفهم: من صلی القبلتين، وقيل: من شهد بدرأً، وقيل: من شهد بيعة الرضوان، وهي مراتب سنية.

قال الحافظ: والأول أولى في التعريف لسبقه، فمن هاجر بعد تحويل القبلة وقبل وقعة بدر هو آخر بالنسبة إلى من هاجر قبل التحول.

وقد سمي الرجل في بعض طرقه: عثمان بن عفان.

قال ابن عبد البر: لا أعلم خلافاً في ذلك، وقد سماه أبو هريرة في روایته عند مسلم، كما يأتي بعد بابين.

(فناداء عمر)؛ أي: قال له: يا فلان! (أية ساعة هذه؟) بتشديد التحتية، تأييث (أي) يستفهم بها، والمراد بالساعة هنا: الوقت الحاضر.

قال الْكَرْمَانِي : [يقال] : بعْد أَيْةٍ سَاعَةٍ وَأَيْ سَاعَةٍ؟ قَالَ تَعَالَى :
﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

وهذا استفهام توبیخ وإنكار، والمعنى : لم تأخرت إلى هذه الساعات؟ وقد ورد التصریح بالإنكار في رواية أبي هريرة الآتیة : فقال عمر : لم تتحبسون عن الصلاة؟ وعند مسلم : فعَرَضَ بِهِ عَمْرٌ فَقَالَ : مَا بَالِ رِجَالٍ يَتَأْخِرُونَ بَعْدَ النَّدَاءِ؟ ! .

قال الحافظ : والذی يظهر أن عمر قال ذلك كله، فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظ الآخر، ومراد عمر التلمیح إلى ساعات التبکیر التي ورد الترغیب فيها، وأنها إذا انقضت طوت الملائكة الصحف، كما سیأني، وهذا من أحسن التعریضات، وأرشق الکنایات، وفهم عثمان ذلك، فبادر إلى الاعتذار عن التأخیر.

(قال : إِنِّي شُغِلتُ بِضُمِّ أَوْلَهُ مُبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ ، (فلم أُنْقَلِبْ)؛ أي : أرجع إلى أهلي (حتى سمعت التأذین)، وعند أحمد : (قال : انقلبت من السوق، فسمعت النداء)، والمراد به الأذان بين يدي الخطیب، كما سیأني .

(فلم أزد على أن توضأت)؛ أي : لم أشتغل بشيء بعد أن سمعت النداء إلا بالوضوء، وهذا يدل على أنه دخل المسجد في ابتداء شروع عمر في الخطبة، وفي رواية بإسقاط لفظ : (على).

(فقال : وَالْوَضْوَءُ أَيْضًا؟!) هو إنكار آخر على ترك الغسل المؤکد. وقال الحافظ : فيه إشعار بأنه قبل عذره في ترك التأخیر، لكنه

استنبط منه معنى آخر اتجه له عليه فيه إنكار ثانٍ مضافاً إلى الأول.

قال: (والوضوء) في روايتنا بالنصب، وعليه اقتصر النّووي في «شرح مسلم»؛ أي: والوضوء أيضاً اقتصرت عليه، أو اخترته دون الغسل، والمعنى: أما اكتفيت بتأخير الوقت وتفويت الفضيلة، حتى تركت الغسل واقتصرت على الوضوء؟

قال: وجوز القرطيبي الرفع - أي: وهو الذي في «اليونينية» لا غير - على أنه مبتدأ وخبره ممحون؛ أي: والوضوء أيضاً يقتصر عليه.

قال: وأغرب السهيلي فقال: اتفق الرواية على الرفع؛ لأن النصب يخرجه إلى معنى الإنكار؛ يعني: والوضوء لا ينكر، وجوابه ما تقدم؛ أي: وهو أن المعنى على الإنكار.

والظاهر أن الواو عاطفة، وقال القرطيبي: هي عوض عن همزة الاستفهام، كقراءة ابن كثير: (قال فرعون وأمتنم)، ومعنى قول عمر أيضاً: ألم يكفك أن فاتك فضل التبشير حتى أضفت إليه ترك الغسل المرغب فيه؟! انتهى.

قال السيوطي: إن صحت هذه اللفظة من قول عمر، ولم تكن مروية بالمعنى، ففيه دليل على أنها عربية، وقد توقف ابن هشام في عريتها في مثل هذا التركيب، وهي مصدر أو حال؛ أي: ورجعت إلى تقصير آخر أيضاً، انتهى.

وقال الزركشي: ونصب (الوضوء) على أنه مفعول بإضمار فعل تقديره: أتخصل الوضوء دون الغسل.

وتعقب في «المصابيح» القول بأن الواو عوض من همزة الاستفهام بأن إبدالها في الآية صحيح؛ لوقعها مفتوحة بعد ضمة. قال: وأما في الحديث فليس كذلك؛ لوقعها مفتوحة بعد فتحة، فلا وجه لإبدالها فيه واواً.

قال: ولو جعله على حذف الهمزة؛ أي: أو تخص الموضوعة أيضاً؟ لجرى على مذهب الأخفش في جواز حذفها قياساً عند أمن اللبس، والقرينة الحالية المقتضية للإنكار شاهدة بذلك، فلا لبس، انتهى.

ثم نقل الزركشي وكذا البرماوي عن ابن السيد: أنه روی بالرفع على لفظ الخبر، والصواب: آل الموضوع - بالمد - على لفظ الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩].

ثم تعقبه الدمامي أيضاً فقال: نقل كلام ابن السيد بقصد توجيه ما في البخاري به غلط؛ فإن كلام ابن السيد في حديث «الموطأ»، وليس فيه واو، وإنما هو: (فقال له عمر: آل الموضوع أيضاً؟) وهذا يمكن فيه المد بجعل همزة الاستفهام داخلة على همزة الوصل، وأما حديث البخاري فالواو داخلة على همزة الوصل، فلا يمكن الإتيان بعدها بهمزة الاستفهام على ما هو معروف في محله، انتهى.

قال القسطلاني: والظاهر أن البدر لم يطلع على رواية الحموي والمستملي التي ليست فيها واو. قال: وحيثذ فلا اعتراض، والله أعلم. (وقد علمت)؛ أي: والحال أنك قد علمت (أن رسول الله ﷺ

كان يأمر)، في رواية جويرية عن نافع: (كنا نؤمر) (بالغسل)، قال في «الفتح»: ولم أقف في شيء من الروايات على جواب عثمان عن قوله: والوضوء أيضاً وقد علمت ... إلخ.

قال: والظاهر أنه سكت عنه اكتفاء بالاعتذار الأول؛ لأنه قد أشار إلى أنه كان ذاهلاً عن الوقت، وأنه بادر عند سماع النداء، وإنما ترك الغسل لأنه تعارض عنده إدراك سماع الخطبة والاشتغال بالغسل، وكل منهما مرغب فيه، فآثار سماع الخطبة، ولعله كان يرى فرضيته فلذلك آثره، والله أعلم، انتهى.

وفي هذا الحديث من الفوائد: القيام في الخطبة وعلى المنبر، وتفقد الإمام رعيته، وأمره لهم بمصالح دينهم، وإنكاره على من أخل بالفضل وإن كان عظيم المثل، ومواجهته بالإنكار ليتردع من هو دونه بذلك، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أثناء الخطبة لا يفسدها، وسقوط الإنصات عن المخاطب بذلك.

وفي الاعتذار إلى ولاة الأمور، وإباحة الشغل والتصرف يوم الجمعة قبل النداء ولو أفضى إلى ترك فضيلة البكور إلى الجمعة؛ لأن عمر لم يأمر برفع الأسواق لأجل هذه القصة.

وفي شهود الفضلاء السوق ومعاناة التجار فيها.

واستدل به على أن غسل الجمعة واجب؛ لقطع عمر الخطبة وإنكاره على عثمان تركه، وهو متعقب؛ لأنه أنكر عليه ترك السنة المذكورة، وهي التبشير إلى الجمعة، فيكون الغسل كذلك.

وعلى أن الغسل ليس شرطاً لصحة الجمعة، وسيأتي البحث فيه في الحديث بعده.

قال الحافظ: واستدل به على أن الأمر لا يحمل على الوجوب إلا بقرينة؛ لقوله^(١): (كان يأمرنا) مع أن الجمهر حملوه على الندب، كما سيأتي في الكلام على الحديث الثالث، وهذا بخلاف صيغة: افعل؛ فإنها على الوجوب حتى تظهر قرينة الندب، انتهى.

* * *

٨٧٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ.

وبالسند قال:

(حدثنا عبد الله بن يوسف) التّيسّي (قال: أخبرنا مالك) الإمام، (عن صفوان بن سليم) - بالتصغير - الزاهد العابد، (عن عطاء بن يسار) ضد اليمين، (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)، وافق مالكا على روایته كذلك الدراوري عند ابن حبان، وخالفهما عبد الرحمن بن إسحاق، فرواه عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، أخرجه أبو بكر المروزي في «كتاب الجمعة».

(١) في «و» و«ن»: «ك قوله»، والتصويب من «فتح الباري» (٢/٣٥٩).

(أن رسول الله ﷺ قال: غسل يوم الجمعة) استدل به من قال:
الغسل لليوم؛ للإضافة إليه، وقد تقدم رده.

واستنبط منه أيضاً: أنه لابد من قصده، فلو اغتسل ولم ينوه لم يحصل، وقد أخذ به أبو قتادة رض حيث قال لابنه وقد رأه يغتسل يوم الجمعة: إن كان غسلك عن جنابة فأعد غسلاً آخر للجمعة، أخرجه الطحاوي وابن المنذر وغيرهما، لكن عند مسلم في حديث الباب: (الغسل يوم الجمعة)، وكذا عند المصنف في الباب الذي بعده، وظاهره أنه حيث وُجِدَ فيه كفى؛ لكون اليوم جعل ظرفاً للغسل، قاله في «الفتح».

قال: ويحتمل أن تكون اللام للعهد، فتتفق الروايتان، انتهى.
(واجب على كل محتلم)؛ أي: بالغ، وإنما ذكر الاحتلام لكونه الغالب.

واستدل به وب الحديث ابن عمر السابق على فرضية غسل الجمعة، وقد حكى ابن المنذر القول بوجوبه عن أبي هريرة وعمار بن ياسر وغيرهما، ونقله ابن حزم عن جمٌّ من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

وتعقب بأنه ليس كلامهم الذي نقله عنهم تصریحًّا بذلك، وإنما هو محتمل، كقول سعد: ما كنت أظن مسلماً يدع غسل يوم الجمعة.
وحكاه ابن المنذر عن مالك، وقال عياض وغيره: ليس ذلك معروفاً [في] مذهبها، والرواية عن مالك بذلك في «التمهيد»، وفيه

أيضاً من طريق أشهب عن مالك: أنه سُئل عنه فقال: حسن، وليس بواجب.

و^{حُكِي} رواية عن أحمد، وظاهر كلام صاحب «المغني»: أنها لم تثبت.

و^{حُكِي} عن بعض الحنابلة التفصيلُ بين ذي النظافة وغيره، فيجب على الثاني دون الأول؛ نظراً إلى العلة.

وحكاه شارح «الغنية» لابن سُرِيج قولًا قدِيمًا للشافعي، وهو غريب لا يعرف عنه، لكن قال في «الرسالة» بعد أن أورد حديثي ابن عمر وأبي سعيد: يحتمل قوله: (واجب) معنيين، الظاهر منهما: أنه واجب، فلا تجزيء الطهارة لصلاة الجمعة إلا بالغسل، كما لا يجزيء في الجنب غير الغسل، ويحتمل أنه واجب في الاختيار وكرم الأخلاق والنظافة، ثم استدل للثاني بقصة عثمان مع عمر التي تقدمت؛ لكون عثمان تركه، ولم يأمره عمر بفعله، فدل على أنهما علموا أن الأمر بالغسل للاختيار، انتهى.

وقال الرافعي والنووي وابن الرّفعة: لا خلاف عندنا أنه مستحب.

قال الحافظ: وعلى هذا الجواب عوّل أكثر المصنفين في هذه المسألة، كالطبراني والطحاوي وابن حبان وابن عبد البر وابن خزيمة. ومن حكى عنه الوجوب فقد وهم، فقد صرّح في «صحيحه» بأنه على الاختيار، واستدل بالندب بعدة أحاديث.

وزاد بعضهم أن من حضر من المهاجرين والأنصار - وهم أهل

العقد والحل - وافقوا على ذلك، فكان إجماعاً منهم على أنه ليس شرطاً في صحة الصلاة؛ إذ لو كان شرطاً لما تركوه، ولأنّ زمده به، فإن وقته لم يفت.

قال الحافظ: وهو استدلال قوي. قال: وقد نقل الخطابي وغيره بالإجماع على أن الجمعة بدون الغسل مجزئة. قال: ومن حكم الوجوب، فإنه لم يرد أنه شرط، بل هو واجب مستقل تصح الصلاة بدونه، وكأنه قصد أن أصله إرادة التنظيف وإزالة الروائح الكريهة، وهو موافق لمن قال: يحرم أكل الثوم على قاصد الجمعة.

قال: لكن يرد عليهم أنه يلزم من ذلك تأييم عثمان. قال: والجواب: أنه كان معدوراً؛ لكونه كان ذاهلاً عن الوقت، مع احتمال أن يكون قد اغتسل أول النهار، لما في «مسلم» عن حمران: أن عثمان لم يكن يمضي عليه يوم حتى يغتسل، وإنما لم يعتذر لعمر بذلك كما اعتذر عن التأخير؛ لأنّه لم يتصل غسله بذهابه إلى الجمعة، كما هو الأفضل، انتهى.

وقال ابن دقيق العيد: ذهب الأكثرون إلى استحباب غسل الجمعة، وهم محتاجون إلى الاعتذار عن قوله عليه السلام: «غسل الجمعة واجب»، وعن قوله: «إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل»، وقد أؤلوا صيغة الأمر على الندب، وصيغة الوجوب على التأكيد، كما يقال: إكرامك على واجب، وهو تأويل ضعيف، إنما يصار إليه إذا كان المعارض راجحاً على هذا الظاهر، وأقوى ما عارضوا به حديث:

«من توضّأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضّل»،
ولا يعارضُ سندُهُ سندُ هذه الأحاديث، قال: وربما أوّلوه تأويلاً
مستكراً كمن حمل لفظ الوجوب على السقوط، انتهى.

قال الحافظ: فأما الحديث فعوّل على المعارضة به كثيّر من
المصنفين، ووجه الدلالة منه قوله: «فالغسل أفضّل»؛ فإنه يقتضي
اشتراك الوضوء والغسل في أصل الفضل، فيستلزم إجزاء الوضوء،
ولهذا الحديث طرق أشهرها وأقواها رواية الحسن عن سمرة، أخرجها
 أصحاب السنن الثلاثة وابن خزيمة وابن حبان، وحسنه الترمذى، وله
علتان: إحداهما: أنه من عنعنة الحسن، والأخرى: أنه اختلف عليه
فيه، على أن بعض الحفاظ لا يُثبت سماع الحسن من سمرة أصلاً،
وبعضهم يقول: سمع منه حديث العقيقة فقط.

قال الحافظ: وقد جاء هذا الحديث أيضاً عن أربعة من الصحابة:
أنس وعبد الرحمن بن سمرة وأبي سعيد وجابر، لكن طرقها كلها ضعيفة.
ثم ذكر خمسة أحاديث أيضاً عارضوا بها، وبين وجهها، وسيأتي
بعضها في الأبواب الآتية.

ثم قال: ثم إن هذه الأحاديث كلها لو سلمت لما دلت إلا على
نفي اشتراط الغسل، لا على الوجوب المجرد، كما تقدم.

قال: وأما ما أشار إليه ابن دقيق العيد من أن بعضهم أوّله بتأويل
مستكراً، فقد نقله ابن دحية عن القدوري من الحنفية، فإنه قال:
(واجب)؛ أي: ساقط، قوله: (على) بمعنى: عن، فيكون المعنى: أنه

غير لازم، ولا يخفى ما فيه من التكليف، وذكر عن ابن المُنَيَّر نحوه أيضاً.
ثم قال: وتعقب بأن اللفظ الشرعي خاص بمقتضاه شرعاً
لا وضعاً.

وأما قول ابن المُنَيَّر: إن تخصيص الواجب بالفرض اصطلاح حادث، فقد أجي布 عنه بأن (وجب) في اللغة لم ينحصر في السقوط، بل ورد بمعنى: مات، وبمعنى: اضطراب، وبمعنى: لزم، وغير ذلك، والذي يتبادر إلى الفهم منها في الأحاديث أنها بمعنى: لزم، سيما إذا سبقت لبيان الحكم، وبؤيده أن في بعض طرق حديث الباب: (واجب كغسل الجنابة)، فإن ظاهره اللزوم، وإن قال بعضهم أن السنية في الكيفية لا في الحكم.

وحكى ابن العربي: أن بعض أصحابهم قال: يجزئ عن الاغتسال للجمعة التطيب؛ لأن المقصود النظافة.

وقال بعضهم: لا يشترط له الماء المطلق، بل يجزئ بماء الورد ونحوه.

وقد عاب ابن العربي ذلك وقال: هؤلاء وقفوا مع المعنى، وأغفلوا المحافظة على التبعد بالمعنى، والجمع بين التبعد والمعنى أولى، انتهى.

وعكس ذلك قول بعض الشافعية بالتيمم، فإنه تبعد دون نظر إلى المعنى.

قال: وأما الاكتفاء بغير الماء المطلق فمردود؛ لأنها عبادة؛ لثبت الترغيب فيها، فيحتاج إلى نية، ولو كان لمحض النظافة لم يكن كذلك،

والله أعلم، انتهى.

واعلم أنه اعترض على البخاري في قوله: وهل على الصبي شهود يوم الجمعة أو على النساء؟ بأنه ليس في أحاديث الباب ما يدل عليه.

وأجيب بأنه أراد سقوط الوجوب عنهم، أما الصبيان فبالحديث الثالث حيث قال فيه: «على كل محتمل»، وكذا سقوطه عن النساء حيث قيد بالاحتلام لا بالحيض، والفرض عليهم في الأكثر إنما تجب بالحيض لا بالاحتلام.

وتعقب هذا بأن الحيض علامة البلوغ كالاحتلام، وليس الاحتلام مختصاً بالرجال، وإنما ذكر لكونه الغالب، وإن فقد لا يحتمل الإنسان أصلاً، ويبلغ بالإنزال أو السن، وحكمه حكم المحتمل.

قال الحافظ: ولعل البخاري أشار بذكر النساء إلى ما تقدم في بعض طرق حديث نافع، وإلى الحديث المتصريح بأن لا جمعة على امرأة ولا صبي؛ لكونه ليس على شرطه، وإن كان الإسناد صحيحاً، وهو عند أبي داود من حديث طارق بن شهاب عن النبي ﷺ، [ورجاله ثقات، لكن قال أبو داود: لم يسمع طارق من النبي ﷺ]^(١)، إلا أنه رآه، وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» من طريق طارق، عن أبي موسى الأشعري، انتهى.

* * *

(١) ما بين معاكوفتين مستدرك من «فتح الباري» (٢/٣٥٧).

٣- باب

الطِّيبُ لِلْجُمُعَةِ

(باب الطيب للجمعة) لم يذكر حكمه أيضاً، لوقع الاحتمال فيه، كما سبق.

٨٨٠ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعبَةُ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: أَشْهُدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: أَشْهُدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْفَسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَأَنْ يَسْتَنَّ وَأَنْ يَمْسَسْ طِيباً إِنْ وَجَدَ»، قَالَ عَمْرُو أَمَّا الْفَسْلُ فَأَشْهُدُ أَنَّهُ وَاجِبٌ، وَأَمَّا الْإِسْتِنَانُ وَالْطِيبُ فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَوْجِبٌ هُوَ أَمْ لَا؟ وَلِكِنْ هَكَذَا فِي الْحَدِيثِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هُوَ أَخُو مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَلَمْ يُسَمَّ أَبُو بَكْرٍ هَذَا، رَوَاهُ عَنْهُ بُكَيْرُ بْنُ الْأَشْجَجِ وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي هِلَالٍ وَعِدَّةُ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، يُكْنَى بِأَبِي بَكْرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ.

وَبِالسَّنْدِ قَالَ:

(حدثنا علي)، وفي رواية: (علي بن عبد الله بن جعفر)، أي: وهو

ابن المديني (قال: حدثنا)، وفي رواية: (أَخْبَرَنَا) (حَرَمَيُّ بْنُ عُمَارَةَ) بفتح
الحاء والراء المهملتين، بلفظ النسب، و(عُمارَةَ) بضم العين وتخفيض
الميم.

(قال: حدثنا شعبة) بن الحجاج، (عن أبي بكر بن المنكدر) بن
عبدالله بن الْهُدَيْر^(١)، القرشي، التيمي، المدنى، التابعى، وهو أخو
محمد بن المنكدر، كما يأتي في كلام المصنف، وكان أبو بكر أسنًّا
منه.

قال ابن سعد: كان ثقة، قليل الحديث، وقال أبو داود: هو من
ثقات الناس.

لم يذكروا له وفاة، وقال في «التقريب»: من الرابعة، روى له
الجماعة سوى ابن ماجه.

(قال: حدثني عمرو بن سليم) بفتح عين (عمرو)، وضم سين
(سليم) (الأنصاري قال: أشهد على أبي سعيد) الخدرى، هو ظاهر
في أنه سمعه منه، وقد أدخل بعضهم بين عمرو بن سليم القائل:
(أشهد) وبين أبي سعيد رجلاً، كما سيأتي.

(قال: أشهد على رسول الله ﷺ)، وعَبَرَ بلفظ (أشهد) تأكيداً
للرواية.

(قال: الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)، المراد به:

(١) في «و» و«ن»: «الهدى»، والتصويب من «تهذيب الكمال» (٣٣ / ١٤٣).

البالغ ، وتقدم الكلام على ذلك في الباب قبله .

(وأن يسْتَنَّ) هو وما بعده عطف على معنى الجملة السابقة ؛ أي :
والاستنان ، وهو ذلك الأسنان بالسواك .

(وأن يمْسَ) بضم الميم على الأفصح (طيباً إن وجد) ، قال
الكرْماني وتبعه الحافظ : هو متعلق بـ (يمس) ؛ أي : إن وجد الطيب
مسه ، ويحتمل تعلقه بالاستنان أيضاً ، وجذم البرْماوي بالثاني .
وفي رواية لمسلم : (ويمس من الطيب ما يقدر عليه) ، وفي
رواية : (ولو من طيب المرأة) .

قال عياض : يحتمل قوله : (ما يقدر عليه) إرادة التأكيد لفعل ما
أمكنه ، ويحتمل إرادة الكثرة .

قال الحافظ : والأول أظهر ، ويفيد قوله : (ولو من طيب
المرأة) ؛ لأنَّه يكره استعماله للرجل ، وهو ما ظهر لونه وخفي ريحه ،
فإياحته للرجل لعدم غيره تدل على تأكيد الأمر في ذلك ، انتهى .

وقال ابن المُنْيَر : فيه تنبية على تيسير الأمر [في] التطيير بأقل ما
يمكن ، حتى إنه يجزئ مسه من غير تناول شيء ينقصه ؛ تحريضاً على
امتثال الأمر فيه .

(قال عمرو) ؛ أي : ابن سليم الراوي ، وهو موصول بالإسناد
المذكور ، (أما الغسل فأشهد أنه واجب ، وأما الاستنان والطيب فالله
أعلم ؛ أواجب هو أم لا؟ ولكن هكذا في الحديث) ؛ أي : مذكور فيه
في سلك الواجب .

وقال الحافظ: وهذا يؤيد أن العطف لا يقتضي التشيرك من جميع الوجوه، فكان القدر المستتر تأكيداً لطلب للثلاثة، وكأنه جزم بوجوب الغسل دون غيره؛ للتصریح به في الحديث، وتوقف فيما عداه؛ لوقوع الاحتمال فيه.

قال الزین بن المیئر: يحتمل أن يكون قوله: (وأن يستن) معطوفاً على الجملة المصرحة بوجوب الغسل، فيكون واجباً أيضاً، ويحتمل أن يكون مستأنفاً، فالتقدير: يستن ويطيب استحباباً. وأيد الحافظ الأول، قال: وقال ابن الجوزي^(١): يحتمل أن يكون قوله: (وأن يستن . . .) إلخ من كلام أبي سعيد، خلطه الراوي بكلام النبي ﷺ، انتهى.

قال: وإنما قال ذلك؛ لأنه ساقه بلفظ: (قال أبو سعيد: وأن يستن).

قال: وهذا لم أره في شيء من نسخ «الجمع بين الصحيحين»، ولا في واحد من «الصحيحين»، ولا في شيء من المسانيد والمستخرجات، بل ليس^(٢) في جميع طرق هذا الحديث: (قال أبو سعيد)، فدعوى الإدراجه فيه لا حقيقة لها^(٣)، ويلتحق بالاستنان والتطيب التزين باللباس،

(١) في «و» و«ن»: «ابن حزم»، والتصویب من «فتح الباري» (٢/٣٦٤).

(٢) «ليس» من «فتح الباري» (٢/٣٦٥).

(٣) جاء على هامش «ن»: «قوله: فدعوى الإدراجه لا حقيقة لها. قلت: يؤيد عدم كونه مدرجاً قول البخاري في (باب السواك يوم الجمعة): وقال أبو سعيد عن النبي ﷺ. ابن همات».

والخمس التي عدت من الفطرة، وسيأتي ندب الدهن أيضاً.

(قال أبو عبدالله)؛ أي: البخاري: (وهو)؛ أي: أبو بكر بن المنكدر السابق في السند (أخوه محمد بن المنكدر ولم يُسمّ أبو بكر هذا) الراوي، ومراد البخاري بما ذكر: أن محمد بن المنكدر - وإن كان يكنى أيضاً أبي بكر - لكن كان مشهوراً باسمه دون كنيته؛ أي: فلم يرد هنا، بخلاف أبي بكر راوي هذا الخبر، فإنه لا اسم له إلا كنيته.

(روى عنه)؛ أي: عن أبي بكر هذا الحديث (بكير بن الأشج وسعيد بن أبي هلال وعده)؛ أي: عدد كثير من الناس.

وفي رواية عزّاها في «الفتح» لمن عدا أبي ذر: (رواها)؛ أي: هذا الحديث، وهي التي في «اليونينية» لا غير.

قال الحافظ: وكأن المراد أن شعبة لم ينفرد برواية هذا الحديث عنه، لكن بين رواية بكير وسعيد مخالفة في موضع من الإسناد، فرواية بكير موافقة لرواية شعبة، ورواية سعيد أدخل فيها بين عمرو بن سليم وأبي سعيد واسطة، كما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عمرو بن الحارث: أن سعيد بن أبي هلال وبكير بن الأشج حدثاه عن أبي بكر بن المنكدر، عن عمرو بن سليم، عن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، فذكر الحديث، وقال في آخره: إلا أن بُكيراً لم يذكر عبد الرحمن.

قال: وانفرد سعيد بن [أبي] هلال بزيادة (عبد الرحمن).

قال: والذي يظهر أن عمرو بن سليم سمعه من عبد الرحمن بن

أبي سعيد عن أبيه، ثم لقي أبي سعيد فحدثه، وسماعه منه ليس بمنكر؛
لأنه قديم، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، ولم يُوصف بالتدليس،
انتهى.

(وكان محمد بن المنكدر يكنى بأبي بكر وأبي عبدالله)، وسقط
قوله: (قال أبو عبدالله) إلى هنا في رواية.

* * *

٤ - باب

فضل الجمعة

(باب فضل الجمعة)

٨٨١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ، عَنْ سُمَيْيٍّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي صَالِحِ السَّمَانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَانَمَا قَرَبَ بَدْنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَانَمَا قَرَبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْثَالِثَةِ فَكَانَمَا قَرَبَ كَبِشاً أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَانَمَا قَرَبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَمَا قَرَبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

وبالسند قال :

(حدثنا عبد الله بن يوسف) التّيسّي (قال: أخبرنا مالك) الإمام (عن سميي) - بالتصغير - (مولى أبي بكر بن عبد الرحمن) بن الحارث ابن هشام، (عن أبي صالح) ذكوان (السمان) نسبة إلى بيع السمن، (عن أبي هريرة رضي الله عنه): أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: من اغتسل يوم

ال الجمعة)؛ من ذكر أو أنتى، حر أو عبد (غسل الجنابة)؛ أي: غسلاً كغسل الجنابة في صفاته، فهو منصوب على أنه نعت لمصدر ممحذف، وفي بعض طرقه: (فاغتسل أحدكم كما يغتسل من الجنابة)، وظاهره أن التشبيه للكيفية لا للحكم، فهو قوله: **﴿وَهِيَ تَمُّرُ مَرَّ السَّحَابِ﴾** [النمل: ٨٨]، وهذا قول الأكثر.

وقيل: هو إشارة إلى الجماع يوم الجمعة؛ ليغتسل فيه من الجنابة؛ لتسكن نفسه في ذهابه إلى الصلاة، ولا تمتد عينه إلى شيء يراه، ولما فيه من حمل المرأة على الاغتسال ذلك اليوم، وعليه حمل قائل ذلك حديث: «من غسل واغتسل» المخرج في السنن، وحسنه الترمذى، وصححه ابن حبان والحاكم في رواية من رواه: (غسل) بالتشديد.

قال **النّووي**: ذهب بعض أصحابنا إلى هذا، وهو ضعيف، أو باطل. وتعقبه الحافظ بأنه لا وجه لادعاء بطلانه، وقد حكاه ابن قدامة عن الإمام أحمد، وثبت عن جماعة من التابعين.

وقال القرطبي: إنه أنساب الأقوال؛ أي: في تفسير (غسل) بالتشديد؛ أي: في أنه إشارة إلى الجماع، وإن كان الأرجح الأول؛ أي: أن التشبيه للكيفية، لا أنه إشارة إلى ما ذكر.

قال: ولعله - أي: **النّووي** - عن أنه باطل في المذهب، انتهى. (ثم راح)، زاد أصحاب «الموطأ»: (في الساعة الأولى) - وسيأتي معنى الرواح في آخر الباب - (فكأنما قرب بدنة)؛ أي: تصدق بها متقرباً إلى الله.

وقيل: يحصل له نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان من الأمم السالفة؛ لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت لهم، وفي بعض طرقه: (فله من الأجر مثل الجزور)، وظاهره أن المراد: أن الثواب لو تجسد لكان قدر الجزور.

وقيل: ليس المراد بالحديث إلا بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة، وأن نسبة الثاني إلى الأول نسبة البقرة إلى البدنة في القيمة مثلاً. وفي لفظ حديث (باب الاستماع إلى الخطبة): (كمثل الذي يهدي بدنة). قال الحافظ: فكأن المراد بالقربان في رواية الباب: الإهداء إلى الكعبة.

قال الطيبي: بمعنى أن المبادر إلى الجمعة كمن ساق الهدى.

والمراد بالبدنة البعير؛ ذكرأً كان أو أنثى، والهاء فيها للوحدة لا للثنائية، وكذا في باقي ما ذكر، وكان مالك يتعجب من يخصها بالأنثى، وانختلف اللغويون والفقهاء في حقيقتها؛ فقيل: لا تكون إلا من الإبل، وقيل، وعليه الجمهور: إنها تقع على الواحد من الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لعظم بدنها، والمراد هنا الإبل اتفاقاً؛ لأنها قوبلت بالبقرة، وقسم الشيء لا يكون قسيمه، نبه عليه ابن دقيق العيد.

وتظهر ثمرة الخلاف فيما إذا قال: الله علي بدنة أضحي بها، والأصح تعين الإبل إن وُجدت، وإلا فالبقرة، أو سبع من الغنم، وقيل: تتعين الإبل مطلقاً، وقيل: يتخير مطلقاً.

وجمع (البدنة): (بُدُن) بضمتين، وإسكان الدال تخفيفٌ، قاله في «المصابيح».

(ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة) هي معروفة، وسميت بذلك لأنها تقر الأرض؛ أي: تشقها بالحراثة، والبقر: الشق، ومنه قولهم: بقر بطنه، وأهل اليمن يقولون: باقرة.

(ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كيشاً أقرن) هو فحل الغنم، وجمعه: (أكبش) و(أكبش)، ووصفه بالقرن؛ لأنه أكمل صورة وأحسن، وللاتفاف بقرنه.

(ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة) بفتح الدال وكسرها، والفتح أفتح، وحُكى ضمها أيضاً، وعن محمد بن حبيب: أنها بالفتح من الحيوان، وبالكسر من الناس، سميت بذلك لإقليمها وإدبارها.

(ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيبة) استشكل التعبير بالدجاجة والبيضة بقوله في الرواية الأخرى: (كالذى يهدي)؛ والإهداء لا يكون منهما.

وأجاب عياض تبعاً لابن بطال بأنه لما عطفه على ما قبله أعطاه حكمه في اللفظ، فيكون من الإتباع، كقوله:

متقلداً سيفاً ورمحاً

وتعقب بأن شرط الإتباع أن لا يصرح باللفظ الثاني، فلا يسوغ: متقلداً سيفاً ومتقلداً رمحاً.

وأجاب غيره بأنه من باب المشاكلة، من باب تسمية الشيء باسم قرينه .

وقال ابن دقيق العيد: قوله: (قرب بيضة)، وفي الرواية الأخرى: (كالذي يهدي) يدل على أن المراد بالتقريب: الهدي، وينشأ من هذا أن اسم الهدي يطلق على مثل هذا حتى لو التزم هدياً؛ هل يكفيه مثل هذا أو لا؟ انتهى .

وقال الحافظ: الصحيح عند الشافعية والحنفية والحنابلة: أنه لا يكفيه .

واعلم أنه وقع في رواية للنسائي ست ساعات، وجعل الرابعة بطة، وفي رواية له أيضاً في الرابعة دجاجة، وفي الخامسة عصفوراً، وفي السادسة بيضة، وسندهما صحيح .

قال النّووي في «شرح المذهب»: قد يقال: هما شاذان، انتهى . وروى أحمد في «مسنده» من حديث أبي سعيد نحو الرواية الأخيرة .

قال القلقشني: وعلى هذا يصح استيعاب الست ساعات الفلكية التي هي نصف النهار في زمن [قصره، والسبعين ساعات التي هي نصف النهار في زمن]^(١) طوله إذا أضيفت البطة والعصفور إلى الخامس الأول .

قال: ويستفاد منه الرد على من جوز صلاة الجمعة قبل الزوال

(١) ما بين معكوفتين ليس في «و».

متمسكاً بأن المذكور في الحديث خمس ساعات، فتكون صلاة الجمعة في الساعة السادسة، وعلى من قال: المراد بالساعات اللحظات بعد الزوال؛ مستنداً إلى أنه لا يبقى بعد الزوال خمس ساعات فلكية في وقت الجمعة، انتهى.

والساعات المذكورة من طلوع الفجر عند الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وأكثر العلماء، وخالف في ذلك مالك فكره، واستحب التبشير من الزوال، وقال: والمراد بالساعات هنا لحظات لطيفة؛ أولها من الزوال، وأخرها جلوس الخطيب على المنبر، واختاره جماعة من أصحابنا؛ منهم حسين وإمام الحرمين، ورجحه ابن الفزكاح، وقال ابنه برهان الدين: إنه الصحيح من حيث الدليل، وقواه السبكي الكبير، واستدلوا بأمور منها: أن الساعات تطلق على جزء من الزمان غير محدود، تقول: جئت ساعة كذا، وحملها على الأجزاء الزمانية التي يقسم النهار فيها إلى اثنى عشر جزءاً تبعد إحالة الشرع عليه؛ لاحتياجه إلى حساب ومراجعة آلات تدل عليه.

ومنها: أن الساعة لولم تطل للزم تساوي الاثنين فيها، والأدلة تقتضي رجحان السابق، بخلاف ما إذا قلنا: إنها لحظة لطيفة.

ومنها: أنه عَبَرَ في الحديث بالرواح، وهو لا يكون إلا بعد الزوال، كما قاله الجوهري، وقال القرطبي: إنه الأصل في اللغة.

ومنها: أنه ورد في بعض الأحاديث: «مثل المهجّر»، وهو مشتق

من التهجير، وهو السير في وقت الهاجرة التي هي نصف النهار عند اشتداد الحر.

وأجيب عن الأول بأن المراد بالساعات ما لا يختلف عدده بطول ولا قصر، فيجعل النهار اثني عشر ساعة أبداً، وكذلك الليل، وهذا لا يحتاج إلى حساب، ولا إلى مراجعة آلة.

وقد روى أبو داود والنسائي وصححه الحاكم من حديث جابر مرفوعاً: «يوم الجمعة اثنا عشر ساعة»، وهذا وإن لم يرد في حديث التبكير، فيستأنس به في المراد بالساعات.

وعن الثاني بأننا نلتزم أن من جاء في أول ساعة من هذه الساعات ومن جاء في آخرها يشتراكان في تحصيل أصل البدنة أو البقرة مثلاً، فهما متساويان في مسمى البدنة مثلاً، والتفاوت في صفاتها؛ فبدنة الأول أو بقرته أكبر وأكمل، وكذا بدننة المتوسطة بينهما، ونظيره قوله: «صلاة الجماعة تزيد على صلاة المنفرد بسبعين وعشرين درجة»، ولا شك أن الجماعة تطلق على اثنين وعلى ألف، فمن صلى في جماعة هم مئة ألف مثلاً درجاته أكمل وأكبر من درجات من صلى في جماعة هما اثنان مثلاً، قاله النووي.

قال الحافظ: ويؤيده أن في بعض طرقه تكرير كل من المتقرب به مرتين حيث قال: (كرجل قدم بدننة، وكرجل قدم بدننة) الحديث، ولا يرد على هذا أن في بعض طرقه أيضاً: (وأول الساعة وأخرها سواء)؛ لأن هذه التسوية بالنسبة إلى مسمى البدنة كما مر.

وعن الثالث بأن الأزهري أنكر من زعم أن الرواح لا يكون إلا بعد الزوال، ونقل أن العرب تقول: راح وغدا في جميع الأوقات؛ بمعنى: ذهب، قال: وهي لغة أهل الحجاز، ونقل أبو عبيد في «الغريبين» نحوه، وتابعهما جماعة، وصوّبه النّووي.

وبه يرد على من زعم: أن الرواح لا يستعمل في المضي في أول النهار بوجهٍ، وأن استعمال الرواح بمعنى الغدو لم يُسمَع.

قال الحافظ: على أنني لم أر التعبير بالرواح في شيءٍ من طرق هذا الحديث إلا في رواية مالك هذه عن سمي، وقد رواه ابن حريج عن سمي بلفظ: (غدا)، ورواه أبو سلمة عن أبي هريرة بلفظ: «المتعجل إلى الجمعة كالمهدي ببدنه» الحديث، صحّحه ابن خزيمة، وفي حديث سمرة: ضرب رسول الله ﷺ مثل الجمعة في التبكيّر كناحر البدنة... الحديث، أخرجه ابن ماجه، ولأبي داود من حديث علي مرفوعاً: «إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها إلى الأسواق، وتغدو الملائكة فتجلس على باب المسجد، فنكتب الرجل من ساعة والرجل من ساعتين» الحديث.

قال: فدل مجموع هذه الأحاديث على أن المراد بالرواح الذهاب.

ولما نقل القسطلاني نحوه قال: فدل على أنه لا فضيلة لمن أتى بعد الزوال؛ لأن التخلف بعد النداء حرام، وذكر الساعات إنما هو للحثّ على التبكيّر إليها والترغيب في فضيلة السبق وتحصيل الصف

الأول وانتظارها والاشتغال بالتنفل والذكر ونحوه، وهذا كله لا يحصل بالذهاب بعد الزوال.

قال الحافظ: وقد اشتَدَّ إنكارُ أَحْمَدَ وابنِ حِبْيَبِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ ما نُقلَّ عَنْ مَالِكٍ مِنْ كِرَاهَةِ التَّبْكِيرِ إِلَى الْجَمَعَةِ، وَقَالَ أَحْمَدُ: هَذَا خَلَافٌ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال: واحتج من كره التبكيـر أـيـضاـً بـأنـه يـسـلـزـمـ تـخـطـيـ الرـقـابـ فـيـ الرـجـوعـ لـمـنـ عـرـضـتـ لـهـ حـاجـةـ، فـخـرـجـ إـلـيـهـ، ثـمـ رـجـعـ.

وـتـعـقـبـ بـأـنـهـ لـأـحـرـجـ عـلـيـهـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ؛ لـأـنـهـ قـاـصـدـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ حـقـهـ، وـإـنـمـاـ الـحـرـجـ عـلـىـ مـنـ تـأـخـرـ عـنـ الـمـجـيـءـ، ثـمـ جـاءـ فـتـخـطـيـ، اـنـتـهـىـ. وـعـنـ الـرـابـعـ بـأـنـ الـخـلـلـ وـغـيـرـهـ مـنـ أـهـلـ الـلـغـةـ فـسـرـرـوـ التـهـجـيرـ بـالـتـبـكـيرـ، كـمـاـ سـبـقـ فـيـ قـوـلـهـ ﷺ «لـوـ يـعـلـمـونـ مـاـ فـيـ التـهـجـيرـ لـاـسـتـبـقـوـاـ إـلـيـهـ»؛ أـيـ: التـبـكـيرـ.

وقال القرطبي من المالكية: الحق أن التهـجـيرـ هـنـاـ مـنـ الـهـاجـرـةـ، وـهـوـ السـيـرـ فـيـ وـقـتـ الـحـرـ، وـهـوـ صـالـحـ لـمـاـ قـبـلـ الزـوـالـ وـمـاـ بـعـدـهـ، فـلـاـ حـجـةـ فـيـهـ لـمـالـكـ.

قال: ومـاـ يـدـلـ عـلـىـ اـسـتـعـمـالـهـمـ التـهـجـيرـ فـيـ أـوـلـ النـهـارـ مـاـ أـنـشـدـ ابنـ الـأـعـرـابـيـ فـيـ «نـوـادـرـهـ» لـبـعـضـ الـعـرـبـ:

يُهْجِّرُونَ بِهِجِّرِ الْفَجْرِ

انتـهـىـ.

وـذـهـبـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـنـاـ إـلـىـ أـنـ اـبـتـدـاءـ السـاعـاتـ المـذـكـورـةـ مـنـ

طلع الشمس، وصَحَّحَهُ الماوردي، وجزم به الشيخ أبو إسحاق في «التنبيه» مع أنه صَحَّحَ في «المهذب»: أنها من الفجر، وضعف هذا.

(إِنَّمَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضْرَتِ الْمَلَائِكَةِ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ)، زاد في رواية الزهري الآتية في (باب استماع الخطبة): (إِنَّمَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّرَ صَحْفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ)، [ولمسلم من طريقه: (إِنَّمَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّرَ الصَّحْفَ وَجَاؤُوهُ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ)]^(١)، فكأنَّ ابتداءَ طيِّ الصَّحْفِ عند ابتداءِ خروجِ الْإِمَامِ، وانتهاءَ بجلوسِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ أَوَّلُ سَمَاعِهِ لِذِكْرِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ مَا فِي الْخُطْبَةِ مِنِ الْمَوَاعِظِ وَغَيْرِهَا، كَذَا ذِكْرَهُ الْحَافِظُ.

قال القَلْقَشَنْدِيُّ: لكن روى ابن أبي شيبة عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ النَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ: جَاءَ فَلَانَ سَاعَةً كَذَا وَكَذَا، وَجَاءَ فَلَانَ مِنْ سَاعَةِ كَذَا وَكَذَا، وَجَاءَ فَلَانَ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، وَجَاءَ فَلَانَ وَلَمْ يَدْرِكْ الْخُطْبَةَ»، وهو يدلُّ على أنَّ كتابةِهم لا تنتهي بجلوسِ الْإِمَامِ عَلَى الْمِنْبَرِ، انتهي.

وأول حديث الزهري في ذلك الباب: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ»، وعند ابن خزيمة من طريق العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة: «عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلْكًا يَكْتُبُ الْأَوَّلَ»، فكأنَّ المراد ببابِ الْمَسْجِدِ في

(١) ما بين معاكستين ليس في «و».

الأول جنس الباب، ويكون من مقابلة المجموع بالمجموع، فلا حجة فيه لمن أجاز التعبير عن الاثنين بلفظ الجمع.

والمراد بطي الصحف: طي صحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها من سماع الخطبة، وإدراك الصلاة، والذكر، والدعاء، والخشوع، ونحو ذلك، فإنه يكتبه الحافظان قطعاً.

ووقع في حديث ابن عمر صفة الصحف المذكورة، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» مرفوعاً بلفظ: «إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصحف من نور وأقلام من نور»، الحديث، وهو دال على أن الملائكة المذكورين غير الحفظة.

واستنبط الماوردي من قوله: «إذا خرج الإمام» أن التبكيّر لا يستحب له، قال: ويدخل للمسجد من أقرب أبوابه إلى المنبر.

قال الحافظ: وما قاله غير ظاهر؛ لإمكان أن يجمع الأمرين بأن يبكيّر، ولا يخرج من المكان المعدّ له في الجامع إلا إذا حضر الوقت، أو يحمل على من ليس له مكان معد، انتهى.

وما قاله الماوردي هو المقرر في المذهب.

وفي آخر حديث ابن ماجه من طريق الزهري: «فمن جاء بعد ذلك فإنما يجيء لحق الصلاة».

وفي آخر حديث الباب من طريق ابن جرير، عن سمي عند عبد الرزاق: «ثم إذا استمع وأنصت غفر له ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام».

وفي حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عند ابن خزيمة: «إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، فَيَقُولُ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لِبَعْضٍ: مَا جَسَنَ فَلَانَا؟ فَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ ضَالًاً فَاهْدُهُ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَأْعُنْهُ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا فَعافُهُ». .

وفي هذا الحديث دلالة على أن التقريب المذكور لا يحصل إلا لمن اغتسل ثم راح؛ لتصدير الشرط به، وهو لفظة (من)، وعطف الرواح عليه ثم المرتبة، فيحمل عليه ما أطلق في باقي الروايات من ترتيب الفضل على التبشير فقط.

وفيه: أن مراتب الناس في الفضل بحسب أعمالهم، وأن القليل من الصدقة غير محترق في الشرع، وأن القربان والصدقة يقعان على القليل والكثير، وأن التقرب بالإبل أفضل من التقرب بالبقر، وهو بالاتفاق في الهدي، واختلف في الضحايا، والجمهور على أنها كذلك، وقال مالك: الغنم أفضل، ثم البقر، ثم الإبل؛ نظراً إلى طيب اللحم، ولأنه بِكَلِيلِهِ صَحَّى بِكَبْشِينِ.

ومناسبيه للترجمة من جهة ما اقتضاه من مساواة المبادر إلى الجمعة للمتقرب بالمال، فكأنه جمع بين عبادتين؛ بدنية ومالية، وهذه خصوصية لل الجمعة لم تثبت لغيرها من الصلوات، قاله في «الفتح».

* * *

٥ - بَابُ

(بابٌ) بالتنوين بغير ترجمة.

قال في «الفتح»: وهو كالفصل من الباب الذي قبله، ووجه تعلقه به: أن فيه إشارة إلى الرد على من ادعى إجماع أهل المدينة على ترك التبشير إلى الجمعة؛ لأن عمر أنكر عدم التبشير بمحضر من الصحابة وكبار التابعين من أهل المدينة، ووجه دخوله في فضل الجمعة: ما يلزم من إنكار عمر على الداخل احتباسه مع عظم شأنه، فإنه لو لا عظم الفضل في ذلك لما أنكر عليه، وإذا ثبت الفضل في التبشير إلى الجمعة ثبت الفضل لها، انتهى.

٨٨٢ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعِيمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ، فَقَالَ عُمَرُ: لِمَ تَحْتَبِسُونَ عَنِ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا هُوَ إِلَّا سَمِعْتُ النَّدَاءَ تَوَضَّأْتُ، فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعُوا النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا رَأَحَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلَا يَغْتَسِلُ؟.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين (قال: حدثنا شيبان) بن عبد الرحمن النحوى، (عن يحيى)، زاد في رواية: (ابن أبي كثير)، وفي أخرى: (هو ابن أبي كثير)، (عن أبي سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف، (عن أبي هريرة) رضي الله عنه، وصرح مسلم في روايته بالتحديث في جميع الإسناد، (أن عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (يُبَشِّرُهُ) - بالمير - (هو يخطب يوم الجمعة)؛ أي: على المنبر (إذ دخل رجل) هو عثمان رضي الله عنه، كما سُمِّي في بعض طرقه، (فقال له عمر)، زاد في رواية: (ابن الخطاب): (لم تتحبسون عن الصلاة؟)؛ أي: حضورها في أول وقتها، (فقال الرجل): ما هو إلا أن سمعت النداء، وفي رواية بإسقاط (أن)، (توضأ)؛ أي: ما الاحتباس بعد سماع الأذان إلا بقدر الوضوء، كذا قدره الكرماني، (فقال) عمر له ولمن حضر: (ألم تسمعوا النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول)، وفي رواية: (قال): (إذا راح أحدكم)؛ أي: أراد الرواح (إلى الجمعة)؛ أي: صلاتها، (فليغسل)؟ وتقدمت مباحث الحديث في (باب فضل الغسل يوم الجمعة).

* * *

٦ - بَابُ

الدُّهْنِ لِلْجُمُعَةِ

(باب الدهن للجمعة)؛ أي: استعمال الدهن، ويجوز أن يكون بفتح الدال، فلا تقدير.

٨٨٣ - حَدَّثَنَا آدُمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنِ ابْنِ وَدِيْعَةَ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدْهُنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمْسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَلَا يُفَرَّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفرَ لَهُ مَا بَيْنَ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى».

وبالسند قال:

(حدثنا آدم) بن أبي إياس (قال: حدثنا ابن أبي ذئب) هو محمد ابن عبد الرحمن الإمام الشهير، (عن سعيد المقبري قال: أخبرني أبي) أبو سعيد كيسان المقبري، (عن ابن وديعة) هو عبدالله بن وديعة - بفتح الواو وكسر الدال المهملة بعدها تحتنية ساكنة - ابن خدام، بكسر المعجمة، الأنصاري المدني، تابعي جليل، وقد ذكره ابن سعد

وابن منه في «الصحابية»، وذكره ابن حبان في «الثقة».

وقال الواقدي: قتل يوم الحرة.

روى له البخاري وابن ماجه هذا الحديث فقط، لكن البخاري رواه عن ابن وديعة عن سلمان كما يأتي، ورواه ابن ماجه من طريق ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن ابن وديعة، عن أبي ذر، وأرسله أبو معشر عن سعيد، فلم يذكر سلمان ولا أبي ذر، وروايته عند سعيد بن منصور، ورواه عبيدة الله العمري، عن سعيد فقال: عن أبي هريرة، وروايته عند أبي يعلى.

قال في «الفتح» بعد كلام: وإذا تقرَّر ذلك عُرف أن الطريق التي اختارها البخاري أنقن الروايات، وبقيَّتها؛ إما موافقة لها، أو قاصرة عنها، أو يمكن الجمع بينها.

وفي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق، فإن ثبت أن لابن وديعة صحبة فيه تابعيان وصحابيان.

(عن سلمان الفارسي) هو سلمان الخير، أبو عبدالله، مولى رسول الله ﷺ، سُئل عن نسبه فقال: سلمان ابن الإسلام، وأصله من أصبهان.

قال الزبيري: هو من أهل رامهرمز من أهل أصفهان من قرية يقال لها: حي، وكان أبوه دهقانها، وكان سلمان على المجنوسية، ثم لحق بالنصارى، ورَغَبَ عن المجنوس، ثم صار إلى المدينة، وكان عبداً لرجل من يهود، فلما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً أتاه سلمان فأسلم،

وكاتب مولاه اليهودي، فأعانه [النبي] ﷺ وال المسلمين حتى عتق.

وبسبب إسلامه مشهور، وهو أنه هرب من أبيه وكان مجوسيأً فلحق براهب، ثم بجماعة رهبان واحد بعد واحد يصحبهم إلى وفاتهم، إلى أن دلَّه الأخير إلى الذهاب إلى الحجاز، وأخبره بظهور النبي ﷺ، فقصده مع عرب، فغدروا به وبايعوه في وادي القرى ليهودي، ثم اشتراه منه يهودي آخر من قريطة، فقدم به المدينة، فأقام بها مدة حتى قدمها رسول الله ﷺ، فأتاه بصدقة فلم يأكل منها، ثم أتاه بهدية فأكل منها، ثم رأى خاتم النبوة، وكان الراهب الأخير وصف له هذه العلامات الثلاث للنبي ﷺ، قال سلمان: فلما رأيت الخاتم قبلته، وبكيت، فأجلسني ﷺ بين يديه، وحدثني بشأني كله، وفاتني معه بدر واحد بسبب الرق، فقال لي: «كاتب يا سلمان عن نفسك»، فلم أزل بصاحبِي حتى كاتبته على أن أغرس له ثلاثة مئة نخلة، وعلى أربعين أوقية من ذهب، فقال النبي ﷺ: «أعينوا أخاكم بالنخل»، فأعانوني حتى اجتمعت لي، فقال لي: «احفر لها، ولا تضع منها شيئاً حتى أضعها بيدي» ففعلت، وأعانني أصحابه حتى فرغت منها، فكنت آتية بالنخلة، فيضعها ويسوِّي عليها التراب، فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها واحدة، وبقي الذهب، فجاء رجل بمثل البيضة من ذهب أصابها من بعض المعادن، فقال: ادع سلمان المسكين الفارسي، فقال: «فأدْ هذه».

وتداوله بضعة عشر رباً، كما يأتي في مناقبه، وهو الذي أشار

على النبي ﷺ بحفر الخندق، وهي أول مشاهدته، ولم يختلف عن رسول الله ﷺ عن مشهد بعدها، وأخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم وعلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، وقال فيه ﷺ: «سلمان من أهل البيت».

وكان يعمل الخوص بيده يشتريه بدرهم ويبيعه بثلاثة دراهم ويقول: «درهم أعيده فيه، ودرهم أنفقه على عيالي، ودرهم أتصدق به، ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت».

وكان عطاوه خمسة آلاف، فإذا خرج أنفقه، ولا يأكل إلا من سفييف يده.

وكتب لأبي الدرداء: إن العلم كالينابيع يغشahn الناس، فيختلجه هذا وهذا، فينفع الله به غير واحد، وإن حكمة لا يتكلّم بها كجسد لا روح فيه، وإن علمًا لا يخرج ككتز لا ينفق منه، وإنما مثل العالم كمثل رجل حمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء به من مرّ به، وكلّ يدعوه بالخير.

وعن أنس: أشتكى سلمان، فعاده سعد، فرأاه يبكي، فقال سعد: ما يبكيك يا أخي؟! ألمت قد صحبت رسول الله ﷺ؟ ألمت؟ ألمت؟ فقال: ما أبكياني صباة بالدنيا ولا كراهة لآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب، فلا أراني إلا قد تعلّمته، وأما أنت يا سعد، فاتق الله وحده عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمتك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً نفقةً
كانت عنده.

وروى الترمذى - وحسنه - عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «إن
الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان».

قال محمد بن النعمان: يقول أهل العلم: عاش سلمان ثلاثة
مئة سنة وخمسين سنة^(١)، فأما مئتين وخمسين سنة فلا يشكُون فيه.

وقال أبو نعيم: وكان من المعمرين، قيل: إنه أدرك وحي عيسى
ابن مريم، وأعطي العلم الأول والآخر، وقرأ الكتاین.

قال الحافظ: قرأت بخط أبي عبدالله الذهبي: رجعت عن القول
بأنه قارب الثلاث مئة أو زاد عليها، وتبين لي: أنه ما جاوز الثمانين،
ولم يذكر مستنته في ذلك، والعلم عند الله تعالى، انتهى.

قال غير واحد من العلماء: مات بالمداين في خلافة عثمان،
وقيل: سنة ست وثلاثين في خلافة علي، وقيل: سنة سبع وثلاثين،
وقيل: سنة ثلاثة وثلاثين، وهذا القول أقرب إلى الصواب؛ لما روى
أنس: أن سعداً وابن مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى،
ولا خلاف أن ابن مسعود مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين،
أو ثلاثة وثلاثين^(٢)، وأنه لم يبق إلى سنة أربع وثلاثين، والله أعلم.

روى له الجماعة.

(١) «وخمسين سنة» ليس في «و».

(٢) «أو ثلاثة وثلاثين» ليس في «و».

(قال) سلمان: (قال النبي ﷺ: لا يغسل رجل يوم الجمعة)؛ أي: الغسل الشرعي، (ويتظر ما استطاع من طهر)، وفي رواية: (من الطهر) بالتعريف.

قال الحافظ: والمراد به: المبالغة في التنظيف، ويؤخذ من عطه على الغسل: أن إفاضة الماء تكفي في حصول الغسل، أو المراد به: التنظيف بأخذ الشارب والظفر والعانة، أو المراد بالغسل: غسل الجسد، وبالتطهير غسل الرأس، انتهى.

(ويذهن) بتشديد الدال، من (الادهان)؛ أي: يطلي بالدهن؛ ليزيل شعث الشعر به. وفيه إشارة إلى التزيين يوم الجمعة.

(أو يمس من طيب بيته)؛ أي: إن لم يجد دهناً.

قال الحافظ: ويحتمل أن تكون (أو) بمعنى الواو؛ أي: وهو في رواية بالواو. قال: وإضافته إلى البيت تؤذن بأن السنة اتخاذ المرأة لنفسه طيباً، و يجعل استعماله له عادة، فيدخله في البيت، كذا قاله بعضهم؛ أي: الْكَرْمَانِي.

وفي حديث عبدالله بن عمرو عند أبي داود: (أو يمس من طيب امرأته)، فعليه فالمعنى: إن لم يتخذ لنفسه طيباً فليستعمل من طيب امرأته، وهو موافق لحديث أبي سعيد الماضي ذكره عند مسلم حيث قال فيه: (ولو من طيب المرأة)، وفي حديث عبدالله بن عمرو من الزبادة: (ويلبس من صالح ثيابه)، انتهى.

(ثم يخرج)؛ أي: إلى المسجد، كما زاده ابن خزيمة عن أيوب، ولأحمد عن أبي الدرداء: (ثم يمشي وعليه السكينة)، (فلا يفرق بين اثنين) في حديث عبدالله بن عمرو المذكور: (ثم لم يتخطّ رقاب الناس)، وفي حديث أبي الدرداء: (ولم يتخطّ أحداً، ولم يؤذه).

ويأتي الكلام على معنى التفريق وحكمه في (باب: لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة) حيث أورد المصنف الحديث هناك.

(ثم يصلّي ما كتب له)، وفي حديث أبي الدرداء: (ثم يركع ما قضي له)؛ أي: قدر له، (ثم يُنصلّى) بضم أوله من (أنصلّى)؛ أي: يسكت، ويقال: (نصت) أيضاً، (إذا تكلم الإمام)؛ أي: شرع في الخطبة، زاد ابن خزيمة: (حتى يقضي صلاته)، (إلا غفر له ما بينه)؛ أي: الجمعة الحاضرة (ويبين الجمعة الأخرى)، قال الحافظ: والمراد بالأخرى التي مضت، بينه ابن خزيمة في روايته، ولفظه: (ما بينه وبين الجمعة التي قبلها)، زاد ابن حبان في حديث أبي هريرة: (وزيادة ثلاثة أيام من التي بعدها)، وزاد ابن ماجه في رواية أخرى عن أبي هريرة: (ما لم يغش الكبائر)، ونحوه لمسلم.

قال: ودل التقييد بعدم غشيان الكبائر على أن الذي يُكفر من الذنوب هو الصغار، فتحمل المطلقات كلها على هذا المقيد، وذلك أن معنى قوله: (ما لم تغش الكبائر)؛ أي: فإنها إذا غُشيت لا تكفر، وليس المراد أن تكفر الصغار شرطه اجتناب الكبائر؛ إذ اجتناب

الكبائر بمجرده يكفرها كما نطق به القرآن، ولا يلزم من ذلك أن لا يكفرها إلا اجتناب الكبائر، وإذا لم يكن للمرء صغار تكفر رُجُّي له أن يكفر عنه بمقدار ذلك من الكبائر، إلا أعطى من الثواب بمقدار ذلك، وهو جارٍ في جميع ما ورد من نظائر ذلك، والله أعلم.

وفي هذا الحديث من الفوائد: كراهيّة التخطي يوم الجمعة، قال الشافعي: أكره التخطي إلا لمن لم يجد السبيل إلى المصلى إلا بذلك، انتهى.

وهذا يدخل فيه الإمام ومن يريد وصلَّ الصف المقطوع؛ أي: إن أبي السابق من ذلك، ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذي قام منه لضرورة، كما تقدم.

قال: واستثنى المتولى من يكون مُعَظَّماً لدینه أو علمه إذا أَلْفَ مكاناً يجلس فيه: أنه لا كراهة في حقه، وفيه نظر.

وفي مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة؛ لقوله فيه: «ثم يصلِّي ما كتب له»، ثم قال: «ثم ينصلِّي...» إلخ. وفيه جواز النافلة نصف النهار يوم الجمعة.

واستدل به على أن التبكيّر ليس من ابتداء الزوال؛ لأن خروج الإمام يعقب الزوال، فلا يسع وقتاً يتنفل فيه.

قال: وتبين بمجموع ما ذكرناه أن تكفيّر الذنوب من الجمعة إلى الجمعة مشروط بوجود جميع ما تقدم من غسل، وتنظيف، وتطهير، أو دهن، ولبس حسن الثياب، والمشي بالسكينة، والتتنفل، والإنصات،

وترک التخطي ، والتفرقة بين الاثنين ، والأذى ، واللغو ، ووقع في حديث عبد الله بن عمرو : «فمن تخطى أو لغا كانت له ظهراً» ، انتهى .

* * *

٨٨٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ طَاؤُسٌ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: ذَكَرُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا، وَأَصِيبُوا مِنَ الطَّيْبِ».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا الغُسلُ فَنَعَمْ، وَأَمَّا الطَّيْبُ فَلَا أَدْرِي .

وبالسند قال :

(حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع (قال: أخبرنا شعيب) هو ابن أبي حمزة، (عن الزهري) محمد بن مسلم، قال: (قال طاوس) هو ابن كيسان: (قلت لابن عباس: ذكروا) لم يُسمّ طاوس من ذكر ذلك.

قال الحافظ: والذي يظهر أنه أبو هريرة، فقد رواه ابن خزيمة وابن حبان من طريق عمرو بن دينار عن طاوس عن أبي هريرة نحوه، انتهى.

(أن النبي ﷺ قال: اغتسلوا يوم الجمعة، واغسلوا رؤوسكم)، [هو] من عطف الخاص على العام للتبنيه على أن المطلوب الغسل التام؛ لثلا يظن أن إفاضة الماء دون حل الشعر مثلاً تجزئ في غسل الجمعة، فهو كقوله في حديث أبي هريرة: «كغسل الجنابة»، ويحتمل

أن يراد بالثاني المبالغة في التنظيف، قاله في «الفتح».

(وإن لم تكونوا جنباً) معناه: اغتسلوا يوم الجمعة إن كتم جنباً للجناة، وإن لم تكونوا جنباً فللجمعة، وأخذ منه أن الاغتسال يوم الجمعة للجناة يجزئ عن الجمعة سواء نوى الجمعة أم لا، قال ابن المنذر: حفظنا الإجزاء عن أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين. والخلاف في هذه المسألة منتشر في المذاهب، والأصح عند النووي: أنه لا تحصل سنة غسل الجمعة إلا إن نويت مع الجنابة، واستدل به على أنه لا يجزئ قبل طلوع الفجر؛ قوله: «يوم الجمعة»، وطلوع الفجر أول اليوم شرعاً.

(وأصيوا من الطيب)، (من) للتبعيض، قائم^(١) مقام مفعول؛ أي: استعملوا بعض الطيب.

(قال ابن عباس) مجيئاً لطاوس عن قوله: (ذكروا...) إلخ: (أما الغسل) الذي ذكروه (فنعم) قاله عليه السلام، (وأما الطيب فلا أدرى)؛ أقاله عليه الصلاة والسلام أم لا؟

وهذا يخالف ما أخرجه ابن ماجه من رواية صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن ابن عباس مرفوعاً: «من جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان له طيب فليمسّ منه».

قال الحافظ: وصالح ضعيف، وقد خالفه مالك؛ فرواه عن

(١) أي: و(من الطيب) قائم مقام مفعول.

الزهري، عن عبيد بن السباق بمعناه مرسلاً، فإن كان صالح حفظ فيه ابن عباس احتمل أن يكون ذكره بعدما نسيه أو عكس ذلك، انتهى.

وقد ثبت ذكر الطيب في حديث أبي سعيد وسلمان وأبي ذر وغيرهم كما تقدم، وليس في هذه الرواية ذكر الدهن المترجم به، لكن لما كانت العادة تقضي استعمال الدهن بعد غسل الرأس أشعر ذلك به.

كذا وجهه ابن المنيّر جواباً عنمن قال: ليس فيه دلالة على الترجمة.

قال الحافظ: والذي يظهر أن البخاري أراد أن حديث طاوس عن ابن عباس هذا والذي بعده واحد، ذكر فيه إبراهيم بن ميسرة الدهن، ولم يذكره الزهري، وزيادة الثقة الحافظ مقبولة، انتهى.

* * *

٨٨٥ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ أَنَّ ابْنَ جُرِيجَ أَخْبَرَهُمْ، قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةً، عَنْ طَاؤُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّهُ ذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْمَسْ طِيباً أَوْ دُهْنَا إِنْ كَانَ عِنْدَ أَهْلِهِ؟ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ.

وبالسند قال:

(حدثنا إبراهيم بن موسى) الفراء الرازي الحافظ (قال: أخبرنا هشام) هو ابن يوسف الصناعي، قاضيها: (أن ابن جريج) عبد الملك (أخبرهم قال: أخبرني إبراهيم بن ميسرة) ضد الميمنة، الطائفية، نزيل مكة من الموالي، ثقة، حافظ.

قال ابن عيينة: كان من أوثق الناس وأصدقهم، وكان يحدّث على اللفظ، وقال أيضاً: أخبرني إبراهيم بن ميسرة من لم تر عيناك مثله.

وقال ابن المديني: قلت لسفيان: أين كان حفظ إبراهيم عن طاوس من حفظ ابن طاوس؟ قال: لو شئت قلت لك: إني أقدم إبراهيم عليه في الحفظ، لقلت.

وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، وقال ابن المديني: له نحو ستين حديثاً أو أكثر.

قال البخاري: مات قريباً من سنة ثنتين وثلاثين ومئة. روى له الجماعة.

(عن طاوس، عن ابن عباس ﷺ: أنه)؛ أي: ابن عباس (ذكر قول النبي ﷺ في الغسل)؛ أي: مشروعيته (يوم الجمعة). قال طاوس: (فقلت لابن عباس: أيمس طيباً أو دهناً إن كان)؛ أي: الطيب أو الدهن (عند أهله؟ فقال) ابن عباس: (لا أعلم) من قول النبي ﷺ، ولا كونه مندوباً، لكن ثبت الدهن عن غير ابن عباس كما مر.

قال الحافظ: وكأنه أراد بإيراد حديثه عقب حديث سلمان الإشارة إلى أن ما عدا الغسل من الطيب والدهن والسوائل وغيرها ليس هو في التأكيد كالغسل، وإن كان الترغيب ورد في الجميع، لكن الحكم يختلف إما بالوجوب عند من يقول به أو بتأكيد بعض المندوب على بعض، انتهى.

* * *

٧- بَابٌ

يَلْبِسُ أَحْسَنَ مَا يَجِدُ

(باب) بالتنوين: (يلبس)؛ أي: يوم الجمعة لصلاتها (أحسن ما يجد من الشياطين) الجائز لبسها.

٨٨٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى حُلَّةَ سِيرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَشْرَكْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا يَلْبِسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ. ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا حُلَّلٌ فَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ مِنْهَا حُلَّةً، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَسَوْتَنِي هَا وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أَكُسْكَهَا لِتَلْبِسَهَا»، فَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ أَخَاهُ لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا.

وبالسند قال:

(حدثنا عبد الله بن يوسف) الثئيسي (قال: أخبرنا مالك) الإمام، وفي رواية: (عن مالك)، (عن نافع) مولى ابن عمر، (عن عبد الله بن

عمر: أن) أباه (عمر بن الخطاب) ﷺ (رأى حلة سِيراء) بكسر المهملة وفتح التحتية ثم رأء ثم مد؛ أي: حرير.

قال ابن قُرْقُول: وضبطناه عن المتقنين بالإضافة، كما يقال: ثوب حرير، وعن بعضهم بالتنوين - أي: وعليه أكثر المحدثين - على الصفة أو البدل.

قال الخطابي: كما يقال: ناقة (عشراء)؛ لأن عشراء مأخوذه من (عشرة)؛ أي: أكملت عشرة أشهر، فسميت عشراء، وكذلك الحلة سميت (سيراء)؛ لأنها مأخوذه من السيور؛ لكون الخطوط التي فيها تشبه السيور.

وقال سيبويه: لم يأت (فعلاء) وصفاً.

و(الحلة): إزار ورداء، ولا تسمى (حلة) حتى تكون ثوبين، والمراد بها في هذا الحديث: الحرير المحضر؛ لأنها هي المحرمة.

(عند باب المسجد، فقال) عمر: (يا رسول الله! لو اشتريت هذه) الحلة، (فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك)، وجواب (لو) ممحوف؛ أي: لكان حسناً، أو هي للتنمي، فلا تحتاج لجواب، والوفد: جمع (وافد)، وهو القادم.

(فقال رسول الله ﷺ: إنما يلبس) - بفتح المودحة - (هذه) الحلة (من لا خلاق له)؛ أي: لا حظ له، ولا نصيب له من الخير (في الآخرة)؛ لكون لبسها حراماً على الرجال؛ لقيام دلائل آخر على حلها للنساء.

(ثم جاءت رسول الله ﷺ منها)؛ أي: من جنسها (حلل، فأعطي عمر)، زاد في رواية: (ابن الخطاب) (منها حلة، فقال عمر) بن الخطاب رضي الله عنه: (يا رسول الله! كسوتنها)؛ أي: الحلة، (وقد قلت في حلة عطارد) هو ابن^(١) حاجب بن زرارة التميمي، قدم في وفاته على رسول الله ﷺ، وأسلم، وله صحبة، وهو صاحب الحلة.

(ما قلت؟!)؛ أي: الذي قلته، وهو: إنما يلبس . . . إلخ.

(قال رسول الله ﷺ له: (إنني لم أكسكها لتلبسها)، بل لتنتفع بها في غير ذلك.

(فكسها عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (أخًا له بمكة مشركاً)، واسمه عثمان بن حكيم، وكان أخا عمر من أمه، وقيل غير ذلك، وقد اختلف في إسلامه.

وسيأتي الكلام على بقية فوائد هذا الحديث في (كتاب اللباس) إن شاء الله تعالى، وعلى بعض فوائده في (كتاب العيددين).

وقد تعقب الداودي المصنف بأنه ليس في الحديث دلالة على الترجمة.

وأجاب ابن بطال وتبعه ابن التين: بأنه كان معهوداً عندهم: أن يلبس المرأة أحسن ثيابه للجمعة.

وقال الحافظ: والأولى أن يستدل به من جهة تقريره ﷺ لعمر

(١) «ابن» مستدرك من «عمدة القاري» (٦/١٧٩).

على أصل التجمُّل للجمعة، وقصر الإنكار على لبس مثل تلك الحلة؛
لكونها كانت حريراً.

قال: وقد ورد الترغيب في ذلك في حديث أبي أويوب وعبد الله
ابن عمرو عند ابن خزيمة بلفظ: «ولبس من خير ثيابه».

ولأبي داود عن أبي سعيد وأبي هريرة نحو حديث سلمان،
وفيه: «ولبس من أحسن ثيابه».

ولأبي داود وابن ماجه عن عبدالله بن سلام^(١): أنه سمع
رسول الله ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة: «ما على أحدكم لو
اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبٍ مهنته».

وأفضل ألوان الثياب البياض؛ لحديث: «البسوا من ثيابكم
البياض؛ فإنها خير ثيابكم، وكفنا فيها موتاكم»، أخرجه الترمذى
وغيره، وصححه.

* * *

(١) في «و» و«ن»: «سلمان»، والتصويب من «سنن ابن ماجه» (١ / ٣٤٨).

٨- باب

السّوَّاکِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: يَسْتَنْ.

(باب السواك)؛ أي: استعماله (يوم الجمعة)، والسواك مذكور على الصحيح، وحکى في «المحکم» تأثیره، وأنکره الأزهري.
(وقال أبو سعيد) هو الخدري رضي الله عنه، (عن النبي ﷺ: يستن) هو طرف من حديثه المذكور في (باب الطيب للجمعة)، ففيه: «وَلَا يَسْتَنْ»؛ أي: بذلك أنسانه بالسواك.

٨٨٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزَّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشْقَى عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمْرَتُهُمْ بِالسُّوَّاکِ مَعَ كُلِّ صَلَةٍ».

وبالسند قال:

(حدثنا عبدالله بن يوسف) التّنّيسي (قال: أخبرنا مالك) الإمام، (عن أبي الزناد) عبدالله بن ذكوان، (عن الأعرج) عبد الرحمن بن هرمز، (عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: لو لا أن أشق على أمتي أو على الناس) هو شكٌّ من الرواية، وفي رواية: (أو لو لا أن

أشق على الناس) بإعادة (لولا أن أشق).

قال الحافظ: ولم أقف عليه بهذا اللفظ في شيء من الروايات عن مالك، ولا عن غيره، ورواه أكثر رواة «الموطأ» بلفظ: (المؤمنين) بدل (أمتى)، ورواه يحيى بن يحيى بلفظ: (على أمتى) بدون شك.

(لأمرتهم بالسواك); أي: باستعمال السواك؛ لأن السواك هو الآلة، يطلق على الفعل، فعليه لا تقدير.

(مع كل صلاة) قال الحافظ: لم أرها في شيء من روايات «الموطأ»، إلا عن معن بن عيسى، لكن بلفظ: (عند كل صلاة)، وكذا للنسائي عن مالك، وفي بعض طرقه عند أحمد: (مع الوضوء) بدل (الصلاحة).

قال في «المصابيح»: في ظاهر قوله عليه الصلاة والسلام: (لولا أن أشق...) إلخ إشكالٌ؛ لأن قاعدة (لولا) الامتناعية أن تدخل على اسمية أو فعلية؛ لربط امتناع الثانية لوجود الأولى، وهنا العكس، فإن الممتنع المشقة، والموجود الأمر، إذ قد ثبت أمره بالسواك.

وجوابه: أن التقدير: لولا مخافة أن أشق لأمرتهم أمر إيجاب، انتهى.

وقال الشيخ أبو إسحاق في «اللمع»: في هذا الحديث دليلٌ على أن الاستدعاء على جهة الندب ليس بأمرٍ حقيقة؛ لأن السواك عند كل صلاة مندوب إليه، وقد أخبر الشارع: أنه لم يأمر به، انتهى.

والمرجح في الأصول أن المندوب مأمور به.

وقال ابن دقيق العيد: وفيه دليلٌ لما قاله بعض أهل الأصول من أن الأمر للوجوب من وجهين:

أحدهما: أنه نفى الأمر مع ثبوت الندية، ولو كان الأمر للندب لما جاز النفي.

ثانيهما: أنه جعل الأمر مشقة عليهم، وذلك إنما يتحقق إذا كان الأمر للوجوب؛ إذ الندب لا مشقة فيه؛ لأنه جائز الترک.

وقال الشافعي: فيه دليل على أن السواك ليس بواجب؛ لأنه لو كان واجباً لأمرهم به؛ شقّ عليهم به أولم يشق.

وإلى القول بعدم وجوبه صار أكثر أهل العلم، بل ادعى بعضهم فيه الإجماع، لكن حکى الشيخ أبو حامد وتبعه الماوردي عن إسحاق ابن راهويه قال: هو واجب لكل صلاة، فمن تركه عامداً بطلت صلاته.

وعن داود أنه قال: وهو واجب، لكن ليس شرطاً.

واحتاج من قال بوجوبه بورود الأمر به، فعند ابن ماجه من حديث أبي أمامة مرفوعاً «تسوکوا»، وأحمد نحوه من حديث العباس، وفي «الموطأ» في أثناء حديث: «عليكم بالسواك».

قال الحافظ: ولا يثبت منها شيء، وعلى تقدير الصحة، فالمنفي في مفهوم حديث الباب الأمر به مقيداً بكل صلاة، لا مطلق الأمر، ولا يلزم من نفي المقيد نفي المطلق، ولا من ثبوت المطلق التكرار، كما سيأتي.

قال : واستدل بقوله : «كل صلاة» على استحبابه للفرائض والنوافل مطلقاً ، قال أئمتنا : وإن سلَّمَ من كل ركعتين وقرب الفصل ولم يتغير فمه .

واختار أبو شامة : أن المراد بالصلوات : المكتوبة ، وما ضاهاها من النوافل التي ليست تبعاً لغيرها ، كصلاة العيد .

واستدل به النسائي على استحبابه للصائم بعد الزوال ؛ لعموم قوله : (كل صلاة) ، وسيأتي البحث فيه في (كتاب الصيام) إن شاء الله تعالى .

قال : وفيه جواز الاجتهاد منه فيما لم ينزل عليه فيه نصٌ ؛ لكونه جعل المشقة سبباً لعدم أمره ، فلو كان الحكم متوقفاً على النص لكان سبب انتفاء الوجوب عدم ورود النص ، لا وجود المشقة .

قال ابن دقيق العيد : وفيه بحث .

قال : وهو كما قال ، ووجهه : أنه يجوز أن يكون إخباراً منه عليه بأن سبب عدم ورود النص وجود المشقة ، فيكون معنى قوله : (لأمرتهم) ؛ أي : عن الله بأنه واجب ، انتهى .

وفيه ما كان النبي عليه عليه من الشفقة على أمته .

وقال المهلب : فيه أن المندوبات ترتفع إذا خشي منها الحرج . ومطابقة الحديث للترجمة من جهة اندراج الجمعة في عموم قوله : «كل صلاة» .

قال ابن المنيّر: لما خُصّت الجمعة بطلب تحسين الظاهر من الغسل والتنظيف والتطيب ناسب ذلك تطيب الفم الذي هو محل الذكر والمناجاة، وإزالة ما يضر بالملائكة وبني آدم، وقد ورد من حديث علي عند البزار: «أن الملك لا يزال يدنو من المصلي يستمع القرآن، حتى يضع فاه على فيه»، الحديث، وأحمد وابن حبان: «السوال مطهرة للفم مرضاه للرب»، وله ولابن خزيمة: «فضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعون ضعفاً».

* * *

٨٨٨ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ الْحَبَّابِ، حَدَّثَنَا أَنَّسٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَالِكِ».

وبالسند قال:

(حدثنا أبو معمر) بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة، عبدالله بن عمرو (قال: حدثنا عبد الوارث) بن سعيد (قال: حدثنا شعيب بن الحبّاب) بفتح الحاءين المهملتين بينهما موحدة ساكنة، وبعد الألف موحدة أخرى، وسقط (ابن الحبّاب) من رواية الأذدي المعمولي مولاهم، والمعاول بطن من الأزد، أبو صالح البصري، ثقة، قال ابن المديني: له نحو ثلاثين حديثاً.

مات سنة إحدى وثلاثين ومئة، وقيل: في التي قبلها، وغسله
أيوب السختياني.

روى له الجماعة سوى ابن ماجه.

قال: (حدثنا أنس) هو ابن مالك رضي الله عنه (قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه :
أكثرت)، للإسماعيلي: (لقد أكثرت) (عليكم في السوak)؛ أي:
بالغت في تكرير طلبه منكم، أو في إيراد الإخبار في الترغيب فيه.
وقال ابن التين: معناه: أكثرت عليكم، وحقيقة أن أفعل، وحقيقة
أن تطيعوا.

وحكى الكرماني: أنه روى بضم أوله؛ أي: بولغت من عند الله
بطلبه منكم.

قال الحافظ: ولم أقف على هذه الرواية إلى الآن صريحة.

قال: وذكره ابن المنيّر بلفظ: (عليكم بالسوak)، ولم يقع ذلك في
شيء من الروايات في «صحيح البخاري». قال: نعم، وقع في «الموطأ»
عن الزهري عن عبيد بن السباق مرسلاً، وهو في أثناء حديث وصله ابن
ماجه من طريق صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، فذكر ابن عباس
فيه، وسبق الكلام عليه قريباً في (باب الدهن للجمعة).

ومناسبيه للذى قبله من جهة: أن سبب منعه من إيجاب السوak
واحتياجه إلى الاعتذار عن إكثاره عليهم فيه وجود المشقة، ولا مشقة
في فعل ذلك في يوم واحد، وهو يوم الجمعة، قاله ابن رشيد.

* * *

٨٨٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفِيَّانُ، عَنْ مَنْصُورٍ وَحُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوَّصُ فَاهُ.

وبالسند قال:

(حدثنا محمد بن كثير) - ضد القليل - (قال: أخبرنا سفيان) هو الثوري، (عن منصور) هو ابن المعتمر، (وحسين) بالجر عطفاً على (منصور)، وهو مصغر، كلامها (عن أبي وائل) - بالهمز - شقيق بن سلمة (عن حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه (قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ)؛ أي: للتهجد (يشوص فاه) بفتح أوله وضم الشين المعجمة آخره صاد مهملة؛ أي: يدلك أسنانه (بالسواك)، وقد تقدم الكلام على الحديث وفوائده في (باب السواك) قبل (كتاب الغسل)، ويأتي أيضاً في (باب طول القيام في صلاة الليل).

ووجه مناسبته هنا: أنه شُرِع في الليل لتجمل الباطن، فيكون في الجمعة أخرى؛ لأنَّه شرع لها التجمل في الباطن والظاهر.

* * *

٩ - بَابٌ

مَنْ تَسْوَكَ بِسْوَاكٍ غَيْرِهِ

(باب من تسوك)، وفي رواية: (يتسوك) - بلفظ المضارع -
(بسواك غيره).

٨٩٠ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ قَالَ: قَالَ
هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:
دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنِّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ،
فَأَعْطَانِيهِ فَقَصَمْتُهُ ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ
مُسْتَسِنْدٌ إِلَى صَدْرِي.

وبالسند قال:

(حدثنا إسماعيل)؛ أي: ابن أبي أويس (قال: حدثني سليمان
ابن بلال)، وقد سمع إسماعيل من سليمان، وقد يروي عنه بواسطة .
(قال: قال هشام بن عروة: أخبرني أبي) عروة بن الزبير بن
العوام، (عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي
بكر) أخوها ﷺ؛ أي: دخل حجرتي في مرضه - عليه الصلاة والسلام -

(ومعه سواكه) جملة حالية (يُسْتَنِ)؛ أي: يُسْتَاكَ (بِهِ) جملة أخرى صفة لـ (سواك) أو حالية.

(فَنَظَرَ إِلَيْهِ)؛ أي: إِلَى عبد الرحمن (رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)، قالت عائشة: (فَقُلْتُ لَهُ)؛ أي: لعبد الرحمن: (أَعْطِنِي هَذَا السُّوَّاْكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيْهِ، فَقَصَّمْتَهُ) بقاف وصاد مهملة مفتوحتين للأكثر؛ أي: كسرته، فأبنت منه الموضع الذي كان عبد الرحمن يُسْتَنِ به.

وفي رواية: (فَقَصَّمْتَهُ) بالضاد المعجمة المكسورة، من (القضم)، وهو: الأكل بأطراف الأسنان، وقال في «المطالع»: أي: مضغته بأسنانه ولبيته، وعليه قوله: (ثُمَّ مُضْغَتُه) يعني به مضغاً غير المضغ الأول.

وفي أخرى: (فَقَصَّمْتَهُ) بفاء بدل القاف وبصاد مهملة مفتوحة؛ أي: كسرته من غير إبارة.

(فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَنَّ بِهِ، وَهُوَ مُسْتَسْنَدٌ إِلَى صَدْرِي) بسبعين مهمليتين بينهما مثناة فوقية وبعد الثانية نون، من باب الاستفعال، وهو بمعنى الرواية الأخرى: (مستند) من باب الافتعال؛ أي: معتمد ومضيف نفسه إليها.

والكلام على الحديث يأتي مستوفى إن شاء الله تعالى في آخر (المغازي) عند ذكر وفاته، عليه الصلاة والسلام.

وفيه المطابقة لما ترجم له، لكن قد أورد ابن المنيّر عليه بأن عائشة قد غيرت موضع الاستيak بالقطع.

وأجاب بأن استعماله بعد أن مضغته وافٍ بالمقصود.

وتعقب بأنه إطلاق في موضع التقييد، فينبغي تقييد الغير بأن يكون من لا يعاف أثر فمه؛ إذ لو لا ذلك ما غيرته عائشة، ولا يقال: لم يتقدم فيه استعمال؛ لأن في نفس الخبر: يستُّ به، قاله في «الفتح».

* * *

١٠ باب

مَا يُقْرَأُ فِي صَلَاتِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

(باب ما يقرأ) ضبطه في «اليونينية» بضم المثناة التحتانية ويفتحها؛ مبنياً للفاعل والمفعول (في صلاة الفجر يوم الجمعة)، قال الحافظ: ولم يقع قوله: (يوم الجمعة) في أكثر الروايات في الترجمة، وهو مراد.

قال ابن المُنْيَر: (ما) في قوله: (ما يقرأ) الظاهر: أنها موصولة، لا استفهامية.

وقال أيضاً: مناسبة ترجمة الباب لما قبلها: أن ذلك من جملة ما يتعلق بفضل الجمعة؛ لاختصاص صيغتها بالمواظبة على قراءة هاتين السورتين، انتهى.

٨٩١ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُوَ ابْنُ هُرْمَرَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاتِ الْفَجْرِ الَّتِي تَنْفَلُ السَّجْدَةُ وَهَلْ أَقَّ عَلَى الْإِنْسَنِ.

وبالسند قال:

(حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين، كذا في أصول كثيرة صحيحة
الاقتصر على أبي نعيم.

قال الحافظ: وفي نسخة من رواية كريمة: (حدثنا محمد بن
يوسف الفريابي). قال: وذكرا - أي: أبو نعيم ومحمد بن يوسف - في
بعض النسخ جمِيعاً، انتهى.

وكذا جمع بينهما في «الأطراف» فقال: (خ) عن أبي نعيم
ومحمد بن يوسف.

والحديث يأتي بهذا السند في (سجود القرآن) عن محمد بن
يوسف، فلعله في «الأطراف» أراد أن كلاً منهما رواه مفرقاً
لا مجتمعين، والله أعلم.

(قال: حدثنا سفيان) هو الثوري، (عن سعد بن إبراهيم)؛ أي:
ابن عبد الرحمن بن عوف، نسبة النسائي، وهو تابعي صغير.
(عن عبد الرحمن بن هرمز)، وفي رواية: (هو ابن هرمز)، وزاد
في أخرى: (الأعرج).

(عن أبي هريرة رضي الله عنه) قال: كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يقرأ في الفجر يوم
الجمعة، وفي رواية: (يقرأ في الجمعة) (في صلاة الفجر ﴿الآتَهُ تَنْزِيلُهُ﴾ السجدة: ١ - ٢) بضم اللام على الحكایة، زاد في رواية:
(السجدة)، وهو بالنصب عطف بيان.

(و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَنِ﴾ [الإنسان: ١])، زاد في رواية: (﴿رِحْيَنٌ مِّنَ

الَّذِهِرِ ﴿﴾)، والمراد أن يقرأ في الركعة الأولى : بـ ﴿الَّتِي تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١ - ٢]، وفي الثانية : ﴿هَلْ أَقَ﴾ [الإنسان: ١]، كما وقع عند مسلم في بعض طرقه.

وفي الحديث دليل على استحباب قراءة هاتين السورتين في صبح يوم الجمعة؛ لما تشعر الصيغة به من مواطبيه ﷺ على ذلك أو إكثاره منه، بل ورد من حديث ابن مسعود التصريح بمداومته ﷺ على ذلك، أخرجه الطبراني ولفظه: يديم ذلك، وأصله في ابن ماجه بدون هذه الزيادة، ورجاله ثقات، لكن صواب أبو حاتم إرساله.

قال الحافظ: وكأن ابن دقيق العيد لم يقف عليه فقال: ليس في حديث الباب ما يقتضي فعل ذلك دائمًا اقتضاء قوياً؛ أي: لأن أكثرهم على أن (كان) لا تقتضي التكرار.

قال: لكن الزيادة التي ذكرناها نص في ذلك، انتهى.

وأما طعن بعض المالكية بأن الحديث من روایة سعد بن إبراهيم، وأن مالكاً امتنع من الروایة عنه؛ فقد تقدم في ترجمته الجواب عن ذلك، وأن أحمد وبيهقي بن معين وغيرهما من الأئمة وثقوه، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة، وقال بعضهم: هو حجة باتفاق، وإنما لم يرو عنه مالك لمعنى معروف، فاما أن يكون تكلم فيه فلا أحفظ ذلك، انتهى.

على أن سعداً لم ينفرد به، فقد أخرجه مسلم من طريق سعيد بن جيير عن ابن عباس مثله، وابن ماجه والطبراني عن ابن مسعود كما مر،

وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص، والطبراني في «الأوسط» عن علي:

وأما دعوى الباقي: أن الناس تركوا العمل به؛ فباطلة؛ لأن أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين قد قالوا به، كما نقله ابن المنذر وغيره، حتى إنه ثابت عن إبراهيم: أنه أَمَّ الناس بهما في المدينة في الفجر يوم الجمعة، أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح.

وكلام ابن العربي يشعر بأن ترك ذلك أمر طرأ على أهل المدينة؛ لأنَّه قال: وهو أمر لم يعلم بالمدينة، فَالله أعلم بمن قطعه كما قطع غيره، انتهى.

واختلف تعليل المالكية بكرامة قراءة السجدة في الصلاة؛ فقيل:

لكونها تشتمل على زيادة سجود في الفرض.

قال القرطبي: وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث.

وقيل: لخشية التخلط على المصلين، كما سيأتي.

وقيل: لخشية اعتقاد العوام أنها فرض، وإليه جنح ابن دقيق العيد فقال: أما القول بالكرامة مطلقاً فيأبه الحديث، لكن ينبغي أن ترك قراءتهما في بعض الأوقات؛ لتندفع هذه المفسدة.

وبالنسبة إلى ذلك من الشافعية ابن أبي هريرة وأبو إسحاق المرزوقي والكمال بن يونس، ومن الحنفية صاحب «المحيط»، ومن المالكية جماعة.

وصاحب «الهداية» من الحنفية ذكر: أن علة الكراهة هجران
الباقي وإيهام التفضيل.

وفيه أيضاً: أنه لا تكره قراءة السجدة في الصلاة ولا السجود،
وقال به جمهور العلماء من السلف والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة
والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور وداود.

واختلف قول مالك فيه؛ فروى ابن وهب عنه: أنه لا بأس أن
يقرأ القرآن بالسجدة في الفريضة، وروى أشهب عنه: أنه كره ذلك
للإمام إلا أن يكون من خلفه قليلين لا يخشى أن يخلط عليهم، وخصص
بعض أصحابه الكراهة بصلوة السر.

قال: لأن الجهرية يؤمن معها التخليط، لكن صح من حديث ابن
عمر: أنه ﷺقرأ سورة فيها سجدة في صلاة الظهر فسجد بهم فيها،
أخرجه أبو داود والحاكم، فبطل القول بالتفرقة.

قيل: الحكمة في قراءة هاتين السورتين في هذا المحل: أن
فيهما ذكر آدم ونشاته، وهو خلق يوم الجمعة، فنُوّه بذكره في يوم ظهر
فيه، وأيضاً فيه تقوم الساعة، فقرئ فيه ما احتوى على ذكر يوم
القيمة وأحواله وصفة الجنة والنار وأهلهما وأعمالهم وغير ذلك.

وقيل: الحكمة في قراءة السجدة قصد السجود الزائد، حتى إنه
يستحب لمن لم يقرأ هذه السورة بعينها أن يقرأ سورة غيرها فيها
سجدة، وقد عيب هذا على قائله حتى نسبه ابن القيم من الحنابلة إلى
قلة العلم.

وتعقبه الحافظ بأنه لا ينبغي القطع بتزيفه، فقد ثبت ما ذكره هذا القائل عن بعض علماء الكوفة والبصرة؛ كإبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين.

وذكر النووي في «زيادات الروضة» ما إذا قرأ آية سجدة في الصلاة ليسجد، وقال: لم أر فيها كلاماً لأصحابنا، ثم قال: وقياس مذهبنا كراهة ذلك.

وقد أفتى ابن عبد السلام قبله بالمنع وبيطلان الصلاة بقصد ذلك.

وقال الأسنوي في «المهمات»: مقتضى كلام القاضي حسين الجواز، فإنه قال: لا يستحب له جمع آيات السجود وقراءتها دفعة واحدة من أجل السجود.

ونازعه تلميذه ابن العماد في «التعقيبات» فقال: كلام القاضي يدل على عدم الجواز وعلله بأنه إذا لم يستحب حرم.

وأقول: فيه نظر، وكلام البُلْقِيني صريح في الجواز من غير كراهة، ولو قرأ بعض هاتين السورتين مع اتساع الوقت لم يكن آتياً بالسنة.

وقال الفارقي في «فوائد المذهب»: لا يستحب قراءة سجدة غير **﴿تَبَرُّ﴾**، فإن ضاق الوقت عن قراءتها قرأ بما أمكن منها ولو بأية السجدة منها، ووافقه ابن أبي عَصْرُونَ في كتاب «الانتصار».

قال الحافظ: وفيه نظر.

وقال القَلْقَشْنَدِي: وحيث ضاق الوقت عن قراءتهما فهل يأتي
بعضهما أم يعدل إلى غيرهما؟

قال الفارقي: أتى بالمكان منهما ولو بآية السجدة، وبعض
﴿هَلْ أَقَ﴾.

وقال الأَذْرَعِي: لم أر ذلك لغيره، انتهى.

فائدة: قال في «الفتح»: لم أر في شيء من الطرق التصريح
بأنه ﷺ سجد لَمَّا قرأ سورة (تنزيل السجدة) في هذا الم محل إلا في
كتاب «الشريعة» لابن أبي داود من طريق سعيد بن جبير، عن ابن
عباس قال: (غدوت على النبي ﷺ يوم الجمعة في صلاة الفجر، فقرأ
سورة فيها سجدة فسجد) الحديث، قال: وفي إسناده من ينظر في
حالة.

وللطبراني في «الصغير» من حديث علي: (أن النبي ﷺ سجد في
صلاة الصبح في تنزيل السجدة) لكن في إسناده ضعف، انتهى.

قال القَلْقَشْنَدِي: وهو في «الأوسط»؛ أيضاً، والراوي عن علي
هو الحارث.

وفي الحديث: القراءة على ترتيب السور.

* * *

١١ - بَابِ

الْجُمُعَةُ فِي الْقُرَىِ وَالْمَدِينَ

(باب الجمعة) - أي : إقامتها - (في القرى والمدن) قال الْكَرْمَانِي :
بِسْكُونِ الدَّالِ وَضَمِّهَا، جَمْعُ مَدِينَةٍ، وَفِي رَوَايَةٍ : (وَالْمَدَائِنِ).

قال الحافظ : هذه الترجمة إشارة إلى خلافٍ من خصيصة الجمعة
بِالْمَدِينَ دُونَ الْقُرَىِ، وقد أَسْنَدَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ حَذِيفَةَ وَعَلَيْهِ
وَغَيْرِهِمَا، وَعَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ : (أَنْ جَمِعُوا حِينَما
كَتَبْتُمْ)، أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ
ابْنُ خَزِيمَةَ، وَهَذَا يَشْمَلُ الْمَدِينَ وَالْقُرَىِ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : سَأَلَتِ الْلَّيْثُ بْنُ
سَعْدٍ فَقَالَ : كُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ فِيهَا جَمَاعَةٌ أُمِرُوا بِالْجُمُعَةِ، فَإِنَّ أَهْلَ
مَصْرَ وَسَوَالِحَهَا كَانُوا يَجْمِعُونَ الْجُمُعَةَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ
بِأَمْرِهِمَا، وَفِيهِمَا رَجُالٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَعِنْ عَبْدِ الرَّزَاقِ بِإِسْنَادِ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ : أَنَّهُ كَانَ يَرَى أَهْلَ
الْمَيَاهِ بَيْنَ مَكَةَ وَالْمَدِينَةِ يَجْمِعُونَ فَلَا يَعِيبُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ
الصَّحَابَةُ وَجَبَ الرَّجُوعُ إِلَى الْمَرْفُوعِ، انتَهَى.

٨٩٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُشْنَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرُ الْعَقْدِيُّ،
قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ أَبِي جَمْرَةِ الضُّبْعِيِّ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةً جَمَعْتُ بَعْدَ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدٍ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِجُوَاثَى مِنَ الْبَحْرَيْنِ.

وبالسنن قال:

(حدَّثَنَا) - وفي رواية: (حدَّثني) - (محمد بن المثنى) العنزي،
(قال: حدثنا أبو عامر) عبد الملك بن عمر، (العقدي) - بفتحترين -
(قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان)، بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء،
(عن أبي جمرة) - بالجيم والراء - نصر بن عمران (الضُّبْعِيِّ) بضم
المعجمة وفتح الموحدة وبالعين المهملة، (عن ابن عباس).

كذا رواه الحفاظ من أصحاب إبراهيم بن طهمان عنه، وخالفهم
المعافى بن عمران فقال: (عن ابن طهمان، عن محمد بن زياد، عن
أبي هريرة)، أخرجه النسائي.

قال الحافظ: وهو خطأ من المعافى لا من إبراهيم. ثم قال:
ويحتمل أن يكون لإبراهيم فيه إسنادان.

(قال: إن أول جمعة جمعت)، بضم الجيم وتشديد الميم، وزاد
أبو داود من طريق وكيع عن ابن طهمان: (في الإسلام)، (بعد جمعة)
- زاد المصنف في أواخر (المغازي): (جمعت) - (في مسجد
رسول الله ﷺ)؛ أي: (في المدينة) كما زاده وكيع، ووقع في رواية

المعافي المذكورة: (بمكة) وهو خطأ بلا مريء، قاله الحافظ.

يقال: جمّع القوم تجميعاً أي: شهدوا الجمعة وصلواها.

(في مسجد عبد القيس) هو عَلَم لقبيلة كانوا يتزلون البحرين، وهو موضع قريب من بحر عمان بقرب القَطِيف والأحساء.

(جواثي) بضم الجيم وتحقيق الواو - وقد يهمز - ثم بمثلثة خفيفة مفتوحة، مقصورة (من البحرين)، في رواية وكيع: (قرية من قرى البحرين)، وفي أخرى عنه: (من قرى عبد القيس)، وبه يتم مراد الترجمة.

ووجه الدلالة منه أن الظاهر أن عبد القيس لم يجتمعوا إلا بأمر النبي ﷺ؛ لما عرف من عادة الصحابة من عدم الاستبداد بالأمور الشرعية في زمن نزول الوحي، ولأنه لو كان ذلك لا يجوز لنزل فيه القرآن، كما استدل جابر وأبو سعيد على جواز العزل بأنهم فعلوه والقرآن ينزل، فلم ينهاوا عنه.

ومن قال: إن جُواثي اسم حصن بالبحرين، لا ينافي كونها قرية، وحكي ابن التين عن اللّخمي أنها مدينة، وما في الحديث من كونها قرية أصح، مع احتمال أنها صارت مدينة بعد ذلك.

وفيه إشعار بتقدم إسلام عبد القيس على غيرهم من أهل القرى، وهو كذلك كما مر في أواخر (كتاب الإيمان).

* * *

٨٩٣ - حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ»، وَزَادَ الْلَّيْثُ: قَالَ يُونُسُ: كَتَبَ رُزَيقُ بْنُ حُكَيمٍ إِلَى ابْنِ شِهَابٍ وَأَنَا مَعْهُ يَوْمَئِذٍ بِوَادِي الْقُرْسِ: هَلْ تَرَى أَنْ أَجْمَعُ؟ وَرُزَيقٌ عَامِلٌ عَلَى أَرْضٍ يَعْمَلُهَا، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السُّودَانِ وَغَيْرِهِمْ، وَرُزَيقٌ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَيْلَةٍ، فَكَتَبَ ابْنُ شِهَابٍ - وَأَنَا أَسْمَعُ - يَأْمُرُهُ أَنْ يُجْمَعَ، يُخْبِرُهُ أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُلَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

وبالسند قال:

(حدثنا بشر بن محمد) - زاد في رواية المروزي: (وبشر بكسر المودة وسكون المعجمة) -، (قال: أخبرنا عبد الله) هو ابن المبارك، (قال: أخبرنا يونس) هو ابن يزيد الأيلي، (عن الزهري، قال: أخبرني) - وفي رواية: (أخبرنا) - (سالم)، زاد في رواية: (ابن عبد الله)، (عن ابن عمر) بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول) - وفي

رواية: (عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ يقول) :-

(كلكم راع)؛ أي: حافظ ملتزم صلاحَ ما قام عليه، ومما هو تحت نظره، فكل من كان كذلك فهو مطلوب بالعدل منه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته، فإن وفَّى بما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر والجزاء الأكبر، وإن طالبه كل أحد من رعيته في الآخرة بحقه.

(وزاد الليث)، فيه إشارة إلى أن رواية الليث متفقة مع ابن المبارك إلا في القصة الآتية، فإنها مختصة برواية الليث، وروايته وصلها الذهلي عن أبي صالح كاتب الليث عنه، وقد ساق المصنف رواية ابن المبارك بهذا الإسناد في (كتاب الوصايا) فلم يخالف رواية الليث إلا في إعادة قوله في آخره: (وكلكم راع...) إلخ.

(قال يونس) بن يزيد: (كتب) - وفي رواية: (وكتب) - (رزيق ابن حكيم) - بتقديم الراء على الزي، وبالتصغير في اسمه واسم أبيه، وهو المشهور، ويقال فيه بتقديم الزي، وفي اسم أبيه بالتكبير - أبو حكيم الأيلي، والي أيلة لعمر بن عبد العزيز، بلدة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر، بينها وبين المدينة خمسة عشر مرحلة.
وثقه النسائي والعجمي وابن سعد، وقال ابن ماكولا: كان عبداً صالحًا.

لم يذكروا له وفاة. وقال في «التقريب»: من السادسة.
ذكره البخاري في هذا الموضع فقط، وروى له النسائي حديثاً

واحداً عن عمرة عن عائشة في القطع في ربع دينار فصاعداً.

(إلى ابن شهاب) الزهري، قال يونس: (وأنا معه) - أي: مع ابن شهاب - (يومئذ بوادي القرى) محل من أعمال المدينة فتحه عليه الصلاة والسلام في جمادى الآخرة سنة سبع من الهجرة لما انصرف من خيبر.

(هل ترى أن أجمع؟)؛ أي: أصلبي بمن معي الجمعة.

(ورزيق) يومئذ (عامل على أرض يعملها)؛ أي: يزرع فيها - (وفيها جماعة من السودان وغيرهم، ورزيق يومئذ على أيلة)؛ أي: أمير عليها كما مر.

قال الحافظ: والذي يظهر أن الأرض التي كان يزرعها من أعمال أيلة، ولم يسأل عن أيلة نفسها لأنها كانت مدينة كبيرة ذات قلعة، وهي الآن خراب، ينزل بها الحاج المصري والمغربي وبعض آثارها ظاهر.

(فكتب ابن شهاب وأنا أسمع)، وهو قول يونس، والجملة حالية، قوله: (يأمره) حالية أخرى، أي: يأمر رزيقاً (أن يجمع، يخبره) حال من فاعل (يأمره)، وهما حالان متداخلان، والحالان السابقان - وهما (وأنا أسمع) و(يأمره) - مترادافان، والمكتوب هو الحديث، والمسموع المأمور به، قاله الكرمانى.

قال الحافظ: والذي يظهر أن المكتوب هو عين المسموع، وهو الأمر والحديث معاً.

قال: وفي قوله: (كتب) تجَوَّز، كأن ابن شهاب أملأه على كاتبه فسمعه يonus منه، ويحتمل أن يكون الزهري كتبه بخطه وقرأه بلفظه، فيكون فيه حذف تقديره: فكتب ابن شهاب وقرأه وأنا أسمع، انتهى.

(أن سالماً حدثه أن) أباه (عبدالله بن عمر) بن الخطاب (يقول) - وفي رواية: (قال) -: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلكم راع وكلكم مسؤول) في الآخرة، (عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله) يوفيهم حقهم من النفقة والكسوة وحسن العشرة، (وهو مسؤول عن رعيته)، وسقط لفظ (هو) من رواية، (والمرأة راعية في بيت زوجها) بحسن تدبيرها في المعيشة، والنصح والأمانة في ماله وحفظ عياله وأضيافه ونفسها، (ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده) يحفظه ويقوم بما يستحق من خدمته، (ومسؤول عن رعيته).

(قال: وحسبت أن قد قال)، وفي رواية: (أنه قال)، وجزم الكَرْماني بأن فاعل (قال) الأولى يonus.

قال الحافظ: وفيه نظر، والذي يظهر أنه سالم، ثم ظهر لي أنه ابن عمر.

قال: وسيأتي في (باب الاستقرار) بيان ذلك. أي: فإن سياق الحديث هناك ظاهر في أن القائل هو ابن عمر.

قال: وقد رواه الليث أيضاً، عن نافع، عن ابن عمر، بدون هذه الزيادة، أخرجه مسلم، انتهى.

(والرجل راع في مال أبيه) يحفظه ويدبر مصلحته، (ومسؤول)، وفي رواية: (وهو مسؤول)، (عن رعيته وكلكم)، وفي رواية: (فكلكم)، (راع ومسؤول) - وفي رواية: (مسؤول) بدون واو، وفي أخرى: (وكلكم مسؤول) - (عن رعيته).

فإن قيل: قوله: (فكلكم راع) يعم جميع الناس، فيدخل فيه المرعى أيضاً؟

فالجواب أنه مرعى باعتبار راع باعتبار، حتى ولو لم يكن له أحد لكان راعياً لجواره وحواسه؛ لأنه يجب عليه أن يقوم بحق الله تعالى وحق عباده.

وسيأتي الكلام على بقية فوائد هذا الحديث في (كتاب الأحكام) إن شاء الله تعالى.

قال الحافظ: ووجه ما احتاج به على التجميع من قوله عَزَّوَجَلَّ: (كلكم راع)، أن على من كان أميراً إقامة الأحكام الشرعية، وال الجمعة منها، وكان رزيق عاماً على الطائفة التي ذكرها، فكان عليه أن يراعي حقوقهم، ومن جملتها إقامة الجمعة.

وفي «القسطلاني»: وفي الحديث أن الجمعة تقام بغير إذن من السلطان إذا كان في القوم من يقوم بمصالحهم، وهذا مذهب الشافعية؛ إذ إذنُ السلطان عندهم ليس شرطاً لصحتها اعتباراً بسائر الصلوات، وبه قال المالكية وأحمد في رواية عنه.

وقال الحنفية - وهو روایة عن أَحْمَد أَيْضًا - : إِنَّ شَرْطَهُ لِقُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ تَرَكَ الْجَمْعَةَ وَلَهُ إِمَامٌ جَائِرٌ أَوْ عَادِلٌ لَا جَمْعَ اللَّهِ شَمْلَهُ) رَوَاهُ ابْنُ مَاجِهِ وَالْبَزَارُ وَغَيْرُهُمَا ، فَشَرْطُهُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِمَامٌ ، وَيَقُولُ مَقَامَهُ نَائِبٌ وَهُوَ الْأَمِيرُ أَوْ الْقَاضِيُّ .

قال : وَحِينَئِذٍ فَلَا دَلَالَةُ فِيهِ لِلشَّافِعِيَّةِ ؛ لَأَنَّ رَزِيقًا كَانَ نَائِبُ الْإِمَامِ .

قال : وَاسْتَدَلَ بِهِ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ عَلَى أَنَّ الْجَمْعَةَ تَقَامُ فِي الْقَرْيَةِ إِذَا كَانَ فِيهَا أَرْبَعُونَ رَجُلًا مَعَ الشُّرُوطِ الْمُذَكَّرَةِ عِنْهُمْ ، وَسَوَاءَ فِيهَا الْمَسْجِدُ وَالدَّارُ وَالْفَضَاءُ ، بِخَلَافِ الصَّحَراءِ .

وَخَصَّهُ الْمَالِكِيَّةُ بِالْجَامِعِ الْمَبْنِيِّ وَبِالْعَتِيقِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فِيهَا مَسْجِدٌ وَسَوْقٌ ، وَاشْتَرَطَ الْحَنَفِيَّةُ لِإِقَامَتِهَا الْمَصْرُ أَوْ فَنَاءُهُ ، اِنْتَهَى .

* * *

١٢ - باب

هَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يَشْهُدِ الْجُمُعَةَ غُسْلٌ
مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبِيَانِ وَغَيْرِهِمْ؟

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّمَا الغُسْلُ عَلَى مَنْ تَحِبُّ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ.

(باب) بالتنوين : (هل على من لم) - وفي رواية : (لا) - (يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم) كالعبد والمسافر والمعذور .

قال الحافظ : وتقديم التنبيه على ما تضمنته هذه الترجمة في (باب فضل الغسل) ، انتهى .

أي : في شرح قوله : (وهل على الصبي شهود الجمعة أو على النساء) .

وأقول : فكان الأنسب ذكر هذا الباب عقب ذلك الباب .

ثم قال : وكأنه استعمل الاستفهام في الترجمة للاحتمال الواقع في حديث أبي هريرة ممن ذكر ، والتقييد في حديث أبي سعيد بالمحتمل يُخرج الصبيان ، والتقييد في النهي عن منع النساء المساجد بالليل يخرج الجمعة ، والتقييد في حديث ابن عمر بـ (من جاء منكم)

يخرج من لم يجئ، وعرف بهذا وجه إيراد هذه الأحاديث في هذه الترجمة، وقد تقدم الكلام على أكثرها، انتهى.

(وقال ابن عمر) بن الخطاب: (إنما الغسل على من تجب عليه الجمعة) وقع في بعض الأصول: (على من يجب عليه الغسل)، وقد وصله البيهقي بإسناد صحيح عنه وزاد: (وال الجمعة على من يأتي أهله)، ومعنى هذه الزيادة أن الجمعة تجب عنده على من يمكنه الرجوع إلى موضعه قبل دخول الليل، فمن فوق هذه المسافة لا تجب عليه، ويأتي البحث فيه بعد باب.

قال الحافظ: وقد تقرر أن الآثار التي يوردها البخاري في الترجم تدل على اختيار ما تضمنته عنده، فهذا مصيرٌ منه إلى أن الغسل لل الجمعة لا يشرع إلا لمن وجبت عليه، انتهى.

* * *

٨٩٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ جَاءَ مِنْكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ».

وبالسند قال:

(حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع، (قال: أخبرنا شعيب) هو ابن أبي حمزة، (عن الزهرى)، قال: حدثني سالم بن عبد الله أنه سمع (أباه (عبد الله بن عمر) بن الخطاب رضي الله عنه) (يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول: من جاء منكم الجمعة) - ظاهره: وإن لم تلزمه، كالمرأة والختن والصبي والعبد والمسافر - (فليغتسل) ندباً مؤكداً، فيكره تركه، سبقت مباحثه في ذلك الباب أيضاً.

* * *

٨٩٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءٍ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ».

وبالسند قال:

(حدثنا عبدالله بن مسلمة القعبي، (عن مالك) الإمام، (عن صفوان بن سليم) - بالتصغير - العابد الزاهد، (عن عطاء بن يسار)، ضد اليمين، (عن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه. (أن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (غسل يوم الجمعة)؛ أي: لصلاتها، (واجب) - أي: كالواجب - (على كل محتلم) وسبقت مباحثه في ذلك الباب أيضاً.

* * *

٨٩٦ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ طَاؤِسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ، فَغَدَأْ لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدِ اللِّنَّصَارَى» . فَسَكَتَ.

٨٩٧ - ثُمَّ قَالَ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسْدَهُ».

٨٩٨ - رَوَاهُ أَبْنَانُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ طَاؤُسٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَقٌّ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا».

وبالسند قال :

[(حدثنا مسلم بن إبراهيم) الأزدي، (قال: حدثنا) - وفي رواية: (حدثني) - (وهيب) بالتصغير^(١)، (قال: حدثنا ابن طاوس)، واسمه عبدالله، وفي رواية: (عن ابن طاوس)، (عن أبيه) طاوس بن كيسان، (عن أبي هريرة) رضي الله عنه. (قال: قال رسول الله ﷺ: نحن) - يعني نفسه عليه السلام وأمته - (الآخرون) في الزمان (السابقون) في الفضيلة - (يوم القيمة أوتوا)؛ أي: أهل الكتاب، (الكتاب) - التوراة والإنجيل - (من قبلنا وأوتيناه)؛ أي: القرآن، في رواية: (وأوتينا) بغير ضمير، (من بعدهم، فهذا اليوم)؛ أي: يوم الجمعة، (الذي اختلفوا فيه) بعد أن عين لهم، وأمروا بتعظيمه فتركوه، (فهداها)، وفي رواية: (وهداها) (الله) له بالوحى، أو بالاجتهاد، على ما من الخلاف .

(فغداً لليهود وبعد غد للنصارى)، قال الكرماني: غداً ظرف

(١) ما بين معاكوفتين ليس في «و».

متعلق إما بالخبر وإما بالمبدأ، أو معناه: الاجتماع لليهود في غد وللنصارى بعد غد، وفي رواية: (غد) بالرفع على أنه مبدأ، والمسوّغ له - مع كونه نكرة مقدماً على الظرف - تقدير مضاف؛ أي: **غد الجمعة لليهود، وغد بعد غد للنصارى، انتهى**

(فسكت ثم قال) فاعله هو النبي ﷺ، فقد أورده المصنف في (بني إسرائيل) من وجه آخر عن وهيب بهذا الإسناد دون قوله: (فسكت ثم قال)، ويفكك ذلك رواية مجاهد عن طاوس المقتصرة على قوله: (الله على كل مسلم حق)، وللهذه النكتة أورده بعده فقال: رواه أبان بن صالح ... إلخ.

(حق)، قال القسطلاني: وفي بعض النسخ: (حق) بالفاء، ويجوز أن تكون جواباً شرط ممحظف؛ أي: إذا كان الأمر كذلك فحق، قد عينه جابر في حديثه عند النسائي، والبراء بن عازب في حديثه عند ابن خزيمة، فقاولاً: (وهو يوم الجمعة).

(يغسل فيه) - أي: في ذلك اليوم - (رأسه وجسده) ذكر فيه الرأس للاهتمام به، لأنهم كانوا يجعلون فيه الدهن والخطمي ونحوهما، فكانوا يغسلون أولاً ثم يغسلون.

(رواه) - أي: الحديث المذكور - (أبان بن صالح) بفتح الهمزة بوزن سحاب؛ أي: ابن عمير بن عبيد القرشي مولاهم، أبو بكر المدني، وقيل: المكي، أصله من العرب، وأصابه سباء في الجاهلية، وثقة الأئمة.

قال في «التفريغ»: ووهم ابن حزم فجهّله، وابنُ عبد البر فضعّفه.
ولد سنة ستين، ومات بعسقلان سنة بضع عشرة ومئة وهو ابنُ
خمس وخمسين سنة.

استشهد به البخاري، وروى له الباقيون سوى مسلم.
(عن مجاهد، عن طاوس عن أبي هريرة) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قال: قال
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله تعالى على كل مسلم حق) - استدل به للقائل بالوجوب،
وقد مر الكلام فيه - (أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً) وهو يوم
الجمعة كما مر.

وهذا التعليق وصله البيهقي من طريق سعيد بن أبي هلال عن
أبان المذكور، وأخرجه الطحاوي من وجه آخر عن طاوس وزاد فيه:
(ويمس طيباً إن كان لأهله).

* * *

١٣ - بَاب

٨٩٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ،
عَنْ عَمْرِ وْ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«أَئْذِنُوا لِلنِّسَاءِ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ».

وبالسند قال :

(حدثنا عبد الله بن محمد) **المُسْنَدِي**، قال : (حدثنا شَبَابَةُ) - بفتح المعجمة وخفة الموحَّدين - الفزارِيُّ، قال : (حدثنا ورقاءُ)، بفتح الواو وسكون الراء وبالقاف ممدوداً، (عن عمرو بن دينار، عن مجاهد، عن ابن عمر) بن الخطاب **ﷺ** (عن النبي **ﷺ**) قال : ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد).

وقد تقدم الكلام مستوفى على هذا الحديث من طريق أخرى بنحو هذا اللفظ في (باب خروج النساء إلى المساجد بالليل) قبيل (كتاب الجمعة).

وقوله : (بالليل) فيه إشارة إلى أنهم كانوا لا يمنعونهن نهاراً، لأن الليل مَيْنة الريبة، ولأجل ذلك قال ابن عبد الله بن عمر : (لا نأذن لهن

يتخذنه دغلاً)، كما تقدم هناك.

وقال البرماوي تبعاً للكرماني: إذا جاز خروجهن بالليل فالنهار أولى؛ لأن الليل مظنة الفتنة، تقدماً لمفهوم الموافقة على المخالفة، بل مفهوم المخالفة إذا كان للقب لا للصفة ونحوها لا اعتبار له على الراجح.

ثم قالا: وجاء بهذا الحديث والذي بعده ليبين أن النساء لهن شهود الجمعة. أي: فيسن لهن الغسل.

وقد عكس هذا بعض الحنفية فجرى على ظاهر الخبر، فقال: التقييد بالليل لكون الفساق فيه شغل بفسقهم أو نومهم، بخلاف النهار فإنهم يتذرون فيه؛ أي: فلا يؤذن لهن فيه.

قال القسطلاني في تقريره: وال الجمعة نهارية، فمفهومه يُخرج الجمعة في حق النساء فلا يخرجن إليها، ومن لم يشهدها فليس عليه غسل، وذكر عن الإسماعيلي نحوه.

وقال الحافظ: وهذا إن كان ممكناً لكن مظنة الريبة في الليل أشد، وليس لكلهم -أي: الفساق- في الليل ما يجد ما يشتغل به، أما النهار فالغالب فيه أنه يفضحهم غالباً، ويصددهم عن التعرض لهن ظاهراً؛ لكثره انتشار الناس فيه، ورؤية من يتعرض فيه لما لا يحل له فينكر عليه، والله أعلم، انتهى.

وسألي آخر الباب مزيداً لذلك.

* * *

٩٠٠ - حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشَهِّدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لَمْ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمَيْنَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَايِنِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَامَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ».

وبالسند قال:

(حدثنا يوسف بن موسى) بن راشد بن بلال القطان، أبو يعقوب الكوفي المعروف بالرازي، نزل الري ثم سكن بغداد.

قال الخطيب: قد وصف غير واحد من الأئمة يوسف بن موسى بالثقة، واحتج به البخاري في صحيحه.

مات يوم السبت بعد العصر لسبع عشرة ليلة مضت من شهر صفر، سنة ثلاثة وخمسين ومئتين، روى عنه البخاري وأبو داود والترمذى والنسائى في مسندهما وابن ماجه.

وفي «الزهرة»: روى عنه البخاري عشرين حديثاً.

(قال حدثنا أبوأسامة) حماد بن أسامه الليثي، قال: (حدثنا عبيدا الله بن عمر) - بتصرير العبد - وهو العمري، (عن نافع) مولى ابن عمر، (عن ابن عمر) بن الخطاب رض، (قال: كانت امرأة لعمر) - يأتي اسمها - (تشهد)؛ أي: تحضر صلاة (الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك؟) -

بكسـر الكـافـ، أيـ: الخـروـجـ - (ويـغـارـ) وجـملـةـ (وقدـ تـعلـمـينـ . . . إـلـخـ)
حالـيـةـ.

(قالـتـ: فـمـاـ) - وـفـيـ روـاـيـةـ: (وـمـاـ) - (يـمـنـعـهـ أـنـ يـنـهـانـيـ؟ـ)؛ـ أـيـ:ـ
عـنـ الخـروـجـ،ـ (قالـ) -ـ أـيـ:ـ القـائـلـ لـهـاـ:ـ (لـمـ تـخـرـجـينـ . . . إـلـخـ)ـ -ـ
(يـمـنـعـهـ قـولـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ:ـ لـاـ تـمـنـعـواـ إـمـاءـ اللهـ مـسـاجـدـ اللهـ).

قالـ الـبـرـمـاوـيـ تـبـعـاـ لـلـكـرـمـانـيـ ماـ حـاـصـلـهـ:ـ لـاـ يـقـالـ:ـ هـذـاـ عـامـ فـيـ
الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ وـالـسـيـاقـ مـخـصـوصـ بـالـلـيـلـ؛ـ لـأـنـاـ نـقـولـ لـيـسـ هـوـ
مـخـصـوصـاـ؛ـ إـذـ النـهـارـ بـالـطـرـيـقـ الـأـوـلـىـ كـمـاـ قـدـمـنـاـ،ـ وـعـلـىـ تـسـلـيمـ أـنـ هـذـاـ عـامـ
فـتـخـصـيـصـ فـرـدـ مـنـ أـفـرـادـ الـعـامـ بـالـذـكـرـ لـاـ يـخـصـصـهـ،ـ كـمـاـ قـالـوـهـ فـيـ
حـدـيـثـ:ـ (أـيـمـاـ إـهـابـ دـبـغـ فـقـدـ طـهـرـ)ـ مـعـ حـدـيـثـ شـاـةـ مـيـمـونـةـ:ـ (دـبـاغـهـاـ
طـهـورـهـاـ)،ـ اـنـتـهـىـ.

وـقـالـ الـحـاـفـظـ -ـ بـعـدـ أـنـ ذـكـرـ عـنـ الإـسـمـاعـيـلـيـ ماـ حـاـصـلـهـ:ـ إـنـ
الـحـدـيـثـ الـأـوـلـ يـقـضـيـ عـدـمـ دـخـولـ الـجـمـعـةـ،ـ وـالـثـانـيـ يـدـلـ عـلـىـ خـلـافـهـ -ـ
مـاـ نـصـهـ:ـ وـالـذـيـ يـظـهـرـ أـنـهـ؟ـ أـيـ:ـ الـبـخـارـيـ،ـ جـنـحـ إـلـىـ أـنـ هـذـاـ الـمـطـلـقـ
يـحـمـلـ عـلـىـ ذـلـكـ الـمـقـيـدـ،ـ اـنـتـهـىـ.

أـيـ:ـ وـحـيـئـذـ فـيـكـونـ غـرـضـ الـبـخـارـيـ أـنـهـنـ لـاـ يـشـهـدـنـهاـ،ـ وـمـنـ لـمـ
يـشـهـدـهـاـ لـاـ غـسـلـ عـلـيـهـ،ـ خـلـافـ مـاـ ذـكـرـهـ الـكـرـمـانـيـ.

وـالـمـرـأـةـ الـمـذـكـورـةـ قـالـ الـحـاـفـظـ:ـ هـيـ عـاتـكـةـ بـنـتـ زـيـدـ بـنـ عـمـرـ بـنـ
نـفـيلـ،ـ أـخـتـ سـعـيدـ بـنـ زـيـدـ أـحـدـ الـعـشـرـةـ،ـ سـمـاـهـاـ الـزـهـرـيـ فـيـمـاـ أـخـرـجـهـ
عـبـدـ الرـزـاقـ،ـ عـنـ مـعـمـرـ،ـ عـنـهـ قـالـ:ـ (كـانـتـ عـاتـكـةـ بـنـتـ زـيـدـ بـنـ عـمـرـ بـنـ

نفیل عند عمر بن الخطاب، وكانت تشهد الصلاة في المسجد، وكان عمر يقول لها: والله إنك لتعلمين أني ما أحب هذا. قالت: والله لا أنتهي حتى تنهاني. قال: فلقد طعن وإنها لفي المسجد)، كذا ذكره مرسلاً، ووصله عبد الأعلى عن معمر بذكر سالم بن عبد الله، عن أبيه، لكن أبهم المرأة، أخرجها أحمد عنه.

قال: وُعرف من هذا أن قوله في حديث الباب: (فَقِيلَ لَهَا لَمْ تَخْرُجِينَ . . . إِلَّخْ)، أن قائل ذلك كله هو عمر بن الخطاب، ولا مانع أن يعبر عن نفسه بقوله: (أن عمر . . . إِلَّخْ)، فيكون من باب التجريد أو الالتفات، وعلى هذا فالحديث من مسند عمر.

قال: ويحتمل أن تكون المخاطبة دارت بينها وبين ابن عمر أيضاً، لأن الحديث مشهور من روایته، ولا مانع أيضاً أن يعبر عن نفسه بـ (قيل لها . . . إِلَّخْ).

قال: وهذا مقتضى ما صنع الحميدي وأصحاب الأطراف، فإنهم أخرجوا هذا الحديث من هذا الوجه في مسند ابن عمر، انتهى.



فَرَسِ الْكِتَبِ وَالْأَبْوَابِ

الصفحة

الكتاب والباب

تابع أبواب صفة الصلاة

٥	٩٦ - باب القراءة في الظُّهُر
١٢	٩٧ - باب القراءة في العَصْرِ
١٤	٩٨ - باب القراءة في المَغْرِبِ
٢٢	٩٩ - باب الجَهْرِ في المَغْرِبِ
٣٠	١٠٠ - باب الجَهْرِ في العِشَاءِ
٣٣	١٠١ - باب القراءة في العِشَاءِ بِالسَّجْدَةِ
٣٥	١٠٢ - باب القراءة في العِشَاءِ
٣٦	١٠٣ - باب يُطَوَّلُ فِي الْأُولَئِنِ وَيُخَذِّفُ فِي الْآخِرَيْنِ
٣٩	١٠٤ - باب القراءة في الفَجْرِ
٤٤	١٠٥ - باب الجَهْرِ بِقِرَاءَةِ صَلَاتِ الْفَجْرِ
٥٢	١٠٦ - باب الْجَمْعِ بَيْنَ السُّورَيْنِ فِي الرَّكْعَةِ
٧٠	١٠٧ - باب يَقْرَأُ فِي الْآخِرَيْنِ بِفَاتِحةِ الْكِتَابِ
٧٣	١٠٨ - باب مَنْ خَافَتِ الْقِرَاءَةُ فِي الظُّهُرِ وَالْعَصْرِ

٧٥	١٠٩ - باب إِذَا أَشْمَعَ الْإِمَامُ الْآيَةَ
٧٧	١١٠ - باب يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى
٨٢	١١١ - باب جَهْرِ الْإِمَامِ بِالثَّأْمِينِ
٩٦	١١٢ - باب فَضْلِ الثَّأْمِينِ
٩٨	١١٣ - باب جَهْرِ الْمَأْمُومِ بِالثَّأْمِينِ
١٠٢	١١٤ - باب إِذَا رَكَعَ دُونَ الصَّفَّ
١٠٨	١١٥ - باب إِتْمَامِ التَّكْبِيرِ فِي الرُّكُوعِ
١١٦	١١٦ - باب إِتْمَامِ التَّكْبِيرِ فِي السُّجُودِ
١٢٠	١١٧ - باب التَّكْبِيرِ إِذَا قَامَ مِنَ السُّجُودِ
١٢٧	١١٨ - باب وَضْعِ الْأَكْفَافِ عَلَى الرُّكَبِ فِي الرُّكُوعِ
١٣٢	١١٩ - باب إِذَا لَمْ يُتِمِ الرُّكُوعَ
١٣٥	١٢٠ - باب اسْتِوَاءِ الظَّهَرِ فِي الرُّكُوعِ
١٥٥	١٢٣ - باب الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ
١٥٧	١٢٤ - باب مَا يَقُولُ الْإِمَامُ وَمَنْ خَلْفَهُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ
١٦٣	١٢٥ - باب فَضْلِ اللَّهُمَّ رَبِّنَا لَكَ الْحَمْدُ
١٦٦	١٢٦ - باب
١٧٨	١٢٧ - باب الْأَطْمَانِيَّةِ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ
١٨٦	١٢٨ - باب يَهُوِي بِالثَّكْبِيرِ حِينَ يَسْجُدُ
١٩٧	١٢٩ - باب فَضْلِ السُّجُودِ
٢٠٨	١٣٠ - باب يُبَدِّي ضَبْعَيْهِ وَيُبَحَّافِي فِي السُّجُودِ
٢١٣	١٣١ - باب يَسْتَقْبِلُ بِأَطْرَافِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ

٢١٤ ١٣٢ - باب إِذَا لَمْ يُتَمِّمِ السُّجُودَ
٢١٦ ١٣٣ - باب السُّجُودِ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمِ
٢٢٢ ١٣٤ - باب السُّجُودِ عَلَى الْأَنْفِ
٢٢٦ ١٣٥ - باب السُّجُودِ عَلَى الْأَنْفِ، وَالسُّجُودِ عَلَى الطَّينِ
٢٣٢ ١٣٦ - باب عَقْدِ الثِّيَابِ وَشَدَّهَا
٢٣٤ ١٣٧ - باب لَا يَكُفُّ شَرَأً
٢٣٦ ١٣٨ - باب لَا يَكُفُّ ثَوْيَةٌ فِي الصَّلَاةِ
٢٣٧ ١٣٩ - باب التَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ
٢٤٢ ١٤٠ - باب المُكْثِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ
٢٤٩ ١٤١ - باب لَا يَفْتَرِشُ ذِرَاعَيْهِ فِي السُّجُودِ
٢٥٣ ١٤٢ - باب مَنِ اسْتَوَى قَاعِدًا فِي وِتْرِ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ نَهَضَ
٢٥٧ ١٤٣ - باب كَيْفَ يَعْتَمِدُ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَةِ؟
٢٦١ ١٤٤ - باب يُكَبِّرُ وَهُوَ يَنْهَضُ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ
٢٦٥ ١٤٥ - باب سُنَّةِ الْجُلوسِ فِي التَّشَهِيدِ
١٤٦ ١٤٦ - باب مَنْ لَمْ يَرَ التَّشَهِيدَ الْأَوَّلَ وَأَجِبَا؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَرْجِعْ
٢٨٢ ١٤٧ - باب التَّشَهِيدِ فِي الْأُولَى
٢٨٦ ١٤٨ - باب التَّشَهِيدِ فِي الْآخِرَةِ
٣٠٦ ١٤٩ - باب الدُّعَاءِ قَبْلَ السَّلَامِ
٣٢٢ ١٥٠ - باب مَا يُتَخَيِّرُ مِنَ الدُّعَاءِ بَعْدَ التَّشَهِيدِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ

١٥١ باب من لم يمسح جبهة وأنفه حتى صلى
٣٢٨	
١٥٢ باب التسليم
٣٣٠	
١٥٣ باب يسلم حين يسلم الإمام
٣٣٣	
١٥٤ باب من لم يرد السلام على الإمام واكتفى بتسليم الصلاة
٣٣٦	
١٥٥ باب الذكر بعد الصلاة
٣٤٢	
١٥٦ باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم
٣٧٩	
١٥٧ باب مكث الإمام في مصلاه بعد السلام
٣٨٤	
١٥٨ باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم
٣٩٥	
١٥٩ باب الانفال والانصراف عن اليمين والشمال
٤٠١	
١٦٠ باب ما جاء في الثوم النبي والبصل والكراث
٤٠٦	
١٦١ باب وضوء الصبيان، ومتي يحب عليهم الفسل والطهور
٤٢٨	
١٦٢ باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلوس
٤٤٠	
١٦٣ باب انتظار النساء قيام الإمام العالم
٤٤٩	
١٦٤ باب صلاة النساء خلف الرجال
٤٥٥	
١٦٥ باب سرعة انصراف النساء من الصبح، وقلة مقامهن في المسجد
٤٥٨	
١٦٦ باب استidan المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد
٤٦١	

(١١)

كتاب الجمعة

١ - باب فرض الجمعة

٤٦٨

٤٧٩	٢ - باب فَضْلِ الْفُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
٤٩٦	٣ - باب الطَّيِّبِ لِلْجُمُعَةِ
٥٠٢	٤ - باب فَضْلِ الْجُمُعَةِ
٥١٤	٥ - باب
٥١٦	٦ - باب الدُّهْنِ لِلْجُمُعَةِ
٥٢٨	٧ - باب يَلْبِسُ أَحْسَنَ مَا يَجِدُ
٥٣٢	٨ - باب السَّوَاكِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
٥٣٩	٩ - باب مَنْ تَسَوَّكَ بِسَوَاكٍ غَيْرِهِ
٥٤٢	١٠ - باب مَا يُقْرَأُ فِي صَلَاتِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
٥٤٩	١١ - باب الْجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ
٥٥٨	١٢ - باب هَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يَشْهِدِ الْجُمُعَةَ غُسْلٌ، مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبِّيَّانِ وَغَيْرِهِمْ
٥٦٤	١٣ - باب
٥٦٩	* فهرس الكتب والأبواب

